



للفقيه الأديب نجم الدين عمارة بن أبي الحسن علي الحكمي اليمني

ويليه المختصر المنقول من كتاب العبر للقاضي عبد الرحمن بن خلدون المغربي

ثم أخبار القرامطة باليمن تأليف الأجل البهاء الجندي

حقق نصه وضبط أعلامه وعلق عليه وقدم له

بالإضافة إلى مقدمة وتعليقات الناشر الأول

(كاي) سنة ١٨٩٢ المترجمة ترجمة دقيقة

الدكتور حسن سليمان محمود




تاريخ اليمن



تاريخ اليمن

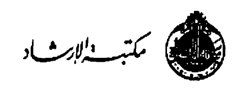
للفقيه الأديب نجم الدين عمارة بن أبي الحسن علي الحكمي اليمني

ويليه المختصر المنقول من كتاب العبر للقاضي عبد الرحمن بن خلدون المغربي
ثم أخبار القرامطة باليمن تأليف الأجل البهاء الجندي

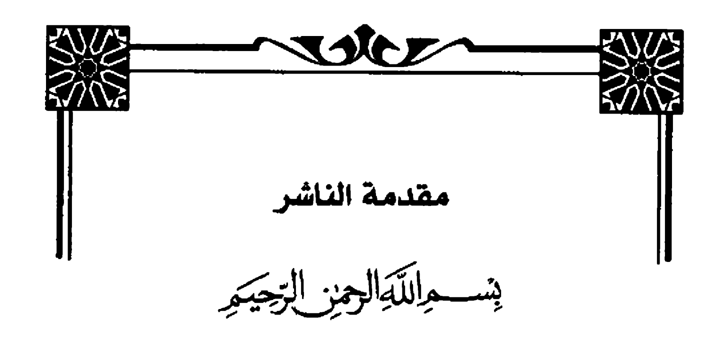
حقق نصه وضبط أعلامه وعلق عليه وقدم له
بالإضافة إلى مقدمة وتعليقات الناشر الأول
(كاي) سنة ١٨٩٢ المترجمة ترجمة دقيقة
الدكتور حسن سليمان محمود

مكتبة الإرشاد

الطَّبعَةُ الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م



الجمهورية اليمنية - صنعاء - ميدان التحرير
شارع ٢٦ سبتمبر ص.ب ٣٠١٩ تليفون ٢٧١٦٧٧ - ٢٧٩٢٨٩



مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين، وله الحمد والشكر، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وبعد ففي التاريخ عبرة لمن اعتبر، وفكرة لمن افتكر، ولقد صدق الشاعر في قوله:

ليس بإنسان ولا عاقل ... من لا يعي التاريخ في صدره
ومن درى أخبار من قبله ... أضاف أعماراً إلى عمره

ونظراً لأن تاريخ اليمن بصفة عامة يكتنفه الغموض في كثير من موضوعاته، بل وفي كثير من عصوره التاريخية، ونظراً لأن كتاب «تاريخ اليمن» لنجم الدين عمارة الحكمي اليمني يعتبر الأساس لكثير من المعلومات التاريخية التي وردت في كتب المؤرخين، والكتاب الذين كتبوا بعده عن تاريخ اليمن، ونظراً لندرة هذا الكتاب في العصر الحاضر، وندرة المؤلفات المتداولة الخاصة باليمن المخطوط منها والمطبوع، ونظراً لدراساتي الطويلة في تاريخ اليمن وبخاصة في العصور الوسطى، واطلاعي على كثير من المخطوطات اليمنية التي لم تر النور بعد، والتي استعنت بها عند تحضيري لنيل درجة الدكتوراة[1]، وعند نشري لكتاب «الصليحيون والحركة الفاطمية

(١) وكان عنوان البحث: «الصليحيون في اليمن وعلاقاتهم بالفاطميين في مصر».

في اليمن»[1]. نظراً لذلك كله قررت أن أعيد نشر كتاب عمارة هذا، الذي كان قد قام بنشره المستشرق (كاي H.C.Kay) سنة ١٨٩٢، وحرصت على أن أنتفع بمجهودات المستشرق الفرنسي ديرنبورج والإضافات التي أتى بها لمناسبة اهتمامه بنشر كتاب، «سيرة عمارة»، ولم يكتف هذا المستشرق بالكتابة عن سيرة عمارة، بل أمد الباحثين بكتابين لعمارة وهما: «النكت العصرية» و«الديوان» وذيلهما بالرسائل. كما حرصنا على الانتفاع بمجهودات الباحثين في تاريخ اليمن منذ سنة ١٨٩٢ إلى اليوم.

كذلك رأيت إتماماً للفائدة أن أقوم بنشر الجزء المختصر المنقول من كتاب العبر للقاضي عبدالرحمن بن خلدون المغربي. ويليه أخبار القرامطة باليمن المنقول من كتاب السلوك للبهاء الجندي، تتمة لما احتوته نسخة (كاي).

فقمت بعد ترجمة مبسطة للمؤلف بإعادة تحقيق النص، بالإضافة إلى تحقيقات (كاي)، وذلك بالرجوع إلى المصادر المخطوطة والمطبوعة الخاصة بتاريخ اليمن، والمتصلة بكتابنا هذا؛ كما قمت بترجمة مقدمة (كاي) ترجمة عربية دقيقة، ومراجعة ترجمته للأصل على النص العربي. ثم قمت بترجمة حواشي (كاي) التي ذيل بها الكتاب وعلقت عليها بتعليقات وافية مستمدة من المراجع التي لم تتح (لكاي) فرصة الاطلاع عليها، وعملت لوحات للبيوت والأسرات الحاكمة التي ورد ذكرها في النص، وحققت الأعلام الجغرافية والقبائل بالرجوع إلى كتب الجغرافيين العرب، وكتب الرحّالة المحدثين، ومعجمات اللغة والبلدان والقبائل وغيرها، ثم أتيت بعد ذلك بعدة حواشي جديدة تتعلق بالمخطوطة، شرحنا فيها الكثير من الأمور التي أغفلها (كاي). وجئت بثبت مهم عن المصادر التي تعرضنا إليها عند معالجتنا لموضوعات المخطوطة، وذيلت الكتاب بخريطة جغرافية لليمن صححنا فيها مواضع بعض الأماكن التي وردت في خريطة (كاي).

---

(١) نشر بالقاهرة سنة ١٩٥٥.

ولست هنا في صدد إظهار الأهمية القصوى لقيمة هذه المخطوطة، فقد أفاض في ذلك المستشرق (كاي) في مقدمته[1]، ولكني قمت بهذا العمل خدمة للعلم ولقراء العربية عامة وللمشتغلين بتاريخ اليمن خاصة. فإذا وجد فيه القراء شيئاً من الخير فهذا راجع إلى ما تحت أيدينا من المراجع، وإن كان فيه شيء من الخطأ فمرجعه إلى قصورنا، وقلة بضاعتنا وقصر باعنا.

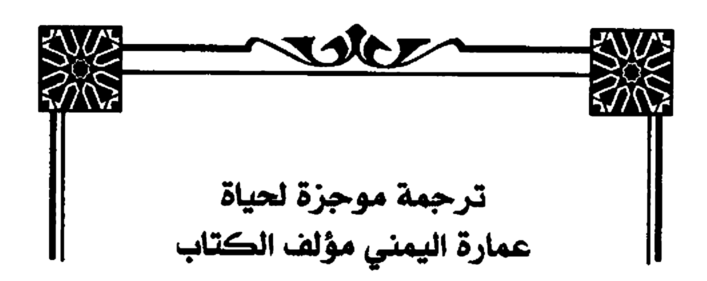
والله ولي التوفيق

دكتور حسن سليمان محمود

القاهرة في ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٧٦/٢٥ يونية سنة ١٩٥٧.



(١) وردت ترجمة هذه المقدمة فيما بعد.



ترجمة موجزة لحياة عمارة اليمني مؤلف الكتاب

هو أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان بن أحمد الحكمي المذحجي اليمني الملقب نجم الدين الشافعي الفرضي. ولد سنة خمس عشرة وخمس مئة في مدينة مرطان من وادي السباع، وبلغ بها الحلم سنة تسع وعشرين وخمس مئة، ورحل إلى زبيد سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة[1]، حيث تلقى العلم في مدارسها أربع سنوات على كثير من العلماء وبخاصة ابن الأبار الذي أخذ عنه المذهب الشافعي. واشتغل بعد ذلك بالتجارة. فسافر إلى عدن والتقى فيها بالأديب الفاضل أبو بكر بن محمد العيدي فأكرمه، وأمره بمدح الداعي محمد بن سبا[2] ـ وهو إذ ذاك صاحب الدعوة الفاطمية في تلك البلاد ـ فاعتذر بحجة أنه لا يجيد الشعر. فعمل الأديب قصيدة على لسان عمارة هنأ بها الداعي بإعراسه على بنت الشيخ بلال، وتولى العيدي إلقاءها أمام الداعي، فنال بذلك جائزة، وأخرى من بلال، وأعطاها إلى عمارة وقال له: «إنك قد وسمت عند القوم بسمة شاعر، فطالع كتب الأدب ولا تجمد على الفقه» فكان ذلك سبب تعلمه له، واشتغاله بالشعر وصحبة الملوك من ذلك الوقت؛ ولم يزل مصاحباً لملوك آل زريع خاصة، حتى ليوشك ألا يشتهر عنه قول الشعر في غيرهم من ملوك اليمن.

---

(١) وفيات: ١٠٧/٣.

(٢) انظر أخبار آل الزريع في نفس الكتاب.

وكان عمارة يعرف عند أهل بلده بالحدقي، وعند أهل مصر باليمني، وعند أهل اليمن وأهل عدن والجبال بالفقيه، وعند أهل زبيد بالفرضي.

وفي سنة تسع وأربعين وخمس مئة حج عمارة، فسيره صاحب مكة قاسم بن هاشم بن فليته رسولاً إلى الخليفة الفائز[1] الفاطمي في مصر، فدخلها في شهر ربيع أول سنة خمسين وخمس مئة، ومدح الخليفة بقصيدة ميمية فوصله، ومدح ابن رزيك[2] فأحسن صلته، وأقام بمصر حتى شوال سنة ٥٥٠ في أرغد عيش وأعز جانب، وعاد إلى مكة، ومنها إلى زبيد فبلغها في صفر سنة ٥٥١هـ ثم حج مرة أخرى في هذه السنة، فأوفده صاحب مكة ثانية إلى مصر، فبقي بها ولم يفارقها بعد ذلك.

ويقول ابن خلكان عنه[3] ـ وكان شافعي المذهب، شديد التعصب للسنة، أديباً ماهراً مجيداً، محدثاً ممتعاً ـ واحتفظ عمارة إلى آخر لحظة من حياته بمذهب أهل السنة، ولكن لم يحل هذا دون أن تتوطد عُرا الصداقة والمودة بينه وبين الحكومة في مصر، التي كان يدين خلفاؤها ووزراؤها بالمذهب الفاطمي.

وكان الوفاء سجية هذا الشاعر؛ وذلك لأن الفاطميين قد أسروه بإحسانهم، فنظم في مدحهم الكثير من الشعر، فأحسن الملك الصالح[4] وبنوه وأهله إليه كل الإحسان، وصحبوه مع اختلاف العقيدة لحسن صحبته. وله في الصالح وولده[5] مدائح كثيرة.

---

(١) هو أبو القاسم عيسى تولى الخلافة في مستهل صفر سنة ٥٤٩ وتوفي في ١٧ رجب سنة ٥٥٥ (وفيات: ٣٩٥/١ بولاق ١٢٩٩هـ.).

(٢) هو الملك الصالح طلائع بن رزيك، ولد سنة ٤٩٠ وتوفي في ١٩ رمضان سنة ٥٥٦ وتولى الوزارة من ربيع أول سنة ٥٤٩ إلى رجب سنة ٥٥٥هـ.

(٣) وفيات: ١٠٩/٣.

(٤) الملك الصالح طلائع بن رزيك (راجع هامش ٢ في نفس الصفحة).

(٥) هو أبو شجاع العادل محيي الدين رزيك بن طلائع، تولى وزارة الخليفة العاضد الفاطمي في شهر رجب سنة ٥٥٥ إلى ٢٢ من المحرم سنة ٥٥٨هـ. حيث تولى بعده أبو شجاع شاور بن مجير بن نزار (زامباور / المترجم: ١٥٠/١).

وكانت بينه وبين الكامل بن شاور صحبة متأكدة قبل وزارة أبيه، فلما وزر استحال عليه، فكتب إليه قصيدة منها:

إذا لم يساعدك الزمان فحارب ... وباعد إذا لم تنتفع بالأقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما ... تموت الأفاعي من سموم العقارب

وظل على ولائه للفاطميين حتى بعد زوال دولتهم. فلما ملك السلطان صلاح الدين الأيوبي الديار المصرية[1]، مدحه عمارة كما مدح جماعة من أهل بيته، ويتضمن ديوانه جميع هذه القصائد.

وفي أثناء إقامته في مصر ألزمه القاضي الفاضل أبو علي عبدالرحيم بن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي المجد علي البيساني[2] ـ وكان رئيس ديوان الإنشاء في عهد الدولة الفاطمية ـ بتأليف كتاب عن أخبار جزيرة اليمن، هو المعروف باسم: «مفيد عمارة»، فبدأ تأليفه سنة ٥٦٣. وهذا الكتاب على صغره يعتبر عند المؤرخين من المراجع الأصلية في أخبار اليمن، فنقل عنه كبار مؤرخي المسلمين: كابن الأثير[3]، وابن خلكان[4]، وأبي الفدا[5]، وابن الديبع[6]، ويحيى بن الحسين[7]، وإدريس عماد الدين[8]، وغيرهم. هذا الكتاب هو ما نحن بصدد تحقيقه ونشره.

ولعمارة اليمني ديوان شعر مشهور تضمن الكثير من الأشعار في مدح

---

(١) وذلك بعد أن خلع الخليفة العاضد آخر خلفاء الفاطميين في ٣ من المحرم سنة ٥٦٧هـ. حيث توفي هذا الخليفة في ١٠ منه (دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الفرنسين ـ مادة العاضد).

(٢) راجع مقدمة (كاي) المترجمة فيما بعد والتعليق عليها؛ خطط: ٣٦٦٢/ ـ ٣٦٧.

(٣) تاريخ الكامل.

(٤) وفيات الأعيان.

(٥) المختصر في أخبار البشر.

(٦) بغية المستفيد في أخبار زبيد، قرة العيون في أخبار اليمن الميمون.

(٧) أنباء الزمن في أخبار اليمن.

(٨) عيون الأخبار، نزهة الأفكار، روضة الأخبار.

خلفاء الفاطميين، وجماعة من خاصة دولتهم: كبني رزيك، وشاور. كما امتدح آل زريع وجماعة من دولتهم كالعيدي[1]، وبلال[2]، وبعض آل أبي عقامة[3].

وله كتاب «النكت العصرية في أخبار الديار المصرية» ومن حسن الحظ أن عني المستشرق الفرنسي ديرنبورج بنشر هذا الكتاب في مدينة شالون بفرنسا سنة ١٨٩٧. وله كتاب آخر يسمى «أخبار الشعراء»[4]، كذلك له كتاب «نموذج ملوك اليمن»[5].

ولما كان عمارة متعلقاً بحب الفاطميين فظهر من حبه هذا في فلتات لسانه، وفي نظمه ونثره ما دعا إلى التحرز منه وإبعاده. وإذا كان قد مدح بني أيوب فإنه تكلف ذلك، وصرح، وعرض فيه بما في ضميره. وقد قال في كتابه النكت: «ذكر الله أيامهم بحمد لا يكل نشاطه، ولا يطوى بساطه، فقد وجدت فقدهم وهنت بعدهم»[6].

وقد عرض عمارة حياته للخطر بسبب هذا الحب الدافق، والوفاء التام للفاطميين[7]، فأوغر بذلك حفيظة الأيوبيين، وكان كلما هم صلاح الدين بعقوبته دافع عنه القاضي الفاضل. ولما حانت منيته تجمعت عدة أسباب أدت إلى إدانته، منها: ما ذكره ابن خلكان[8]، من أنه اتفق مع جماعة من كبار أهل مصر عددهم ثمانية على قلب نظام الحكم، فلما أحس بهم صلاح الدين قبض عليهم في يوم ٢٦ من شعبان سنة ٥٦٩، وشنقهم بالقاهرة يوم

---

(١) الأديب الفاضل أبو بكر محمد بن العيدي (راجع الصفحة الأولى من هذه الترجمة).
(٢) هو بلال بن جرير المحمدي (راجع أخباره في الأصل والدور الذي لعبه في عهد دولة بني نجاح).
(٣) راجع حاشية ٦٩ (كاي) المترجمة والتعليق عليها؛ قلادة: ٢/٢ ورقة: ٦٣٥.
(٤) راجع حاشية ٦٩ (كاي) المترجمة والتعليق عليها.
(٥) راجع «الصليحيون» ١٩٤ هامش ٤.
(٦) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين: ٢٢٢ ـ ٢٢٣.
(٧) النكت العصرية: ٥٤٥.
(٨) وفيات: ١١٢/٣.

السبت ثاني شهر رمضان من نفس السنة. قال صاحب الخريدة[1]: إنه صلب من جملة الجماعة الذين نسب إليهم التدبير عليه (أي على صلاح الدين) ومكاتبة الفرنج، واستدعائهم لمصر ليجلسوا ولد العاضد، ولم ينكر المتآمرون المؤامرة. هذا فضلاً عن اتهامه بأنه هو الذي قال:

قد كان أول هذا الدين من رجل ... سعى إلى أن دعوه سيد الأمم

فأفتى فقهاء مصر بقتله، وحرضوا السلطان صلاح الدين على المثلة به وبأمثاله، مع أنه من الجائز أن يكون هذا البيت مدسوساً عليه[2].



---

(١) أبو عبدالله محمد بن أبي الرجاء، الأصفهاني.

(٢) راجع مقدمة (كاي) المترجمة فيما يلي.

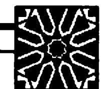
رموز واصطلاحات

إتحاف المهتدين- إتحاف المهتدين بذكر الأئمة المجددين لمحمد بن يحيى زبارة.

افتتاح	افتتاح الدعوة الزاهرة للقاضي النعمان.
أنباء / دار	أنباء الزمن مخطوط بدار الكتب المصرية.
أنباء / ماضي	أنباء الزمن تحقيق محمد عبدالله الماضي.
بغية	بغية المستفيد لابن الديبع.
تحفة الكرام	تحفة الكرام في أخبار البلد الحرام لتقي الدين الفاسي.
ت	توفي.
حور	الحور العين لنشوان الحميري.
خ	الخزرجي - كفاية.
خلاصة الكلام	خلاصة الكلام في أمراء البيت الحرام لابن زيني دحلان.
الزينة	كتاب الزينة في الأحرف ومعانيها للرازي.
السجلات	مجموع السجلات المستنصرية.
سلوك / كاي	السلوك للجندي، مختصر (كاي).
ص	صفحة.
صفة	صفة جزيرة العرب للهمداني.
الصليحيون	الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن.
عمارة / كاي	تاريخ اليمن لعمارة مختصر كاي.
عيون	عيون الأخبار لإدريس عماد الدين.
قرة	قرة العيون لابن الديبع.
قلادة	قلادة النحر لبا مخرمة.

كشف	كشف أسرار الباطنية للحمادي.
كفاية	الكفاية والإعلام للخزرجي.
المختصر	المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا.
نزهة	نزهة الأفكار لإدريس عماد الدين.
النكت	النكت العصرية لعمارة اليمني.
نفسه	المرجع نفسه.
B.S.O.S.	Bultain of the school of oriental studies, london
[ ]	الأرقام التي بينها هي أرقام حواشي (كاي).
« »	الأرقام التي بينها أرقام حواشي جديدة.






ترجمة مقدمة (كاي) والتعليق عليها

يبدو لي أن تاريخ عرب اليمن في ظل الإسلام، لم يلق حتى الآن من عناية العلماء الغربيين إلا نزراً مما هو جدير به، فلا بدع أن تعترض سبيل الراغبين في الاستزادة من هذه المادة عقبات عسير اجتيازها. وقد ضمن مسترمسر. لين بول فهرسه عن المسكوكات بالمتحف البريطاني قوائم بأسماء الأسر الحاكمة، وألحق به شروحاً موجزة بقدر ما سمح به الغرض الأصيل من هذا الفهرس. على أنه عدا هذا العمل يوشك ما كتب في الإنجليزية أن يكون خلواً من هذه المادة. وأما مؤلفات العلماء الأوروبيين في هذا الصدد فإنها حقاً توشك ألا تحتوي معلومات ذات قيمة.

والسفر الفرد الذي يعرض في لغة أوروبية للتاريخ الإسلامي في اليمن، كتيب باللاتينية، بقلم س ت. جوهانسن، نشر في مدينة بون سنة ١٨٢٨، هو خلاصة لمختصر تاريخ زبيد الذي وضعه الكاتب العربي الديبع. ولكنه يمدنا بموجز تاريخي عن البيوتات الحاكمة التي تعاقبت ملك المدينة منذ إنشائها حتى القرن العاشر الهجري. وإذن فكتيب جوهانسن يوجز لنا الحديث عن الأسر التي حكمت اليمن قبل القرن السادس عشر الميلادي، وإن أورد بينها بضعة أسر لا تمت لزبيد بصلة، كالحال في أمراء عدن من الزريعيين. وهذا الكتاب يكاد يندر الآن الحصول عليه[1].

---

(١) يتكلم Kay عن سنة ١٨٩٢ التي نشر فيها الكتاب، ولا شك اليوم أنه أكثر ندرة إن لم يكن معدوماً.

ويسير علينا أن نعزو عدم العناية بشؤون دويلات هذا الإقليم وأسره الحاكمة إلى ضعف اتصالها بالتيارات الكبرى في التاريخ الإسلامي، وإن يكن ليس بالغريب أن نراه يجتذب اهتمام العلماء، إذ هو مقر ملك قديم، وموطن لحضارة بائدة لا يعرف عنها سوى القليل. على أن تاريخ اليمن في ظل النفوذ الإسلامي ليس بالمادة التي تشوق، ولا بالتي يعزو فيها تلمس المعلومات. زد على هذا أن اليمن في العصر الحاضر تطل على إحدى الطرق العالمية الكبرى، وثغرها الرئيسي ظل طيلة نصف قرن في قبضة الإنجليز[1]، الذين ارتضى سكان المقاطعات المتاخمة حكمهم طائعين. فلا غروٌ إذن أن نعتبر دراسة هذا الموضوع مقبولة لدى قراء الإنجليزية.

وعمارة اليمني من كتاب اليمن العديدين الذين تناولوا تاريخها الإسلامي، وهو أولهم في هذا الميدان، ويبزهم أهمية في بعض نواحيه. ولعل شهرته بين بني جلدته ترجع إلى ملكته الشعرية، وإن كان قد خلد في أذهانهم حتى اليوم أنه رائد مؤرخيهم، والكاتب الذي يدينون له بكل ما يسعهم الإلمام به من تاريخ بلادهم، في حقبة تزيد في القليل على قرنين ونصف قرن من الزمان، ومع ذلك فلم يحسن خلفاؤه توفيته دينه، إنما اقتصر جهدهم اليسير على إعادة نقل ما كتبه في صور موجزة، على تفاوت، وإن كانت في عمومها تلتزم نفس ألفاظه.

وإذا كان كتاب عمارة قد حوى عيوباً، فلقد كنا نتوقع الحرص على نصه، ولكننا مع هذا وإلى عهد قريب لم نعلم بوجود نسخة أصيلة منه. فليس ثمة نص تضمه مجموعة المخطوطات الهامة التي وردت لنا في السنوات الأخيرة من اليمن. بل لقد شاع اعتقاد راسخ، كما أعلم، يبين العثور على نسخة من تاريخ عمارة كضرب من المستحيل، لكن هذا الاعتقاد ما لبث أن تهاوى لحسن الحظ. إذ احتوت مكتبة المتحف البريطاني نسخة منه، يرجع

(١) يشير المؤلف إلى احتلال انجلترا لعدن منذ سنة ١٨٣٩ إلى وقت ظهور الكتاب سنة ١٨٩٢. وهي مدة تزيد على نصف قرن.
أما الآن (تاريخ نشر هذه الطبعة فقد خرج الاستعمار من جنوب الوطن اليمني، عام ١٩٦٧م وتحقق وجود اليمن في الثاني والعشرين من مايو ١٩٩٠م. الناشر ٢٠٠٤م).

تاريخ حصولها عليها إلى سنة ١٨٨٦ كما هو مدون بغلافها الخارجي.

ولقد نعجب حين نتبين أن الكتاب كان في حوزة أوروبي. فليس تجليده فحسب على النمط الغربي، بل فيه سمات أخرى تؤكد لنا هذا الرأي مما لا يدع مجالاً لشبهة، منها شارات بقلم الرصاص على صفحاته، وبطاقة بظهر غلافه عليها عبارة «وثائق عن اليمن» مكتوبة بالفرنسية، ومنها بحق تلك الحالة الفذة التي عليها الجزء المتضمن «تاريخ عمارة» من المخطوط «فهي تبديه كأنه قد نسخ حديثاً حتى لأستطيع أن أحكم من صفة ورقه وطريقة كتابته أن تاريخه لا يرجع إلى ما قبل القرن الماضي، بل لعله يرجع إلى أوائل القرن الحالي».

والمخطوط (رقم ٣٢٦٥ القسم الشرقي ٣٠ O) مجلد صغير في حجم الربع يشتمل على ثلاثة أجزاء منفصلة: الأول منها في ٨٥ ورقة، ويشتمل على بيان بالحوادث التي وقعت في اليمن من سنة ١٢١٥ إلى سنة ١٢٥٨هـ. (١٨٠٠ ـ ١٨٤٢م). أما الجزء الثاني فمن ٨٤ ورقة أو ١٦٨ صفحة، وهو تاريخ عمارة. وليس في هذا القسم اسم الناسخ، ولا تاريخ كتابة النسخة، ولا يدلنا الخط على براعة الكاتب، بل قد يسهل أن نتبينه كاتباً لا حظ له من العلم.

أما أخطاء الحذف والتعديل فإنها في الحق كثيرة. ولقد وضح لي أن قصر همي على ترجمة الكتاب لن يجنبني الصعاب، وكان لدي من الأسباب ما أقنعني بأن الكثير من نقائصه يمكن سد ثغراته إذا استمددت مؤلفات الكتاب الذين أعقبوا عمارة. وقد صدق حدسي ـ كما سوف يظهر من بعد ـ ووجدت ميسوراً طبع المتن الأصلي وترجمته سواء بسواء. وما كان هذا العمل ليتحقق، ولا كنت بالذي أجترىء على القيام به لولا الاستعانة بتلك المؤلفات.

وسيرة عمارة من بين السير التي كتبها ابن خلكان[١]، وهو في حديثه عن السنوات المبكرة من حياة صاحب الترجمة ـ أعني إلى وقت ارتحاله

---

(١) طبعة دي سلان مجلد: ٣٦٧/١؛ طبعة مكتبة النهضة المصرية: ١٠٧/٣ ـ ١١٣.

نهائياً إلى مصر ـ يبدو وكأنما استقى معظم مادته من «تاريخ اليمن» الذي ضمنه عمارة إشارات إلى أحداث شتى في حياته. وقد أخبرنا بأنه ولد في الزرائب[1] وهي بلدة على الساحل الشمالي لليمن، أو بالقرب منه، في منازل قبيلة بني حكم، تلك القبيلة التي ينتمي إليها عمارة، كما يتضح في لقبه: الحكمي[2]، ويبدو أن اسمه ونسبه نجم الدين عمارة بن أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد زيدان. وفي صحيفة العنوان من مخطوطة تاريخه بالمتحف البريطاني، يلقب عمارة بالقاضي[3]، وإن لم يكن ثمة ما يدل على أنه تقلد وظيفة القضاء، كما نجد إجماعاً على تلقيبه بالفقيه.

وقد طلب العلم بمدرسة زبيد سنة ٥٣٠هـ، كما حكى عن نفسه، ولعله وُلِدَ في سنة لا تسبق ٥١٥هـ، وهي السَّنة التي ذكرها السيوطي[4].

وقد رحل عمارة نهائياً عن اليمن سنة ٥٥٢هـ، حين مضى إلى مكة ومنها إلى مصر، حيث كان الرئيس الروحي للدولة الفاطمية إذ ذاك الخليفة الفائز[5]، الذي ولي العرش وسنه خمس سنوات بعد مقتل أبيه الظافر[6] سنة ٥٤٩هـ. حين كان للخلفاء مظهر الحكم، بينما السلطة الفعلية في الدولة كانت ـ وبقيت طويلاً ـ بأيدي وزراء لم يقتصر نفوذهم على امتلاك أعنة النفوذ السياسي، بل لقبوا كذلك بالملوك. ولقد منح الخليفة الحافظ هذا اللقب لأول مرة سنة ٥٣٠هـ. لأول وزير من هؤلاء الوزراء[7]. وكان

---

(١) من أعمال سليمان بن طرف (الصليحيون: ٨٣).

(٢) يقول ابن خلكان (وفيات ١٠٧/٣): «إن عمارة ولد في بلدة مرطان في وادي وساع»، وهو مكان لم أستطع التحقق منه وسنرى أننا سنذكر مرطان، ولكن من الواضح أنها ليست المكان الذي ذكره ابن خلكان (كاي).

(٣) العبر / كاي: ١٢٢.

(٤) حسن المحاضرة: ٢٨٣/١.

(٥) هو أبو القاسم عيسى حكم من مستهل صفر سنة ٥٤٩ إلى أن توفي في ٧ رجب سنة ٥٥٥ (وفيات: ٣٩٥/١).

(٦) هو أبو المنصور إسماعيل تولى في ٦ جمادي الآخرة سنة ٥٤٤ إلى أن اغتيل في ٣٠ محرم سنة ٥٤٩ (نفسه: ٧٨/١).

(٧) خطط: ٤٤٠/١؛ الكامل: ٣١/١١؛ حسن المحاضرة: ١٥٥/٢ ـ ١٦٢.

طلائع بن رزيك[1] يشغل هذا المنصب في الوقت الذي وصل فيه عمارة إلى القاهرة، ويلقب بالملك الصالح. وكان عمارة معروفاً له من قبل، إذ سبقت له زيارة مصر ولقي فيها حفاوة مرموقة. فلما جاءها هذه المرة، أحسن الوزير استقباله في بلاطه. وكان طلائع متشيعاً للمذهب الإسماعيلي، فحاول حمل عمارة على اعتناقه، ولئن كان قد أخفق فيما رمى إليه، فلقد ظل طوال ما بقي من عمره يبسط صداقته للشاعر اليمني، ويتولاه بالرعاية.

وتوفي الخليفة الفائز سنة ٥٥٥هـ. فخلفه العاضد[2] آخر خلفاء الفاطميين، ومات طلائع في السنة التالية[3]، فعين ولده مكانه، ولقب بالملك العادل الناصر، ولكنه اغتيل في المحرم سنة ٥٥٨هـ. وقد أمدت المنازعات التي تلت مقتله، الأتابك نور الدين محمود سلطان حلب بذريعة التدخل في شؤون مصر. فسير إليها[4] جيشاً بقيادة القائد الكردي أسد الدين شيركوه، سرعان ما انتصر لشاور على منافسيه، وأعاده لمنصب الوزارة. ولكن هذا الوزير ما لبث حين سنحت له الفرصة أن عمل على التخلص من حماته الأكراد، مستعيناً عليهم بملك بيت المقدس المسيحي، فصارت مصر طوال السنوات الخمس التالية مسرحاً لسلسلة من المنازعات، سرعان ما أدت إلى صراع بين كتائب نور الدين، وكتائب الصليبيين (النصارى) على امتلاك مصر. وفي النهاية انتصر نور الدين، قائد جيش الأتابك، واضطر الصليبيون إلى مغادرة البلاد مشيعين بحقد أهلها بسبب ما ارتكبوا من فظائع القسوة والاغتصاب.

وفي سنة ٥٦٤ ذبح شاور، وعين الخليفة الخائر العاضد لدين الله، شيركوه في منصب الوزارة، ولقب بالملك المنصور، على الرغم من إقراره بالولاء لنور الدين. وتوفي شيركوه قبل نهاية السنة فخلفه في الوزارة ابن

---

(١) وزر للخليفة الفائز من ربيع أول سنة ٥٤٩ إلى رجب ٥٥٥هـ.

(٢) حكم من رجب سنة ٥٥٥ وخلع في المحرم سنة ٥٦٧هـ.

(٣) لطلائع في القاهرة مسجد قريب من باب زوبله لا يزال قائماً إلى اليوم (كاي).

(٤) وكان ذلك سنة ١١٦٩م.

أخيه، صلاح الدين يوسف، ولقبه العاضد بالملك الناصر، وقد ظل محتفظاً بهذا اللقب وهو راض حتى وفاته.

وفي المحرم سنة ٥٦٧، بينما كان الخليفة العاضد مريضاً مرض الموت، عمل صلاح الدين على إزالة الخلافة الفاطمية، وإعادة البيعة للعباسيين، متأثراً في ذلك بميوله الخاصة، ومستجيباً لمطالب أتباعه، ومنفذاً لأوامر سيده نور الدين. وكان العاضد عندئذ على شفا الموت حتى ليشك المرء في أنه استبان نهاية أسرته. وكانت البلاد مهيأة لهذا التغيير، فلم يلق من الناس خارج القاهرة معارضة تذكر، فما كانوا يرون من سمات هذا الانقلاب الخطير الذي وقع سوى ذكر اسم الخليفة العباسي ببغداد في الخطبة. على أنه لم يمض وقت طويل حتى كشف عن مؤامرة في القاهرة دبرت بمعونة ملك بيت المقدس لإعادة الدولة الفاطمية، وسرعان ما قضى عليها وقبض على زعمائها، وكان عمارة من بين من لصقت بهم تهمتها، وثبت جرمه، فحكم عليه بالموت، ونفذ فيه الحكم في الثاني من رمضان سنة ٥٦٩هـ. وصلبت جثته وعرضت للناس ثلاثة أيام في مكان عام. وقد قيل إن عمارة قد أشار بفتح اليمن وأنفذت مشورته حتى ينشغل بفتحها جيش تحت إمرة توران شاه أخو صلاح الدين، فإذا ما غاب توران شاه، وقتل صلاح الدين، خيل للمتآمرين أن في هذا ما يضمن نجاح تدبيرهم.

ويعتبر القاضي أبو علي عبدالرحيم البيساني من أعلام هذا العصر، ولقد شغل رئاسة الكتابة في عهد الفاطميين، واشتهر باسم القاضي الفاضل، وكان يمتاز بشهرة عالية لإلمامه بشؤون الإدارة المصرية، وبلاغته في الترسل والأسلوب. وفي المتحف البريطاني مجلدان يحويان مجموعة من مأثوراته ورسائله، لا يزال الشرقيون يعدونها نماذج في أسلوب الترسل، وإن كانت لكثرة المحسنات اللفظية لا تتفق وذوق القراء الغربيين (لقد أتيحت لي فرصة نشر قطعة تعد مثالاً لطريقة القاضي الفاضل في النثر الأدبي، منقولة من خطط المقريزي، ونشرت في مجلة الجمعية الأسيوية الملكية مجلد ٢٣).

وكان القاضي الفاضل دميم الخلقة، ولكنه كان مع ذلك محبوباً جداً، وقد نال منزلة عالية عند صلاح الدين إذ كان من أنصاره المتحمسين له،

وكان الوزير عادة يستمع لآرائه، ويستشيره في مسائل الدولة الهامة، وقد جمع القاضي ثروة طائلة، ومن وقفياته التي خصصها للبر والإحسان: وقفية حبس إيرادها لفداء الأسرى المسلمين من أيدي المسيحيين، كما شيد مدرسة ألحق بها مكتبة تحتوي على أكثر من مائة ألف مجلد[1]. كان هذا القاضي أحد الذين ألحوا في حض صلاح الدين على خلع الخليفة الفاطمي[2] وحظي عمارة لفترة من الزمن برعاية القاضي الفاضل، وعكف على تأليف كتاب «تاريخ اليمن» استجابة لرغبته، لكنها صداقة ما كانت لتدوم طويلاً بين اثنين مثلهما تباينت سجاياهما، وقد فرقت بينهما أحداث السياسة، وفطن عمارة قبل انقضاء وقت طويل أن القاضي ليس سوى عدو له.

ويحكى أنه لما صدر الحكم بموته اقترب القاضي من صلاح الدين ليساره، فصاح عمارة قائلاً: «مولاي لا تسمع إلى ما يقوله عني». فانصرف القاضي مغضباً، والتفت صلاح الدين إلى الرجل المنكود وقال له: «لقد كان يتشفع لك». فخفض عمارة رأسه صامتاً. وكان هذا الحادث في نظره وفي نظر كل من كان حاضراً علامة على أنه لا مرد لقضاء الله.

أما عن اشتراك عمارة في المؤامرة التي اتهم بها، فمن المقطوع بصحته أنه أثار ريبة أتباع صلاح الدين، ثم ألهب من بعد حقدهم عليه بدفاعه في جرأة - إن لم يكن في طيش - عن الأسرة المخلوعة، وبأشعاره الحماسية التي كان دائماً على أهبة نظمها.

حدث ذات مرة أن قصد مع أحد الشعراء إلى نجم الدين أيوب والد

---

(١) خطط: ٧٩/٢، ٣٦٦.

(٢) ينسب هذا القاضي إلى بلدة بيسان من قرى الأردن بين حوران وفلسطين. قدم القاهرة وخدم فيها في أيام الخليفة الحافظ الفاطمي (٥٢٤ - ٥٤٤هـ). وترقى حتى صار صاحب هذا الديوان، ولما قدم أسد الدين شيركوه إلى مصر اتخذه كاتباً له. ولما آلت الوزارة إلى صلاح الدين الأيوبي، استعان بالبيساني في إزالة الدولة الفاطمية، ثم جعله وزيراً له ومشيراً، فظل في الوزارة إلى سنة ٥٩٦هـ. حيث مات وهو في طريقه لقتال الملك العادل بن أيوب الذي كان يرغب في غزو مصر (وفيات: ٣٥٧/١ - ٣٥٩؛ خطط: ٣٦٦/٢ - ٣٦٧).

صلاح الدين، وكان إذ ذاك يقيم بقصر اللؤلؤة - الذي كان من قبل مقراً للأمراء الفاطميين - كان القصر لا يزال عامراً بالأثاث والرياش الفاطمي الفخم، فأنشد الشاعر رفيق عمارة أربعة أبيات يمدح بها نجم الدين قال: إن القصر نال الشرف الأعظم بنزول الأمير فيه أكثر مما ناله من سكانه القدامى، ثم ختم شعره بقوله: كان القصر لؤلؤة وكان سكانه القدامى صدفتها، أما أنت فلؤلؤة والقصر صدفة. فاغتاظ عمارة ورد على الشاعر بأبيات من نفس الروي والقافية متناولاً تلك الاستعارة التي جعلت من الصدفة مقاماً للؤلؤة، ثم مختتماً قصيدته ببيت نزل فيه بصاحبه الشاعر إلى ما دون الكلب، إذ الكلب - في القليل - ذو فضيلتين: الأمانة والوفاء.

هذه القصة رواها المقريزي، كما أورد مقتطفات جمة من قصيدة عمارة التي تفجع فيها لما حل بدولة الفاطميين، وفيما يلي مطلع القصيدة، أضيف إليها أبياتاً أخرى اخترتها اتفاقاً:

رميت يا دهر كف المجد بالشلل	وجيدها بعد حسن الحلي بالعطل
يا عاذلي في هوى أبناء فاطمة	لك الملامة إن قصرت في عذلي
بالله زر صاحبي القصرين وابك معـ	ـي عليهما لا على صفين والجمل
وربما عادت الدنيا لمعقلها منكم	وأضحت بكم محلولة العقل
والله لا فاز يوم الحشر مبغضكم	ولا نجا من عذاب النار غير ولي
ولا سقى الماء من حر ومن ظمأ	من كف خير البرايا خاتم الرسل
باب النجاة فهم دنيا وآخرة	وحبهم فهو أصل الدين والعمل
نور الهدى ومصابيح الدجى	ومحل الغيث إذ ونت الأنواء في المحل

ويقول المقريزي: بأن هذه القصيدة كانت سبباً في موت عمارة، فهي لا تدع مجالاً للشك إذا كانت قد وصلتنا بالصورة التي كتبها بها مؤلفها، في أن عمارة كان من رجال الفرقة الإسماعيلية، كما أنها لا تجعل من الصعب علينا أن نفهم سر إبانه انتحال عقائد الشيعة، مع أن الاعتبارات الخاصة بالمصلحة الشخصية وبلوغ أرفع المراتب كانت تحتم عليه الانخراط في عداد أتباع هذا المذهب.

وجدير بنا الإقرار بأن كتاب عمارة (تاريخ اليمن) ليس من الكتب التي تؤهل صاحبها للانخراط في سلك كبار المؤرخين في العلم. يتضح ذلك مما قاله عمارة من أنه ما كتبه للتثقيف والتعليم، بل لإزجاء وقت فراغ أحد العظماء، لذلك أبرز فيه ـ في براعة وحذق ـ كل ما يمكن أن يؤدي إلى هذا الهدف من فكاهة أو نادرة. أما المسائل ذات الخطر فكان يلمسها لمساً رقيقاً، أو يدع بعضها دون تناول. ولكنه مع ذلك احتفظ لنا بالحقائق الرئيسية في التاريخ الإسلامي لوطنه، في العصر الذي عاش فيه.

أما أسلوبه في كتابة هذا التاريخ فيمتاز بالبساطة والسلاسة. وكان يعبر عن إحساسه بكل ما هو شيق وجذاب، في قوة ورصانة. وأن هذه ليست أقل المزايا في عمارة، فإنه قد احتفظ لنا بصورة عجيبة، بل غريبة غاية الغرابة لحياة العرب وأخلاقهم، على نحو يمكن أن أقول عنه إنه لا يفوقه في الأدب العربي إلا ما ورد في قصص ألف ليلة وليلة.

ومخطوطة المتحف البريطاني على جانب كبير من النقص، تزخر بأخطاء من جميع الأنواع، وليس أدل على هذا من أن الناسخ لم يكلف نفسه مشقة فهم المعاني في العبارات التي كان ينسخها.

ومن الأخطاء المعتادة الشائعة: استبدال الألف بالياء في الأفعال المقصورة، وإبقاء الألف في كلمة (ابن) حين يتعين حذفها، وحذفها حين يتعين بقاؤها. وجرى الناسخ على حذف التشديد والهمزة حتى إذا كان عدم وجودهما ـ وخاصة التشديد ـ يحول دون وضوح المعنى الذي استعملت فيه الكلمة، من أن يكون قريباً للأفهام، وإعجام التاء الأخيرة في الألفاظ المؤنثة، مهمل في كافة الحالات تقريباً. وثمة فوق هذا أخطاء إملائية مختلفة.

أما عن مواضع الشكل المحذوفة أو التي أسيء وضعها، فقد تكلمت بما فيه الكفاية لأبين أنه كان من المستحيل نشر المتن كما هو في هذه المخطوطة. وحرصت على أن أزود النص بما هو في حاجة إليه من الهمزة والتشديد كلما رأيت ذلك يفيد في ضبط العبارة.

وأخشى أن أكون قد تزيدت في بعض الحالات التي يجب أن أكف فيها عن عملي هذا. وقد كففت عن الإشارة إلى أخطاء لفظية كان ممكناً تصحيحها دون أن يثير هذا التصحيح لبساً أو يؤذي في بعض الأحايين عين القارىء، وإن كان حرياً بأن يقطع عليه سياق تفكيره.

ولم أحرص على اتباع قاعدة معينة فيما أجريته أو فيما كففت عنه من التصحيحات، واستعنت في عملي بتراجم ابن خلكان، المعروفة بوفيات الأعيان وبخاصة ترجمته لعلي الصليحي، وبمعجم البلدان لياقوت، وتاريخ ابن خلدون وبعض المؤلفات الأخرى التي سأخصها بالذكر من بعد:

وإلى تاريخ الجندي والخزرجي يرجع الفضل الأكبر في ضبط المتن. وجدير بي على أي حال ـ أن أذكر ـ أول ما أذكر، أن عمارة أغفل في كتابه ذكر من سبقوه إلى تدوين تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، ولم يستثن منهم سوى أبي الطامي جياش أحد الملوك الأوائل من دولة بني نجاح، الذي كتب تاريخاً لزبيد باسم: «كتاب المفيد في أخبار زبيد» واسم هذا الكتاب ورد في: «كشف الظنون»، ونفس عنوانه يطلق عادة على كتاب التاريخ الذي وضعه عمارة. ولكن صفحة عنوان مخطوطة المتحف البريطاني عن تاريخ اليمن لعمارة، ليس عليها إلا عبارة: «كتاب تاريخ اليمن» للقاضي الشهير عمارة اليمني. ويذكر الخزرجي أن كتاب جياش كان نادراً جداً في عهده (حاشية ٧٥). وقد اقتبس عمارة عن هذا الكتاب، ونقل عنه فيما أورده عن وفاة علي الصليحي، وإعادة دولة بني نجاح، ولعل هذه الفقرات هي كل ما بقي في العصر الحاضر[1] من كتاب جياش.

وذكر صاحب «كتاب كشف الظنون»، كتاب الجندي تحت عنوان «كتاب السلوك في طبقات العلماء والملوك[2]» ويشتمل على سلسلة متصلة من سير الفقهاء والحكام. وتوجد نسخة جيدة منه محفوظة بالمكتبة الوطنية في باريس تحت رقم ٢١٢٧ وملحق ٧٦٧، وهو مجلد كبير الحجم يشتمل

(١) يشير الناشر إلى سنة ١٨٩٢ وهي السنة التي نشر فيها هذا الكتاب.

(٢) توجد منه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٩٦ تاريخ.

على ٢٠٧ ورق، نسخ سنة ٨٢٠هـ. وكتابته على وجه عام بخط جيد واضح، وليست به كالعادة، علامات إعجام، ولكنا نرى أسماء الأعلام فيه مشكولة - سواء منها الأعلام الشخصية والجغرافية - وكثيراً ما توضع الحركات في عناية زائدة، وليس للمخطوط عنوان، ولكن مماثلته لما ورد عنه في «كشف الظنون»، لا تدع مجالاً لريبة. والظاهر أن هذه النسخة كانت في حوزة أحد أمراء الدولة الرسولية الأخيرة، واسمه أحمد بن السلطان الظاهر يحيى الذي حكم من سنة (٨٣١ - ٨٤٢هـ). والكتابة المدونة على ورقة الغلاف غير واضحة عند طرف الورقة، إذ الورقة ممزقة بعض التمزق، بالية نوعاً، عليها لاصقات، لكنني قرأتها فإذا هي: من كتب العبد الفقير إلى كرم الله تعالى أحمد بن يحيى بن إسماعيل بن العباس بن (علي) بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول، عفا عنه وعن. . . . . (آبائه).

والاسم الكامل للجندي هو أبو عبدالله بهاء الدين (محمد؟) بن يوسف بن يعقوب، ولكنه اشتهر باسم الجندي، أي من بلدة الجند، أو من أبناء قبيلة الجند، وهي بطن من بني معافر (أجد الجندي في كافة المراجع اسمه يوسف بن يعقوب، ولكنه في المخطوطة يسمي أباه بهذا الاسم. وذكر الخزرجي في العقود: يوسف بن يعقوب الجندي، والد بهاء الدين المؤرخ).

وقد توفي الجندي سنة ٧٣٢هـ. ويتناول تاريخه كما ذكر الأهدل: الأحداث إلى سنة ٧٢٤هـ، ولكن الراجح في بعض النسخ الخطية أن يتناول ما بعد سنة ٧٢٤هـ. بسنوات.

والكتاب كما يدل عليه عنوانه مجموعة من التراجم، أغلبها تراجم لأشخاص اشتهروا بالورع والعلم، ولم يستبعد المؤلف منها سير الأمراء والدول، ولكنها تشغل مركزاً ثانوياً في كتابه، ويعلل ذلك بقوله: إن الدول والأمراء بمنزلة أقل أهمية وخطراً من منزلة العلماء. وقد بدأ كتابه بسيرة النبي ﷺ، ثم بسيرة خلفائه، ثم يمضي في ترجمة سير كل من لهم باليمن

أدنى صلة، فيدرج في عداد علماء اليمن سيرة الإمام الشافعي مؤسس المذهب الشافعي، الذي قيل بأنه ولد بهذه البلاد، وترجمته هذه للإمام لا تكاد تزيد إلا قليلاً عن مديح في صاحب الترجمة، اعتمد فيها المؤلف على الدعوى القائلة بأن الشافعي لو لم يتخصص في الفقه لكان في عداد كبار الشعراء[1].

ويبدأ تاريخ قرامطة اليمن في الورقة الثلاثين من كتاب الجندي، وقد ضمنت ما كتبه عنهم كتابي هذا. ويستمر الجندي في كتابة سير فقهاء اليمن في ترتيب جغرافي، أي: طبقاً للمواضع التي ولدوا بها أو سكنوها.

وفي مقدمة كتابه يخبرنا الجندي أنه استقى الكثير من معلوماته ممن سبقه من الكتاب كابن سمرة والرازي وابن جرير ومن مفيد عمارة، ثم من كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان. وما ورد في «كشف الظنون» لحاجي خليفة عن هذه المؤلفات مقتبس فيما يبدو من الجندي، ولم يزد أو زاد قليلاً على ما جاء في تلك المقدمة.

وعنوان كتاب ابن سمرة «طبقات فقهاء اليمن ورؤساء الزمن» ومؤلفه هو أبو حفص عمر بن علي بن سمرة توفي سنة ٥٨٦هـ. كما جاء في حاجي خليفة. يقول الجندي: إن كتاب ابن سمرة يزودنا ببيان كامل عن علماء اليمن وفقهائها منذ دخول الإسلام في البلاد إلى ما بعد سنة ٥٨٠هـ. بقليل. ويبدو أن الجندي اتخذ هذا الكتاب أنموذجاً نسج على منواله في تأليف كتابه.

والكتاب الفرد الذي يلي تاريخ ابن سمرة مرتبة هو، فيما يحدثنا

---

(١) أدهشني أن أجد في الجندي أشعاراً منسوبة للإمام الشافعي، في لهجة تدل على الوقار، مع أنها أبيات جاء في ابن الأثير أنها من نظم أبي المسيب رافع من زعماء بني عقيل. ويزعم الجندي أن هذه الأبيات قالها الشافعي لأمه حين كان على وشك أن يتركها لكي يخصص نفسه لدراسة الفقه، وقد أغفل منها أبياتاً لا يجوز أن يوجهها المرء إلى أمه. وقد كتبت بحثاً في هذه الأشعار أثبت فيه الأبيات مع ترجمتها، وقدمته إلى مجلة الجمعية الأسيوية الملكية مجلد ١٨ صفحة ٥١٨ (كاي).

الجندي، كتاب أبي العباس أحمد بن عبدالله بن محمد الرازي، ويدلنا لقبه على أنه من أهل الري، ولكنه استوطن صنعاء.

ويقول الجندي: توجد[1] منه نسخ خطية كثيرة، لكنها كما يذكر عبارة عن الجزء الثالث من الكتاب. وعلى الرغم مما بذله المعنيون بالدراسات اليمنية من جهود عدة للحصول على الأجزاء الناقصة، فلم تسفر جهودهم عن شيء. كذلك يذكر الجندي أن هذا الكتاب يتناول التاريخ إلى ما نحو سنة ٣٦٠هـ.، وإنه استمدة الكثير مما كان ينقص كتاب ابن سمرة.

وبالمتحف البريطاني مخطوطة تحت رقم ٢٩٠٣ قسم شرقي. نسخت سنة ١٠٩٠هـ. وليس لها عنوان، تشتمل على قصص وأساطير عن اليمن وبخاصة صنعاء. وهي فيما أعلم ليست ذات أهمية أو قيمة، ومن الواضح أنها ليست كذلك بنفس الكتاب الذي يشير إليه الجندي.

ويلي هذا الكتاب تاريخ صنعاء لإسحاق بن يحيى بن جرير، وهو من سلالة الأسود بن عوف، أخو الصحابي عبدالرحمن بن عوف[2]، ويقول الجندي عن هذا الكتاب: إنه صغير الحجم ولكنه جليل الفائدة. ولم يذكر الجندي لنا عنوان هذا الكتاب، أو عنوان كتاب الرازي.

وأعرض الآن للخزرجي، فإذا هو من بين من استغنت مؤلفاتهم من الكتاب، أعظمهم عوناً لي. واسمه أبو الحسن علي بن الحسن الخزرجي، نسبة إلى قبيلة الخزرج، وكان يلقب بابن وهاس، وتوفي في سنة ٨١٢هـ.

يقول حاجي خليفة بأن الخزرجي ألف ثلاثة كتب تاريخية. اتبع في أحدها الترتيب الزمني، واتبع في الثاني ترتيب أسماء الأعلام على حروف المعجم، وأتى في الثالث بتاريخ منفصل لكل دولة.

ومن الراجح أن أول هذه الكتب هو تاريخ اليمن في عهد الدولة

---

(١) أي في عصر الجندي، وهو القرن الثامن الهجري، لأن الجندي توفي سنة ٧٣٢هـ.
(٢) من قبيلة قريش، وكان من أوائل الصحابة الذين آمنوا بدعوة الرسول، وتوفي في المدينة سنة ٣١هـ. (كاي).

الرسولية، تمتلك مكتبة ديوان الهند نسخة ثمينة منه، أجيد حفظها، وعنوان الكتاب «العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية»[١] ويقع في ٣٦٧ ورقة. وقد صدر المؤلف كتابه بفصل عن نسب بني رسول، ذكر فيه أنهم عرب من سلالة جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغساسنة، وينتهي التاريخ فيه بوفاة السلطان الأشرف إسماعيل الرسولي سنة ٨٠٣هـ. وثلثان كاملان من الكتاب نقلا في أغلبهما من كتب ثلاثة هي: السيرة المظفرية. والعقد الثمين، وتاريخ الجندي، وفي كتاب الخزرجي فقرات طويلة منقولة من هذه الكتب.

وأول هذه الكتب يتناول فيما يبدو سيرة السلطان المظفر يوسف (٦٤٧ ـ ٦٩٤هـ). أما العقد الثمين فمنه نسخة في مكتبة المتحف البريطاني برقم ٢٧٥٤١ (زيادات) عنوانها: «السمط الغالي الثمن في أخبار ملوك اليمن»، كتبه بدر الدين محمد بن حاتم من سلالة ملوك صنعاء من بني همدان. وتتألف المخطوطة من ١١٤ ورقة، وتتناول تاريخ الرسوليين إلى وفاة السلطان المظفر في سنة ٦٩٤هـ. ومع أن عنوان الكتاب كما أورده الخزرجي يختلف عن عنوانه في مخطوطة المتحف البريطاني، فإن دلالة العنوانين واحدة، ومقارنتي بين الكثير من فقرات الكتابين دلتني على أنهما كتاب واحد.

وجدير بنا الإشارة إلى أن الخزرجي أورد في كتابه «الكفاية» اقتباساً من كتابه «العقد الثمين» عن خلفاء بني مهدي[٢] لم يرد بالنسخة الخطية المحفوظة بالمتحف البريطاني، وقد يدل هذا على أن كليهما نسختا عن أصلين مختلفين[٣].

(١) أعتقد أن الطيب الذكر السير ردهاوس، كان قد أعد للطبع النص العربي لهذا الكتاب وترجمه أو على الأقل ترجم الأجزاء الهامة منه، لكن لسوء الحظ حالت بعض الصعوبات دون نشره (كاي). لكن لجنة جب التذكارية عنيت بنشر هذا الكتاب. وقد صدر النص العربي له في سنة ١٩١٢ بمصر، وقام بترجمته للإنجليزية الأستاذ براون في نفس السنة.

(٢) حاشية: ١٠١ (كاي).

(٣) نسخة المتحف البريطاني مؤرخة في سنة ١٠٦٢هـ. / ١٦٥٢م.

ومعن يشير إليهم الخزرجي من الكتاب، ويجوز لي تناولهم بالذكر، الشريف عماد الدين إدريس الذي يصل نسبه إلى سليمان بن حمزة، ويذكر كتاب العقود (الورقة ١٧٣): أن أباه جمال الدين علي بن الحسن بن حمزة، توفي في سنة ٦٩٩ للهجرة. ويضيف الخزرجي أن الشريف إدريس وضع كثيراً من المؤلفات في التاريخ منها بعنوان: «كنز الأخيار في التاريخ والأخبار». وهو كتاب، إن يكن موجوداً إلى اليوم، فمن الراجح أن يلقي ضوءاً على تاريخ أئمة اليمن الزيديين.

وكتب الخزرجي الأخرى التي ذكرها حاجي خليفة في معجمه[١]، قد تمثلها المخطوطات المحفوظة بمكتبة ليدن، تحت أرقام ٧٠٥، ٨٤٨[٢]، أما الكتاب الأخير[٣] فليس، وإن وقع في ثلاث مئة وتسع وستين صحيفة، إلا بضعة من كتاب أصلي عنوانه: «طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن»، وهو وفقاً لبيان المؤلف عن نهجه الوارد بصدره، يبدأ بمقدمة تحوي في البداية سيرة النبي ﷺ، فسير الخلفاء من أبي بكر إلى المستعصم بالله العباسي. ثم يبدأ من صحيفته الثمانين بعد المائة بمعجم للتراجم - هو لب الكتاب - يزودنا بسير العلماء والملوك وغيرهم من رجالات اليمن.

ولكن النسخة الخطية تنبتر عند ص ٣٦٩ قبل الانتهاء من حرف الألف في المعجم. ويذكر لنا المؤلف أنه ألف كتابه هذا نزولاً على رغبة السلطان الرسولي الأشرف إسماعيل (٧٧٨ - ٨٠٣هـ.)، الذي حدد له شكل الكتاب وتنسيق محتوياته. والجدير بالذكر أن الخزرجي يعترف بفضل الجهود السابقة التي بذلها الجندي فيقول: «إننا قد نهلنا من فيض علمه الغزير، وأتممنا بهديه، ونسجنا على منواله، ولولاه لما جرؤنا على التوغل في هذا الخضم، ولما قدرنا على أن نجد مكاناً نركن إليه».

ومخطوطة ليدن رقم ٧٠٥ عنوانها «كتاب تاريخ الكفاية والإعلام فيمن

(١) كشف الظنون.

(٢) الفهرست القديم: ١٧٣/٢، ١٩٦.

(٣) من كتب الخزرجي.

ولي اليمن وسكنها من الإسلام» وتتألف من ٣٨٤ ورقة، وواضح أن المؤلف قسم كتابه خمسة أجزاء، يتكون كل منها من عدة فصول، ولكن مخطوطة ليدن لا تحتوي سوى الجزأين الرابع والخامس، والجزء الرابع مقسم عشرة فصول: عرض المؤلف في الخمسة الأولى منها - بعد روايته عدة أحاديث تدل على تقدير النبي ﷺ لبلاد اليمن وأهلها لدخولها في الإسلام - إلى من تداول حكمها في عهد النبي والخلفاء الراشدين، ثم في عهود الأمويين والعباسيين.

أما الفصل السادس فيشمل تاريخ القرامطة في اليمن، والسابع (الورقة ٣٨)، فيصف أحوال صنعاء حتى استيلاء علي الصليحي عليها[(١)]. وفي الفصل الثامن تاريخ الصليحيين وفي التاسع تاريخ ملوك صنعاء من بني همدان، وفي العاشر تاريخ أمراء عدن من بني زريع.

والجزء الخامس ينقسم اثني عشر فصلاً، تحوي الأربعة الأولى منها تاريخ بني زياد وخلفائهم من بني نجاح، فوزراء الحبشة، الذين صاروا الحكام الفعليين للبلاد، فتاريخ علي بن مهدي، والفصل الخامس يورد تاريخ الدولة الأيوبية، ويبدأ من السادس تاريخ الدولة الرسولية، مشتملاً عهد السلطان المنصور عمر (٦٢٦ - ٦٤٧هـ.)، أول ملوكها، ويفرد المؤلف مما بقي من الفصول فصلاً لكل خليفة من خلفاء السلطان.

وينتهي الكتاب بالفصل الثاني عشر، كنهاية مخطوط مكتبة ديوان الهند[(٢)].

والفصول الثلاثة الأخيرة من الجزء الرابع، والفصول الأربعة من الجزء الخامس أي من ص٤٨ إلى ص١٠٨ هي في أكثرها مقتبسة من تاريخ عمارة. وكان الخزرجي يحذف بعض الفقرات، ويتناول بعضها الآخر - في الأغلب - بإيجاز يسير، ولكنه كثيراً ما كان ينقل عبارات عمارة نقلاً يوشك أن يكون لفظة لفظة.

---

(١) حاشية: ٨ (كاي).

(٢) فهرست دوزي: ١٧٣/٢ (مكتبة ليدن).

ولقد عنّ لي، فيما أسلفت، الحديث عن كاتب متأخر هو الديبع، وعن كتاب صغير له عنوانه «تاريخ زبيد»، في حوزة مكتبة المتحف البريطاني نسختان منه: الأولى تحت رقم ٣٢٦٥ القسم الشرقي، والثانية تحت رقم ٢٧٥٤٠ زيادات. وبحسبي أن أضيف أن هذا الكتاب في أهدافه وأغراضه جميعاً موجز ومقتبسات عن سفر أضخم منه لنفس المؤلف عنوانه: «قرة العيون في أخبار اليمن الميمون». أما اسم المؤلف فهو: وجيه الدين عبدالرحمن بن علي الديبع[١] من قبيلة شيبان المتوفي سنة ٩٤٤هـ. (١٥٣٦ ـ ١٥٣٧م). وبمكتبة المتحف البريطاني نسختان من هذا السفر: الأولى برقم ٢٥١١١ زيادات، والثانية برقم ٣٠٢٢ قسم شرقي. هذه النسخة الأخيرة خطت حديثاً عن مخطوطة بدار الكتب المصرية بالقاهرة، تم نسخها في سنة ١٢٩٥هـ. (١٨٧٨م). وتتألف المخطوطة الأولى من ١٩١ ورقة. ونهاية الكتاب مفقودة، ولكن المنقولة عن مخطوطة القاهرة تنقصها ورقة واحدة.

والجانب الأكبر من هذا الكتاب يكاد لا يكون غير اختصار لكتاب الكفاية، يستهله المؤلف بالجزء الرابع من مخطوط الخزرجي، فيجعل منه الجزء الأول[٢] وينقل لنا فصوله على نحو مختصر، فصلاً وراء فصل، بنفس ترتيبها، وعناوينها في «الكفاية» ثم يعقبه الجزء الثاني، وهو الخامس عند الخزرجي. وفي الورقة ١٣٣ ينتهي الفصل الثاني عشر، فيضيف من بعده ستة فصول أخرى، يصل فيها بتاريخ الدولة الرسولية إلى نهايتها. ويلي هذا الجزء الثالث، بادئاً بالورقة ١٤٤، وهو مقسم إلى ثلاثة فصول: تحوي تاريخ بني طاهر إلى نهاية دولتهم، وحتى فتح اليمن على يد جيوش آخر سلاطين مصر المماليك. لذلك نتبين أن هذا الجزء الأخير من كتاب الديبع البادىء بالورقة ١٣٣ هو وحده ما يمكن القول عنه إنه ذو قيمة حقيقية من وجهة النظر التاريخية. وقد اعترف المؤلف في مقدمة كتابه بفضل الخزرجي، ويلاحظ أنه كان يطلق على كتاب الخزرجي اسم «العسجد».

---

(١) يقول صاحب كتاب تاج العروس: «إن الديبع كلمة نوبية معناها أبيض».

(٢) وعلى ذلك فهو يبدأ من نفس النقطة التي تبدأ بها مخطوطة ليدن لكتاب الكفاية للخزرجي (كاي).

وهناك كاتب آخر أتيحت لي الإشارة إليه في الصفحات التالية هو الأهدل، فهو مؤلف كتب عدة، أورد لنا حاجي خليفة عناوين بعضها.

ويمكتبة المتحف البريطاني نسخة واحدة منها تحت رقم (١٣٤٥ قسم شرقي). هذه المخطوطة تنقصها الورقتان الأولى والأخيرة، واستعيض عنهما بورقتي غلاف وخاتمة زائفتين، ومع ذلك فليس هناك مجال للشك في أن هذه المخطوطة هي كتاب الأهدل. الذي أورده حاجي خليفة باسم «تحفة الزمن في أعيان أهل اليمن». والاسم الكامل للمؤلف هو: أبو عبدالله الحسين بن عبدالرحمن الأهدل الحسيني وكان من أسرة لها مكانة في اليمن وإن يكن أصلها العراق. وقد ولد كما قال بكتابه حوالي سنة ٧٧٩هـ. وكان على قيد الحياة سنة ٨٤٨هـ. ووصف كتابه بأنه مختصر لتاريخ الجندي، وهو في الحق لا يزيد إلا قليلاً عن هذا، وإن ضم إضافات تصل به إلى عصر المؤلف. وتقع مخطوطة المتحف البريطاني منه في ٣١٣ ورقة.

ويشكو الأهدل عيوب نسخته من كتاب الجندي، ثم يبدي الملاحظات التالية في هذا الصدد: «وانتهى ما اختصرت منه (أي من كتاب الجندي)، وما تيسر من الزيادات، وفي الأصل الذي اختصرت منه مواضع سقيمة، وقد تحريت فيها بحسب الإمكان، وما تحقق خلله فليصلحه، وبالله التوفيق».

أما جغرافية اليمن، فما نعرفه إلى الآن منها يغلب عليه القصور، إلا ما كان عن ذلك الجزء الذي ارتاده أخيراً الدكتور إدوارد جلازر. ولقد حاولت تذييل معلوماتنا المستمدة من مؤلفي الغرب بإشارات مما ألفه كتاب هذه البلاد، فإذا بي ألقى في مهمتي عسراً شديداً. على أن «صفة جزيرة العرب» للهمداني (المتوفى سنة ٣٣٤هـ.) يتناول بلاد اليمن بالتفصيل، فيمتاز بمزايا من العسير إغفال ذكرها. وأشهر طبعات هذا الكتاب هي التي نشرها د. هـ. ملر، وكانت لي نعم العون[١].

(١) المجلد الثاني من طبعة ملر يشتمل على الحواشي والفهارس، ولم يكن قد طبع بعد في الوقت الذي شغلت فيه بمراجعة الكتاب. ولم أحس بنشره إلا بعد أن كنت قد فرغت منه، وعنيت بالمسائل الأخيرة، ومع ذلك فقد وصلني الكتاب في وقت لا يزال فيه عظيم الفائدة لي (كاي).

ولكن هذا الكتاب الجغرافي للهمداني يفترض في قارئه أن يكون على معرفة بالمعالم الهامة في البلاد، واتجاه سلاسل جبالها الرئيسية، ووديانها، ومواقع الكثير من مدنها. فليس من المستطاع الاعتماد على وصفه في رسم خريطة وإن تكن مقاربة، بل لا بد من خريطة سليمة تبين المعالم العامة في الإقليم، لتمكن الدارس من متابعة وصف المؤلف، ولعل تلك التي نشرها الدكتور جلازر[1] تحقق الغرض المطلوب. ومحك ميزتها ـ لا ريب ـ هو تمكينها الدارس، بمعونتها، من متابعة الهمداني خطوة فخطوة، دون صعوبة تذكر إلا المقابلة في بعض الحالات بين الأسماء القديمة والحديثة للمواضع، وإنها لصعوبة يتجنبها القارىء في الكثير من المستفيضات الهامة التي تلحق بها شروح مطبوعة. لكن خريطة جلازر لا تشتمل لسوء الحظ إلا على القسم الشمالي من بلاد اليمن، أما الجنوبي فقد اعتمدت فيه اعتماداً رئيسياً على الخريطة التي نشرها مانزوني في سنة ١٨٨٤ مع الكتاب الذي يتضمن أخبار رحلته، ولو أننا مع ذلك، تركنا جانباً وصف مانزوني لمسالكه إبان رحلته، وهو وصف ثقة لا شك فيه، لرأيناه قد اضطر للاعتماد على جهد من سبقوه، فأتم عمله مشكوراً، وإن يكن دون ريب قد ضل عن القصد، والمصاعب التي يتعين على الباحث التغلب عليها يمكن أن ندركها على الأقل إدراكاً جزئياً حين نحاول التوفيق بين الفروق الشاسعة التي نجدها في إقليم الحدود بكل من خريطتي جلازر ومانزوني، وكان ينبغي تطابقهما عندها، ولكنهما على النقيض تباينا تبايناً لا مزيد عليه.

وفي إبان اشتغالي بتحقيق كتاب عمارة، أعددت لاستعمالي الخاص رقعة رسمتها رسماً مقارباً، كنت أثبت عليها، بقدر ما وسعني التحديد، مواقع أماكن عدة، أفتقر إلى تبينها لأتابع عمارة في تاريخه، والجندي في كتابه عن القرامطة.

وقد رأيت بعد تردد قليل طبع هذه الخريطة على هيئتها تلك. وسوف يتبين للقارىء أنني ـ فيما تصديت له من أماكن لم تثبت مواقعها بعد ـ لم

---

(١) كانت سنة ١٨٨٧.

أزعم لنفسي إتيان ما يجاوز الإشارة على تقريب متفاوت إلى حيث قد يقع بعضها، أو تقع أطلاله ويمكن البحث عنه. وأسوق مثلاً لهذا: المذيخرة والشرجة وعثر وحرض ومحل أبي تراب والزرائب وغيرها.

ونعزي المصاعب الجمة التي تقترن بمحاولة تحديد مواقع بعض الأماكن إلى التغييرات الكبيرة التي طرأت على سواحل البحر الأحمر، وسواحل اليمن بصفة خاصة. فالبحر لا يني ينحسر عن البر، رويداً رويداً، منذ قرون عدة، انحساراً أدى إلى طمر الثغور القديمة بالرمال حتى اختفت من الوجود، ثم إلى ظهور مرافيء جديدة، أينما وإبان بعد قاعه عند الساحل[1].

والأخطاء الكثيرة التي وقع فيها الكتاب العرب من أمثال ياقوت وابن سعيد وابن خلدون وغيرهم، تزيد في الصعاب التي تحيط بدراسة الموضوع، ومن أمثلتها تلك الروايات المضللة القائلة: إن ذا جبلة تقع على جبل صبر، وأن المذيخرة وعدن لاعة متجاورتان، وأن عدن أبين وثغر عدن المعروف مكانان مختلفان.

وقد أخذ ياقوت (ربما بطريقة غير مباشرة) أكثر معلوماته عن عمارة، فهو إذن لا يزيدنا شيئاً على ما يحتويه متننا هذا. وقد وجدت في غيره من الكتب أن المعلومات التي أوردها ياقوت بصفة عامة في حاجة إلى شيء من الضبط والتحقيق قبل أن نأخذ بها ونعتمد عليها. فمن النادر أن يدلنا في شيء من الدقة على موقع مكان. وحين يخبرنا ـ كما دائماً يفعل ـ أن موضعاً من المواضع يقع على مقربة من زبيد أو من صنعاء، فلزام علينا دائماً تقبل بيانه بالحيطة، فما كتابه الجغرافي «معجم البلدان» ـ وإن لم نشك حقاً في نفعه ـ إلا مجموعة عن كتابات مختلفة تتفاوت في مزاياها، جرى فيها لسوء الحظ، على سنن درج عليه بنو جلدته، فلم يذكر عادة المصادر التي استمد منها معلوماته.

---

(١) والخط الساحلي في الخريطة المدرجة في هذا الكتاب منقولة عن خريطة إمارة البحر البريطانية؛ انظر كذلك ملاحظات جلازر ص٣٠ (كاي).

ومؤلف شرح القاموس المعروف «بتاج العروس[1]» تناول إلى حد كبير شرح الأعلام الجغرافية. وهو من أبناء اليمن، فأولى بنا أن نتوقع من عمله الضخم عوناً محسوساً في دراسة بلاده، ولكنه ليس كذلك. إنما يخبرنا من وقت لآخر حين يذكر موضعاً أنه زاره، ثم لا يضيف إلى هذا من لدنه شيئاً، بل يكتفي بنقل عبارات الكتاب القدامى، وبخاصة عبارات ياقوت.

وقد منيت بخيبة لا تقل عن هذه حين رجعت لمنتخبات ابن المجاور التي أوردها دكتور سبرنجر في كتابه Reiserouten. فابن المجاور يأتينا في أغلب الحالات بتقديرات للمسافات بين المواضع التي يذكرها مقدرة بالفراسخ، ولكنها بيانات لا يمكن الركون إلى صحتها، لأنها ليست فحسب تباين بعضها بعضاً، بل لاتتفق والأبعاد التي نستطيع استنباطها من قراءة الخرائط الحديثة دون الوقوع في أخطاء تذكر.

وما من سبيل لبلوغ أيما قدر ملموس من التقدم في الاستزادة من معلوماتنا الجغرافية عن اليمن، إلا بجهود أفذاذ الرحالة، الذين قد يتخذون من الدراسة التخطيطية (التبوغرافية)، وبقايا الآثار في البلاد، موضوعاً لدراستهم، ولسوف يرضيني أكثر الرضا، أن أرى هذه الحواشي القليلة التي جمعتها بين دفتي هذا الكتاب، ذات جدوى، وإن تكن هينة في معاونة رواد الكشف الجغرافي، وأن أراني فوق هذا قد نجحت في إبراز عمل لم يكن غير ذي بال ولا نفع.

ولقد أتيح لي عند حديثي عن كتاب الجندي أن أذكر الفصل الذي عقد عن قرامطة اليمن، وقد أدرجته في هذا الكتاب مع ترجمة له. أما عمارة فلم يأتِ عنهم بشيء يذكر، وعسير تعليل سر إغفاله، إلا إذا افترضنا أن الموضوع لم تكن تحمده أذواق سادته الإسماعيلية بالقاهرة أو ميوله نحوهم. كذلك أتانا الخزرجي في كتابه «الكفاية» ببيان عن تاريخ القرامطة استقاه من الجندي، ولم يكفه في هذه المناسبة أن يكون فحسب ناقلاً عن

(١) المرتضى الزبيدي، راجع ثبت المصادر في نهاية الكتاب.

ناقل، بل قد قصر باعه عن إضافة أي شيء ذي بال، إلى التفصيلات التي أمدنا بها الجندي.

وضمنت أيضاً المتن، ملخص ابن خلدون لتاريخ اليمن، نقلاً عن كتابه المطول في التاريخ العام. وسنرى ابن خلدون قد وقع في أخطاء متعددة، ترجع فيما يبدو لي إلى اعتماده اعتماداً كلياً على مؤلفات مواطنه ابن سعيد[1]. وفي حسباني أن نسخة ملخصة على هيئتها الواردة بأفضل مخطوطات تاريخه، حرية بأن تلقى قبول الكثرة من القراء، وهي مصدرة بموجز قصير عن فجر التاريخ الإسلامي في اليمن، ومختتمة بتفصيلات جغرافية، ليست بغير نفع، وإن أعوزها تصحيح بعض ما فيها.

وعمدتي في قطعة ابن خلدون التي أوردتها هاهنا، ما احتوته طبعة بولاق، ولكنني مع ذلك عنيت بمقارنتها بالنسخة الخطية الثمينة المحفوظة بمكتبة المتحف البريطاني، (إضافات ٢٣٢٧٢) - (الورقات ٦٨ إلى ٧٩)، فجاءت بهذا نسخة منقولة عنها. كذلك قابلت الفصل الخاص ببني الرسي على مخطوطة ابن خلدون في المكتبة الوطنية بباريس، وكنت قد فرغت من عملي حين علمت لأول مرة بإضافات هامة في القسم الشرقي من مكتبة المتحف البريطاني، نتيجة حصول الأمناء على عدد كبير من المخطوطات المتعلقة بالزيديين في اليمن. وقد عاقني ما لم يكن لي سبيل إلى اجتنابه، قبل أن يسعني فحص هذه المخطوطات. ثم فحصتها فإذا نتيجة فحصي - وإن لم تكن بغير جدوى - تصيبني في الحق بما يشبه الخيبة، ذلك لأنني تبينت في الكتاب الزيديين قصوراً كبيراً في المادة التاريخية تزيد عما أبحت نفسي توقعه.

وإذا كانت المعلومات التي تلمستها في مراجع شتى، وحصلت على غالبيتها بعد جهد ليس باليسير بين صفحات الخزرجي والأهدل، قد وسعني استخلاصها في يسر من مخطوطات الزيدية، فإن تصويبات تلك

---

(١) كتاب المغرب في حلى المغرب.

المخطوطات، والإضافات بها، لم يكن من الأهمية بالقدر الذي تخيلته.

وكان أعظم المؤلفات نفعاً لي، فيما هدفت إليه من عملي: الحدائق الوردية، ويواقيت السير[1] وتملك مكتبة المتحف نسختين من المخطوط الأول، كل منهما في مجلدين (ش٣٧٨٥ ـ ٨٦) و (ش٣٨١٢ ـ ١٣). وتحوي المخطوطة تراجم كبار الأئمة حتى القرن الثالث عشر الميلادي، وعدتها ثمانية عشرة. تبدأ بالقاسم الرسي، وتنتهي بالمنصور عبدالله.

أما يواقيت السير فيبدأ بتاريخ الخليقة، منذ آدم، ثم سير من تلاه من الأنبياء، تتبعها سيرة محمد (عليه السلام). وقد اعتمد فيها المؤلف على سيرة جاءت في كتاب متقدم هو: «الجواهر والدرر»، (مخطوطة رقم ٣٩١١ قسم شرقي). وفي الورقة ١١٤ من كتاب «اليواقيت» يسوق المؤلف بياناً عن الأئمة الزيديين من سلالة علي، لا يكاد يزيد على قائمة بأسمائهم. وفى حيثما أتى بتفصيلات أوفى، فإنه كان في غالب الأحيان ينقل ويوجز من كتاب (الحدائق)، ومن الواضح أن هذا الكتاب ليس بكامل. فإنه ينتهي في الورقة ١٧٣ بموت الإمام أحمد بن حسين في سنة ٦٥٦هـ. وينتهي بكلمات قليلة عن الخلافات التي تلت وفاة هذا الإمام.

والمخطوطات التاريخية الأخرى تتناول موضوعات خاصة، كل منها مع ذلك كما في مخطوط «الجواهر»، يبدأ بتاريخ تعاقب الأئمة وسلسلة أنسابهم، وبين ما جاء في هذه الروايات والأنساب تضارب في مواضع متعددة. كما أن القاعدة العامة في كافة الحالات تقريباً، أن تعاقب الأئمة ليس مصحوباً بتحديد السنوات.

وبمكتبة المتحف مخطوط رقم ٣٧١٩ قسم شرقي اسمه «بغية المريد»، ويتناول تاريخ خلفاء علي بن المهدي (المتوفي سنة ٩٧٧هـ ـ

---

(١) القائمة التفصيلية لهذه المخطوطات للدكتور ريو، الذي بلغ من كرمه، أنه زودني بها، وقد أفادتني فائدة كبرى، إذ جعلت في استطاعتي أن أتبين بمجرد نظرة، الكتب التي يحتمل أن تفيدني في بحثي (كاي).

١٥٦٩م) وهو سليل يوسف الداعي جد الإمام القاسم بن محمد الملقب بالمنصور، الذي وجدت فرصة للكلام عنه في الجزء الأخير من حاشية رقم ١٣٠. ومخطوطة «كاشفة الغمة» رقم ٣٧٩١ قسم شرقي تتجه في الغالب نحو الآراء الدينية، والكتابات الجدلية للإمام الناصر لدين الله الذي حكم في نهاية القرن الثامن الهجري.

أما قيمة الجزء الخاص بالمقدمة في هذا المخطوط ـ ويتناول تعاقب الأئمة السابقين ـ فإنه مما يعيبها خلوها من التواريخ الزمنية عموماً، وهو في هذا المخطوط أكثر وضوحاً من غيرها.

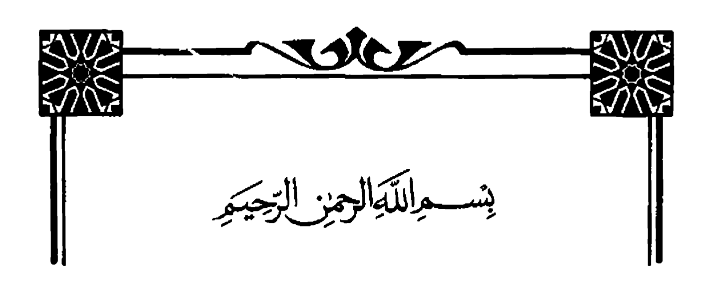
هذا وقد تبقى لي أن أعبر عما أشعر به من الامتنان والمعاونة الودية التي تلقيتها خلال قيامي بهذا العمل، وإني أدين بالشكر الجزيل لكل من الدكتور رَيُو والدكتور Rose للمعاونة التي كانا دائماً على استعداد لبذلها كلما لجأت إليهما للاستفادة من المكتبتين اللتين يشرفان عليهما. وإني مدين لصديقي القديم المسيو هنري لافوا بالخدمات الطيبة التي كان لا يتردد في أدائها، وكان لها قيمة كبيرة لي في هذا العمل، كما أشكره لما بذله في تسهيل عملي بالمكتبة الوطنية بباريس. وقد طوقني المسيو زوتنبرج أمين المخطوطات الشرقية بالمكتبة الأهلية بباريس بمنن لا تحصى، وخاصة من أجل الخدمات التي بذلها لي عند مقابلته الجزء الذي طبعته من الجندي على النسخة الخطية.

وأخيراً على أن أقدم شكري للأستاذ دي خوي للتسهيلات التي منحها لي في مكتبة جامعة (ليدن)، وتلطفه في مراجعة القطع الرئيسية التي طبعتها من الخزرجي على أصولها الخطية. وعلى أن أضيف سبباً آخر لهذا الشكر هو الذكريات الطيبة التي اقترنت بها زيارتي لليدن.



(أولاً) تاريخ اليمن

للفقيه العلامة
نجم الدين عمارة اليمني
تقويم النص



الحمدلله أفضل محمود، وأحق معبود، وصلى الله على محمد النبي، أطهر منسل، وأكرم مرسل، وعلى آله أعلام العلوم، وأطوار الحلوم، وسلم. وبعد: فإني في سنة ثلاث وستين وخمس مئة، حضرت مجلس المولى القاضي الأجل الفاضل، أبي علي عبدالرحيم ابن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي المجد علي البيساني(١)، حرس الله علوه، وأدام سموه، وهو يومئذ صاحب ديوان الإنشاء، عن الخلافة العاضدية. فحداني، بل وهداني أمره إلى وضع كتاب، أجمع فيه، ما علق بحفظي من أخبار جزيرة اليمن، سهلها ووعرها، براً وبحراً، ومدد ممالكها، وأبعاد مسالكها، وحروب أهلها ووقائعهم ومآثرهم وصنائعهم، وأخبار قضاتها ودعاتها [١] وأخبار أعيانها وأمرائها، ومن روى له عنه، أو رأيته من شعرائها، فامتثلت من ذلك ما ندب إليه، وعولت عند التصفح عليه، وما هو ممن استحي لقاه خشياً وإجلالاً، بميسور(٢) خاطر، ولو لم يشجعني تغاضيه(٣)، عاضني محاذرتي من خجلي المتجاسر.

حدثني الشيخ الفقيه نزار(٤) بن عبدالملك المكي، والفقيه أحمد بن

---

(١) وفيات: ٣٥٧/١ ـ ٣٥٩؛ خطط: ٣٦٦/١ ـ ٣٦٧؛ راجع كذلك مقدمة (كاي) المترجمة.

(٢) في الأصل: بمسور.

(٣) في الأصل: تفاضيه.

(٤) في خ: أبو المنصور نزار.

محمد الأشعري، وما منهما إلا عارف بأيام الناس، وأنسابهم وأشعارهم.
وقرأت في كتاب مفيد لأخبار زبيد، تأليف الملك المكين أبي الطامي جياش بن نجاح، نصير الدين[١]، مالك زبيد ما قالوا: لما كان في سنة تسع وتسعين ومئة، أتي إلى المأمون بن الرشيد بقوم من ولد عبيدالله[٢] بن زياد[٣]. فانتسب أحدهم واسمه محمد بن فلان بن عبيدالله بن زياد إلى زياد[٤]، وانتسب رجل منهم إلى سليمان بن هشام بن عبدالملك، ومن ولد هذ الرجل، الوزير خلف بن أبي الطاهر[٥]، وزير الأمير جياش بن نجاح.
فقال المأمون لهذا الأموي: إن عبدالله بن علي بن العباس[٦] ضرب عنق سليمان بن هشام، وأعناق ولديه في يوم واحد. فقال الأموي: أنا من ولد الأصغر، من ولد سليمان بن هشام[٧]، منا قوم بالبصرة في أفناء الناس، وانتسب له رجل إلى بني تغلب[٨]، واسمه محمد هارون، فبكي المأمون وقال: أنى لي بمحمد بن هارون[٩] - يعني أخاه الأمين - ثم قال: أما الأمويان فيقتلان[١٠]، وأما التغلبي فيعفى عنه، رعاية[١١] لاسمه واسم أبيه.
فقال ابن زياد: ما أكذب الناس يا أمير المؤمنين، إنهم يزعمون أنك حليم كثير العفو، متورع عن سفك الدماء[١٢] بغير حق، فإن كنت تقتلنا على[١٣]

---

(١) في خ: ظهير الدين.
(٢) في الأصل: عبدالله.
(٣) في كاي: من أعوان الأمويين؛ في ياقوت: بقوم من ولد زياد بن أبيه، وقوم من ولد هشام، وفيهم رجل من بني أمية؛ وفي خ: بني تغلب. (انظر حاشية: ٩٨ (كاي)).
(٤) في الجندي: إلى عبيدالله بن زياد بن أبيه.
(٥) خريدة / ورقة: ٢٧٦؛ حاشية: ٣٩ هامش ١.
(٦) في كاي: عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس.
(٧) في الجندي: كان جدي صغيراً يومئذ لم يدرك.
(٨) في خ: ابن وائل.
(٩) في خ: أنى لي؛ وفي ياقوت مالي.
(١٠) في ياقوت: الأمويون والزياديون فيقتلون.
(١١) في ياقوت: كرامة.
(١٢) في ياقوت: عن الدماء.
(١٣) في ياقوت: عن.

ذنوبنا، فإنا لم نخرج عن الطاعة[1]، ولم نفارق في بيعتك رأي الجماعة، وإن كنت تقتلنا عن جنايات بني أمية فيكم، فالله تعالى يقول: [٢] ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[2]. فاستحسن المأمون كلامه، وعفا عنهم جميعاً، وكانوا أكثر من مئة رجل، وأضافهم إلى أبي العباس الفضل بن سهل ذي الرياستين، وقيل إلى أخيه الحسن. فلما بويع لإبراهيم بن المهدي[3] ببغداد، في المحرم سنة اثنتين ومائتين، وافق ذلك ورود كتاب عامل اليمن بخروج الأشاعر[4]. وعك [٣]، عن الطاعة، فأثنى ابن سهل على [الزيادي وكان اسمه][5] محمد بن زياد، وعلي المرواني والتغلبي، عند المأمون، وأنهم من أعيان الرجال، وأفراد الكفاة، وأشار بتسييرهم إلى اليمن، [فسير][5] ابن زياد أميراً، وابن هشام وزيراً، والتغلبي حاكماً ومفتياً. فمن ولد التغلبي محمد بن هارون، قضاة اليمن: بنو أبي عقامة[6]. ولم يزل الحكم فيهم متوارثاً، حتى أزالهم علي بن مهدي[7] حين أزال الحبشة[8][٤]، فخرجوا في الجيش الذي جهزه المأمون إلى بغداد، إلى محاربة إبراهيم بن المهدي. وحج ابن زياد ومن معه في سنة ثلاث ومئتين، وسار إلى اليمن، وفتح تهامة بعد حروب جرت بينه وبين العرب، واختط[9] زبيد [٥] في شعبان سنة أربع ومائتين.

وفي هذا التاريخ مات الفقيه الإمام محمد بن إدريس الشافعي بمصر، رحمة الله عليه، وحج من اليمن جعفر مولى بن زياد، بمال وهدايا سنة

---

(١) في ياقوت: عن طاعة.
(٢) سورة فاطر؛ آية: ١٨.
(٣) في كاي: إبراهيم ابن الخليفة المهدي، عم المأمون الذي اغتصب عرش الخلافة.
(٤) في ياقوت: الأعاشر، ولم يذكر عك: وهم عرب يسكنون بوادي زبيد (السلوك / دار / ورقة: ٦١).
(٥) الزيادة من ياقوت.
(٦) قلادة: ٢ / مجلد ٢ / ورقة: ٦٣٥.
(٧) عمارة / كاي: ٩٢ ـ ١٠٠.
(٨) يقصد بهم الدولة النجاحية (كاي).
(٩) بغية: ورقة: ٧.

خمس ومائتين، ووصل[1] إلى العراق، وصادف المأمون بها، وعاد جعفر في سنة ست إلى زبيد ومعه ألف فارس [فيها][2] من مسودة خراسان سبع مئة، فعظم ملك[3] ابن زياد، وملك[4] إقليم اليمن بأسره: الجبال والتهائم، وتقلد جعفر هذا الجبال، واختط بها مدينة يقال لها: المذيخرة بمخلاف ريمة الأشاعر [٦] ذات أنهار وأشجار[5] واسعة. والبلاد التي كانت لجعفر تسمى إلى اليوم مخلاف جعفر[6]. والمخلاف عند أهل اليمن عبارة عن قطر واسع. وكان جعفر هذا أحد الكفاة الدهاة[7]، وبه نمت[8] دولة ابن زياد، لأنهم[9] يقولون ابن زياد وجعفر[10]، وهو الذي اشترط على عرب تهامة ألا يركبوا الخيل. وملك ابن زياد: حضر موت، وديار كنده [٧]، والشحر، ومرباطا، وأبين، ولحجا، وعدن، والتهايم إلى حلي. وبين حلي ومكة ـ حرسها الله ـ ثمانية أيام. وملك من الجبال الجند وأعمالها، ومخلاف المعافر، ومخلاف جعفر، وصنعاء، وصعدة ونجران، وبيحان، وواصل ابن زياد الخطبة لبني العباس، وحمل الأموال والهدايا السنية هو وأولاده من بعده، وهم إبراهيم ومحمد، هذا الذي هو أولهم، ثم ملك بعده ابنه زياد بن إبراهيم فلم تطل مدته، ثم ملك بعده أبو إسحاق بن إبراهيم وطالت مدته. فلما أسن، وبلغ الثمانين من الملك. تشعب عليه من دولته بعضها. فمن أظهر له بعض ما يكره: ملك صنعاء وهو من أولاد التبابعة [٨] من حمير، واسمه أسعد بن أبي يعفر، ولكنه كان يخطب لأبي

---

(١) في ياقوت: سار.
(٢) الزيادة من ياقوت.
(٣) في ياقوت: أمر.
(٤) في ياقوت: وتقلد.
(٥) في ياقوت: رياض.
(٦) أنباء / دار: ٣٠.
(٧) في ياقوت: وكان جعفر هذا من الدهاة الكفاة.
(٨) في ياقوت: تمت.
(٩) في ياقوت: ولذلك.
(١٠) في الأصل: ابن زياد وجعفره؛ وفي الجندي: كان يلقب ابن زياد بجعفر.

الجيش بن زياد، ويضرب الدراهم على اسمه، ولم يكن ينفذ لأبي الجيش هدية ولا ميرة ولا ضريبة.

وكان ارتفاع أموال أسعد هذا لا يزيد على أربع مئة ألف [دينار][١] في السنة، يصرف معظمها في سبيل البر لوافديه وقاصديه. وأما صاحب بيحان، ونجران، وجرش [٩] فهم أيضاً تحت طاعة ابن زياد. وأما صعدة فثار بها الشريف الحسني المعروف بالرسي ثم الزيدي. وما يليق ذكره في هذا الموضع، مع أنه [١٠] ليس بجميع اليمن مدينة أكبر ولا أكثر مرافقاً من صنعاء، وهو بلد في خط الاستواء، وهو من الاعتدال في الهواء[٢] بحيث لا يتحول الإنسان عن مكان واحد إلى مكان آخر طول عمره، شتاء ولا صيفاً، وتتقارب بها ساعات الشتاء والصيف. وبها بناء عظيم قد خرب، فهو تل عال يعرف بغمدان[٣] ولم تبنِ ملوك اليمن قصراً مثله، ولا أرفع منه. وفي ملك أسعد بن أبي يعفر صاحب صنعاء جبل المذيخرة، وبلغني أن أعلاه نحو عشرين فرسخاً، فيه[٤] المزارع والمياه، وفيه نبت الورس[٥] وهو في معنى الزعفران[٦]، ولا يسلك إلا من طريق واحد.

وقد كان علي[٧] بن الفضل الداعي المعروف بشيخ لاعة. ولاعة هذه إلى جانبها قرية لطيفة يقال لها عدن لاعة[١١]، وليست عدن أبين الساحلية، وأنا دخلت عدن لاعة[٨] هذه، وهي أول موضع ظهرت فيه الدعوة العلوية باليمن، ومنها قام منصور اليمن، ومنها علي بن الفضل

---

(١) الزيادة: كاي.

(٢) في الأصل: الهوى.

(٣) صفة: ٣، ١٩٧، ٢٤٠.

(٤) في الأصل: فيها.

(٥) عند فريتاغ اسمه اللاتيني menecylon tinctorium

(٦) في ياقوت: وفي شفيره الزعفران.

(٧) في الأصل محمد.

(٨) في الأصل: هذه عدن لاعة.

الداعي[1]، وممن وصل إليها من دعاة الدولة أبو عبدالله الشيعي صاحب الدعوة العلوية بالمغرب، وفيها قرأ علي بن محمد الصليحي في صباه، وهي دار دعوة اليمن.

وكان هذا علي[1] بن الفضل الداعي، غلب على جبل المذيخرة، وخطب فيه للدعوة العلوية سنة أربع وتسعين ومائتين[2]، ثم استرجعه منه أصحاب أسعد بن أبي يعفر، ثم عاد إلى أصحاب الداعي علي بن الفضل ثانية. وفي ملك أسعد بن أبي يعفر جبل شبام، وهو منيع جداً، وفيه قرى ومزارع، وجامع كبير، وهو عمل مستقل بنفسه، ويرتفع منه العقيق والجزع[3]، وهي حجارة معساة[4]، فإذا عملت ظهرت جوهرها.

وممن امتنع من عمال أبي الجيش بن زياد، سليمان بن طرف، صاحب عثر وهو من ملوك تهامة، وعمله مسيرة سبعة أيام، في عرض يومين. وهو من الشرجة إلى حلي، ومبلغ ارتفاعه[5] في السنة خمس مئة ألف دينار[6]. وكان مع امتناعه من الوصول إلى ابن زياد[7]، يخطب له، ويضرب السكة على اسمه، ويحمل إليه مبلغاً من المال كل سنة، وهدايا لا أعلم مبلغها. ويتلو لابن طرف من ملوك تهامة في الخطبة والسكة لابن زياد، وعمل إتاوة مستقرة، الحرامي[8]، صاحب حلي، [وهو][9] دون ابن طرف في المكنة[10]. وأما الذين سلم لابن زياد من اليمن حين طعن في

(١) في الأصل: محمد.
(٢) في الأصل: أربعين وثلاثمئة والتصحيح من الجندي: سلوك / كاي: ١٤٢ ـ ١٤٣.
(٣) العقيق خرز أحمر والجزع خرز فيه سواد وبياض، واحدته جزعة.
(٤) من عس يعسي: غلظ وصلب.
(٥) جملة إيراده السنوي.
(٦) في خ: دينار عثرية.
(٧) المراد أنه كان لا يذهب لابن زياد، ومع ذلك كان يخطب إليه.
(٨) والمراد أن الحرامي صاحب حلى، كان على منوالي ابن طرف في الخطبة والسكة لابن زياد.
(٩) زيادة اقتضاها السياق.
(١٠) المكنة: القوة والشدة.

السن. فله من الشرجة إلى عدن، طولاً عشرون مرحلة وله من غلافقة[١] إلى صنعاء خمس مراحل.

ورأيت مبلغ ارتفاع ابن زياد، بعد تقاصرها[٢]، في سنة ست وستين وثلاث مئة من الدنانير ألف ألف [١٢] عثرية[٣]، خارجاً عن ضرائب على مراكب الهند من الأعواد المختلفة، والمسك والكافور والعنبر[٤] والصندل والصيني، وخارجاً عن ضرائب العنبر على السواحل بباب المندب، وعدن، وأبين، والشحر وغير ذلك، وخارجاً عن ضرائبه على معادن اللؤلؤ، وعن ضرائبه على صاحب مدينة دهلك[٥]. ومن بعضها ألف رأس رقيق. منها خمس مئة وصيفة حبشية ونوبية. وكانت ملوك الحبش من وراء البحر تهاديه وتستدعي مواصلته.

ومات أبو الجيش هذا سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة[٦]، عن طفل اسمه عبدالله، وقيل زياد. وتولت كفالته أخته، هند بنت أبي الجيش، وعبد لأبي الجيش، أستاذ حبشي يدعى رشيد[٧]، وكان من عبيد رشيد هذا وصيف من أولاد النوبة يدعى حسين بن سلامة[٨]، وهي أمه، وبها كان يعرف. ونشأ حسين بن سلامة[٩] هذا، حازماً عفيفاً. فلما مات مولاه رشيد، وزر لولد أبي الجيش ولأخته هند بنت أبي الجيش، وكانت دولتهم قد تضعضعت أطرافها. وتغلبت ولاة الحصون على ما في أيديهم منها. فأقام القائد حسين بن سلامة، يحارب أهل الجبال حتى دانوا، ودان ابن

---

(١) كشف: ٢٤؛ بغية / ورقة: ٨.
(٢) في الأصل: تناصريف.
(٣) في خ: ألف ألف دينار عثرية.
(٤) في خ: والسنبل.
(٥) صفة: ٤٧، ٥٢.
(٦) في خ: ٣٩١ والتصحيح من الجندي [انظر حاشية: ١٣].
(٧) في خ: اسمه رشيد، وفي الأصل: رشد.
(٨) أنباء / دار ٣٦؛ بغية ورقة: ١٩.
(٩) في الأصل: ونشأ هذا حسين بن سلامة.

طرف، والحرامي[1]، واستوسعت له مملكة ابن زياد الأولى، واختط مدينة الكدراء[2] على وادي سهام، واختط مدينة المعقر، على وادي ذؤال. وكان عادلاً على الرعايا، كثير الصدقات، والصلات[3] في الله تعالى، مقتدياً بسيرة عمر بن عبدالعزيز في أكثر أحواله، وعمر في الملك ثلاثين سنة، ومات سنة اثنين [١٣] وأربع مئة.

ومن محاسن حسين بن سلامة، إنشاء الجوامع الكبار، والمنارات الطوال، من حضر موت إلى مكة حرسها الله تعالى. وطول المسافة التي بنى فيها ستون يوماً، وحفر الآبار الروية، والقلب[4] العادية، في المقافر المنقطعة، وبنى الأميال والفراسخ، والبرد على الطرقات. فمن ذلك ما رأيته عامراً ومهدوماً، ومنها ما رواه الناس لي رواية إجماع. فأوله شبام وتريم[5]، مدينتا حضرموت. اتصلت عمارة الجوامع منها إلى عدن وأبين ولحج، والمسافة عشرون مرحلة، في كل مرحلة جامع ومأذنة وبئر، فأما عدن ففيها جامع من عمارة عمر بن عبدالعزيز، وجدده حسين بن سلامة، ثم تفرق الطريق من عدن إلى مكة: فطريق تصعد إلى الجبال، وطريق تسلك في تهامة. فأما طريق الجبال، ففيها جامع الجوة[6] وهو كبير أدركته عامراً بعمارة حسين بن سلامة، ورأيت فيها جامع الجند، وهو جامع مثل جامع أحمد بن طولون بمصر، وكان مسجداً لطيفاً، أول من بناه معاذ بن [١٤] جبل، صاحب رسول الله ﷺ حين بعثه إلى اليمن.

وأهل الجند وما حوله من القرى، يرون في فضل هذا المسجد أخباراً من جهة الآحاد[7]، [منها][8]: أن زيارته في أول جمعة من رجب تعدل

---

(١) في الأصل: ابن الحرامي.
(٢) صفة: ٥٤، ٧٢، ١٠٦، ١٩٠.
(٣) في الأصل: الصلاة.
(٤) القليب: والجمع قلب وقلب وأقلبه. ومعناها البئر.
(٥) صفة: ٨٧؛ حاشية ١١.
(٦) ياقوت: ١٧٩/٣؛ صفة: ٦٧، ١٩٠.
(٧) في خ: أخبار كثيرة عن رسول الله.
(٨) زيادة لتوضيح المعنى.

عمرة أو قالوا حجة. ولم يزل أهل تلك الآفاق يزورونه في كل سنة حتى كثر ذلك، فصار موسماً من مواسم الحج، ومنسكاً للعامة. وإذا كان لبعضهم على بعض حق قال أمهلني حتى ينقضي الحج، وما يعنون إلا زيارة الجند.

ثم ذي أشرف[1]، وبها مسجد مكتوب على أحجاره فوق بابه: مما أمر به عمر بن عبدالعزيز بن مروان[2]، ثم مدينة إب[3]، ثم النقيل[4]، ثم ذمار[5] [ثم ما بين ذمار وصنعاء مسافة خمسة أيام، في كل مرحلة منها بناء][6] ثم جامع صنعاء، وهو عظيم، ثم من صنعاء إلى صعدة، عشرة أيام [في كل مرحلة من ذلك جامع][7]. ثم من صعدة إلى الطائف سبعة أيام، في كل مرحلة جامع، ومصانع للماء. ثم عقبة الطائف، وهي مسيرة يوم للطالع من مكة، ونصف يوم للهابط إلى مكة، عمرها حسين بن سلامة عمارة[8] يمشي في عرضها ثلاثة أجمال بأحمالها.

هذه الطريق العليا. وأما طريق تهامة، فهي تفترق أيضاً طريقين، فواحدة ساحلية على البحر، وواحدة وهي الجادة السلطانية متوسطة منها إلى البحر والجبل وافتراقهما من تهامة. وفي كل مرحلة من الطريقين الساحلية والوسطى جامع عظيم[9]، فمن الساحلية والوسطى المخنق، وهي من عدن على ليلة، وبها بئر طولها ثمانون[10] باعاً، وأنا وردتها مراراً، وجامع

---

(١) في خ: أشرق.
(٢) مدة حكمه (٩٩ - ١٠١هـ).
(٣) في خ: أن.
(٤) صفة: ١٨٩ وتعرف باسم نقيل سمارة (الصليحيون ٤٧).
(٥) ياقوت: ٧٢١/٢.
(٦) زيادة من خ.
(٧) زيادة من خ.
(٨) في خ: عمارة متقنة.
(٩) في خ: جامع وبئر.
(١٠) في خ: ثلاثون.

مستهدم[1]. ثم العارة، ثم عثر، ثم السقيا: جامع وبئر، طولها أربعون باعاً، ثم الباب: باب المندب، ثم المخا، ثم السحاري[2]، ثم الخوهة، ثم الأهواب، ثم غلافقة، ثم بيعة، ثم الحردة[3]، ثم الزرعة، ثم الشرجة[4]، ثم المفجر، ثم القنذير، ثم عثر، وهي مقر ملك قديم [١٥] ثم الرويمة[5]، ثم حمضة. ثم ذهبان[6] ثم حلي، ثم السرين، ثم جدة. فهذه جوامع السواحل[7]، ما منها إلا ما رأيته عامراً، وإما خراباً.

وأما الوسطى فذات الخيف[8]، وموزع[9]، والجدون[10]، وحيس[11]، وزبيد وفشال، والضجاع[12] ـ بكسر الضاد ـ والقحمة[13]، الكدراء وهي مقره، واختطها أيضاً. والجثة[14]، وعرق[15] النشم، والمهجم[16]، ومور[17]، والواديان[18]، وجيزان[19]، والساعد[20]،

---

(١) في قرة: المشهد بدل مستهدم.

(٢) في خ: الزهاري؛ صفة: ٦٩.

(٣) حاشية ١٥ (كاي).

(٤) نفس الحاشية السابقة.

(٥) في خ: الدويمة.

(٦) صفة: ١١١، ٢٢٧.

(٧) في خ: سائر السواحل.

(٨) في خ: ذات الحبيت.

(٩) ابن المجاور: ١٤٩.

(١٠) في خ: الحدون.

(١١) ياقوت: ٣٨١/٣.

(١٢) في خ: الضحاك.

(١٣) صفة: ٥٣، ١١٩.

(١٤) ذكرها صاحب المراصد باسم الجث.

(١٥) الجثة وعرق النشم لم يرد ذكرهما في خ.

(١٦) صبح الأعشى: ١٣/٥.

(١٧) صفة: ٥٤، ٧٢، ١٥٥.

(١٨) تقع شمال المهجم ومور.

(١٩) في خ: حيران والأصح جيزان (صفة: ١٢٠).

(٢٠) في خ: المساعد والأصح ما أثبتناه (صفة: ١١٩).

وتعشر، والمبنى[1]، ورياح، والفحر. ثم تلتقي الجادة والساحلية، ويفترقان من السرين، وبينهما وبين مكة خمسة أيام، فأول ما يلقى الحاج من عمارته بين الرياضة، ثم سنجة الغراب، ثم الليث[2] ثم يرد الناس وادي يلملم [وهو ميقات أهل المدينة، وبه بئر من عمارته «ثم بئر أدام، وهي بئر روية][3]، طولها عشر أبواع، وعرضها خمسة أو ستة أبواع. ثم يفترق الناس، فمن أراد مكة، ورد من عمارته بيراد[4]، ثم البيضا، ثم القوين[5]، ثم مكة. ومن أراد عرفات ورد من عمارته، بئر بوادي الرحم، ثم نعمان، ثم عرفات. وله مسجد على جبل الرحمة بعرفات، رحمة الله عليه [١٦].

وحدثني الفقيه أبو محمد عبدالله بن أبي القاسم[6] الأبار، وعليه قرأت مذهب الشافعي «١»، قال: حدثه والده أبو القاسم. وحدثني بمثل ذلك عبدالرحمن بن علي العبسي، وحدثني المقري، الحسين بن فلان بن حسين بن سلامة، وما من هؤلاء إلا من ناهز عمره المائة. قالوا: كان الناس مزدحمين للصباح على حسين بن سلامة، حتى تقدم إليه إنسان فقال له: إن رسول الله ﷺ، أمرني وبعثني إليك، لتدفع لي ألف دينار. قال حسين: لعل الشيطان تمثل لك. قال: بل الأمارة بيني وبينك: إنك مذ عشرين سنة، كل ليلة تصلي عليه مائة مرة. فبكى حسين بن سلامة وقال: أمارة والله صحيحة، لم يعلم بها إلا الله عز وجل، ثم دفع إليه ألف [١٧] دينار.

وحدثني الفقيه أبو علي بن طليق ـ وكان من الصالحين ومن العلماء الراجحين، يسكن مدينة المعقر ـ قال: حدثني أبوه، وجماعة من أسلافه ـ

(١) ذكر خ: المبنى والرياح، ولكن لا نعرف عنهما شيئاً.
(٢) في خ؛ بغية: الخبت، في صفة (١٢٠)؛ ابن خرداذبة (١٨٤) الليث.
(٣) الزيادة من خ، وفي الأصل: وبه بئر روية.
(٤) في خ: بير أدام؛ في ابن المجاور (١٣١): أيدام.
(٥) في خ: بئر البيضا ثم القوين.
(٦) في الأصل القسم.

وهم أهل بيت علم وعفاف ـ قالوا: تظلم إنسان إلى الحسين بن سلامة بهذا الوادي، وهو سائر في مدينة زبيد إلى الكدراء، وزعم أنه سرقت له عيبة[1] فيها ألف دينار، وقيل ألفا دينار، في وادي مور، وبعده من الوضع أيام، فأمر به حسين، فجلس معه مع خواصه[2]، وقام إلى الصلاة [في جامع الكدراء][3]، فأطالها، ثم نام في المحراب. فلم يشعر إلا والناس يقرعون إليه من أطراف الجامع إلى المحراب، قال والدي: وكنت من أقرب الناس إليه فسمعته يقول لرجل من قواده تمض مع هذا الرجل إلى القرية الفلانية على الساحل، فتأخذ له من فلان بن فلان ماله، من غير أن تؤذيه، فإن رسول الله ﷺ شفع إلي فيه، وأخبرني أنه ينتسب إليه، وهو ﷺ الذي عرفني صورة الحال.

وأخبار حسين ومحاسنه باليمن مجلدات [بل مخلدات][3].

ثم انتقل الأمر بعد ذلك إلى طفل من آل زياد لا أعرف اسمه، وأظنه عبدالله، وكفلته عمة له، وعبد أستاذ اسمه مرجان من عبيد الحسين بن سلامة، واستقرت الوزارة لمرجان، وكان له عبدان من عبيد الحبشة، فحلان، رباهما في الصغر، وولاهما الأمور في الكبر. وأحدهما يسمى نفيساً، وهو الذي يتولى التدبير بالحضرة، والعبد الثاني يدعى نجاحاً[4] وهو جد ملوك زبيد الذين أزالهم علي بن مهدي في سنة أربع وخمسين وخمس مئة. ونجاح هذا هو أبو سعيد الأحوالي[5]، قاتل السلطان[6] علي بن محمد الصليحي[7]، القائم باليمن، بالدعوة الفاطمية المستنصرية، وهو أيضاً أبو الملك الفاضل العادل، أبي الطامي جياش. ولم يزل الملك في عقب جياش

---

(١) حقيبة من جلد.
(٢) في خ: فاجلسه مع خواصه.
(٣) الزيادة من خ.
(٤) قرة: ورقة: ٢١.
(٥) الصليحيون: ٩٩ ـ ١٠٠.
(٦) في الأصل: الأمير.
(٧) مؤسس الدولة الصليحية في اليمن (الصليحيون: ٦٢ ـ ١١٢).

هذا إلى التاريخ المذكور. كان نجاح يتولى أعمال الكدراء والمهجم ومور والواديين. وهذه الأعمال الأربعة جل الأعمال الشمالية عن[1] زبيد. ثم وقع التنافس بين نفيس ونجاح، عبدي مرجان على وزارة الحضرة. وكان نفيس عسوفاً مرهوباً. ونجاح رؤوفاً بالناس، عادلاً على الرعايا، محبوباً إليهم، إلا أن مولاهما مرجان [كان][2] يميل مع نفيس على مرجان. ونمى[3] إلى نفيس أن عمة ابن زياد مولاه، تكاتب نجاحاً، وتميل إليه، فشكا نفيس ذلك من فعلها إلى مرجان فقبض مرجان عليها، وعلى ابن أخيها ابن زياد، وهو آخر القوم، ومنه زالت دولة بني زياد باليمن، وانتقلت إلى عبيد عبيدهم[4] فيكون [حكم][2] دولة بني زياد باليمن مائتي سنة وخمس[5] سنين، لأنهم اختطوا زبيد سنة أربع ومائتين وزالت عنهم سنة تسع وأربع مئة[6].

ثم إن مرجاناً لما قبض على موليبه عبدالله[7] وعمته، دفعهما إلى نفيس، فبنى عليهما جداراً، وهما قائمان يناشدانه الله عز وجل، حتى ختمه عليهما. وكان[8] بنو زياد، لما اتصل بهم اختلال الدولة العباسية من قتل المتوكل[9]، وخلع المستعين[10]، تغلبوا على ارتفاع اليمن وركبوا [١٨] بالمظلة[11]، وساسوا قلوب الرعايا ببقاء الخطبة لبني العباس. فلما قتل نفيس، ابن مولاه: عبدالله[7]، وعمته، تملك وركب بالمظلة وضرب السكة باسمه.

---

(١) في خ: غير.
(٢) زيادة اقتضاها السياق.
(٣) نمى الحديث إلى فلان، ارتفع إليه وعزى، كما يأتي معتدياً: نمى فلان الحديث إلى فلان.
(٤) في خ: إلى عبيدهم.
(٥) في الأصل: ثلاث.
(٦) صحة حكم الزياديون هي: ٢٠٥ سنة لأنهم حكموا من (٢٠٤ ـ ٤٠٩هـ.).
(٧) في الأصل: إبراهيم.
(٨) في الأصل: وكانت.
(٩) ٢٤٧هـ.
(١٠) ٢٥٢هـ.
(١١) حاشية ١٨ (كاي).

وحين نمى إلى نجاح ما اعتمده نفيس في مواليه، دعا[1] الأحمر والأسود وقصد نفيساً إلى زبيد، فجرت بينهما عدة وقائع منها: يوم رمع، ويوم فشال، وهما على نجاح، ومنها يوم العقدة، وهو على نفيس، ومنها يوم العرق، وفيه قتل نفيس على باب زبيد، وقتل معه خمسة آلاف بين الفريقين. وفتح نجاح زبيد في ذي القعدة سنة ثنتي عشرة وأربع مئة. وقال نجاح لمرجان: ما فعل بمواليك وموالينا؟ قال: هم في ذلك الجوار. فأخرجهما نجاح، وصلى عليهما. وبنى لهما مشهداً، وأعاد مرجان في موضعهما، فبنى عليه حياً، وعلى جثة نفيس، وركب نجاح بالمظلة، وضربت السكة باسمه. وكاتب أهل العراق، وبذل الطاعة. فنعت نجاح بالمؤيد نصير الدين، وفوض إليه تقليد القضاء لمن يراه، والنظر العام على الجزيرة اليمنية. ولم يزل نجاح مالكاً لتهامة، قاهراً لأكثر أهل الجبال. وخوطب وكوتب بالملك، وبمولانا. ومن أولاده سعيد بن نجاح، وجياش، ومعارك والذخيرة، ومنصور.

فأما الجبال فتغلب ولاة حسين بن سلامة على الحصون [١٩]، فمِمَّن تغلب على عدن، وأبين، ولحج، والشحر، وحضرموت: بنو معن، وأظنهم من غير ولد معن بن زائدة الشيباني، [٢٠] وتغلب على السمدان[2]، وهو أحصن[3] من الدملوة[4] وحصن صبر[5] وحصن ذخر[6]، وحصن التعكر[7]، وهو ما هو[8]، وعلى مخلاف الجند، ومخلاف عنة[9]، ومخلاف المعافر، قوم من حمير يقال لهم: بنو الكرندي، وكانت لهم

(١) في الأصل: استفن والتصحيح من (كاي).
(٢) ياقوت: ٥/١٢١.
(٣) في الأصل: حصن الدملوة.
(٤) صفة: ١٦.
(٥) ياقوت: ٥/٣٣٦؛ حاشية: ٢٢ (كاي).
(٦) في الأصل: دحر والتصحيح من خ.
(٧) صفة: ٦٨، ١٠٠.
(٨) في خ، السلوك / دار: وهو الحاكم على الجند.
(٩) صفة: ٧١، ١٠٠؛ وحاشية: ٢٢ (كاي).

مكارم ومفاخر، وسلطنة قاهرة ودولة ظاهرة. وتغلب على حصن حب وهو نظير التعكر، وعلى حصن يقال له عزان[1]، وبيت عز، وحصن الشعر[2]، وهو عظيم، وحصن نور[3]، والنقيل والسحول[4]، وهو الموضوع الذي ينسج فيه الثياب السحولية، وكفن رسول الله ﷺ في ثوبين منها، وهذا الوادي لبني أصبح، قوم الفقيه مالك الأصبحي إمام دار الهجرة [٢١].

ومن الحصون أيضاً: حصن خدد «والشوافي[5]، وتغلب عليهما السلطان أبو عبدالله الحسين التبعي وولده، وهو الذي عمل الحيلة على قتل سعيد بن نجاح الأحوال، قاتل السلطان[6]، علي بن محمد الصليحي» وتغلب على مخلاف أحاظة ويقال وحاظة[7]، ومقر عزها حصن بيبرس[8]، ومن حصونها: دهران، ويفوز، وشعر، والخضراء، وغير ذلك، ومدينتها شاحط، وفي سلطانها يقول نزار بن الفقيه زيد بن الحسن الأحاظي:

قالوا لنا السلطان في شاحط	يأتي الزنا من موضع الغائط
قلت هل السلطان أعلاهما	قالوا بل السلطان من هابط [٢٢]

وتغلب على حصن وحاظة وبلادها بنو وائل[9]، وهم من ولد ذي الكلاع، ولهم رياسة متأثلة، وهم حمقى[10] يرون أنهم أشرف ولد آدم على الإطلاق. ولقد أذكر أني خرجت من سوق الجبجب[11]، وهو أكبر

---

(١) صفة: ٧٩؛ وحاشية: ٢٢ (كاي).

(٢) في الأصل: السعر، وفي خ: الشعر.

(٣) في خ: أبور؛ في سلوك / دار: أنور؛ وحاشية: ٢٢ (كاي).

(٤) صفة: ٦٨، ٧١.

(٥) في الأصل: الشواقي؛ في السلوك / دار الشوافي.

(٦) في الأصل: الأمير.

(٧) حاشية: ٢٢ (كاي).

(٨) نفس الحاشية السابقة.

(٩) صفة: ١٥٣.

(١٠) في الأصل: حماقة.

(١١) حاشية: ٢٢ (كاي).

أسواقهم، في يوم صائف حتى إذا بعدت عن السوق لحقني فارسان يركضان، وقد سددا[1] إلي أسنة الرمحين، فنزلت عن الدابة، وصعدت إلى الجبل. فلما انتهيا إليَّ قالا: إنا اختلفنا في أفضل ولد آدم، وقد رضينا بحكمك، وكان أحدهما قال: بنو وائل أفضل على الإطلاق. وقال الثاني: بل هم وقريش في الشرف، فقلت لهما: «إن رسول الله ﷺ أفضل البشر وبنو وائل أفضل من قريش، ومن سائر الخلق، تفادياً منهما». قال أحدهما: والله لو قلت غير هذا ما سلمت مني، ثم فارقاني[2].

ومن هؤلاء بنو وائل، السلطان أسعد بن وائل بن عيسى، صاحب الكرم العريض والثناء المستفيض. وممن تغلب على حصن أشيح[3]، وهو مقر ملك الداعي سبأ بن أحمد الصليحي، وعلى حصن وصاب[4] ومخاليفها، قوم من بكيل، ثم من همدان، وتغلب على صنعاء ومخاليفها قوم من همدان، وتغلب بنو عبدالواحد على عمال برع والعمد ولعسان، وتغلبت على حصن مسار أيضاً، وليس في اليمن ما يماثله، سوى التعكر والسمدان وحب[5]. ومنه ثار الصليحي بالدعوة المستنصرية من حراز، وحراز هي الأعمال، وبها سمي أهلها وإلا فهم من همدان، وبهم ثار الداعي علي بن محمد الصليحي [٢٤].



أخبار الداعي علي بن محمد الصليحي[6]

وعنها يتفرع جل أخبار اليمن، وبها يتعلق بقية الكتاب من القضاة والدعاة والكبراء والشعراء.

(١) في الأصل: سدد.
(٢) في الأصل: فارقني.
(٣) أنباء / دار: ٤٣.
(٤) صفة: ١٠٣؛ وحاشية: ٢٢ (كاي).
(٥) هذه البلاد والحصون وردت في الحاشية: ٢٣(كاي) والتعليق عليها.
(٦) انظر «الصليحيون»: ٦٤ ـ ١١٢.

كان القاضي محمد علي، والد الداعي علي بن محمد الصليحي، سني المذهب وله طاعة في رجال حراز، وهم أربعون ألفاً، ولما انتقلت الدعوة إلى سليمان[1] بن عبدالله الزواحي[2] قرية من أعمال حراز [٢٥] شرع في ملاطفة القاضي محمد بن علي، والد الداعي علي بن محمد الصليحي. فكان الزواحي يركب إليه، لأن محمداً كانت له رياسة، وسؤدد، وصلاح، وعلم، فلم يزل سليمان[1] حتى استمال قلب علي بن محمد، وهو يومئذ دون البلوغ، ولاحت له فيه مخايل[3] النجابة. وقيل: كانت عند سليمان[1] حلية الصليحي من كتاب الصور [٢٦]، وهو من ذخائر الأئمة عليهم السلام، فأوقفه منه على تنقل حاله، وشرف مآله، واستماله سراً من أبيه وقومه. ولم يلبث سليمان[1] الزواحي[2] حتى مات، وأوصى له بكتبه وعلومه، ولم يمت حتى قد رسخ [في ذهن علي من كلامه ما رسخ][4]، فعكف على الدرس، وكان ذكياً، فلم يبلغ الحلم حتى تضلع في معارفه التي بلغ بها، وبالجد السعيد غاية الأمل البعيد. فكان عالماً فقيهاً في مذهب الدولة[5]، مستبصراً في علم التأويل.

أخباره أنه قام يحج دليلاً للناس عن طريق السراة[6]، والطائف عدة سنين لا يحج بالناس غيره، وتقلبت به الأحوال في بادىء عمره، من خفض إلى رفع ومن ضر إلى نفع. فمن ذلك ما حدثني به الفقيه أبو الحسين علي بن سليمان، وكان شاعراً قد أحسن، ومن شعره قوله في عمر بن عدنان العكي:

إذا الليالي أساءت غير عالمة ... كان ابن عدنان لي من جورها جارا[7]

---

(١) في الأصل: عامر.

(٢) في الأصل: الرواحي؛ انظر حاشية: ٢٥ (كاي).

(٣) في الأصل: مخائل. (انظر عيون: ٣٨/٧).

(٤) زيادة من وفيات؛ وفي الأصل: لم يمت حتى قد عرس.

(٥) يقصد بذلك مذهب الدولة الفاطمية.

(٦) صفة: ٤٨؛ ١٠٩.

(٧) في الأصل: جوز جار وهو خطأ.

ومنه ما حدثني به الزبرقاني بن الغويفر[1] العكي عن فلات الشاعر وهو القائل يذم قومه في قصيدته:

فمن يشتري عكا بفلس فإنني   جميعاً على قطع الخيار أبيعها

كلاهما وغيرهما من الجمهور حدثنا عن القاضي عمر بن المرجل، الحنفي نسباً ومذهباً، وكان من أعيان العلماء، قال: كان على باب زبيد من داخل السور دار لرجل من الحبشة، يقال له فرج السحرتي، وكان من أهل المعروف والصدقات الواسعة، وكان من نزل بمسجده أكرمه وآواه، ويتفكر ويدخل المسجد يتجسس أخبار الضيوف سراً، من وكلائه وخدمه، فخرج ذات ليلة فظفر بالمسجد برجل يقرأ القرآن. فسأله عن العشاء، فأنشد قول المتنبي:

من علم الأسود المخصي مكرمة   أعمامه الغرُّ أم أخواله الصيد [٢٧][2]

فأخذه الحبشي في أعلى مكان في داره، وأكرم مثواه، واستخبرهُ عن سبب قدومه إلى تهامة. قال الصليحي: إن لي عماً يقال له شهاب[3]؛ وله ابنة يقال لها أسماء[4]، قليلة.. النظر في الجمال، معدومة المثل، في الأدب والعقل، وخطبتها إليه، فاشتط علي في مهرها. وأمها تقول، لا تزوجها إلا لبعض ملوك همدان بصنعاء، أو ملوك بني الكرندي بمخلاف جعفر. وقد استاموا[5] علي في المال، مبلغاً، لا قدرة لي عليه، وأنا متوجه إما إلى بني معن بعدن، وإما إلى بني الكرندي بالمعافر. قالوا: فدفع له القائد فرج السحرتي مالاً جزيلاً أضعاف ما أدى الصليحي، وجهز العروسين جميعاً أحسن جهاز يحتفل الملوك به لعقائلهم، وأعاده إلى عمه فتزوج

---

(١) في الأصل: الفويقر.

(٢) راجع التعليق على الحاشية: ٢٧ (كاي).

(٣) قلادة: ٢/٢ / ورقة: ٦٢٨.

(٤) حاشية: ٢٨ (كاي) والتعليق عليها.

(٥) استام فلان السلعة، يعني سأله تعيين ثمنها، استام بها يعني غالى.

بأسماء. وهي أم الملك المكرم، زوج الحرة الملكة السيدة أروى[١] بنت أحمد الصليحي. وكانت أسماء من الكرم والسؤدد، والجوائز السنية الجزيلة للشعراء، والصلات الواسعة في سبيل الله تعالى، وفي سبيل المروءة والخير، بحيث يمدح أولادها وإخوتها وبنو عمها بمفاخرها، وفيها يقول شاعر زوجها واسمه: عمرو[٢] بن يحيى الهيثمي من قصيدة أولها:

حشمت بيضاء الأنامل حشما[٣]

ومنها:

وسمت في السماح سنة جود ... لم تدع من معالم البخل رسما[٤]

قلت إذا عظموا البلقيس عرشا ... دست أسماء من ذرى المجد[٥] أسمى [٢٨]

ومن أخبار الداعي علي بن محمد الصليحي، ما حدثني أحمد بن حسين الأموي المعروف بابن السبخة[٦]، عن أبيه، عن جده قال: كنت أسكن في مدينة حيس، وبينها وبين زبيد ليلة، فلما ملك الصليحي زبيد، وقد ركب إلى مجلس القاضي، وأدى عنه شهادة، كان قد تحملها في صباه، ثم تحدث مع القاضي سراً، وافترقا. وأخبر القاضي بعد قيام السلطان[٧] علي بن محمد الصليحي أنه قال: إني نزلت إلى مدينة حيس، استطلع خبر عبدي مرجان: نفيس ونجاح، فمر علي بعض من يعرفني، فتجردت عن ثيابي، ولبست ثياب سلاط يبيع السليط في معصرة من معاصر حيس. وتحملت هذه الشهادة يومئذ في منزل رجل يقال له: السبخة، ولما

---

(١) الصليحيون: ١١٣ ـ ٢١١.

(٢) في الأصل: أسعد وقد نسب الأزدي البيتين إلى الشاعر حسين القمي.

(٣) هذا من هامش عمارة / كاي: ١٦؛ أما في الأصل: حشمت بيض الأنامل حشماً.

(٤) رواية الأزدي: سمة جود.

(٥) في الأزدي والأهدل: المجد؛ في الجندي؛ خ: النجم (التعليق على الحاشية ٢٨).

(٦) في الأصل: السخة.

(٧) في الأصل: الأمير.

ملكت الأمر وقفت لي عجوز بخطي فعرفته[1]، فلم يسعني إلا أداء شهادتي. وكان مثال ما كتبته بخطه ليذكره إن شاء الله تعالى.

ومن أخبار الصليحي في مبادىء أمره، ما حدثني به السلطان ناصر بن منصور الوائلي، عن جده عيسى بن يزيد، قال: إن عليًا[2] بن محمد الصليحي، كان دليلاً على طريق السراة [والطائف][3] خمس عشرة [سنة][2]، وإن الناس في أول ظهوره كانوا يقولون له: قد بلغنا أنك ستملك اليمن بأسره، ويكون لك شأن ودولة، فيكره ذلك، وينكره على قائليه. مع كونه أمراً قد شاع في أقواله بأفواه الناس [من][2] الخاصة والعامة.

ولما كان من سنة تسع وثلاثين[4] وأربع مئة، ثار الصليحي في رأس مسار، وهو أعلى ذروة في جبال حراز. وكان معه يومئذ ستون رجلاً، قد حالفهم في مكة في موسم سنة ثمان وثلاثين[5] وأربع مئة، على الموت [و][6] القيام بالدعوة، وما منهم إلا من هو من قومه وعشائره في منعة وعدد كثير. ولم يكن برأس الجبل بناء، بل كان قلة فائشة منيعة. فلما ملكها الصليحي لم ينتصف النهار الذي ملكها في ليله، إلا وقد أحاط به عشرون ألف ضارب سيف وحصروه وشتموه وحمقوه وقالوا له: إما نزلت وإلا قتلناك أنت ومن معك بالجوع. فقال لهم: إني لم أفعل ما فعلت إلا خوفاً علينا وعليكم، فإن تركتموني أحرسه [لكم] وإلا نزلت إليكم، فانصرفوا عنه[7].

---

(١) أي أتتني عجوز وفي يدها ورقة بخطي.
(٢) في الأصل: علي.
(٣) زيادة من وفيات.
(٤) في الأصل: سنة تسع وعشرين.
(٥) في الأصل: ثمان وعشرين.
(٦) في الأصل: على الموت على القيام بالدعوة والتصحيح من وفيات.
(٧) أما رواية الخزرجي في الكفاية (٤٧) فقد قال: «وقالوا له: إن نزلت وإلا قتلناك أنت ومن معك». فقال لهم: «أنا ما فعلت هذا إلا خوفاً عليكم أن يملك هذا الجبل غيرنا فإن تركتمونا نحرسه لكم وإلا نزلنا» فانصرفوا عنه وتفرقوا.

ولم تمض به شهر، حتى بناه وحصنه، «٢» وأتقنه[١]، وبقي الصليحي في مسار، وأمره يستفحل شيئاً فشيئاً من سنة تسع وثلاثين[٢] وأربع مئة، في نزق من أمره، كاتم لما يضمر من الدعوة، وكان [يخاف][٣] نجاحاً صاحب تهامة، [وكان][٣] يكافئه ويلاطفه ويستكين لأمره؛ ولم يزل الصليحي يعمل [الحيلة][٣] على نجاح، حتى قتله بالسم [على يد][٤] جارية جميلة أهداها إليه. وكانت وفاة نجاح بالكدراء في عام اثنين وخمسين وأربع مئة[٥].

وكتب الصليحي إلى الإمام المستنصر [٢٩] بالله يستأذنه في إظهار الدعوة[٦]. فعاد إليه الجواب بالإذن «٣» فطوى البلاد طياً، وفتح الحصون والتهايم، ولم تخرج سنة خمس وخمسين و [ما][٧] بقي عليه من اليمن سهل ولا وعر، ولا بر ولا بحر، إلا فتحه. وذلك أمر لم[٨] يعهد مثله في جاهلية ولا إسلام، حتى قال يوماً وهو يخطب بالناس في [جامع][٧] الجند، وفي مثل هذا اليوم نخطب على منبر عدن، إن شاء الله [ولم يكن ملكها بعد]. فقال بعض [من حضر مستهزئاً][٩] «سبوح قدوس»، فأمر الصليحي بالحوطة عليه. وخطب الصليحي في مثل ذلك اليوم على منبر عدن، فقال ذلك الإنسان [وتعالى في القول][١٠]: «سبوحان قدوسان» وأخذ البيعة، ودخل المذهب الطاهر[١١].

---

(١) في الخزرجي (كفاية ٤٧): «ولم يمض شهر على احتلاله حتى بناه ودربه وحصنه وأتقنه».
(٢) في الأصل: تسع وعشرين.
(٣) الزيادة من وفيات.
(٤) في الأصل: مع جارية.
(٥) وفيات سنة ٤٥٣.
(٦) راجع حاشية: ٢٩ (كاي) والتعليق عليها.
(٧) زيادة اقتضاها السياق.
(٨) في الأصل لا.
(٩) في الأصل: استهزأ.
(١٠) في الأصل: فقال ذلك الإنسان وقال.
(١١) في الأصل: الظاهر.

ومن سنة خمس وخمسين استقر قرار الصليحي بصنعاء، فأخذ معه ملوك اليمن التي أزال ملكها. فأسكنهم معه، وولى في الحصون غيرهم، واختط بصنعاء عدة قصور.

حدثني محمد بن بشارة من أهل صنعاء، سنة خمس وثلاثين وخمس مئة، وذكر أن عمره قد ناهز الثمانين فقال: لم أعقل بقصر الصليحي إلا مستهدماً، وجميع من بنى داراً بصنعاء يبني بأنقاض قصور الصليحي، ومن تلك المدة إلى الآن وما فني طوبه وأحجاره وأخشابه.

وأما زبيد وأعمالها تهامة، فكان الصليحي أقسم لا يوليها[1] إلا من وزن له مائة ألف دينار، ثم ندم على يمينه «٤» وأراد أن يوليها صهره، أسعد بن شهاب، صنو أسماء بنت شهاب، زوجة علي بن محمد الصليحي [فوزنت له زوجته أسماء عن أخيها أسعد بن شهاب فولاه][2] فقال لها زوجها [يا][2] مولاتنا أنى لك هذا؟ [فقالت][2] ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3]، فتبسم وعرف أنه من خزائنه، فقبضه وقال: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾[4] فقالت له: ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾»[5].

ودخل أسعد بن شهاب زبيد سنة ستة وخمسين وأربع مئة، وأحسن السيرة مع الرعايا، وفسح للسنة في إظهار أديانهم[6] وسكن دار شحار وهي بنية لا تكاد همة الخراب أن ترتقي إليها. ولا يقدر سلطان الفساد أن يتسلط عليها، وهي مما بناه شحار بن جعفر مولى بني زياد، صاحب مخلاف جعفر. قال أسعد بن شهاب: فاستلقيت يوماً على ظهري أفكر في أمري وأقول: إن الصليحي مبجل وقد ولاني زبيد، وهو يرى مكان السلطان

---

(١) في الأصل: لا ولاها.

(٢) زيادة من وفيات.

(٣) سورة آل عمران؛ آية: ٣٧.

(٤) سورة يوسف؛ آية: ٦٥.

(٥) نفسه.

(٦) قرة ورقة: ٢٢ قال: «وأذن لأهل السنة بإظهار مذهبهم»؛ وفي اللطائف ورقة: ١٧: «وعامل أرباب الدولة النجاحية بالحسنى».

أسعد بن عراف[1] وعامر بن سليمان الزواحي[2]. وفلان وفلان من الملوك، (ومولاتنا)[3] تغمرني بإحسانها، وإن ما ثلتني بأنسابها، فوجدت في نفسي غضاضة من الدخول تحت منة مولاتنا أسماء بنت شهاب، وكرهت أن أمد يدي إلى ظلم أحد من الرعايا والعمال. ثم غفوت فإذا بتراب ينتثر عليَّ من السقف، وهو مقرنس بالذهب، فصعدت إلى سطوحه وكشفت السطح والسقف، فوجدت صناديق من المال، وفيها من الصامت والذخائر، ما يزيد على ثلاث مئة ألف دينار، فقدمت ثلث تلك الجملة، فتصدقت به، وصيرت ثلثها إلى مولاتنا، وتخلصت من منتها. وتأثلت أموالاً وأملاكاً بالثلث الثالث، وعاهدت الله تعالى ألا أظلم أحداً من خلقه، فأقمت والياً خمس عشرة سنة[4] لم يتعلق بذمتي منها إلا مالاً أعلم به.

قال أسعد بن شهاب، وكان مولانا علي بن محمد الصليحي قد ولى معي ثلاثة رجال، كانوا أعواناً لي على [ما][5] أردت من الكفاف والعفاف عن أموال الناس، فمنهم أحمد بن سالم، كان إليه أمر العمالة، من وادي حرض إلى قريب من عدن، فكان إليه أمر العمالة من الجهات، وكان يحمل عن قلبي شغب العمال، واستخراج الأموال، ولا أحصر من أحواله، إلا على حساب معمول، أو مال محمول. ومنهم القاضي أبو محمد الحسين بن أبي عقامة[6]. وهو من ولد محمد بن هارون التغلبي، الذي قلده المأمون بن الرشيد، الحكم باليمن مع ابن زياد، فكان قائماً عني بأحوال[7]

---

(١) في الأصل: عراق.

(٢) في الأصل: الرواحي.

(٣) زيادة لاستقامة المعنى (كاي).

(٤) معنى ذلك أنه ظل والياً عليها حتى سنة ٤٧١هـ. وهذا خلاف الواقع لأن أسعد بن شهاب توفي في نفس السنة، في شهر شعبان سنة ٤٥٦، وتولى بعده الأمير الأعز محمد بن السلطان علي الصليحي (عيون: ٧/٧٦).

(٥) زيادة اقتضاها السياق.

(٦) قلادة: ٢/٢ ورقة: ٦٣٥؛ حاشية: ٥٧ (كاي).

(٧) في الأصل: بأموال.

الشريعة، قياماً يجهد عبثه[1]، ويؤمن عيبه. ومنهم أبو الحسن علي بن محمد القم[2] وهو والد الحسين بن علي بن محمد القم[3] الشاعر. وكان هذا من أعيان الرجال كرماً ورياسة، وكفاية في الكفاية، وكان مجيد الشعر، وهو القائل في أخيه، وقد عنفه في شدة ميله إلى ولده الحسين، من مقطوع:

تراه بعين لا يزال يرى بها   بنيه وما كل الرجال رجال

قال أسعد بن شهاب، فجعله الداعي علي بن محمد الصليحي معي وزيراً، وكاتب إنشاء وأمرني هو ومولاتنا أسماء، ألا أقطع برأي دون رأيه، وكنت أرسله في كل سنة وافداً عني إلى صنعاء، صحبة العامل أحمد بن سالم عامل تهامة. وأتحمل[4] من تهامة في كل سنة من العين خاصة ألف ألف دينار، فلا يرجع إلي صاحباي في كل سنة إلا بصلة من مولانا ومولاتنا مبغلها خمسون ألف دينار، فأقسمها بيني وبين أصحابي.

ومن أخبار السلطان[5] علي بن محمد الصليحي، أنه في سنة خمسين[6] وأربع مئة بلغه أن ابن طرف، قد اجتمع إليه من ملوك الحبشة وأخلاط السودان، فسار إليهم الصليحي في ألفي فارس. فالتقوا بالزرائب[7] من أعمال ابن طرف، وهو الوطن الذي ولدت فيه[8]، وبها أهلي إلى اليوم، فاستحرا القتال أول يوم بالعرب، ثم كانت الدوائر على السودان، فلم يبق منهم إلا ألف، احتازهم جدي، أحمد بن محمد، في حصنه

---

(١) في الأصل: عيبه.
(٢) سلوكه / دار: ١ / ورقة: ٨٨.
(٣) خريدة: ٢ / ورقة: ٢٥٤.
(٤) في الأصل: تجمل.
(٥) في الأصل: الأمير.
(٦) في الأصل: ستين والتصحيح من عيون: ١٤/٧.
(٧) عيون: ١٤/٧؛ الصليحيون: ٨٣؛ التعليق على حاشية: ٣٠ (كاي).
(٨) أي الذي ولد فيه عمارة اليمني مؤلف الكتاب.

بعكوة. والعكوتان[1] جبلان منيعان لا يطمع أحد في حصارهما، وفيهما يقول راجز[2] الحاج إذا نفروا يخاطب عينه[3]:

إذا رأيـــت جـــبـــلـــي[4] عـــكـــاد
وعـــكـــوتـــيـــن مـــن مـــكـــان بـــاد[5]
فـــابـــشـــري يـــا عـــيـــن بـــالـــرقـــاد

وجبلا عكاد فوق مدينة الزرائب، وأهلها باقون على اللغة العربية، من الجاهلية إلى اليوم، لم تتغير لغتهم، بحكم أنهم لم يختلطوا قط بأحد من أهل الحاضرة في مناكحتهم ولا مساكنهم، وهم أول قرار لا يظعنون، ولا يخرجون منه [٣٠].

ولقد أذكر أني دخلت زبيد في سنة ثلاثين وخمسِ مئة، أطلب الفقه دون العشرين، فكان الفقهاء في جميع المدارس، يتعجبون من كوني لا ألحن في شيء من الكلام، فأقسم الفقيه نصرالله بن سالم الحضرمي بالله تعالى: لقد قرأ هذا الصبي في النحو قراءة كثيرة. فلما طالت المدة والخلطة بيني وبينه، صرت إذا لقيته يقول: مرحباً بمن حنثت في يميني لأجله. ولما زارني والدي وسبعة من إخواني إلى زبيد، أحضرت الفقهاء فتحدثوا معهم، فلا والله ما لحن أحد منهم إلا لحنة واحدة نقموها عليه.

ونعود إلى ذكر الداعي علي بن محمد الصليحي، وأدركت العظام والأظفار في موضع الموقعة[6] تنسفها الرياح. إذا اشتدت. ثم عاد الصليحي

---

(١) انظر حاشية: ٣٠ (كاي) والتعليق عليها.
(٢) في الأصل: زاجر.
(٣) في ياقوت: وقال الراجز الحاج يخاطب إذا نفر عينه.
(٤) في الأصل: جبلا.
(٥) في الأصل: بادي.
(٦) أي موقعة الزرائب.

إلى صنعاء حرسها الله بعد دخوله إلى زبيد، فأقام بها اثنتي عشرة سنة[1] لا يريم[2] عنها.

ومن أخبار مقتل الداعي علي بن محمد الصليحي، وهو يوم السبت اليوم الثاني عشر من ذي القعدة سنة (ثلاث وسبعين) وأربع مئة[3]، وقيل في سنة تسع وخمسين وأربعمائة، وهي رواية صحيحة [31]، ثم ولى السلطان[4] الداعي المظفر في الدين، وليّ أمير المؤمنين، علي بن محمد، أعمال الحصون والجبال لقوم يثق بهم، وأخذ الملوك الأكابر في صحبته، وأخذ معه زوجته الحرة أسماء بنت شهاب أم الملك المكرم، وعزم على التوجه إلى مكة حرسها الله تعالى، وولى ابنه المكرم: صنعاء واستخلفه[5]. وتوجه في ألفي فارس، ومن آل الصليحي مائة وستون، حتى إذا كان بالمهجم، ونزل في ظاهرها بضيعة يقال لها أم الدهيم، وبئر أم معبد، وخيمت عساكره والملوك التي معه من حوله، مثل معن و (علي)[6] بن معن، وابن الكرندي، وابن التبعي، ووائل بن عيسى الوحاظي، ونظراءهم من الملوك الذين أخذهم الصليحي خوفاً منهم أن يثوروا بعده على البلاد. ولم يشعر الناس وهم مرتبون في أحوالهم متفرقون في أنديتهم، وانكشف الخبر عن قطع رأس السلطان[7] علي وأخيه عبدالله بن محمد الصليحي، وأحيط بالناس فلم ينج منهم أحد، وانتقل (الأمر) إلى سعيد بن نجاح الأحوال، ورماهم بالحراب، وأبقى على وائل بن عيسى الوحاظي، وعلي بن معن، وابن الكرندي، وقتل من بقي، وسبى أسماء بنت شهاب أم

---

(1) كانت موقعة الزرائب سنة ٤٥٠ (عيون: ١٤/٧). ولما كان الصليحي قد قتل سنة ٤٥٩ كما ذكر (عيون: ٨٨/٧؛ كفاية: ٤٩؛ أنباء / دار ٤١؛ السجلات رقم ٤٠)، فإن خبر إقامته ١٢ سنة في زبيد بعد موقعة الزرائب خبر غير صحيح. (حاشية: ٣٠).

(2) في الأصل: لا يبرح عنها.

(3) راجع حاشية: ٣١ (كاي) والتعليق عليها.

(4) في الأصل: الأمير.

(5) خريدة: ٢ / ورقة: ٢٧٩.

(6) الزيادة من سلوك / دار.

(7) في الأصل: الأمير.

الملك المكرم، فأقبل من المهجم عائداً إلى زبيد، والرأسان ينقلان أمام هودجها، إلى أن ركزهما قبالة الطاقة التي أسكنها بزبيد فيها. وأقامت أسماء بنت شهاب عند سعيد بن نجاح سنة كاملة في أسره. «٦١».

* * *

أخبار مسير الملك المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين أحمد بن علي بن محمد الصليحي من صنعاء إلى زبيد لأخذ أمه أسماء بنت شهاب من أسر سعيد الأحوال

قالوا: لما أعيت الحيلة في إيصال كتاب من أسماء إلى المكرم، أو منه إليها، احتالت أسماء وكتبت كتاباً، وجعلته في رغيف، واحتالت في إيصاله إلى سائل ضعيف، فأوصله إلى المكرم في شوال سنة ستين[1] وأربع مئة، وهي[2] تقول فيه: إني صرت حبلى من العبد الأحول [٣٢] فإن أدركتني قبل أن أضع، وإلا فهو العار الذي لا يزول[3]. فلما وقف المكرم على الكتاب جمع الناس وأوقفهم عليه، فضجوا بالبكاء وثارت الحفائظ وسار المكرم من صنعاء في ثلاثة آلاف فارس بعدما حالفهم وخطبهم[4]، وحرضهم، واستنصرهم. وكان فصيحاً خطيباً شجاعاً مشهوراً بالثبات والإقدام، ولم يكن في زمانه من يتعاطى رمحه وسيفه وقوسه وشدة قوته، وعظيم خلقته. ولم يزل في كل منزل يخطب الناس ويقول لهم: (من كان

---

(١) في الأصل: سنة خمس وسبعين والتصحيح من عيون: ٩٧/٧.

(٢) في الأصل: وهو.

(٣) في كفاية: ٥٠ قال: تلطفت إلى رجل مشرقي فرمت إليه برغيف وفيه كتاب لطيف إلى ابنها المكرم.

(٤) في الأصل: وخطبهم لنفسه.

يرغب في الحياة فلا يكن معنا). إلى أن صفا له من الخلفاء ألف وست مئة فارس[١] وعاد عنه ألف وأربع مئة، «٧».

وحدثني الشيخ الفقيه المقرىء سليمان بن ياسين قال: حدثني الشيخ محمد بن علية قال: كنت في مسجد التربية يوم الجمعة عند طلوع الفجر، وقد دخل أهل البوادي إلى زبيد، وتحصنوا بها من خوف العرب، وكنت قد بلغت في الختمة إلى سورة ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾، ولم يكن لي شغل في ليلتي تلك إلا التلاوة إلى حيث بلغت من الختمة. والمسجد محمول في قفرة من الأرض فإذا أنا بفارس يهولني، وأنا لا أتحققه لغطاط الأرض وبقايا الغبش، فركز رمحه، وأسنده إلى الجناح الغربي الذي أنا فيه. ثم نزل فصعد إلى شخص، ما رأيت من ولد آدم أتم منه خلقة، ولا أحسن منظراً، وروائحه روائح الملوك.

ثم قام إلى جانبي فصلى، ولم يلبث الصباح أن تجلى، وإذا رمحه إمبوبة من اليراع الكولمي[٢]، ولا تلتقي عليه الكفان[٣]، والفرس مثل البعير، ثم قال لي: اختم حزبك، فختمت، وهو مصغ إلى التلاوة، وأمرني أن أدعو عند الختم، ففعلت، وهو يؤمن على الدعاء، وإذا الخيل قد أقبلت عند طلوع الشمس أرسالاً وحزقاً[٤]، من هجول[٥] ذلك الخبت[٦]، وكل رعيل[٧] منهم يسلم عليه ويقف، وكانت[٨] تحيتهم له:

---

(١) في الجندي: ثلاث آلاف؛ في عيون: ٩٩/٧ (عشرة آلاف بين راجل وفارس)؛ راجع حاشية: «٧» تعليق جديد.

(٢) الكولمي نسبة إلى بلدة كلم والمعروفة الآن باسم كيلون على ساحل مليبار (ابن خرداذبة ٦٢ (كاي)).

(٣) في الأصل: لا تلتقي عليه من الكفان.

(٤) في الأصل وحرفا؛ الحزق هو الجماعة من الناس.

(٥) الهجل: المطمئن من الأرض والجمع أهجال وهجال وهجول.

(٦) الخبت: ما اطمأن واتسع من الأرض والجمع أخبات وخبوت..

(٧) رعيل: اسم كل قطعة متقدمة من خيل أو رجال أو طير والجمع رعال.

(٨) في الأصل: وكان.

أنعم الله صباحك[1] مولانا، وأدام عزه. ولا يزيدهم على الرد أكثر من قوله: مرحباً يا وجوه العرب. إلى أن تكاملوا، وصعد إليه في المسجد أقوام لا أعرف منهم إلا أسعد بن شهاب[2] بحكم ولايته علينا أهل زبيد.

فقلت لأسعد[2]: من هؤلاء؟ فقال: أما هذا فالمكرم الملك السعيد أحمد بن علي الصليحي، وأما هذا فالكرم اليامي[3]، وأما هذا فعامر الزواحي، أكرم عربي تمشي به الخيل، ثم عرضوا على رابع أن يطلع إليهم فلم يفعل، وهو عم أسعد بن شهاب، وعم السيدة أسماء بنت شهاب، وليس دون الأربعة في شرف ولا حسب.

ثم قام المكرم فخطبهم بحيث يسمع، وحفظت من كلامه قوله: «أيها المؤمنون إن عزائمكم لو تجسمت حديداً[4] لكان قد أرهفته[5]، ولست اليوم أزيدكم غير ما سمعتموه مني بالأمس، وفيما قبله، وفيما قلته كفاية، وقد كنت أعرض عليكم الرجوع وفي المسافة إمكان، فأما اليوم فقد صار الخيار إلى عدوكم، لأنكم توغلتم عليه خلسة[6] وإنما هو الموت أو العار بفرار لا يجدي»[7]، ثم أنشد قول أبو الطيب المتنبي:

وأورد نفسي والمهند في يدي موارد لا يصدرن من لا يجادل

وكان الحبشة يومئذ قد صفت في عشرين ألف رجل، وكانت ميمنة العرب لأسعد بن شهاب[8] (والميسرة)[9] لعمه، وقال لهما المكرم: لستما

---

(١) يمكن أن تكون صباح مولانا.

(٢) لعله مالك بن شهاب لأن أسعد سبق أن ذكرنا أنه توفي سنة ٤٥٦ (نزهة: ١٤١/١).

(٣) عباس بن الكرم (كاي).

(٤) في الأصل: جديداً.

(٥) شحذته.

(٦) في الأصل: خيسة.

(٧) في الأصل: لا يجدو.

(٨) راجع: نزهة: ١٤١/١.

(٩) الزيادة من خ.

كأحد من هذا الجيش لأنكما موتوران، ومولاتنا أخت أحدكما، وابنة (أخي)[1] الآخر. وسار المكرم في القلب وانطوى العسكر (فاصطدم الجيش)[2]، والتقى القوم، فقاتلت الحبشة التي كانت في القلب، وانطوى جناحها[3]، فانكسرت الأحبش[4]، وقتلوا قتلاً ذريعاً، وهرب سعيد بن نجاح الأحول، ومن معه إلى دهلك[5] وجزائرها، ولم يزل القتل في الناس إلى صلاة الظهر[6] على باب المدينة.

ثم كان أول فارس وقف تحت الرأسين المصلوبين، وتحت طاقة[7] أسماء بنت شهاب، ولدها المكرم أحمد بن علي الصليحي، فقال لها المكرم وليست تعرفه: أدام الله عزك يا مولاتنا. فقالت: مرحباً بأوجه[8] العرب، فسلم عليها صاحباه مثل سلامه. ثم سألت: من هو؟ فقال لها: أنا أحمد بن علي بن محمد: قالت: إن أحمد بن علي في العرب كثير، فاحسر لي وجهك حتى أعرفك، فحسر الحديد[9] عن وجهه[10] فقالت:

مرحباً بمولانا المكرم. وفي تلك الحالة أصابه الهواء فارتعش واختجلت بشرة وجهه، وعاش عدة سنين. وهو ينتفض وتتحرك بشرة وجهه. ثم قالت له: من صاحباك[11]، فسماهما لها. فوهبت لأحدهما

---

(١) الزيادة من خ.
(٢) الزيادة من خ ومن خطط.
(٣) في خ. فانطوى عليهم الجناحان.
(٤) في الأصل: الأجوش.
(٥) تاريخ ثغر عدن: ٨/٢.
(٦) ظهر يوم الاثنين ٢٩ صفر سنة ٤٦٠هـ.
(٧) طاق، في أنباء / الرداد ٤١.
(٨) في الأصل: يا وجه.
(٩) في سلوكه: فحسر عن لثامه؛ وفي خ: فرفع المغفر، وفي أنباء / دار ٤١: فنزع المغفر.
(١٠) في الأصل: وجه.
(١١) في الأصل: صاحبيك.

ارتفاع عدن في تلك السنة، وكان مائة ألف دينار، ووهبت للآخر حصني كوكبان وحوشان ومخلافيهما، وليسا دون ارتفاع عدن.

ثم دخل الجيش أرسالاً، وهي في الطاق لا تستر وجهها، وتلك عادتها في أيام زوجها. لسمو قدرها عما يحتجب عنه النساء، ثم تقدم المكرم فأمر بإنزال الرأسين[١] وبنى عليهما مشهداً، وأنا أدركت مشهد الرأسين. ويقال: إن أسماء بنت شهاب قالت للمكرم حين سفر عن وجهه[٢]: من كان مجيئه كمجيئك، فما أبطأ ولا أخطأ. ولم يكن قولها في كتابها: أنا حاملة من العبد صحيح[٣]، وإنما أرادت أن تثير حفيظته.

ونادى منادي المكرم يومئذ برفع السيف بعد الفتح، وقال للجيش: اعلموا أن عرب هذه الناحية يستولدون الجوار السود، فالجلدة السوداء تعم العبد والحر، ولكن إذا سمعتم من يسمي العظم عزماً، فهو حبشي فاقتلوه، ومن سماه عظماً فهو عربي فاتركوه، ثم تولى خاله مالك[٤] بن شهاب أعمال تهامة على جاري عادته، وارتحل إلى صنعاء بأسماء بنت شهاب قرير العين بالظفر «٨». وأدركت أهل زبيد، إذا شتم السوقي صاحبه قيل له: أتشتم[٥] الرجل؟ فيقول الشاتم: الرجل والله (هو)[٦] الذي أخذ أمه من زبيد، وقتل من الحبشة عشرين ألفاً دون أمه، لعمري إن هذا هو الرجل حقاً [٣٣]، ثم أن المكرم أعطى خاله مالك[٧] بن شهاب ولاية زبيد وما معها. . .[٨] لابن شهاب في هذه الكرة، (و) أحمد بن سالم العامل ووافده ارتفاع تهامة، ففرقت أسماء على وفود العرب معظمه، فنتف أحمد بن سالم

---

(١) خريدة: ٢/٢٧٠.

(٢) في الأصل: وجه.

(٣) في الأصل: صحة.

(٤) في الأصل: أسعد والأصح مالك (نزهة: ١/١٠١).

(٥) في الأصل: كشتم.

(٦) زيادة لاستقامة المعنى.

(٧) في الأصل: أسعد والأصح مالك (نزهة: ١/١٠١).

(٨) بياض في الأصل.

لحيته وقال: دخلت النار في هذا المال، ثم صار إلى ما صار إليه. فقالت أسماء بنت شهاب: إذا المال لم تصرفه في مستحقه، فما هو إلا حسرةً ووبالاً[1]، ثم كتبت إلى أخيها مالك[2] بن شهاب تأمره أن يحتسب لأحمد بن سالم بعشرين ألفاً من ارتفاع السنة الحاضرة صلة له وبراً به، ولم تلبث أسماء بنت شهاب أن ماتت بصنعاء سنة سبع وستين[3] وأربعمائة.

وفي هذه السنة أمر المكرم بضرب الدينار الملكي[4]، وإليه ينسب وهو دينار اليمن، والمكتوب عليه: الملك السيد المكرم، عظيم العرب، سلطان أمير المؤمنين. وإلى اليوم[5] الدينار على هذه السكة، إلى أن ولي الداعي عمران بن محمد بن سبأ الزريعي[6] [فسك دينار آخر كتب عليه][7]: «أوحد ملوك الزمن، ملك العرب واليمن، عمران بن محمد» [٣٤].

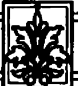
ثم[8] عاد بنو نجاح فأخرجوا مالك[9] بن شهاب من زبيد وملكوها سنة واحد وستين[10]، ثم أخرجهم المكرم بن علي منها، وقتل سعيد بن نجاح الأحول، تحت حصن الشعر[11]، بحيلة من السلطان أبي عبدالله التبعي، يأتي شرحها في أخبار الحرة، الملكة السيدة بنت أحمد. وكان [مقتل][12] سعيد الأحول في سنة إحدى وستين[13] وأربع مئة.

---

(١) في الأصل: ووبال.
(٢) في الأصل: أسعد والأصح ما أثبتناه. (نزهة: ١/١٤١).
(٣) في الأصل: سبع وتسعين والتصحيح من عيون: ٧/١٢١.
(٤) راجع حاشية: ٣٤ (كاي) والتعليق عليها.
(٥) أي زمن عمارة اليمن.
(٦) حكم بين: (٥٣٤ ـ ٥٤٨هـ.).
(٧) في الأصل: وأمثاله والزيادة من الصليحيين: ١٤٠.
(٨) وفيها: في الجندي؛ والخطط.
(٩) في الأصل: أحمد.
(١٠) في الأصل: تسع وسبعين والتصحيح من: عيون: ٧/١١٣؛ نزهة ١/٥٣ ـ ٥٤.
(١١) في الأصل: الشعير.
(١٢) زيادة من كاي؛ حاشية: ٣٥ هامش ٤.
(١٣) في الأصل وثمانين والتصحيح من: عيون: ٧/١١٣.

وفي هذه السنة خرج جياش[1] بن نجاح، والوزير خلف بن أبي الطاهر الأموي إلى عدن متنكرين، وسافرا إلى الهند، وأقاما بها ستة أشهر، وعادا إلى زبيد. فملكاها في بقايا تلك السنة. وفي هذه الكرة ولى أسعد بن عراف زبيد، وجعلوا معه علي بن القم، والد[2] الحسين بن علي بن القم الشاعر، وزيراً، وكاتباً على جاري عادة جرت[3] مع مالك[4] بن شهاب. وقوم يزعمون أن علياً والد الحسين بن علي بن القم، ولي زبيد [مع][5] مالك[6] بن شهاب، قبل ولاية أسعد بن عراف[٣٥].

❋ ❋ ❋



أخبار الحرة الملكة السيدة بنت أحمد

اسمها سيدة بنت أحمد بن [محمد][7] بن جعفر بن موسى الصليحي[8]، وأمها الرداح[9]، بنت الفارع بن موسى. ثم مات عنها أحمد أبو الحرة السيدة، فخلف عليها عامر بن عبدالله الزواحي[10]، فولدت له سليمان بن عامر بن عبدالله الزواحي[11] وهو أخو الحرة الملكة لأمها، وولي الدعوة الفاطمية[12] بأمرها، ثم قتله الأمير المفضل بن أبي البركات بن الوليد بالسم رحمة الله عليه.

---

(١) خريدة: ٢ / ورقة: ٢٧٩؛ قلادة: ٢/٢ ورقة: ٦٤١، حاشية: ٧٥ (كاي).
(٢) في الأصل: ولد.
(٣) في الأصل: جدة.
(٤) في الأصل: أسعد.
(٥) الزيادة من (كاي).
(٦) في الأصل: أسعد.
(٧) الزيادة من الجندي؛ خطط.
(٨) راجع لوحة الصليحيين تابع الحاشية: ١٠٨ (كاي).
(٩) راجع اللوحة السابقة.
(١٠) في الأصل: الرواحي.
(١١) في الأصل: الرواحي.
(١٢) في الأصل: الهاشمية.

وكان مولدها سنة أربعين وأربع مئة[1]، وتولت أسماء بنت شهاب تأديبها وتهذيبها. ويقال إنها قالت يوماً لأسماء: رأيت البارحة كأن بيدي مكنسة، وأنا أكنس قصر مولانا. فقالت لها أسماء: كأني بك والله يا حميراء، وقد كنست آل الصليحي وملكت أمرهم. وأما صفتها فكانت بيضاء حمراء، مديدة القامة معتدلة البدن. إلى السمن أقرب، كاملة المحاسن، جهورية[2] الصوت، قارئة، كاتبة، تحفظ الأخبار والأشعار والتواريخ[3]. وما أحسن مما كانت تلحقه بين سطور الكتاب عنها من اللفظ والمعنى[4]. وبنى[5] بها المكرم أحمد بن علي في أيام أبيه علي بن محمد الصليحي، عام ثمان وخمسين[6] وأربع مئة، فولدت له أربعة أولاد: محمداً وعلياً وفاطمة وأم همدان. فأما محمد وعلي فماتا طفلين بصنعاء[7]، وأما أم همدان فتزوجها السلطان أحمد بن سليمان الزواحي[8]، وهو ابن خالها، فرزقت منه عبد المستعلي[9]. وأما فاطمة بنت الحرة الملكة من المكرم بن علي، فتزوجها شمس المعالي علي بن الداعي سبأ بن أحمد، وماتت أم همدان سنة ست عشرة وخمس مئة، وأما فاطمة فماتت بعد أمها بعامين، وذلك في سنة أربع وثلاثين وخمس مئة.

وسمعت غير واحد من شيوخ ذي جبلة يقول: إن الصليحي كان يخصها من الإكرام في حال صغرها[10]، بما لا يماثلها فيه أحد، ويقول

---

(١) عيون: ٢٢١/٧.
(٢) في الأصل: جوهرية.
(٣) في كفاية: ٥١٧: «وأيام العرب».
(٤) j. R.C.A.S.1931,P.510.
(٥) معناها: وتزوج بها.
(٦) في الأصل: إحدى وستين والتصحيح من عيون: ٢٢١/٧؛ الصليحيون: ١٤٧.
(٧) سأذكرهما فيما بعد (انظر حاشية: ٣٧ هامش (٢) (كاي).
(٨) اسمه: أحمد بن سليمان بن عامر بن سليمان بن عبدالله الزواحي (الصليحيون: ١٤٧).
(٩) وتوفيت سنة ٥١٦هـ.
(١٠) في الأصل: صغره.

لأسماء: أكرميها فهي والله كافلة ذرارينا، وحافظة هذا الأمر على من بقي منا. قالوا: وسمع غير ذلك منه في غير موطن».

وأما سبب انتقال المكرم بن علي من صنعاء إلى مدينة ذي جبلة، فإن المكرم حين ماتت والدته، الحرة أسماء بنت شهاب، فوض الأمر إلى زوجته هذه، الملكة السيدة بنت أحمد، واستروح إلى السماع والشراب. واستبدت الملكة السيدة بنت أحمد بالأمر. ويقال إنها استعفته في نفسها. وقالت له: إن امرأة تراد للفراش لا تصلح لتدبير، فدعني وما أنا بصدده[1]، فلم يفعل.

ثم إنها ارتحلت من صنعاء في جيش جرار، وتركته في صنعاء، وارتادت ذي جبلة. وجبلة كان رجلاً يهودياً يبيع الفخار في الموضع الذي بنيت فيه دار العز الأول، وبه سميت المدينة [٣٦]. وأول من أختط ذي جبلة، عبدالله بن محمد الصليحي المقتول بيد الأحوال مع أخيه السلطان[2] علي بن محمد الصليحي، الداعي، يوم المهجم[3]، وكان أخوه قد ولاه حصن التعكر. وهذا الحصن مطل على ذي جبلة، وهي في سفحه، وهي مدينة بين نهرين جاريين في الصيف والشتاء، واختطها عبدالله بن محمد سنة ثمان وخمسين وأربع مئة، ثم حشرت الرعايا في مخلاف جعفر تحت ركابها، (و)[4] لما عادت إلى صنعاء، قالت[5] إلى المكرم، أرسل يا مولانا إلى[6] أهل صنعاء فليحتشدوا في غد، ليحضروا إلى هذا الميدان، فلما حضروا قالت له: أشرف عليهم (و)[7] انظر ماذا ترى. فلم يقع طرفه إلا على برق السيوف، ولمع البيض والأسنة.

---

(١) قرة/ ورقة: ٢٤: «إن المرأة التي تراد للفراش لا تصلح لتدبير أمر فدفعني وما أنا بصدده».

(٢) في الأصل: الأمير.

(٣) كان ذلك سنة ٤٥٩هـ.

(٤) زيادة اقتضاها السياق.

(٥) في الأصل: وقالت.

(٦) في الأصل: على.

(٧) زيادة اقتضاها السياق.

ثم لما توجهت إلى ذي جبلة قالت له: أحشد أهل ذي جبلة ومن حولها. فلما اجتمعوا صبيحة اليوم الثاني، قالت: أشرف يا مولانا، انظر هؤلاء القوم، فلم يقع بصره إلا على رجل يجر كبشاً، أو يحمل ظرفاً مملوءاً بالسمن أو العسل. فقالت له: العيش بين هؤلاء أصلح، فانتقل الملك[١] المكرم إلى ذي جبلة، فاختط بها دار العز الثانية في ذي بور. وكان حائطاً فيه بستان وأشجار كثيرة، وهو مطل على النهرين، وعلى الدار الأولى. وأمرت الملكة السيدة ببناء الدار الأولى مسجداً جامعاً، وهو المسجد الجامع الثاني. وبه قبر الملكة السيدة رحمها الله تعالى، إلى الآن. وكان بناء الدار، دار العز الثانية الكبيرة سنة إحدى وثمانين وأربع مئة[٢].

ثم استخلف المكرم على صنعاء، عمران بن الفضل اليامي وأبا السعود بن أسعد بن شهاب[٣]. وفي هذه السنة دبرت الحرة الملكة قتل سعيد بن نجاح الأحوال. وذلك أنها أمرت الحسين التبعي صاحب الشعر[٤] أن يكاتب سعيد الأحوال إلى زبيد، ويقول له: إن المكرم قد أصابه الفالج، وعكف على الملذات ولم يبق أمره إلا بيد امرأته، وأنت اليوم أقوى ملوك اليمن، فإن رأيت أن تطبق على ذي جبلة، أنت من تهامة، ونحن من الجبل، فتستريح منه، وترجع إليكم البلاد بأسرها، فافعل، فدولتكم أحب إلى المسلمين من هؤلاء الخوارج[٥].

قال: فلما وقف سعيد بن نجاح على كتاب حسين بن التبعي، حسن موقع ذلك عنده، واستخفه[٦] الفرح بذلك، فخرج من زبيد، يريد ذي جبلة في ثلاثين ألف حربة، وكان مسيره في يوم قد وعده التبعي فيه، وقد كانت

---

(١) في الأصل: الأمير.

(٢) يرجح أن هذا حدث سنة ٤٧١، لأن المكرم توفي سنة ٤٧٧ (١٢٢/٧)؛ وكان قد مرض قبل ذلك بقليل واستقر في التعكر حتى توفي في هذه السنة.

(٣) في الأصل: أسعد بن شهاب وهذا خطأ والأصح ما أثبتناه (عيون: ٧٧/٧).

(٤) في الأصل: الشعير.

(٥) لم يكن الصليحيون من الخوارج ولكنهم من الفاطميين.

(٦) في الأصل: استحفه.

الحرة الملكة كتبت إلى أبي الفتوح بن أسعد[1] بن شهاب، وعمران بن الفضل في[2] صنعاء، أن يخلفا[3] سعيداً على تهامة في ثلاثة آلاف فارس، ثم يتبعان أثره منزلاً بمنزل، ففعلا[4].

ولما نزل سعيد بن نجاح تحت حصن الشعر، أطبق الجيشان عليه فقتل هو ومن معه، وقيل نجا منهم ألفان، ونصب رأسه تحت الطاقة التي تسكنها الحرة بدار العز. وكانت أم المعارك، زوجة سعيد بن نجاح معه، وهي التي عرفت رأس مولاها في القتلى. فصلب بالقرب من طاقتها. وكانت الحرة الملكة تقول عند صلب رأس سعيد بن نجاح: ليت لك عيناً يا مولاتنا[5] حتى تنظري رأس الأحول تحت طاقة أم المعارك[6].

وفي سنة سبع وسبعين[7] وأربع مئة، مات المكرم (أحمد) بن علي، وأسند الوصية بالدعوة إلى الأمير الأجل الأوحد المنصور المظفر عمدة الخلافة أمير الأمراء، أبي حمير سبأ بن أحمد المظفر بن علي الصليحي [٣٧].





أخبار الداعي سبأ بن أحمد بن المظفر بن علي الصليحي

أما صفته فكان دهيم[8] الخلق (قصير)[9] لا يكاد يظهر من السرج

(١) في الأصل: في كتب إلى الملك أسعد بن شهاب.
(٢) في الأصل: إلى.
(٣) في الأصل: يخلفوا.
(٤) في الأصل: ففعلوا.
(٥) تقصد: أسماء بنت شهاب زوجة علي الصليحي.
(٦) العرشي: ٢٥ ـ ٢٦.
(٧) في الأصل: أربع وثمانين والتصحيح من عيون: ١٢٢/٧.
(٨) الدهيم الأحمق.
(٩) الزيادة من خ.

بطائل، أما هو فكان جواداً كريماً، شاعراً أديباً فاضلاً، عالماً بالمذهب[1] الطاهر، خبيراً بأقوال الحكماء، منشأ بالشعر، يثيب[2] بالمدح، ويثيب على المدح.

ومن ذلك قول علي بن الحسين القمي فيه[3]:

ولما مدحت الهزبري[4] ابن أحمد أجاز، وكافاني[5] على المدح بالمدح
فعوضني[6] شعراً بشعري[7]، وزادني
عطاءً[8] فهذا رأس مالي، وذا ربحي
شققت إليه الناس حتى لقيته[9] فكنت كمن شق الظلام إلى[10] الصبح
فقبح دهر ليس فيه ابن أحمد ونزه دهر كان فيه [٣٨] من القبح

وأما مقر عزه فحصن يقال له أشيح[11]، وكان أشيح حصناً عالياً يماثل مسار والتعكر (في العز والمنعة)[12]. وحدثني المقري سليمان بن ياسين، وهو من أصحاب أبي حنيفة، قال: بت في حصن أشيح ليالي (كثيرة)[13]، وأنا عند الفجر أرى الشمس تطلع من المشرق، وليس فيها[14]

---

(١) يقصد بذلك مذهب الدولة الفاطمية.
(٢) في خ: يمدح مادحه.
(٣) النكت: ٥٦٨/٢.
(٤) في النكت: الهبرزي.
(٥) في خ: جازاني.
(٦) في الأصل: فعوظني.
(٧) في الأصل: بشراً والتصحيح من سلوك / دار.
(٨) في الأصل: نوالاً والتصحيح من خ.
(٩) في الأصل: رأيته والتصحيح من خ.
(١٠) في الأصل: عن الصبح والتصحيح من خ ومن سلوك؛ وفي قلاده إلى الضحى.
(١١) أنباء / دار ٤٣.
(١٢) زيادة من خ.
(١٣) زيادة من ياقوت.
(١٤) في ياقوت: لها.

من النور شيء، وإذا نظرت إلى تهامة، رأيت عليها من الليل بقايا[١] وطحا[٢]، يمنع الماشي أن يعرف صاحبه من قريب. وكنت أظن ذلك من السحاب أو البخار، وإذا هو عقابيل[٣] الليل، فأقسمت ألا أصلي الصبح إلا على مذهب الشافعي لأن أصحاب أبي حنيفة يؤخرون الصبح[٤] إلى أن تكاد الشمس أن تطلع على وهاد تهامة، وما ذلك إلا لأن[٥] المشرق مكشوف لأشيح من الجبال وذروته عالية[٦].

وكانت حصون بني المظفر مطلة على تهامة، مصاقبة لأعمال زبيد، وهي أقرب إلى تهامة من جميع الجبال. ومن حصونهم: مقرو[٧] ووصاب[٨] وقوارير[٩]، والظرف، والشرف[١٠]. ومن الشرف هذا ثار ابن مهدي[١١] وذو الرسة[١٢]. وظفار[١٣]، وريمة[١٤] ومخاليفها.

وبحكم مصاقبة أعمال سبأ لتهامة، كان يساقي جياش سجال الحرب، وذلك أن العرب كانوا إذا برد النسيم، جمعوا ونزلوا إلى تهامة، فلا يلبث جياش إلا أن يتنزح من البلاد، ولكن غير بعيد، ويقيم سبأ يجبي خراجها،

---

(١) في ياقوت: ضباباً.
(٢) الطحا: المنبسط من الأرض والمعنى لا يستقيم بها، ولعلها الطحية وهي القطعة من السحاب.
(٣) في الأصل: عقائل والتصحيح من ياقوت. العقابيل هي الشدائد، وبقايا العلة أو العداوة ومفردها عقبول وعقبولة.
(٤) ياقوت: صلاة الصبح.
(٥) في الأصل: أن والتصحيح من ياقوت.
(٦) في ياقوت: لعلو ذروته.
(٧) صفة: ٦٨، ١٠٤.
(٨) صفة: ١٠٣.
(٩) ياقوت: ١٧٩/٧.
(١٠) صفة: ٦٩، ٧٢، ١٠٧.
(١١) سبق ذكره.
(١٢) نشوان: شمس العلوم ٤١.
(١٣) على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب.
(١٤) صفة: ٦٨، ٧١، ١٠٣.

ولا يؤذي أحداً من الرعايا بظلم، ولا غيره. فكان يحتسب للعمال بما قبض منهم جياش في أشهر الصيف والخريف. فإذا خرج الشتاء والربيع، ارتحلت العرب عن تهامة إلى الجبال وملكها جياش. فتارة يكون رحيل العرب عنها بالقتال، وتارة (بغير قتال)[1]. وإذا عاد جياش إلى زبيد نشرت المصاحف، وابتهل له الرعايا بالدعاء، وحفلت[2] الفقهاء، وتطاول العلماء: واحتسب جياش أيضاً للعمال، وجباة الأموال بما قبضه منهم سبأ في شهور الشتاء والربيع.

ولما طال ذلك من أمرهما، أشار الوزير خلف بن أبي الطاهر على[3] جياش بأن يعتقله[4]، ويقبض على أمواله وأملاكه، ويقيم محمد بن الغفاري وزيراً له، ففعل ذلك. ثم أن خلفاً نقب الحبس، وهرب إلى سبأ، فحسن موضعه منه. فلم يزل يحسن لسبأ النزول إلى تهامة، وضمن له من الحيل[5] والمكائد، ما يقطع به دابر[6] جياش. . .، [7] لسبأ ما لا يقوم به مقام النصف، وأن يشترط على سبأ إبعاد الوزير خلف من عنده، فلما فعل جياش ما أشار به الوزير، واستحكمت أطماع العرب في البلاد واطمأنوا، ثم أن القائد ريحان الكهلاني، مولى سعيد بن نجاح، بيت العرب ليلاً، وهم مرتبون على باب زبيد، في عشرة آلاف. وكانوا ثلاثة آلاف فارس، وعشرة آلاف راجل فلم ينجح منهم إلا صبابة يسيرة، وهلك الجميع قتلاً بالحراب، وهرب سبأ في تلك الليلة، راجلاً في أغمار الناس، حتى لقيه في آخر الليل من حمله، فلم تعد العرب إلى تهامة[8] بعدها [٣٩].

---

(١) في الأصل: بالوباء وأثبتنا رواية خ.
(٢) في الأصل: حلفت، في خ: ظهرت.
(٣) في الأصل: ابن جياش.
(٤) أي يعتقل خلف (حاشية: ٣٩) (كاي).
(٥) في الأصل: الحيرة.
(٦) في الأصل: دابرة.
(٧) يظهر أنه توجد هنا عبارة، لم تكتب في الأصل.
(٨) تعرف هذه بموقعة الكظائم: عيون: ١٣٣/٧؛ نزهة ٦١/١، [التعليق على الحاشية: ٣٩].

ومن أخبار سبأ بن أحمد الداعي ما حدثني به الفقيه أبو عبدالله الحسين بن علي البجلي، عن أبيه، وكان يسكن بذي جبلة، وهو من خواص الداعي سبأ بن أحمد قال: لما مات المكرم بن علي، عن الحرة الملكة السيدة بنت أحمد، خطبها الداعي سبأ بن أحمد، فكرهت ذلك. فجمع العساكر، وسار من أشيح، يريد حربها بذي جبلة، فجمعت هي أيضاً جنوداً أعظم من جنوده، وتصاف العسكران، وشب الحرب بينهما أياماً. ثم قال له أخوها لأمها، سليمان بن عامر الزواحي[1] والله لا أجابتك إلى ما تريد، إلا بأمر الإمام المستنصر بالله، أمير المؤمنين. فترك سبأ بن أحمد، الداعي الأوحد المنصور قتالها، ورجع إلى أشيح، وسير إلى الإمام المستنصر بالله. رسولين هما: القاضي (أبو عبدالله)[2] حسين بن إسماعيل الأصبهاني، وأبو عبدالله الطيب. فكتب الإمام المستنصر بالله إليها في أثناء المكاتبات ثلاثة سطور يأمرها فيها بنكاح الداعي سبأ بن أحمد (وسير إليها)[3] أستاذاً له يعرف بحامل الدواة[4]، وينعت بيمين الدولة[5]، برسم الدخول على الحرة الملكة. قال البجلي: وكنت فيمن بعثه الداعي سبأ بن أحمد من حصن أشيح إلى ذي جبلة، صحبة الرسولين والأستاذ، الواصلين من القاهرة المعزية. فحين دخلنا على الحرة الملكة السيدة بنت أحمد، وهي بدار العز من ذي جبلة، تكلم الأستاذ وهو واقف بين وزرائها، وكتابها، وأهل دولتها قيام لقيامه فقال: أمير المؤمنين يرد (السلام)[6] على الحرة الملكة، السيدة الرضية الزكية وحيدة الزمن. سيدة ملوك (اليمن)[7]. عمدة الإسلام ذخيرة الدين. عصمة المسترشدين. كهف المستجيبين. ولية

---

(١) ذلك لأن الرداح أم السيدة كانت قد تزوجت من الداعي عامر بن سليمان الزواحي فأنجبت سليمان هذا، فهو أخو الملكة لأمها.

(٢) الزيادة من خ.

(٣) خطط: ١/٤٤٩.

(٤) في الأصل: حامل المدية والتصحيح من أنباء / دار: ٤٣؛ عيون: ١٤٣/٧.

(٥) في الأصل: يمن الدعوة والتصحيح من نفس المصدرين السابقين.

(٦) زيادة من (كاي).

(٧) في الأصل: الزمن، والتصحيح من أنباء / دار: ٤٣.

أمير المؤمنين. وكافلة أوليائه الميامين [٤٠]. ويقول لها: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[١] وقد زوجك مولانا أمير المؤمنين من الداعي الأوحد، المنصور، المظفر، عمدة الخلافة أمير الأمراء. أبي حمير سبأ بن أحمد بن المظفر (بن)[٢] علي الصليحي. على ما حضر من المال. وهو مائة ألف دينار عيناً. وخمسون ألفاً أصنافاً. من تحف، وألطاف وطيب، وكساوي، فقالت: أما كتاب مولانا فأقول فيه: ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾[٣]. ولا أقول في أمر مولانا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾[٤]. وأما أنت يا ابن الأصبهاني، فوالله ما جئت إلى مولانا ﴿مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[٥]، ولقد حرفتم القول عن موضعه. وسولت لكم أنفسكم أمراً ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[٦] [٤١].

ثم تقدم زريع بن أبي الفتح وزيرها، والأصبهاني ونظراؤهما، فلم يزالوا يلاطفونها[٧]. حتى أجابتهم[٨]. فعقدوا النكاح. ولم يلبث سبأ بن أحمد أن سار في أمم عظيمة إلى ذي جبلة، فأقام بها شهراً، والضيافات الواسعة (تخرج)[٩] إلى[١٠] مخيمه، وأنفق على عساكره من ماله مثل (ما)[١١] قدمه إليها من المهر.

---

(١) سورة الأحزاب؛ آية: ٣٦، وجاء في الأصل: ضلالاً بعيداً.

(٢) الزيادة من خ.

(٣) سورة النمل؛ آية: ٣٠.

(٤) سورة النمل: ٣٢.

(٥) سورة النمل: ٢٢.

(٦) سورة يوسف: ١٨.

(٧) في الأصل: يلاطفون بها.

(٨) قرة: ورقة: ٢٥.

(٩) زيادة اقتضاها السياق.

(١٠) في الأصل: علي.

(١١) زيادة اقتضاها السياق.

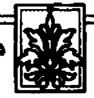
ورأى[1] الداعي سبأ بن أحمد من علو همتها[2]، وشرف أفعالها (ما حقر نفسه معها)[3]، وإن أحداً من الناس لا يعدل بها أحداً، وكل أحد يقول: مولاتنا، مولاتنا. وأرسل الداعي سبأ بن أحمد إلى الحرة الملكة في السر، يسألها أن تأذن له بالدخول إليها، إلى دار العز. ليتوهم الناس أنه دخل بها، ففعلت ذلك، وزعم قوم من أهل ذي جبلة أنه اجتمع بها ليلة واحدة، ثم ارتحل في صبيحتها، وقوم يقولون: إنها بعثت إليه جاريتها فلانة، وكانت شبيهة بها. ونمى ذلك إلى الداعي سبأ بن أحمد فباتت الجارية واقفة على رأسه، وهو جالس لا يرفع طرفه إليها، حتى إذا طلع الفجر، صلى. وأمر بضرب الطبول، وقال للجارية: أعلمي مولاتنا أنها نطفة شريفة لا توضع إلاّ في مستحقها. ثم سار فلم يجتمعا [٤٢] بعد. ويقال: إن الداعي سبأ بن أحمد، ما وطىء أمة قط، ولا شرب مسكراً، وكانت زوجته الجمانة بنت سويد بن يزيد[4] الصليحي، تقول: «أنا لا أغير على مولانا سبأ، لأنه لا يطأ أمة قط». والعربيات تقول: ما أنسلت حواء مثل الجمانة، غير أسماء بنت شهاب.

ودخل في هذه المدة شجاع الدولة، وأغنوه، ودفع له شمس المعالي ألوفاً من المال، وكان كريماً، وهو زوج فاطمة بنت المكرم، من الحرة الملكة، ثم تزوج عليها، فكتبت إلى أمها، تستنجدها، فأمدتها بالمفضل[5] بن أبي البركات في عساكر. ولبست فاطمة زي الرجال. وفصلت[6] من حصن زوجها في عسكر المفضل، فسيرها إلى أمها الملكة، وأدام الحصار على شمس المعالي، حتى أخرجه من مملكته بأمان على نفسه. فوصل إلى الأفضل مستنجداً، فلم يلتفت الأفضل إليه، ولم يكرمه

---

(١) في الأصل: وأني، والتصحيح من خ.
(٢) في الأصل: من على، التصحيح من (كاي). والأفضل أن نقول من عالي.
(٣) في الأصل: وخفي ذكره عنه، والتصحيح من عيون.
(٤) في خ: زيد.
(٥) في الأصل: بالفضل.
(٦) يعني خرجت.

[٤٣]، وحمل إليه الأمير شجاع الدولة، الذي كان قد أغناه في اليمن، ثلاثين[1] أردباً من الشعير، ولم يطعمه لقمة خبز، ولا أحسن معه عشرة. وعاد علي بن سبأ، وشمس المعالي إلى اليمن، فملك حصون أبيه، ودس عليه الأمير المفضل من قتله بالسم سنة خمس وتسعين وأربع مئة «١٠».



هذه أخبار الملك المفضل بن أبي البركات بن الوليد الحميري، صاحب التعكر:

لما اختط المكرم بن علي دار العز بذي جبلة، وانتقل عن صنعاء إلى مخلاف جعفر، قال عبدالله بن يعلى:

هب النسيم فبت كالحيران	شوقاً إلى الأهلين والجيران
ما مصر ما بغداد ما طبرية	كمدينة حفها نهران
خدد لها شام وحب مشرق	والتعكر السامي الرفيع يمان

وكان التعكر يومئذ في يد السلطان أسعد بن عبدالله بن محمد الصليحي، ابن عم الملك المكرم، الذي قتل مع الداعي علي بن محمد، أخيه في المهجم فساءت سيرة[2] هذا، أسعد بن عبدالله بن محمد، ابن عم الملك المكرم، فنقله عن مجاورته، وعن التعكر وعوضه حصون ريمة وأعماله (وجعل أبا البركات بن الوليد واليافي التعكر وأعمالها)[3] وولى[4] أخاه أبا الفتوح[5] بن الوليد حصن تعز [٤٤]. والمفضل يتوصف للملك المكرم بذي جبلة، وهو من صغار الدار، الذين يدخلون على الحرة الملكة، في رسائل الملك المكرم والحوائج بينهما.

---

(١) في الأصل: ثلاثون.

(٢) في الأصل: عشرة.

(٣) الزيادة من خ.

(٤) في الأصل: وولاه.

(٥) في الأصل: الفتح.

لما مات أبو البركات والد الأمير المفضل، بعد الملك المكرم، جعلت الحرة ولاية التعكر، إلى المفضل بن أبي البركات، بعد أبيه، وكان التعكر مقر ذخائر بني الصليحي التي صارت إليهم من ملوك اليمن، والحرة تطلع من ذي جبلة في أيام الصيف، فتقيم به. وإذا برد الوقت سكنت بذي جبلة. والمفضل يتصرف عن أوامرها، ويدخل عليها مع خواص وزرائها. والأمراء والأكابر من عبيدها، وهو رجل الدولة ومدبرها، والمرجوع إلى رأيه وسيفه، والحرة لا تقطع أمراً إلا به، فعظم بذلك شأنه، وعلت كلمته، وغزا تهامة مراراً (فتارة) له و(تارة)[1] عليه، وهبط عدن مراراً، ولم يبق باليمن من يساميه[2]، ثم قال للحرة يوماً. وهو في التعكر: انظري يا مولاتنا إلى ما كان في هذا الحصن من ذخائرك، فانزلي به إلى دار العز، أو فاعزليه في بعض هذه القصور. وأما هذا الجحر - يعني التعكر - فاتركيه لي، فلا طاعة لك عليّ فيه بعد اليوم. فقالت له[3]: لو لم تقل هذا القول ما أحوجتك إليه[4]، الحصن حصنك، وأنت رجل البيت، ولا حرج عليك مني، فيما عاد لسمو قدرك، وعلو أمرك. فخجل منها وأطرق، ونزلت الحرة الملكة إلى ذي جبلة، ولم تغير من الأحوال شيئاً، فكان ينزل إليها ثم يترضاها في طلوع الحصن كعادتها، فلا تفعل.

وهي مع[5] ذلك تواصل بره بما يحسن عنده موقعه، من الجواري المغاني، والكساوي، والطيب، والعبيد، والأستاذين وغير ذلك. ومن لامها فيه، وحذرها منه لم تسمع كلامه. وله في نصرتها والذب عن أعمال دولتها مواطن حميدة، منها: أنه حارب الداعي سبأ بن أحمد، حين خطب الحرة فلم تفعل، فسار إلى سبأ في جيوش عديدة، وحارب علي بن سبأ صاحب

---

(١) الزيادة من خ.
(٢) يماثله ويجاريه.
(٣) في الأصل: قالت.
(٤) في الأصل: ما أخرجتك، في خ: أحوجتك.
(٥) في الأصل: في والتصحيح من خ.

قيضان[١] [٤٥]. وأخرجه منه، وحارب عمرو بن عرفطة[٢] الجنبي[٣]، وغيره من سنحان، وعنس، وزبيد، واسترجع لها نصف عدن من آل الزريع بمائة ألف دينار كل سنة.

وحدثني الشيخ أبو الطاهر القابوني قال: أذكر يوماً وأنا عند المفضل بن أبي البركات، وقد أتاه ارتفاع نصف عدن، خمسين ألف دينار، فسيرها من وقته إلى الحرة الملكة، إلى ذي جبلة، ولم يتعلق منها بشيء، فعاتبته على ذلك، فقال: ليس ينفعني إلا ما حصل [لي][٤] عندها. فلما وصل المال إليها أعادته إليه، وقالت: أبقيه عندك، فأنت أحوج إليه منا. قال أبو الطاهر: ففرق المفضل على الحاضرين عشرة أكياس، فنالني منها كيس، فيه ألف دينار.

وكان المفضل يحتجب حتى لا يرجى لقاؤه، ثم يظهر فيغني من اجتمع ببابه من الوفود، ويصل إليه الضعيف والقوي، فينظر في أحوال الأعمال والعمال، ويجيب عن كل كتاب وصل إلى الباب. ثم يغيب فلا يظهر، ولا يوصل إليه، وهذه عادته منذ عظم أمره.

ولما أخرج المنصور (بن فاتك)[٥] بن جياش، بعمه، عبدالواحد بن جياش، هاجر هو وعبيده إلى الملك المفضل، والتزموا على النصرة ربع البلاد، فسار المفضل معهم، فأخرج عبدالواحد وملكهم[٦]، ثم هم أن يغدر بهم، ويملك زبيد عليهم، فحين خلا التعكر من المفضل وطالت إقامته بتهامة[٧]، وفي التعكر نائب يقال له الحمل، وكان هذا الحمل متقمصاً[٨]،

---

(١) في خ: قبطان، في ياقوت ١٩٧/٦: قبظان.
(٢) عيون: ١٨٤/٧.
(٣) في الأصل: الجبني، والتصحيح من عيون: ١٨٤/٧.
(٤) زيادة من (كاي).
(٥) زيادة من (كاي)، انظر أيضاً لوحة النجاحيين في التعليق على الحاشية [١٣٠].
(٦) ثغر عدن: ٨٦/٢.
(٧) وكان ذلك في سنة ٥٠٣هـ.
(٨) قمص: لبس القميص، ويقال تقمص الولاية، وتقمص لباس العز، ولعل المراد على سبيل الاستعارة، تقمص لباس التقى.

متمسكاً بالدين فصعد إليه إلى التعكر، سبعة من إخوانه الفقهاء، منهم محمد بن قيس[1] الوحاظي، ومنهم عبدالله بن يحيى، ومنهم إبراهيم بن محمد بن زيدان، وله كانت البيعة، وهو عمي[2]، أخو والدي لأبيه وأمه [٤٦]، وأخذوا الحصن من الحمل[3].

وكانت الرعايا من السنة قد قالوا للفقهاء: إذا حصلتم في رأس الحصن فأوقدوا النار، ففعلوا ذلك ليلاً، فأصبح عندهم على باب الحصن عشرون ألفاً، واستولت الفقهاء على ملك لم يعهد. ووصل الخبر إلى الأمير المفضل بتهامة فسار لا يلوي على أحد، حتى وصل إلى التعكر (فطلع عزان التعكر، وصار محاصراً للتعكر)[4]، وحصر الفقهاء، فقامت خولان[5] في نصرة الفقهاء، وأقام الحصار عليهم، ثم رأوا أن خولان خاذليهم، فقال لهم إبراهيم بن زيدان: لن أموت حتى أقتل المفضل، ثم أهلاً بالموت. فعمد إلى حظاياه من السراري فأخرجهن، في أكمل زي وأحسنه، وجعل بأيديهن الطارات، وأطلعهن على سقوف القصور. بحيث يشاهدهن[6].

وكان المفضل أكثر الناس غيرة وأنفة، فقيل: إنه مات في تلك الليلة، وقال آخرون: امتص خاتماً كان في يده، معداً عنده، فأصبح ميتاً، والخاتم في فيه، فكان موته في رمضان سنة أربع وخمس مئة[7].

ولما مات المفضل طلعت الحرة الملكة من ذي جبلة، وخيمت بالربادي[8] على باب التعكر، وكاتبت الفقهاء ولاطفتهم، إلى أن كتبت لهم

---

(١) في الأصل: قبس.

(٢) أي عم عمارة اليمني.

(٣) انظر حاشية: ٤٦ (كاي).

(٤) زيادة من سلوك؛ خ.

(٥) عيون: ١٧٩/٧؛ ياقوت: ٤٩٩/٢؛ صفة: ٨، ٧٤. والمراد بها هنا طائفة من خولان العليا (الصليحيون: ١٦٥ ـ هامش ٢).

(٦) في الأصل: يشاهن.

(٧) والأفضل أن تقول: إنه مات كمداً لشدة غيرته وأنفته (الصليحيون: ١٦٥).

(٨) في الأصل: الريادي. والربادي اسم (للمنطقة التي منها التعكر) الصليحيون: ١٦٥ هامش ٦.

بخطها، بما اقترحوه من أمان وأموال، واشترط عليها أن ترحل هي وجميع الحشود، ويصل إليهم من يرضونه والياً، ويقيمون مع الوالي، إلى أن تصل غنائمهم مأمنهم، فوفت لهم بذلك. وولت التعكر مولاها فتح بن مفتاح. وحدثني السلطان ناصر بن منصور قال: حدثني عمك إبراهيم بن زيدان، بعد نزوله من التعكر أن نصيبه من العين كان خمسة وعشرين ألفاً[1]. وكانت خولان قد دخلت منها إلى مخلاف جعفر، قبل موت الملك المفضل، ستة آلاف برمي الشعر[2]، وأكثرها بنو بحر، وبنو ضنة، ومران، ورواح، ورازح، وشعب حي، وبنو جماعة [٤٧]، ففرقهم المفضل في الحصون، واستحلفهم للملكة.

فلما مات المفضل وثب من مران، رجل يقال له مسلم بن الزر[3]، على حصن خدد[4]، فأخرج منه السلطان عبدالله بن يعلى الصليحي، الشاعر الأديب، الفاضل الكامل، وملكه. وكان عبدالله بن يعلى هذا كثير الأموال، فانتقلت أمواله إلى مسلم[5] بن الزر. فقويت شوكته، واتصل بالحرة الملكة، وبحواشيها، ورجا أن تقيمه الحرة عوضاً عن المفضل من أبي [٤٨] البركات[6]، وبعث إليها بولديه: عمران وسليمان، فحسن موقعهما من قبله، وأمرت بهما فعلما الخط على كبر. فلما كان بعد ذلك زوجت سليمان وعمران بعض ربائبها عندها، وصارا يختلفان إلى أبيهما بخدد، وخولان مستظهرة، ولهم صولة وكلمة.

فلما مات مسلم ملك ولده سليمان حصن خدد، وبقي عمران عندها، ثم أن عمران حسنت حاله عندها. وكان فتح بن مفتاح بعد موت مسلم بن الزر خالف على الملكة مولاته بحصن التعكر، واستبد به دونها، فتلطف

---

(١) المقصود هو ٢٥ ألف دينار.

(٢) لم نتبين وجه الصواب في معنى (برمي الشعر) وترجمها (كاي): نسمة.

(٣) صفة ٥٧: يقول إنه من قبيلة خولان.

(٤) حصن من حصون مخلاف جعفر، وهو في الجيش شمال التعكر (صفة ٧٨).

(٥) في الأصل: المسلم.

(٦) حاشية: ٤٨ (كاي) والتعليق عليها.

عمران حتى خطب إلى القائد فتح بن مفتاح ابنته، بعد خلافه وعصيانه عليها بالتعكر. فلما كانت ليلة الدخول بها، دبر سليمان وعمران على فتح حتى غدرا به، وملك عليه التعكر، فأجاره عمران، واشترط عليهما فتح أشياء، وفيا له بها، منها[1]: أنهما وهبا له حصناً يقال له شار، فنقل إليه من الذخائر ما يعز عليه. فلما حصل التعكر بيد عمران واصل الحرة الملكة ببذل الطاعة والخدمة، فلم تلتفت إليه. وامتدت أيدي خولان على الرعايا وغيرهم، وعاثوا وأفسدوا، وكانت الليلة التي ملكوا فيها حصن التعكر، ليلة الأحد، الثاني عشر من ربيع الأول سنة خمس وخمس مئة.

ولم تزل هذه حالة خولان مع الحرة، إذا رأتهم قد طغوا، أرسلت إلى عمرو بن عرفطة الجنبي، سطراً أو سطرين بخطها، فيقبض على بلاد ابني الزر (بجيشه)[2] من العساكر، الفارس والراجل، فلا يخلصهما منه إلا الضراعة إليها والسؤال لها في صرف العرب عنهما.

ولقد حكى لي السلطان يزيد بن عيسى الوائلي، قال: أذكر وقد أرسلني عمران بن الزر إلى الحرة الملكة، وهو مصاف للعرب، يستنجد بالحرة، فبعثت إليه بعشرة آلاف دينار معونة، فرد[3] بها إليها وقال[4]: هي تعرف ما ينفعني. قال يزيد بن عيسى: فكتبت لي بخطها إلى عمرو بن عرفطة الجنبي برقعة فيها: إذا وقفت على أمرنا هذا، فارتحل عن بلاد ابني[5] الزر مشكوراً.

فلما وقف عمرو بن عرفطة عليها، نادى في الناس بشعار الرحيل. وهو قوله: يا راشد ين مروح [٤٩]. فلم يمض ساعة وبقي منهم[6]

(١) في الأصل: منهما.
(٢) زيادة لاستقامة المعنى.
(٣) في الأصل: فردت.
(٤) في الأصل: وقال هل.
(٥) في الأصل: بني.
(٦) أي وما بقي منهم أحد.

أحدهم. فقال عمران لأخيه[1]: هذا وربك العز والطاعة.

ولما كان في سنة ثلاث عشرة وخمس مئة، قدم إلى اليمن ابن نجيب الدولة. وهذه أخبار الموفق ابن نجيب الدولة، منها: أنه كان في ابتداء أمره على خزانة الكتب الأفضلية، وكان عزيز[2] الحفظ، مستبصراً في المذهب الطاهر، قائماً بتلاوة القرآن العزيز، وكان يقرأ على روايات[3]. فأما اسمه، فهو علي بن إبراهيم بن نجيب الدولة، وأما نعوته: فهو الأمير المنتخب عز الخلافة الفاطمية، فخر الدولة، الموفق في الدين داعي أمير المؤمنين[4]، سار بمن معه من[5] الحجرية [٥٠] عشرون فارساً مختارة منتقاة.

وحين وصل ابن نجيب الدولة إلى جزيرة دهلك، لقيه الكاظم، الواصل من عدن، محمد بن أبي عرب، الداعي، من ولد صاعد بن حميد الدين، فكشف لابن نجيب الدولة، أسرار اليمن، وأحوال الناس كلهم، وأسماءهم وحلاهم وكناهم وتواريخ مواليدهم، وما تحت ثياب أكثرهم من شامة أو اثلول، أو جراح أو أثر نار. فكان ابن نجيب الدولة إذا سألهم عن غوامض هذه الأشياء. اعتقدوا أنه يعلم الغيب [٥١]، وأول ما عمل بذي جبلة، أن أخذ رجلاً من بني خولان من بني عمرو، ثم من بني عمران بن الزر. يقال له سليمان بن عبيد. وهو رجل نبيه عال الذكر، فضربه بالعصا حتى أخذت في ثيابه، ورجعت خولان عن[6] ذي جبلة، فهم سليمان بن أحمد الزواحي[7]، ابن أخي الحرة الملكة، وزوج أم همدان بنت المكرم. فأخذ الخولاني من ابن نجيب الدولة بغير اختياره، فخلع عليه وأرسله إلى

---

(١) في الأصل: أخيه.
(٢) في الأصل: عزير.
(٣) يقوم على تلاوة القرآن بعدة قراءات (ثغر عدن: ١٣٢/٢).
(٤) عيون: ١٨٠/٧.
(٥) حاشية: ٥٠ (كاي) والتعليق عليها.
(٦) في الأصل: إلى؛ وفي خ: وطرد خولان عن ذي جبلة.
(٧) في الأصل: الرواحي.

قومه. فانكفت أكف خولان عن ذلك البسط. ثم أن ابن نجيب الدولة غزا أهل وادي ميتم [٥٢] وزبيد. وعز أهل السلة، فأمنت البلاد، ورخصت الأسعار، وانكف الذعر وقبض يده عن أعمال الناس، وعدل فيهم، وأقام الحدود، وعز به جانب الحرة الملكة. وانقمع أهل اليمن عن الطمع في أطراف بلادها، واستخدم من بني حماس وسنجان: ثلاث مئة فارس، وقدم[١] عليهم الطوق الهمداني[٢].

ولما مات الأفضل[٣] سنة خمس عشرة وخمس مئة، قواه المأمون[٤] وشد أزره. وكتب إليه بالتفويض وبسط يده ولسانه، وسير إليه المأمون أربع مئة قوس أرمني[٥]، وسبع مئة أسود[٦] وسكن الجند[٧] وهي وطيئة للحافر، متوسطة في الأعمال. فضاق[٨] الأمر على سلاطين الوقت وهم: سليمان وعمران ابني[٩] الزر، ومنصور بن المفضل بن أبي البركات، وسبأ بن أبي السعود، ومفضل بن زريع.

وفي سنة ثمان عشرة[١٠]، غزا[١١] زبيد (فقاتل أهلها على باب القرتب)[١٢]. والوزير يومئذ من الله الفاتكي، وكان[١٣] عشرة رماة من

---

(١) في الأصل: قوم؛ التصحيح من عيون: ١٨٣/٧.
(٢) نزهة: ٦٧/١؛ وفي قلادة: ٦٦٦/٢/٢: اشتد بهم جانبه.
(٣) أخبار مصر: ٧٠/٢؛ التعليق على حاشية: ٤٣ (كاي).
(٤) يقصد بذلك المأمون البطائحي وزير الآمر الفاطمي من سنة ٥١٥ إلى سنة ٥١٩ (اتعاظ: ٣٨٣ ملحق ١٣).
(٥) أي أربع مئة من الأرمن حاملي الأقواس.
(٦) عيون: ١٨٢/٧.
(٧) في خ: وأمرته السيدة أن يسكن الجند.
(٨) في الأصل: فضاق به الأمر.
(٩) في الأصل: ابنا.
(١٠) أي ثمان عشرة وخمس مئة.
(١١) في الأصل: دخل، والتصحيح من خ.
(١٢) الزيادة من خ.
(١٣) في الأصل: كانت.

أصحاب ابن نجيب الدولة قد استأمنوا إلى أصحاب زبيد، ولما تزاحف الناس في الحرب، رمى رجل من العشرة المستأمنة بسهم، فلم يخطىء أنف الفرس الذي عليه ابن نجيب الدولة، فسقط علي بن إبراهيم إلى الأرض حتى شت به الفرس، فانهزم عسكره، فقتل السودان بأسرهم، ولم ينج من الأرمن سوى خمسين، وكانوا أربع مئة قوس.

وأما الداعي، فقاتلت عليه همدان أشد قتال حتى أردفه منهم رجل يقال له السباعي[1]، وجاهدت عنه من همدان خمسة عشرة فارساً، أحدهم الطوق، وعار[2] فرس ابن نجيب الدولة من الوقعة، صلاة الظهر يوم الجمعة، فأصبح يوم السبت في مدينة الجند، وبينها وبين زبيد أربعة أيام، أو ثلاثة للمجد، ولم يمس الخبر إلا بذي جبلة. بأن ابن نجيب الدولة قتل بزبيد ثم وصل الداعي إلى[3] الجند. بعد أربعة أيام، وركب إلى ذي جبلة، واجتمع بالحرة. فارتاش[4]، وعادت حاله. فغزا بلاد سليمان بن أبي الزر، أربعة أشهر ثم تهادنا، وعاد إلى الجند. ثم غزا آل الزريع إلى الجوة[5]، فالتقى معه المفضل[6] ابن زريع بحمى بني سلمة[7]. فطعن ابن نجيب الدولة، وكان جعد الفراسة[8]، فسقط إلى الأرض، فطعنه عبد لمسعود بن زريع[9]، يقال له مسافر، وحمل الطوق الهمداني على مسافر فقتله، ووقف عند ابن نجيب الدولة حتى ركب. وعاد ابن نجيب الدولة إلى الجند، وكان جوشنه[10] قد سقط، ووقع على الأرض في هذه المعركة. فقال مفضل بن

(١) في الأصل: الساعي.
(٢) عار الفرس أي انقلب وذهب ههنا وههنا (صحاح / عار).
(٣) في الأصل: من.
(٤) راشه المرض يروشه يعني أضعفه.
(٥) ياقوت: ١٧٩/٣.
(٦) في الأصل: مع ابن المفضل.
(٧) في الأصل: بالحملة بني سلمة.
(٨) أي لم يكن فارساً.
(٩) يلي ذلك: يقال له زريع.
(١٠) درعه.

زريع في ابن نجيب الدولة لما سقط جوشنه:

مضى هارباً ناسياً جوشنه ... مخافة يام بأن تطعنه
وليس من الموت ينجي الفرار ... كذاك ترى الأنفس الموقنة[٥٣]

وفي سنة تسع عشرة [وخمس مئة][١] ساءت سيرته[٢] على الملكة الحرة وقال: قد خرفت، واستحق عندي أن يحجر عليها. فعند ذلك وصل إليها السلاطين الستة: [٣]سليمان وعمران ابنا الزر، وسبأ بن أبي السعود، وأبو الغارات، وأسعد بن أبي الفتوح، والمنصور بن المفضل. واستأذنوها في حصار ابن نجيب الدولة في الجند، فأذنت لهم. وكانت الجند مسورة، ومعه فيها من همدان أربع مئة فارس منتقاة.

فجاءته السلاطين في ثلاثة آلاف فارس، وثلاثة آلاف راجل[٤]، وأحاطوا به. وكانت مع ابن نجيب الدولة في الجند فرسان، كل فارس منهم[٥] يعد بمئة فارس، منهم: الطوق بن عبدالله، ومحمد بن أحمد بن عمران بن الفضل بن علي اليامي، وعبدالله بن عبدالله[٦]، الذي ولي الدعوة بعد ابن نجيب الدولة، وهو من بني الصليحي، ومنهم علي بن سليمان الزواحي[٧]، وأبو الغيث بن سامر، ومحمد بن الأعز. وعاش إلى أن ذبحه ابن مهدي غدراً، ومنهم الفريدين.

ولما اشتد الحصار على ابن نجيب الدولة، وهو في أشد التعب، كتبت الحرة الملكة على جاري العادة منها إلى عمرو بن عرفطة الجنبي، فأتاها[٨] فخيم في ذي جبلة، وبعثت إلى وجوه القبائل ففرقت فيهم عشرة

---

(١) زيادة لاستقامة المعنى.
(٢) في الأصل: عشرته؛ وفي خ: سيرته.
(٣) في الأصل: أربعة.
(٤) في خ: ٣٠ ألف.
(٥) في الأصل: منهما.
(٦) في نزهة: ١/٧٠ ـ علي بن عبدالله.
(٧) في الأصل: الرواحي.
(٨) في الأصل: فأتاهم.

آلاف [دينار][1] مصرية. وقالت للرسل أشيعوا في القبائل أن ابن نجيب الدولة، فرق في الناس عشرة آلاف [دينار][2] مصرية. فإن أنفق السلاطين[3] شيئاً من الذهب المصري، وإلا ارتحلنا. فلما خوطب السلاطين بذلك، وعدوا الناس. فلما كان من الليل ارتحل السلاطين، كل واحد منهم إلى بلده، وأصبحت الحشود من كل بلد بلا رأس، فانفض الناس عن الجند[4] فقيل لابن نجيب الدولة: هل أبصرت هذا التدبير للتي قلت إنها قد خرفت. فركب إلى ذي جبلة، وتنصل واعتذر[5]. وكانت الملكة حجة الإمام عليه السلام. وكان سبب هذا القبض [٥٤] على ابن نجيب الدولة، [على ما حدث][6] الفقيه أبو عبدالله الحسين بن علي البجلي[7]، أن المأمون في وزارته، سيَّر رسولاً إلى اليمن كان يحمل السيف، ويسمى الأمير الكذاب، فلما وصل اجتمع بابن نجيب الدولة في ذي جبلة في مجلس حافل، ولم يكن ابن نجيب الدولة أكرمه، ولا أضافه، ولا عني به، وقصد أن يغض منه، فقال له ابن نجيب الدولة: أنت والي الشرطة بالقاهرة. فقال: بل الذي يلطم[8] خيار من فيها عشرة آلاف نعل[9] فغضب[10] من ذلك ابن نجيب الدولة.

والتصق أعداء ابن نجيب الدولة إلى هذا الرسول، وأكثروا بره، وحمل الهدايا إليهم، وضمن لهم هلاك علي بن إبراهيم بفصلين:

أما أحدهما فقال: اكتبوا على يدي إلى مولانا الآمر كتباً تذكرون فيها

---

(١) زيادة من خ.
(٢) زيادة من خ.
(٣) في خ: فطلبت العساكر من سلاطينهم أن ينفقوا عليهم.
(٤) في خ: حدث هذا في المحرم سنة ٥٢٠هـ.
(٥) عيون: ١٨٣/٧ ـ ١٨٤.
(٦) الزيادة من (كاي).
(٧) في الأصل: الحلبي.
(٨) في الأصل: ألطم.
(٩) في الأصل: غير معجمة.
(١٠) في الأصل: غضى.

أنه دعاكم إلى نزار[1] وراودكم على ذلك فامتنعتم. والفصل الثاني: اضربوا سكة نزارية، وأنا أوصلها إلى مولانا الآمر بأحكام الله. ففعلوا ذلك ووافق وصوله من اليمن القبض على المأمون، فأوصل الكتب والسكة إلى مولانا، فقضى ذلك بتسيير الأمير الموفق ابن الخياط للقبض على ابن نجيب الدولة [٥٥]، وسار معه من الباب مئة فارس من الحجرية المفظعين.

وممن كان في صحبة ابن الخياط[2] هذا، عز الدين، وسار مع ابن الخياط ابنه سعد الملك. فلما وصل الخبر أن الرسول في دهلك، توجه ابن نجيب الدولة إلى زبيد، بعد امتناع، وكراهية لذلك. وكان يقول: داع لا ينافق، والموت أصلح من النفاق. ودخل أعداؤه إلى الحرة الملكة، وقالوا لها: احتفظي يا مولاتنا ابن نجيب الدولة، فإن الإمام لا يطلبه إلا منك، فتمارضت الملكة وأرسلت إليه الشريف أسعد بن عبدالصمد بن محمد الحوالي، وكان أصدق الناس إليه. فأدركه في الجند على ليلة. فقال له: هذه الحرة الملكة، حجة مولانا، مشرفة على الموت وليست تثق بأحد إلا بك، فارجع إليها فرجع، فاحتفظت به على كرامة، وقيدته، بقيد فضة، فيه خمسون أوقية.

ووصل الرسول من عدن يطلبه، فامتنعت الحرة الملكة عليه، وقالت له: «أنت حامل كتاب مولانا فخذ جوابه، وإلا فاقعد حتى أكتب إلى مولانا ويعود الجواب». فدخل السلطانان سليمان وعمران ابنا الزر وبذلا لعبدالله بن المهدي المعمري عشرة آلاف دينار، وحصنين بأعمالهما. وكانت الحرة الملكة إلى رأيه، فخوفها سوء السمعة بالنزارية، وأمر الرسول ومن معه أن يشيعوا بذلك. ولم يزل بها حتى استوثقت لابن نجيب الدولة من ابن الخياط بأربعين يميناً. وكتبت إلى مولانا الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين، وسيرت رسولاً، هو كاتبها محمد بن الأزدي[3] وكان أديباً منشئاً للديوان،

---

(١) حاشية ٢٥ (كاي) والتعليق عليها.

(٢) في الأصل: هذا ابن الخياط.

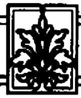
(٣) في الأصل: الأزرقي والتصحيح من خ.

بليغاً، مجيد الألفاظ، باهر الإحسان. ثم سيرت الحرة الملكة في الهدايا بدرة[١]، قيمة الجواهر التي فيها أربعون ألف دينار، وشفعت فيه فما هي إلا أن خرج من ذي جبلة بقفص خشب والناس ينظرون إليه فقال: «ما تنظرون؟ أسد في قفص».

ثم ساروا به إلى أن فارقوا ذي جبلة بليلة، حتى جعلوا في رجله طوبة[٢] من مئة رطل حديد وشتموه، وأهانوه؛ وبات في الدهليز عرياناً في الشتاء. وبادروا به من عدن (وسفروه إلى مصر)[٣] في جلبة[٤] سواكنية؛ وأخروا رسولها محمد بن الأزدي بعده[٥] بخمسة أيام[٦]؛ ثم سفروه؛ وتقدموا على ربان المركب أن يغرقه[٧]، فغرق بما فيه على باب المندب. ومات ابن الأزدي غريقاً. فجزعت الحرة على ذلك [٥٦] حيث لا ينفعها ذلك[٨]، ودخل[٩] عليها سليمان وعمران ابنا الزر شامتين بابن نجيب الدولة، وخرجا من عندها، وهما[١٠] يقولان: صدق الفقيه في قوله: قال عبدالله بن عباس: «كنا ندخل نسمع الحديث عن عائشة فلا نخرج حتى نعلم أنها امرأة»، فكان آخر دخولهما «١٠»، عليها[١١].

***

(١) في الأصل: بدنة.
(٢) في خ: لبنة.
(٣) زيادة من خ.
(٤) سفينة من سواكن.
(٥) في الأصل: بعدها.
(٦) في خ: بعده بخمسة عشرة يوماً.
(٧) في الأصل: يعطيه والتصحيح من خ.
(٨) ثغر عدن: ١٢٤/٢.
(٩) في الأصل: ودخلا.
(١٠) في الأصل: هم.
(١١) الصليحيون: ١٧٤ ـ ١٨٥.



أخبار الزريع بن العباس بن الكرم اليامي أمير[1] عدن

أما نسبتهم فمن همدان، ثم من جشم بن يام بن أصغى[2]. وكانت لجدهم العباس بن الكرم[3]، سابقة محمودة، وبلاء حسن في قيام الدعوة المستنصرية، مع الداعي علي بن محمد الصليحي، ثم مع ولده الداعي المكرم بن علي، عند نزوله إلى زبيد، وأخذ أمه الحرة بنت شهاب من [أسر][4] الأحول سعيد بن نجاح.

وكان السبب في ملكهم لعدن، أن الصليحي علي بن محمد، لما فتحها، و[كان][5] فيها بنو معن، في عدن [٥٧]، فسار إليهم المكرم ففتحها، وأزال بني[6] معن منها، وولاها العباس ومسعود، ابني الكرم. وجعل مستقر العباس (حصن)[7] التعكر[8] (على باب)[9] عدن، وهو يجاور الباب، و(جعل له)[10] ما حصل من البر. وجعل لمسعود حصن الخضراء، وهو الساحل (المستولي على البحر)[11]، والمراكب، ويحكم على [٥٨] المدينة[12]، استحلفهما، للحرة الملكة السيدة بنت أحمد، لأن الصليحي كان أصدقها عدن حين زوجها من ولده المكرم سنة ثمان وخمسين وأربع

---

(١) في الأصل: أهل.
(٢) في الأصل: أصبا.
(٣) في الأصل: الكزم؛ وفي خ: المكرم؛ وفي العبر: الكرم.
(٤) زيادة من خ.
(٥) زيادة من (كاي).
(٦) في الأصل: بنو.
(٧) زيادة من سلوك.
(٨) في الأصل: وجعل مستقر العباس تعكر عدن.
(٩) زيادة من سلوك.
(١٠) زيادة من سلوك.
(١١) زيادة من سلوك.
(١٢) راجع الجدول حاشية: ١١٣ (كاي).

مئة[1]، ولم يزل ارتفاع عدن (من وقت تولية العباس ومسعود)[2] يرفع إلى الملكة السيدة، وهو مئة ألف (دينار، وقد)[3] يزيد، و(قد)[4] ينقص، إلى (أن توفي العباس بن)[5] الكرم[6]. فلما مات المكرم[7]، وفى لها [زريع][8] بن العباس ومسعود، فلما قتلا على باب زبيد، انتقل أمر عدن إلى ولديهما: أبي السعود بن زريع وأبي الغارات بن مسعود فتغلبا على الحرة، [فبعثت][9] المفضل بن أبي البركات إلى، عدن، وجرت بينه وبينهما حروب، كان آخرها المصالحة على نصف ارتفاع عدن.

ولما مات المفضل بن أبي البركات، تغلب أهل عدن على النصف الثاني، فسار إليهم أسعد بن أبي الفتوح، عم الملك المظفر، وصالحهم على ربع الارتفاع للحرة. فلما ثار[10] بنو الزر في التعكر، تغلب أهل عدن على الربع الذي للملكة، ولم يبق لها شيء في عدن، لموت رجالها. ولم يقدر[11] ابن نجيب الدولة في ذلك على شيء. فهذه أحوال ملكهم لعدن[12].

أما أخبارهم فيما شجر بينهم، فإن المفضل بن أبي البركات نزل في

---

(١) في الأصل: سنة إحدى وستين وأربع مئة والتصحيح من «الصليحيون»: ١٤٧.
(٢) في الأصل: من سنة إحدى وستين، والتصحيح من (كاي).
(٣) زيادة من خ.
(٤) زيادة من خ.
(٥) زيادة من خ.
(٦) في الأصل: الكزم.
(٧) المكرم أحمد بن علي الصليحي.
(٨) هنا ارتباك في الأصل فقد ورد: وفى لها العباس بعد موت المكرم ومسعود ابني الكزم. فلما ماتا تغلب على عدن زريع بن العباس، وأبو الغارات بن مسعود، فسار المفضل. ولكني صححت النص بالرجوع إلى خ.
(٩) زيادة من خ.
(١٠) في الأصل: ثارت.
(١١) في الأصل: يقلد.
(١٢) حاشية: ٥٧ (كاي).

بعض غزواته إلى زبيد، وكان معه زريع بن العباس و(ابن)[1] عمه مسعود (بن مسمع)[2] بن الكرم[3] وهما يومئذ صاحبا عدن، فقتلا جميعاً على باب زبيد ثم (قام بـ)[4] الأمر بعدهما: أبو السعود بن زريع، وأبو الغارات بن مسعود. ثم ولي الأمر من بعدهما بعدن الداعي سبأ بن أبي السعود، ومحمد بن أبي الغارات، ثم ولد سبأ واسمه علي الأعز[5] المرتض، ثم علي بن أبي الغارات[6]، ثم الداعي محمد بن [٥٩]سبأ[7]، وعلي بن أبي الغارات آخر بني مسعود.. ثم ولي بعد الداعي محمد بن سبأ، ولده عمران، ثم توفي[8]. وصفت البلاد بعده لآل زريع إلى أن أخرجهم منها السلطان المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب[9]، في ذي القعدة (سنة ٥٦٩)[10]. وكانت بين محمد، وأبي السعود ابني عمران بن محمد بن سبأ.

وقد كان لابن[11] حرابة في عدن نصيب، لا أقوم على حفظه، ولا على تاريخ وقته. وليس في آل الكرم[12] أكرم من عمران بن حرابة[13]، ومن مفضل بن زريع، ودون كرمهما ينقطع الوصف. وبنو الكرم[14] يعرفون بآل الذيب، وهم بعد آل الصليحي بقية العرب باليمن.

---

(١) في الأصل: وعمه والتصحيح من الصليحيين ٣٤٥.
(٢) في الأصل: وعمه والتصحيح من الصليحيين ٣٤٥.
(٣) في الأصل: الكزم.
(٤) في الأصل: ثم الأمر.
(٥) في خ: الأغر؛ في سلوك وفي عبر: الأعز.
(٦) في الأصل: البركات.
(٧) جاء بعده في النص: «وهو آخر بني زريع» (انظر حاشية: ٩ كاي).
(٨) في الأصل: نفي.
(٩) في الأصل: ابن أبي أيوب.
(١٠) زيادة من (كاي).
(١١) في الأصل: ابن.
(١٢) في الأصل: الكزم.
(١٣) لم نهتد إلى صلتهم ببني الكرم.
(١٤) في الأصل: الكزم.

ولما مات محمد بن أبي الغارات بن مسعود بن [مسمع][1] بن الكرم، ولي الأمر من بعده أخوه، علي بن أبي الغارات، وهو صاحب حصن الخضراء المستولي على البحر، وعلى المراكب والمدينة.

والداعي الأوحد المظفر، مجد الملك، شرف الخلافة، عضد الدولة، سيف الإمام، تاج العرب، ومقدمها داعي أمير المؤمنين، سبأ بن أبي السعود بن زريع بن العباس بن الكرم[2] اليامي، شريك السلطان علي بن أبي الغارات في عدن، وهو مالك لبابها وما[3] يدخل من البر، وله معقل الدملوة، والرما، وسامع، ومطران، وذبحان، وبعض المعافر، وبعض الجند، وأعماله في الجبال واسعة [٦٠] وله من الأولاد: الأعز علي، ومحمد، والمفضل، وزياد[4]، وروح.



ذكر السبب في زوال علي بن أبي الغارات من عدن وحصولها للداعي سبأ:

حدثني الداعي محمد بن سبأ، وجماعة من مشايخ عدن، قالوا: كنا نعرف ابن الجزري أبا القاسم نائباً لعلي بن أبي الغارات، في نصف عدن، والشيخ أحمد بن عتاب الهذلي، نائباً لسبأ بن أبي السعود، في نصف عدن، فانبسط ابن الخزري في قسمة الارتفاع على أحمد بن عتاب، وامتدت أيدي أصحاب علي بن أبي الغارات إلى ظلم الناس، وعاثوا في البلد وأفسدوا، وأطلقوا الأقوال بمذمة الداعي سبأ. وقالوا من ذلك مما يوجب الغيظ، ويثير الحفيظة. والداعي في [أثناء][5] ذلك مهتم بجمع الأموال والغلات سراً[6]

(١) راجع الجدول: ص٣٤٥ من كتاب «الصليحيون».
(٢) في الأصل: الكزم.
(٣) في الأصل: ولما.
(٤) في الأصل: زيادة.
(٥) الزيادة من خ.
(٦) في الأصل: شراً.

[فكان][1] من يلوذ بالداعي في ذلك، يضام ويهتضم. والصولة لأصحاب علي، والداعي في ذلك يحتمل.

وحين كاد احتماله، أن يخرج الأمر من يده، عزم على مناجزة القوم، وقدم قائده، الشيخ السعيد الموفق، بلال بن جرير، فولاه عدن. وأمره أن يهايج القوم، ويحرك القتال بعدن، ففعل بلال ذلك، وكان شهماً [ولم يلبث سبأ][2] أن جمع جموعاً من همدان، وجنب بن سعد[3]، وعنس[4]، وخولان، وحمير ومذحج وغيرهم. وهبط من الجبال، [من دملوة][5]، فنازل[6] القوم بوادي لحج. وللداعي[7] سبأ قرية في هذا الوادي، مسورة، يقال لها: بني أبه [٦١]. فنزلها بني عمه آل الزريع، ولبني عمه مسعود بهذا الوادي مدينة أخرى كبيرة، يقال لها: الزعازع، مسورة أيضاً، فخيم كل منهم بمدينته[8]، ثم اقتتلوا أشد القتال.

وظلم ذوي[9] القربى أشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام[10]

المهند [٦٢] وحدثني الداعي محمد بن سبأ قال: كنت في طلائع الداعي[11]، فظهر لنا علي بن أبي الغارات، وعمه منيع بن مسعود، ولم تحمل الخيل أفرس من الاثنين، ولا أشجع، فانهزمنا، فأدركنا منيع بن مسعود. فقال لي: يا صبي، قل لأبيك يثبت فلا بد اليوم عشية من تقبيل

---

(١) الزيادة من خ.
(٢) الزيادة من خ.
(٣) لعلها ابن حرب (كاي).
(٤) في الأصل: عنبس.
(٥) زيادة من خ؛ وفي سلوكه: فلم يقع الداعي في الدملوة حتى نزل إلى لحج.
(٦) في الأصل: في نازل.
(٧) في الأصل: الداعي.
(٨) في الأصل: بمدينة.
(٩) في الأصل: ذي. (راجع حاشية: ٦٢) (كاي).
(١٠) في الأصل: السهام.
(١١) أي الداعي سبأ.

الجشميات[1] اللاتي[2] في[3] مضاربه [٦٣]. فلما أخبرت والدي بذلك، ركب بنفسه، وقال لمن حضر من آل الذيب، وهم بنو عمه الأدنون: إن العرب المستأجرة لا تقدر على حر الطعان، ولا يمسك النار إلا موقدها[4]، فالقوا بني عمكم، فاصطلوها بأنفسكم، وإلا فهي الهزيمة والعار. فالتقى القوم. فحمل منا فارس، على منيع بن مسعود فطعنه طعنة شرم بها شفته العليا، وأرنبة أنفه.

وكثر الطعن بين الفريقين، والجلاد بالسيوف، وعقر الخيل. والعرب المحشودة نظارة، ثم حملت همدان، ففرقت بين الناس، وتحاجز القوم، لأن وادي لحج أقبل دافعاً بالسيل، فوقفوا[5] على عدوتي[6] الوادي يتحدثون. فقال الداعي سبأ، أو غيره لمنيع بن مسعود: كيف رأيت تقبيل الجشميات يا أبا مرافع في هذه العشية؟ فقال لمنيع: وجدته كما قال المتنبي:

والطعن عند مجيهن[7] كالقبل[8] [٦٤]

فلم يزل الناس يستحسنون هذا الجواب لمنيع، لأن الشاهد وافق الحال. وحدثني الداعي محمد بن سبأ قال: أقامت فتنة الرعارع سنين، وكان علي أخو محمد بن أبي الغارات، في أول الأمر، ينفق الأموال جزافاً؛ والداعي يمسك، فكاد[9] الناس أن يميلوا علناً. فلما تضعضعت حال علي بذل الداعي ما لم يخطر بالبال أن يبذله.

---

(١) في خ: الجشيمات: وبنو جشم من قبيلة بني يام، وبنو يام فرع من السبط الكبير في همدان.

(٢) في الأصل: التي.

(٣) انظر حاشية: ٦٣ (كاي) والتعليق عليها.

(٤) انظر حاشية: ٦٣ (كاي) والتعليق عليها.

(٥) في الأصل: فأوقفوا.

(٦) يعني ثنيتي.

(٧) في الأصل: محيهن.

(٨) انظر حاشية: ٦٤ (كاي) والتعليق عليها.

(٩) في الأصل: فكان.

ولقد أذكر يوماً أن رجلاً من همدان، دخل على الداعي سبأ، وهو مخيم في الخيمة فقال: أجللني[1] يا أبا حمير، فلم يبق عندهما غيري، فقال: إنك تعلم أن الحرب نار، حطبها الرجال والخيل، وأنا أريد منك أن تدفع لي ديتي، وهي ألف دينار. ففعل الداعي ذلك. ثم قال: ودية ولدي فلان، وأخيه، فأخذ عنهما ألفي دينار. ثم قال: دفع الله عنك يا أبا حمير، وبقي على الخيل إن عقرت. فقال له الداعي: حتى تعقر الخيل. قال الهمداني: قدم لنا ثمنها، كما قدمت لنا الدية. فدفع له الداعي كيساً فيه خمس مئة دينار. فلما قبض المال قال: وبقيت خصلة ما أظن كرمك يا أبا حمير يردني فيها. قال: وما هي؟ قال: إني عزمت على أن أتزوج فلانة بنت فلان، وأنت تعرف شرف قومها، وليس لي من المال ما يليق أن أقابلهم به، فدفع له الداعي مئة دينار. ثم قال: أنعمت وتفضلت. ولم يبق شيء إلا أنه قبيح بمثلي أن أتزوج وولدي بلا زواج، فدفع له مائتي دينار، لكل واحد [منهما][2] مئة.

ثم قام الهمداني، فلما بلغ باب الخيمة، رجع فقال الداعي سبأ: والله لا سألتك حاجة بعد الحاجة التي رجعت لها وهي أن لي بنتاً لا زوج لها، وقبيح بنا أن[3] أتزوج أنا وإخوتها، وتبقى أرملة. قال له: فماذا يكون؟ قال: تدفع لي مالاً أزوجها. فدفع مئة دينار أخرى. ثم تمثل الداعي بقول الراجز: استنتفت[4] لحية زيد فانتتفت.

وحدثني الداعي محمد بن سبأ، وبلال بن جرير المحمدي قالا: أنفق الداعي سبأ بن أبي السعود، علي بن أبي الغارات ثلاثة مئة ألف دينار ثم أفلس. واقترض من تجار عدن الذين ينالونه مثل الشريف الحسين علي بن محمد بن أبي العمري. من ولد عمر بن الخطاب، والشيخ أبي الحسن

---

(١) في الأصل: أجلني والمعنى: أكرمني.

(٢) زيادة من خ.

(٣) في الأصل: أن أنا وأخوتها.

(٤) في الأصل: استنمت لحية زيد فانتف والتصحيح من (كاي).

علي بن محمد وابن أعين، وظافر بن فراح وغيرهم، مالاً[1]. ثم مات الداعي سبأ[2]، بعد فتحه الزعازع[3]، بعدن لسبعة أشهر. وبقي من المال القرض ثلاثون ألف دينار، وقضاها عنه، الأعز ولده، علي بن سبأ.

وحدثني الشيخ السعيد بلال بن جرير المحمدي قال: لما ملكت حصن الخضراء وأخذت الحرة بهجة، أم السلطان علي بن أبي الغارات، وجدت عندها من الذخائر، ما لم أقدر على مثله. وعدن كلها بيدي، في مدة متطاولة. قال بلال وبين عدن ولحج مسير ليلة. فأذكر أني كتبت من عدن بخبر الفتح، وأخذي الخضراء، وسيرت رسولاً بالبشرى إلى مولانا الداعي سبأ بن أبي السعود. وفي اليوم الذي كان فيه فتحي للخضراء، فتح مولانا مدينة الزعازع، فالتقى رسولي ورسوله بالبشرى، وذلك من أعجب التاريخ. والتجأ علي بن أبي الغارات إلى حصنين يقال لهما: منيف والجبلة[4]، وهما لسبأ صهيب[5]، وأعالي لحج [٦٥] وقتله محمد بن سبأ في لحج، هو ومحمد بن منيع بن مسعود، ورعية بن أبي الغارات في سنة خمس وأربعين[6].

وأما الداعي سبأ فدخل مدينة عدن، ولم يقم بها إلا سبعة أشهر، كما قدمناه، ودفن بها في سفح التعكر، من داخل البلد، وأوحى بالأمر لولده علي الأعز. وكان موت الداعي سبأ سنة ثلاث وثلاثين [وخمس مئة][7]، بعد موت الحرة الملكة[8] بسنة. وكان الأمير الأعز المرتضى، علي بن سبأ

---

(١) أي اقترض مالاً من هؤلاء التجار.

(٢) سنة خمس مئة وثلاث وثلاثين.

(٣) ثغر عدن: ٨٨/٢.

(٤) في الأصل: غير معجمة.

(٥) في الأصل: صمر؛ في السلوك: سبأ صهيب؛ في صفة (٧٤): الصهيب سكنه جماعة من سلالة سبأ، فسمي سبأ صهيب.

(٦) وخمس مئة.

(٧) زيادة اقتضاها السياق.

(٨) يقصد بذلك الملكة السيدة أروى بنت أحمد الصليحية المتوفية سنة ٥٣٢هـ.

مقيماً بالدملوة، وهم أن يقتل بلال بعدن، فمات مسلولاً. وأوصى الأعز بالأمر لأولاده، وهم: حاتم وعباس ومنصور ومفضل، وكانوا صغاراً. فجعل كفالتهم إلى الأنيس الأعزي وإلى يحيى بن علي العامل، وكان وزيره وكاتبه.

وكان محمد بن سبأ قد هرب من أخيه، فاستجار بالأمير منصور بن المفضل بن أبي البركات بتعز وصبر فأجاره. وحين مات علي بالدملوة سير بلال من عدن رجالاً من همدان، فأخذوا محمد بن سبأ من جوار المنصور بن المفضل، ونزلوا به إلى عدن، فملكه بلال، واستحلف له الناس والديوان، وزوجه بلال بابنته، وجهزه بأحسن جهاز. فحاصر أنيساً، ويحيى بن علي العامل على الدملوة ثم ملكها وأطاعته البلاد كافة.

وقال أنيس وقد لمته في التسليم للدملوة والدملوة حصينة: لو لم استأمن قتلي، قتلني الجواري والنساء بالقباقيب. لأني في أثناء الحصار أسمعتهن يقلن: لعن الله هذا العبد، الذي يحتاج ما نحتاجه، كيف يمنع من هو خير لنا منه، يعنين أخا مولاهن محمد بن سبأ.

وكان القاضي «١١» الرشيد[١] أحمد بن الزبير، قد خرج من الأبواب المقدسة بتقليد الدعوة المجيدية[٢]، الأعز المرتضى علي بن سبأ، سنة أربع وثلاثين وخمس مئة، فوجد علياً قد مات، فقلد الدعوة [أخاه][٣] محمد بن سبأ، ونعته[٤] المعظم المتوج المكين، ونعت وزيره بلال بن جرير. الشيخ السعيد، الموفق السديد.

وكان الداعي محمد بن سبأ كريماً ممدحاً، يثيب على المدح، ويفرح

---

(١) قلادة: ٧١٢/٢/٢.

(٢) نسبة للأمير عبدالمجيد بن محمد بن المستنصر بالله الفاطمي، الذي كان وصياً على الطفل الصغير الطيب بن الآمر، وقد تولى عبدالمجيد الخلافة وتسمى بالحافظ وحكم بين سنتي (٥٢٤ ـ ٥٤٤هـ.).

(٣) الزيادة من خ.

(٤) في خ. ووصفة بالمتوج.

به، ويقترحه، ويكرم أهل الأدب والفضل. وربما قال البيت من الشعر والأبيات.

ورأيته في يوم عيد وقد أحرقته الشمس في المصلى [٦٦]. بظاهر مدينة الجوة والشعراء يتسابقون بالنشيد. فقال لي: قل لهم وارفع صوتك لا يتزاحمون فلست أقوم حتى يفرغوا، وكانوا ثلاثين شاعراً، ثم أثابهم جميعاً.

وأذكر ليلة وأنا عنده، في قصر بالجوة، أريد النزول إلى عدن، وعنده القاضيان: أبو بكر بن محمد اليافعي الجندي، وأبو الفتح بن سهل، وجماعة من خواصه الأعيان مثل ابني قاسم: سبأ ومحمد؛ وهما وزيران[1]، وأحدهما طبيب ومنجم وهو محمد، وكان قد اجتمع على بابه أصحاب هذه المدائح، وهم عشرة ثم أخرج القصائد، وقال: ماذا ترون في ثوابهم؟ وقدر الجماعة، فلم يزيدوا على مئة دينار، فقال: اجعلوها ثلاث مئة دينار؛ وهي قليل، ثم نهض وتولينا قسمتها بينهم.

وحضرنا يوماً عنده بقصر الحجر، في موضع يعرف بالجنان، وعنده من الشعراء صفي الدولة أحمد بن علي الحقلي، والقاضي أبو بكر بن محمد اليافعي الجندي، قاضي القضاء، وهو مجيد وله بديهة، لا فضل في الرواية[2] عليها، والقاضي يحيى بن أحمد بن أحمد بن أبي يحيى[3]، قاضي صنعاء، وهو في الشعراء عند أهل اليمن، في طبقة ابن القم[4]. فاقترح الداعي بيتي شعر على وزن قام على خاطره، وشرط لمن سبق مالاً وثياباً كانت عليه، فنشأ الجماعة، فسبقهم القاضي أبو بكر محمد اليافعي، وكان قريباً مني، فسرقت الورقة من يده، فجعلتها في كمي[5]، وانتحلت

(١) في الأصل: وهما ونيران.
(٢) في الأصل: الروية.
(٣) النكت: ٦٠٤.
(٤) سبق ذكره.
(٥) في الأصل: فمي.

بيته، وقمت فأنشدتها الداعي، وأخذت خضله وسلبته نصله، وفزت بالمال والثياب، ثم فاضت ينابيع كرمه على الجماعة، فما منهم إلا من خلع عليه، وأجزل صلته.

ولما كان في شهور سنة سبع وأربعين[1]، ابتاع الداعي محمد بن سبأ، من الأمير منصور بن المفضل[2]، جميع المعاقل التي كانت لبني الصليحي، وهي ثمانية وعشرون حصناً، ومدائن منها: مدينة ذي جبلة، وذي أشرق، وأب فأخذها «١٢» منه بمئة ألف دينار. ونزل منصور إلى حصني صبر، وتعز، وطلق زوجته الصليحية [٦٧]. وهي أروى بنت علي بن عبدالله الصليحي[3]، وصعد الداعي إلى المخلاف، فسكن بذي جبلة، وتزوج امرأة الأمير منصور بن المفضل، وتزوج أيضاً بنت السلطان أسعد بن وائل بن عيسى، الحرة الوحاظية، وأسكنها بدار ابن سباع بعد الصريحين، وأكثر الشعراء تهنئته، وتمدحه[4] بالمعاقل والعقائل، الزوجات المذكورين وطاش فرحاً لما صار إليه، وبسط يده بالعطايا، حتى أذكر يوماً وقد طلعت صبيحة أنا، والشيخ أبو الحسن بن علي بن محمد الصليحي، والشيخ المرجي الحراني، إلى ذي جبلة، ومن ذي جبلة إلى حصن حب. وكل من رفع إليه رقعة وقع له فيها بما مثاله: العزة لله وحده.

فلما انتهينا إلى الحصن أحصينا الرقاع التي بأيدي الناس، وكان خازن ماله الشيخان: أحمد بن موسى بن أبي النزر العامل، والشيخ ريحان المحمدي، فجاء مبلغ الرقاع خمسة آلاف دينار. فاستكثرها الشيخ أحمد بن موسى، فقال: نشاوره على ذلك. وقال الشيخ ريحان: أما أنا، فما أكره

---

(١) في الأصل: تسع وأربعين والتصحيح من خطط: ١٧٤/٢ وهذا هو الصحيح لأن الداعي سبأ توفي سنة ٥٤٨ كما حكاه عمارة: ٥٧.

(٢) وكان قد تولى على ملك بني المظفر في أشيح بعد وفاة أبيهم سنة ٥٠٤ وملك حصون الصليحيين بعد وفاة الملكة أروى سنة ٥٣٢.

(٣) راجع التعليق على الحاشية: ١٠٨ (كاي).

(٤) في الأصل: ومدحه.

الحياة. فوالله لئن شاورته على ذلك لا سلمت منه، فدفع لهم[1] المال في ذلك اليوم بأسره.

ومدحه في ذي جبلة القاضي يحيى بن أحمد بن أبي يحيى بقصيدة فأثابه عليها بخمس مئة دينار، وخلعة. وقدمت من تهامة، وله بيدي مال، كان قد دفعه إليّ في بعض أغراضه، وجاءني كتابه إلى زبيد من ذي جبلة يستدعيني إليه، فوصلته فعند مثولي بين يديه، قال: ما أهديت لي؟ قلت: كذا وكذا من أشياء كنت قد أعددتها له قال: ما أريد إلا الشعر. قلت: والله ما عملت[2] كلمة، ولا أقدر أعملها[3]، خوفاً من أهل زبيد، لأنهم ينقمون علي في عمله. فلم يزل يسألني والله حتى أخجلني. واقترحت[4] على الوزن الذي عمل القاضي يحي بن محمد بن أبي يحيى عليه، فلما أنشدته قال: قد كنت أثبت القاضي بخمس مئة دينار وخلعة، وأنا أثيبك مما تحت يدك بمثل ذلك، وأميزك عنه في الخلعة، بثيابي التي علي. فقبضت المال والثياب، وكان ذلك أحد الأسباب التي نقمها على الحبشة، وهموا بقتلي[5] بما وقى الله عز وجل. [٦٨].

ومكارم الداعي محمد بن سبأ أكثر من أن تحصى. ومات في سنة ثمان وأربعين وخمس مئة، وملك بعده ابنه عمران بن محمد بن سبأ، فمنعني أهل زبيد من السفر إليه، وقضى الله بتوجهي إلى ديار مصر. رسولاً لأمير الحرمين المعظمين سنة إحدى وخمسين وخمس مئة. فأخذت كتاباً من الملك الصالح إلى الداعي عمران بن محمد، أسأله عن تقسيط المال، الذي مات أبوه محمد الداعي وهو عندي له. وهو ثلاثة آلاف دينار.

فقال لي الداعي عمران بن محمد: ما مضمون كتاب الملك الصالح

---

(١) في الأصل: له.
(٢) في الأصل: علمت.
(٣) في الأصل: أعلمها.
(٤) في الأصل: واقترح.
(٥) في الأصل: من قتلي.

في المال؟ قال له القاضي الرشيد: تقسيط. قال الداعي: بل يقدم بيتين يقسط على القافية[١] فيه فيسقط[٢]. ثم تناول ورقة وكتب فيها ما مثاله: «بسم الله الرحمن الرحيم، أقول وأنا عمران بن الداعي الأجل، سبأ بن أبي السعود بن زريع بن العباس اليامي، أن الفقيه عمارة بن الحسن[٣] الحكمي، بريء الذمة من المال الذي درج من يده لمولانا الداعي محمد بن سبأ، وهو ألفان وسبع مئة دينار ملكية».

ثم فارقت البلاد سنة اثنين وخمسين وخمس مئة، والمسافرون من اليمن إلى الديار المصرية يحكون مكارمه وشدة عزائمه، ما يخجل الدهر إذا كاد[٤]، والغيث إذا جاد. ثم مات في سنة ستين وخمس مئة عن أولاد هم: [٥]محمد وأبو السعود، ومنصور، وما منهم[٦] من أدرك الحلم، إلى هذا[٧] التاريخ المذكور وهو المحرم سنة أربع وستين وخمس مئة من الهجرية. صلوات الله وسلامه على صاحبها [٦٩].

وهذه نبذة حقيرة وفقرة[٨]، إلى التفصيل فقيرة، في أخبار الشيخ السعيد، الموفق السديد، أبي الندى يلال بن جرير المحمدي. وقد قدمنا أنه ولي عدن[٩] لمولاه سبأ، ثم أبقاه على الأعز بها، وبقيت [٧٠] في يده من سنة أربع وثلاثين إلى عام ست أو سبع وأربعين[١٠]. ثم مات والملك عقيم[١١]. حدثني الشيخ معمر بن أحمد بن عتاب، والأديب الفاضل أبو

(١) في الأصل: القاف فيه.
(٢) في الأصل: فيقسط.
(٣) ابن أبي الحسن علي (كاي).
(٤) معناها: الكيد.
(٥) في الأصل: هما.
(٦) في الأصل: وما منهم إلا من أدرك الحلم.
(٧) في الأصل: هذه.
(٨) في الأصل: غير معجمة.
(٩) في الأصل: إنه ولي عهده لمولاه.
(١٠) وخمس مئة، راجع حاشية: ٧٠ (كاي).
(١١) في الأصل: ثم ملك عظيم.

بكر بن محمد العيدي، وكانا خصيصين بحاله، قالا: مات بلال عن مال من العين الملكي[1]، ست مئة ألف، وخمسين ألفاً، ومن العين المصري عن ثلاث مئة ألف ونيف، وعن أبهرة [71][2] من الفضة المصاغ حلي، ومراكب خيل وبغال وسيوف ورماح، وأدوات كتابة، وطشوت، وأباريق، وشمعدانات[3]، ومعاش[4]، ومناخل[5]، وسطول، وطاسات، وحرابيات[6]، وقصب من الفضة، وآلات مرصعة[7] بالذهب، وسكاكين صليحية، وكيزان فضة، وبعليات[8]، ما مقداره خمسة أبهرة ومائتا رطل، وأما الملبوس والبضائع فخزائن ومخازن، وكذلك الطيب وأصنافه، والعدد والسلاح، وتحف الهند، وألطاف الصين والمغرب والعراق. ودنانير مصر، وأرض عمان وكرمان. ما لا يدخل تحت حصر.

وانتقل الجميع بوصية إلى مولاه محمد بن سبأ. ففرق ذلك في مدة سنتين في سبيل المروءة والمعروف. وقام بكفالة الأميرين[9] الطفلين. ولدى عمران بن محمد، وأخيهما منصور[10]، الوزير أبو الفرج[11] ياسر بن بلال

---

(١) في الأصل: المكي.

(٢) بهار وجمعها أبهرة، وهو عبارة عن وزن يوصف بأن يحتوي على ٣٠٠ أو ٤٠٠ أو ٦٠٠ أو ١٠٠٠ رطل، ويقول عمارة / كاي: ٩ إنه يساوي ثلاثة قناطير (حاشية: ٧١ (كاي).

(٣) في الأصل: شمعديات. والشمعدان منارة يركز عليها السراج، والجمع شمعدانات.

(٤) هكذا في الأصل ولم نهتد إلى وجه الصواب فيها.

(٥) هكذا في الأصل ولم نهتد إلى وجه الصواب فيها.

(٦) معناها: عباءات.

(٧) في الأصل: مرسة.

(٨) هكذا في الأصل ولم نهتد إلى وجه الصواب فيها.

(٩) في الأصل: وأقام بكفالة الأمر الأميرين.

(١٠) هذا هو الأقرب لمعنى العبارة الواردة التي تعرضت لكثير من الحذف في مخطوطنا، وليس هنا مجال للشك بأن الرواية تزعم بأن ياسر كان وصياً على أبناء عمران هي رواية غير صحيحة [انظر حاشية: ٦٩ (كاي)].

(١١) في الأصل: وأخيهما منصور والوزير ولها أبو الفرج؛ وفي خ: أبي الفتوح بدلاً من أبي الفرج.

المحمدي. وليس دون أبيه في حزم، ولا عزم، ولا إقدام، فأما الكرم فهو مشهور عنه، مذكور به، منسوب إليه.

* * *



هذه أخبار (آل)[1] نجاح ملوك زبيد من الحبشة

لم يزل المؤيد نصير الدين نجاح مالكاً لتهامة، من أعمال ابن طرف إلى عدن، وملوك الجبال تعظم دولته، وتتقي صولته، إلى أن قتله الداعي علي بن محمد الصليحي [على يد][2] جارية أهداها إليه سنة اثنتين وخمسين وأربع مئة، وتماسك بنو نجاح بتهامة بعد أبيهم سنتين، والأمر لمولى لهم يقال له كهلان وهم في حد عزم الكمال، وبعضهم دون البلوغ. ولم يلبث الداعي علي بن محمد الصليحي أن أزالهم[3]، وافترق آل نجاح بعد حصولهم في جزيرة دهلك. فأما معارك الأكبر فقتل نفسه غبناً، وأما الذخيرة فكانت حالفة[4]، وأما سعيد الأحول ـ وهو قاتل الصليحي ـ و(جياش)[5]، فكانا رجلي البيت، ما منهما إلا من تأدب، وعاش وكاثر. ولكن أباهما نجاحاً كان يرشح أخاهما الأكبر للأمر، وهو معارك. وأما جياش فإنه تنكر، ودخل إلى زبيد فاستخرج وديعة كانت له عند عبدالرحمن بن طاهر القيبي وعاد إلى دهلك مدة أيام الصليحي، عاكفاً على العلم حتى برع. وأما سعيد الأحول وهو أكبر من جياش ـ وهما شقيقان ـ فكان أمره أعجب ما ذكر وذلك أنه خرج من دهلك إلى زبيد مغاضباً لأخيه جياش، حين نهاه جياش عن الغدر

(١) زيادة اقتضاها السياق.
(٢) في الأصل: مع.
(٣) أي في سنة ٤٥٥هـ. (كاي).
(٤) يقال هذا غلام محلف أي مشكوك في احتلامه لأن ذلك ربما دعاه إلى الحلف. والمعنى أن الذخيرة بنت نجاح لم تبلغ سن الاحتلام.
(٥) لم يذكر اسم جياش في الأصل.

بصاحب دهلك، واستتر سعيد بزبيد، عند الرئيس ملاعب الخولاني، وهو سوقة، إلا أنه كان أكثر الناس حباً لآل نجاح. واحتفر سعيد بن نجاح نفقا بين دور ملاعب، كان يسكنها[1] أكثر الأوقات.

ثم كتب سعيد من زبيد إلى أخيه جياش بدهلك يأمره بالقدوم إلى زبيد، ويبشره بانقضاء دولة الصليحي، وإقبال دولتهم. فلما قدم جياش إلى سعيد، ظهر سعيد من زبيد في سبعين رجلاً، لا فرس مع واحد منهم[2]، ولا سلاح إلا مسامير الحديد مركبة في الجريد.

وحدثني أحمد بن فلاح، صاحب ديوان التحقيق بزبيد قال: لما خرج سعيد الأحول[3] بن نجاح من زبيد. قتل جندياً (على) فرس كان تحته[4]، فركبه. وكان خروج سعيد من زبيد، يريد الصليحي، في آخر اليوم التاسع من ذي القعدة سنة تسع وخمسين وأربع مئة[5]. قال جياش بن نجاح فخرجنا في طريق الساحل، وتركنا الجادة السلطانية، مخافة العساكر أن تلقانا. وبيننا وبين المهجم مسيرة ثلاثة أيام للمجد. وكانت الأخبار قد سبقتنا إلى الصليحي بخروجنا، والأسماع يومئذ قد امتلأت في الجبال والتهايم (ب)[6] أن هذا وقت ظهور الأحول سعيد بن نجاح، حتى لا تكاد المساجد والمدارس والأسواق والطرقات، تخلو من الخوض في ذكر ذلك. وكنا نكتم هذا الأمر مخافة على نفوسنا. وسعيد يقسم بالله تعالى: إني قاتله، وإني صاحب الوقت، ويتحدث بذلك مع أكثر الناس. فلما سمع الصليحي بخروجنا، سير من ركابه خمسة آلاف حربة من الحبشة، وأكثرهم مماليكنا وبنو عمنا

---

(١) في الأصل: يسكنه.

(٢) راجع التعليق على الحاشية: ٧٢ (كاي).

(٣) في الأصل: ابن نجاح الأحول.

(٤) في الأصل: قتل جدي فرساً كان تحته فركبه؛ وفي خ: فوجدوا جندياً.

(٥) في الأصل: ثلاث وسبعين (سبق ذلك).

(٦) في الأصل: ثم وحرف العطف ثم يشير إلى وجود سقط في المخطوطة (كاي)، فأبدلناه بالباء ليستقيم المعنى.

وقال: خذوا رأس هذا الأحول، ورأس أخيه، ومن معه. وكنا قد سلكنا (طريق)[1] البحر فخالفناهم. ولقد أذكر أن أظلم علينا الليل ونحن بالمراوعة[2] من أعمال الكدراء، فخرج علينا رجل من تلال[3] الوادي وقال: أظنكم عريتم[4] الطريق. فقلنا نعم. فقال: أتبعوني. فما زال بين أيدينا حتى طلع الفجر، ففقدناه، ونالنا التعب، ومسنا ضر من تعب الجوع[5]، بين مسير النهار والليل، رجالة حفاة، وسعيد بن نجاح راجل بيننا، والفرس يجنب وهو يقول: يا صباح الخير والظفر والسرور. ويقول[6]: بادروا[7] الإنسان قبل أن يموت بغير أيدينا في غد، فوالله لا طلعت شمس غد وهو في الدنيا. ولم يزل يغذ[8] السير، على الرجا واليأس من الرجال إلى أن دخلنا طريق[9] المخيم، والناس يعتقدون أنا في جملة عبيد الصليحي وحواشيه. ولم يشعر بأمرنا إلا عبدالله بن محمد، أخو الصليحي، فإنه ركب وقال لأخيه: يا مولانا اركب، فهذا والله هو الأحول بن نجاح، والعدو الذي جاءنا به كتاب أسعد بن شهاب[10] من زبيد. فقال الصليحي لأخيه عبدالله: إني لا أموت إلا بالدهيم، وبئر أم معبد، معتقداً أنها بئر أم معبد التي نزل بها رسول الله ﷺ، حين هاجر ومعه أبو بكر.

قال مشعل بن فلان العكي: قاتل عن نفسك، فهذه والله بئر الدهيم بن عبس، وهذا المسجد موضع خيمة أم معبد بن الحرث العبسي.

---

(١) في الأصل: يد.
(٢) هي قرية باليمن (تاج العروس).
(٣) في الأصل: أتلال.
(٤) معناها: ضللتم.
(٥) في الأصل: الجع؛ وفي وفيات: من التعب والحفاء.
(٦) في الأصل: وهو يقول.
(٧) في الأصل: باردوا.
(٨) في الأصل: بعد.
(٩) في وفيات: طرف.
(١٠) لقد توفي أسعد سنة ٤٥٦ ولا بد أن يكون أسعد بن عراف.

قال جياش: فأركه[1] اليأس من الحياة، فأراق الماء في قباء درقته[2]، ولم يبرح[3] من مكانه حتى قطعنا رأسه بسيفه. وكنت أول من طعنه، وشركني[4] فيه عبد لنجاح، هو الذي يطعنه، وأنا الذي جززت رأسه بيدي، ونصبته على عود المظلة، وأمرت بضرب الطبول والأبواق، وركبت فرسه الحضرمي المسمى بالدبال. وأما عبد عبدالله بن محمد الصليحي ـ وكان فارس العرب ـ فحمل فينا، وقتل منا رجالاً، ثم اعتنقه رجل منا، وسقطا إلى الأرض، ونادى صاحبنا: اقتلوني أنا والرجل، فإن عز[5] قومي رخيص بقتلي. قال: فشكهما سعيد بحربة واحدة، وجز رأس عبدالله بن محمد، وهو يعتقده الصليحي. ثم ركب سعيد فرس عبدالله بن محمد، والرأسان منصوبان أمامه، على باب المسجد الذي فيه السيدة أسماء بنت شهاب زوجة الصليحي، فقال لها: اخرجي فصيحي [وصبحي][6] على السلطانين. فقالت: لا صبحك الله يا أحول بخير. ثم أنشدت ووجهها مكشوفة قال، امرىء القيس الكندي:

فإنك لم تفخر علينا كفاخر ضعيف، ولم يغلبك مثل[7] مغلب[٧٢]

ثم إن سعيداً أرسل رسولاً إلى الخمسة آلاف، التي قد كان الصليحي قد بعثها من الليل، تقتل سعيد، يقول لهم: إن الصليحي قد قتل، وأنا رجل منكم والعز عزكم. ولم يبرح سعيد على باب المسجد. والرأسان منصوبان معه، والطبول تضرب، حتى قدمت العبيد عليهم، فسلمت عليه، وبهم استطار على عسكر الصليحي قتلاً وأسراً ونهباً.

---

(١) أركه اليأس أي غلبه.
(٢) في الأصل: فأراق المساء في قب درقته.
(٣) في الأصل: ولم يرم.
(٤) في الأصل: وشركه، وفي خ: وشركني فيه عبدالملك بن نجاح بطعنة أخرى، وجززت رأسه.
(٥) في الأصل: فإن أعز قومي رخيص بقتلي.
(٦) زيادة من خ.
(٧) راجع التعليق على الحاشية: ٧٢ (كاي).

قال جياش: وعزت نفس أخي سعيد من ذلك المقام، وشمخ بنفسه حتى عليّ، وإني لأخوه ابن أمه وأبيه وذلك أني أشرت إليه أن يحسن إلى السيدة أسماء، ويعفو عمن معها من بني الصليحي، وهم مئة وسبعون سلطاناً، كان الصليحي يخاف منهم[1]، أن ينافقوا [من] بعده[2] ويعفو عمن معها من ملوك قحطان، وهم خمسة وثلاثون سلطاناً، وأن يكتب على يديها إلى ولدها المكرم بن علي الصليحي: إنا أدركنا ثأرنا، واسترجعنا ملكنا وقد أحسنا إليك، وحملنا إليك أمك بصيانة، والعفو عن بني عمك. وقلت له: والله يا مولانا، لئن فعلت ذلك، لا نازعتك قحطان في ملك تهامة، ولئن كرهت ذلك ليهيجن حفائظها ولتطلبن دخولها. فأجابني سعيد بقول الأول من الشعراء:

لا تقطعن ذنب الأفعى وتتركها   إن كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا[3]

ثم أمر بالصليحيين فقتلوا عن آخرهم، رحمة الله عليهم أجمعين. ولقد رأيت شيخاً منهم، التقى الحربة بولده، فنفذت منهما جميعاً، نعوذ بالله من جهد البلاء.

قال جياش: لا أنسى رأس الصليحي في عود المظلة، وقراءة المقرىء: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾[4]، ولا أنسى قول الشاعر «١٣» العثماني[5] من قصيدة ارتجلها[6] في ذلك المقام يصف المظلة:

ما كان أقبح وجهه في ظلها   ما كان أحسن رأسه في عودها

---

(١) في الأصل: معهم.
(٢) في الأصل: أن ينافقوا بعد.
(٣) راجع التعليق على الحاشية: ٧٢ (كاي).
(٤) سورة آل عمران؛ آية: ٢٦.
(٥) عيون: ١٢٠/٧ ـ ١٢١؛ حاشية: «١٣» (جديد).
(٦) في الأصل: وارتجلها.

ثم ارتحل سعيد إلى زبيد والرأسان معه، بعد ثلاثة أيام من الموقعة، وقد حاز من الغنائم ملكاً عظيماً[١]، ومغنماً جسيماً. ومما غنم: ألفي فرس بعددها، وثلاثة آلاف جمل بعددها. ودخل زبيد يوم السادس عشر من ذي القعدة سنة تسع وخمسين[٢] وأربع مئة، ورأس الصليحي، وأخيه أمام هودج الحرة أسماء بنت شهاب، حتى أنزلها بدار شحار، ونصب الرأسين قبالة طاقها. وهرب أسعد بن شهاب[٣] من زبيد إلى المكرم بصنعاء. وامتلأت[٤] صدور الناس هيبة من سعيد بن نجاح بعد مقتل الصليحي. وتغلب ولاة الحصون على ما في أيدهم[٥] من المعاقل، وكاد أمر المكرم أن يتضعضع واستوثق الأمر بتهامة لسعيد، وبعث بالأموال إلى بلاد الحبشة [لـ][٦] من يشتري له عشرين [ألف][٧] حربة[٨]. وانقطعت الأخبار بين المكرم، وبين والدته الحرة أسماء بنت شهاب، حتى كان من نزوله وأخذها من زبيد ما قدمنا ذكره. ثم عاد سعيد إلى زبيد فملكها[٩]، وأخرج منها ولاة المكرم، ولم يزل مالكاً لها حتى كان ما قدمنا ذكره، من قتله في وقعة حصن الشعر[١٠]، بتدبير الحرة الملكة السيدة بنت أحمد، زوجة الملك المكرم سنة إحدى وستين وأربع مئة[١١].

* * *

(١) في وفيات: عقيماً.

(٢) في الأصل: ثلاث وسبعين.

(٣) سبق التعليق على ذلك.

(٤) في الأصل: امتلأ صور الناس؛ في خ: بدل الناس العرب.

(٥) في الأصل: ما في أيديها.

(٦) زيادة لفهم المعنى.

(٧) زيادة لفهم المعنى.

(٨) في خ: عبد، المقصود شراء العبيد الذين يحملون الحراب.

(٩) في خ: كانت عودته من دهلك سنة ٤٧٩ والأصح سنة ٤٦٠.

(١٠) في الأصل: الشعير.

(١١) في الأصل: إحدى وثمانين.

ذكر دخول جياش بن نجاح إلى الهند ومعه الوزير قسيم الملك أبو سعيد خلف بن أبي الطاهر من ولد سليمان بن هشام بن عبدالملك

فقال جياش: ثم تنكرت ودخلت إلى عدن، ومعي الوزير خلف[1] بن أبي طاهر. ودخلنا الهند سنة إحدى وستين[2]. فأقمنا بها ستة أشهر، ثم رجعنا إلى اليمن في تلك السنة بعينها، قال: ومن أعجب ما رأيت في الهند، أن إنساناً قدم من سرنديب، ولم يبق أحد إلا فرح به، وزعموا أنه عارف بأخبار المستقبلات فسألناه عن حالنا، فبشرنا بأمور لم يخرم من قوله منها شيء[3]. واشتريت جارية هندية فعلقت مني بالهند، دخلت بها اليمن، وهي في خمسة أشهر. وحين وصلنا إلى عدن، قدمت الوزير خلف إلى زبيد على[4] طريق الساحل، وأمرته أن يشيع موتي في الهند، وأن يستأمن لنفسه، ويكشف لي عن حقيقة أحوالنا، ومن بقي من قومنا بالحبشة. وصعدت إلى ذي جبلة، فكشفت أحوال المكرم بن علي، وما هو عليه من العكوف على لذاته، واضطراب جسمه، وتفويض الأمر إلى زوجته الحرة الملكة السيدة بنت أحمد، ثم انحدرت من الجبال إلى زبيد، فاجتمعت بالوزير خلف[5]. وأخبرني عن أحوال طابت بها نفسي، عن أوليائنا وبني عمنا وعبيدنا، وأنهم في البلاد كثيرون، وإنما يعدمون رأساً يثورون معه، قال جياش: وجريت على عادة الهند، فأخرجت شعر وجهي، وطولت أظفاري وشعري، وسترت عيني الواحدة بخرقة سوداء، وكنت قريباً من الدار السلطانية. وإذا افترقت الناس من الصباح، قصدت مصطبة علي بن القم،

---

(١) راجع التعليق على الحاشية: ٣٩ (كاي).

(٢) في الأصل: وثمانين.

(٣) في الأصل: شيئاً.

(٤) في الأصل: إلى.

(٥) في الأصل: ابن خلف.

وهو وزير الوالي من قبل الملك المكرم بن علي، فسمعته يقول يوماً: والله لو وجدت كلباً من بني نجاح لملكته[1] زبيد، وذلك لشر حدث بينه وبين الوالي أسعد بن عراف[2].

قال جياش: وخرج الحسين بن علي القمي الشاعر[3]، وهو يومئذ رأس طبقة أهل زبيد في الشطرنج. فقال لي: يا هندي، تحسن تلعب بالشطرنج؟ فقلت: نعم، فتلاعبنا، فغلبته، فكاد أن يسطو علي. ثم دخل على أبيه فقال له: غلبت في الشطرنج، فقال له والده: ما هنا من يغلبك إلا جياش بن نجاح، وقد مات في الهند. ثم خرج عليّ والد الحسين، وهو طبقة عالية، فلعبت معه، فكرهت غلبه[4]، فخرج الدست مائعاً، فاغتبط بي. وخلطني بنفسه. وهو (كان)[5] في كل يوم وليلة يقول: عجل الله علينا بكم يا آل نجاح[6]. فإذا كان الليل، اجتمعت أنا والوزير خلف، نفترق في النهار، وأنا في أثناء ذلك أكاتب الحبشة المتفرقين في الأعمال، وآمرهم بالاستعداد.

قال جياش: وحين حصلت حول المدينة خمسة آلاف حربة متفرقة في الحارات وداخل البلد، قلت للوزير خلف: إن لي عند عمر بن سحيم مالاً، فخذ منه عشرة آلاف دينار وأنفقها في الرجال الذين اجتمعوا، ففعل ذلك، ثم لقيت الوزير ليلة، فقلت له: يا مولاي القائد، أتاني (مولاي القائد)[7] حسين بن سلامة في النوم، وقال لي: يعود إليك الأمر الذي تحاوله ليلة ولادة هذه الجارية الهندية، ثم التفت الحسين إلى جانبه الأيمن فقال لرجل معه: أليس كذلك يا أمير المؤمنين؟

---

(١) في الأصل: لأملكته.
(٢) في الأصل: ابن شهاب.
(٣) راجع التعليق على الحاشية: ٣٨ (كاي).
(٤) في خ: فكرهت أن أغلبه.
(٥) زيادة من خ.
(٦) في قرة ورقة: ٤٠: عجل الله لنا بكم آل نجاح.
(٧) زيادة من (كاي).

قال: بلى، ويبقى الأمر في ولدي هذا المولود برهة من الدهر [٧٣].

قال جياش: ولقد أذكر يوماً أن علي بن القم، عاد يوماً من دار السلطان إلى داره، وهو مغتاظ، فلما سكن غيظه قال: اصعد يا هندي حتى ألعب معك، فلما أن لعبنا جاء الحسين ابنه، فضرب عبداً له بالسوط، فنالني طرفه وأنا غافل، فتعاورت[١] وكانت عادة لي أقولها عند كل مهم يبغتني. وقلت: أنا أبو الطامي. فقال لي الشيخ: ما اسمك يا هندي؟ فقلت: بحر، فقال: بحر والله يصلح أن يتكنى أبا الطامي [٧٤].

قال جياش: وندمت وساءت ظنوني بالقوم، ثم قال[٢]: فلما أراد الله رجوع هذا الأمر إلينا وتلاعبت أنا والحسين الشاعر ابن القم الشطرنج، وليس معنا إلا أبوه علي، على سرير، وهو يعلم ولده [فـ][٣] قال له أبوه: إن غلبت الهندي أوفدتك على المكرم والسيدة بارتفاع هذه السنة، ودفعت لك الوفادة التي يدفعونها لعامل تهامة، وهي ألوف من الدنانير، فتراخيت له حتى غلبني قصداً في التقرب إلى قلب أبيه، فطاش الحسين من الفرح، فسفه عليَّ بلسانه، فاحتملته لأبيه، وقمت من الغيظ فعثرت فقلت: أنا جياش، على جاري عادتي، ولم يسمعن إلا الشيخ[٤]، فوثب علي بن القم خلفي حافياً يجر رداءه حتى أدركني، فأمسكني[٥] وأخرج المصحف فحلف لي بما طابت به نفسي وحلفت[٦]، وليس معنا أحد. ثم أمر بإخلاء دار الأعز[٧] بن الصليحي، وفرشت وعلقت ستورها، ونقلت الجارية الهندية إليها [وحمل إليها][٨] الوصائف والوصفان، وماعون[٩] وأثاث. وعاقني عنده

---

(١) في الأصل: اعتريت ولرجح أنها تعاورت أي هب من النوم وهو يتكلم.
(٢) في الأصل: قال جياش ولا توجد ثم.
(٣) زيادة اقتضاها السياق.
(٤) في الأصل: فلم يسمعن سوى الانصراف والتصحيح من خ.
(٥) في الأصل: فأخرج.
(٦) في الأصل: فحلفت.
(٧) في الأصل: الأغر والتصحيح من أنباء / دار ٤٣.
(٨) زيادة من خ.
(٩) الماعون: كل ما انتفعت به من فأس أو قدر أو نحوها من أشياء البيت.

إلى أن أمسى الليل، ثم أذن لي بالانصراف، فدخلت فوجدت الجارية قد وضعت (فيما)[1] بين المغرب والعشاء. ولدي الفاتك.

ثم أتاني علي بن القم ليلاً فقال: إن خبرنا لا يخفى على أسعد بن عراف[2]. قلت: إن معي في البلد خمسة آلاف حربة، فقال ابن القم لجياش: قد ملكت، فاكشف أمرك. قال جياش: فإني أكره قتل أسعد بن عراف[3]، فإنه طالما قدر على أهلنا وذرارينا فعفا[4] عنهم، وأحسن إليهم. فقال لي[5] ابن القم: فافعل ما تراه. فضرب جياش الأبواق والطبول[6]، فثارت معه عامة المدينة[7] وخمسة آلاف من الحبشة، وأسر ابن عراف[8]. فقال له ابن عراف[9]: ما يؤمنا منكم يا آل نجاح، والأيام سجالاً بين الناس، ومثلي لا يسأل العفو. فقال جياش: ومثلك لا يقتل يا أبا حسان، ثم أحسن جياش إليه وإلى أولاده خيراً، وسيره بجميع ما ملك من أهل ومال.

قال جياش: وتسلمت دار الإمارة بما فيها صبيحة الليلة التي ولد فيها ولدي فاتك، وصح ما كان أخبرني به الحسين بن سلامة من رجوع الأمر إليّ عند ولادة الحامل التي كانت عندي. ثم لم يمض شهر، حتى صرت أركب في عشرين ألف حربة من عبيدنا وبني عمنا الذين كانوا مستضعفين في البلاد، فسبحان المعز بعد الذلة والمكثر بعد القلة. ولم يكن من المكرم بعد ذلك كثير نكاية في جياش أكثر غارات على أعمال زبيد. وفي هذا

---

(١) زيادة من خ.
(٢) في الأصل: ابن شهاب.
(٣) في الأصل: ابن شهاب.
(٤) في الأصل: فعفي.
(٥) في الأصل: له.
(٦) في خ: فأمر جياش بضرب الأبواق والطبول.
(٧) في أنباء / دار ٤٣: فثارت معه عامة أهل المدينة وطردوا الوالي الصليحي.
(٨) في الأصل: ابن شهاب.
(٩) في الأصل: ابن شهاب.

الحال يقول الحسين بن القم يخاطب جياشاً حين قتل قاضي القضاة الحسن بن أبي عقامة:

أتــفــر إذا جــر الــمــكــرم رمــحــه ونشجع[1] فيمن ليس يحلي ولا يمري [٧٥]

وفيه أيضاً من قصيدة يقولها، يأتي ذكرها:

أخطأت يا جياش في قتل الحسن فـقـأت مـعـتـديـاً بـه[2] عـيـن الـزمـن

ولم يزل جياش مالكاً لتهامة من سنة اثنتين وستين[3] وأربع مئة إلى سنة ثمان وتسعين وأربع مئة، ثم مات في ذي الحجة منها[4]. وترك من الأولاد: الفاتك ابن الهندية ومنصور وإبراهيم وعبدالواحد والذخيرة ومعارك. وقيل: مات جياش سنة خمس مئة في شهر رمضان منها، والأول أظهر. ولي بعده ابنه الفاتك، وخالف عليه أخوه إبراهيم بن جياش. وكان إبراهيم فارساً جواداً، متأدباً فاضلاً، وخالف عليه أيضاً أخوه عبدالواحد بن جياش. وكان العسكر تحبه وتأمنه، وجرت بينهم وقائع وحروب. واقتسمت عبيد أبيهم عليهم، وآلت الحال إلى أن ظفر فاتك بن جياش بأخيه عبدالواحد، فعفا عنه وأكرمه وأغناه وأرضاه. وأما إبراهيم بن جياش فنزل بأسعد بن وائل بن عيسى الوحاظي، ففعل معه من الإكرام ما لم يسبقه إليه أحد. وكانت عبيد فاتك بن جياش قد عظمت وكثرت واشتدت شوكتها. [مات][5] فاتك بن جياش سنة ثلاث وخمس مئة، وترك ولده المنصور بن فاتك صغيراً دون البلوغ فملكته عبيد أبيه. وحشد إبراهيم بن جياش بعد موت أخيه فاتك، وهبط إلى تهامة، فالتقى هو وعبيد فاتك، فتواقفوا على قرية يقال لها. .[6] [هويب من وادي زبيد].

---

(١) في الأصل: تشح.

(٢) في خ؛ في سلوك: فقأت والله به. . .؛ وراجع التعليق على الحاشية: ٧٥ (كاي).

(٣) في الأصل: وثمانين.

(٤) خريدة ورقة: ٢٧٩؛ قلادة: ٢/٢ / ورقة: ٦٤١.

(٥) زيادة اقتضاها السياق.

(٦) بياض في الأصل؛ وفي خ: ما أثبتناه بين معتقفين.

وحين خلت زبيد من عمال فاتك واستقلوا بإبراهيم بن جياش، ثار[1] عبدالواحد بن جياش في زبيد فملكها، وحاز دار الإمارة. وخرج الأستاذون والوصفان بمولاهم منصور بن فاتك [و][2] أدلوه في سور البلد ليلاً خوفاً عليه من عبد الواحد. ولحق منصور بعبيد أبيه فاتك، وتسلل الناس عنه وعنهم إلى عبدالواحد بن جياش حين ملك زبيد، وكانت العسكر تحبه. ولما رأى إبراهيم بن جياش أن أخاه عبدالواحد قد سبقه إلى الأمر وإلى الحصون بزبيد، توجه إلى الحسين[3] بن أبي الحفاظ الحجوري[4]، وهو يومئذ بالجريب[5]، وبنو أبي الحفاظ من بني حريث بن شراحيل[6]، وهم ينسبون[7] إلى همدان [٧٦]. وأما عبيد فاتك بن جياش ومولاهم المنصور بن فاتك فإنهم نزلوا بالملك المفضل بن أبي البركات الحميري صاحب التعكر، وبالحرة السيدة الملكة بنت أحمد الصليحي بذي جبلة، فأكرمت مثواهم، ثم التزمت عبيد فاتك للمفضل بن أبي البركات، بربع البلاد[8] على نصرتهم على عبدالواحد بن جياش، فأخرجه من زبيد وملكها لهم [وذلك في سنة أربع[9] وخمس مئة].

وهم المفضل أن يغدر بآل فاتك ويملك البلاد عليهم، حتى بلغه أن حصن التعكر قد ملكه جماعة من الفقهاء، واستولوا على ملك لا ينبغي مثله لأحد. ففارق المفضل زبيد لا يلوي على أحد، حتى كان ما قدمنا ذكره من

(١) في خ: فلما خرج عبيد فاتك من زبيد إلى هويب لقتال إبراهيم، وخلت زبيد منهم، ثار.
(٢) زيادة من خ.
(٣) الحسن: كما في الصليحيين ١٩٤.
(٤) الصليحيون: ١٩٤ هامش ١؛ عيون: ٢٢٢/٧؛ نزهة: ٨٦/١. وفي الأصل: الحجوروي؛ راجع التعليق على الحاشية: ٧٦ (كاي).
(٥) بلد في سراة قدم وهي من بلاد حجور (صفة: ٦٩، ١١٣)؛ الصليحيون: ٢٠٠ هامش ١.
(٦) في الأصل: شراجيل، وهامش ٦.
(٧) في الأصل: يعودون.
(٨) أي بربع دخل البلاد.
(٩) زيادة من خ.

قتله نفسه بالسم لما نظر إلى حظاياه بين الرجال، وهن في المصبغات والطارات بأيديهن وهن يغنين.

ثم أن الأمر استقر لمنصور بن فاتك ولعبيد أبيه، فمن أولاد فاتك الأمراء ومن عبيده الوزراء. فأما الأمراء فمنهم المنصور بن فاتك ثم فاتك بن المنصور، وهو ابن الحرة الصالحة الحاجة، ثم لما[1] مات فاتك ولد[2] المنصور، انتقل الأمر (ولم يكن له عقب)[3] إلى ابن عمه، واسمه أيضاً الفاتك بن محمد (بن منصور) بن فاتك[4] بن جياش. وانتقل الأمر إلى فاتك بن محمد هذا (ولم يزل إلى أن قتله عبيده في)[5] سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة. وعنهم زالت الدولة، وانتقلت إلى علي بن مهدي[6] الخارج باليمن سنة أربع وخمسين وخمس مئة. ولم يكن لأولاد فاتك بن جياش من الأمر سوى[7] النواميس الظاهرة من الخطبة لهم بعد بني العباس، والسكة والركوب بالمظلة في أيام المواسم. وعقد الآراء في مجالسهم. وأما الأمر والنهي والتدبير وإقامة الحدود وإجازة الوفود فلعبيدهم الوزراء.

فهم عبيد فاتك بن جياش، وعبيد منصور ابنه، وهم وإن كانوا حبشة، فلم تكن ملوك العرب تفوقهم في الحسب إلا بالنسب، وإلا فلهم الكرم الباهر والعز الظاهر، والجمع بين الوقائع المشهورة، والصنائع المذكورة.

وأول من وزر منهم أنيس الفاتكي[8] وكان من بطن في الحبشة يقال لهم الجزليون، وملوك بني نجاح من هذا البطن، وكان أنيس هذا جباراً

---

(١) في خ: علم؛ أنباء / دار: ٤٦؛ سلوك / دار: ٣ / ورقة: ٤٥١.
(٢) في الأصل: وولده منصور.
(٣) زيادة من خ.
(٤) ابن منصور زائدة، انظر الجدول في التعليق على حاشية: ١٣٠ (كاي).
(٥) زيادة من خ.
(٦) في الأصل: بتهامة.
(٧) في الأصل: مستوى.
(٨) أنباء / دار: ٤٦.

غشوماً، مهاباً شجاعاً، مشهوراً، جواداً، وله في العرب وقعات تحاموا تهامة[1] من أجلها. ثم طغى أنيس هذا، وبنى داراً واسعة أرضية، عرض كل قاعة منها ثلاثون ذراعاً، وعرض كل مجلس أربعون. وهي قصور واسعة، وعمل لنفسه مظلة للركوب، وضرب[2] سكة باسمه، وهم أن يفتك بمولاه المنصور. فاشتهر الأمر والنهي والتدبير من ندمائه، لعبيد فاتك، فدبروا عليه الرأي، حتى حمل منصور بن فاتك (وقد بلغ مبلغ الرجال)[3] مولاهم لهم وله وليمة في قصر الإمارة، واستدعى أنيساً إليه، فلما حصل عنده قطع رأسه، واصطفى أمواله وحريمه. فممن صار إليه بالابتياع[4] من ورثه أنيس، جارية مغنية يقال لها علم. واستولدها منصور ولداً يدعى فاتكاً، وهي الحرة «١٤» الصالحة التي كانت تحج بأهل اليمن براً وبحراً في خفارتها من[5] الأخطار والمكوس.

ومن جملة الوزراء بعد أنيس هذا: الشيخ من الله الفاتكي[6]، وهو الذي سور زبيد بعد الحسين بن سلامة[7]، وأفعاله مستوثقة له وعليه. فأما الذي له فالكرم الباهر، والشجاعة والهيبة، وهو الذي كسر ابن نجيب الدولة على باب زبيد، وقتل من أصحابه مئة من العرب، وثلاث مئة أرمني رماة، وخمس مئة سود (وذلك في آخر سنة ثمان عشرة وخمس مئة)[8]. وله وقعة أخرى مع أسعد بن أبي الفتوح[9]، وقتل فيها من العرب ما ينيف على الألف[10]. وهو الذي تصدق على مدارس الفقهاء الحنفية والشافعية بما

---

(١) في الأصل: بتهامة.
(٢) زيادة من خ.
(٣) زيادة من خ.
(٤) في الأصل: الامتناع.
(٥) في الأصل: في؛ راجع النكت: ١/٢٤.
(٦) أنباء / دار: ٤٦.
(٧) سبق ذكره.
(٨) زيادة من خ.
(٩) أنباء / دار: ٤٦.
(١٠) في خ: على الألف رجل.

أغناهم عمن[١] سواهم من الأراضي والمرافق والرباع[٢].

وكان يثيب على المدح ثواباً جزيلاً، حتى قال الفقيه أبو عبدالله محمد بن علي السهامي[٣] رحمة الله عليه، وكان يؤدب أولاد الوزير من الله، قال: أذكر أني جلدت مما مدح به القائد الوزير عشرة أجزاء كبار من شعر المجيدين المشهورين والمشاهير. وهو الذي أخرج أحمد بن مسعود الجزلي ومفلح الفاتكي. وكانا كبشي[٤] الكتيبة، وصاحبي الحل والعقد بزبيد، فشردهما خوفه في[٥] الجبال كل مشرد. وبخروجهما دانت له الدنيا، وعلت كلمته. وأما الذي عليه من أفعاله، فإنه لما وزر بعد قتل أنيس (على يد)[٦] منصور بن فاتك بن جياش سنة سبع عشرة وخمس مئة، فلم يقدم شيئاً سوى[٧] أنه[٨] قتل منصوراً مولاه بالسم، وملك ابنه فاتك بن منصور، وهو يومئذ طفل صغير [٧٧].

ومات منصور بن فاتك وأبوه فاتك بن جياش، وغيرهما من آل نجاح عن أكثر من ألف سرية ما منهن أحد تسلم[٩] من الوزير من الله. إلا عشر نساء من حظايا منصور بن فاتك. منهن الحرة الملكة أم فاتك بن منصور، فإنها اعتزلت القصر وخرجت خارج المدينة، وبنت لها داراً لا يتطرق إليها الوزير بعذر ولا بسبب. هذا والملك ولدها، ولكنها حسمت المادة بالبعد عن قصر ولدها، ووكلت كفالته إلى عبيد أبيه الأستاذين، ومنهن أم أبي الجيش وهي مولدة[١٠] (وكانت لها

---

(١) في الأصل: ممن.
(٢) في أنباء / دار: ٤٦: الرقاع.
(٣) نفسه: الشهابي.
(٤) قائدي.
(٥) في خ: إلى.
(٦) في الأصل: على.
(٧) الزيادة من (كاي).
(٨) في الأصل: أن.
(٩) في الأصل: مسلم؛ والأصح أن نقول: ما منهن واحدة سلمت من الوزير.
(١٠) في الأصل: ولده والتصحيح من خ.

بنت[1] من[2] منصور بن فاتك، فلهذا قيل لها الحرة بسبب هذه [٧٨] البنت). وكانت فائقة بالجمال وحسن الغناء. وأنا أدركتها، وكنت أدخل إليها، وأقعد بين يديها، في رسائل كانت تجري بينها وبين السلطان عبدالله بن أسعد بن وائل الوحاظي، لأنه (كان قد)[3] تزوج بنتها التي كانت رزقتها[4] من منصور بن فاتك. ومنهن الحرة رياض، ومنهم الحرة أم أبيها. ومنهن جنان الكبرى. ومنهن تمنى. ولم يكن لأم فاتك ضرة سواها. ولما أراد الله هلاك مَنّ الله الفاتكي، حاول بنت معارك بن جياش وراودها، وكانت موصوفة بالجمال. فافتدت نفسها منه بأربعين بكراً من جواريها[5]. فأبى، فكشفت أمره إلى عبيد عمها فاتك، وعبيد ابن عمها منصور بن فاتك. فهابوه، ولم يقدروا على شيء. فقالت لهم الحرة[6] أم أبي الجيش: أنا أكفيكم أمره. ثم استخرجت ابنة معارك بن جياش من قصر الإمارة إلى قصرها. ثم أرسلت إلى مَنّ الله تقول له: إنك أسأت السمعة عليك وعلينا فيما تقدم، ولو كنت أعلمتني، خدمتك أتم خدمة، ولم يعلم بك أحد. ففرح الوزير بذلك، وتواترت الرسائل بينه وبينها حتى قال: فأنا أزورك في هذه الليلة إلى دارك متنكراً، قالت[7] لرسوله: إن الله قد أجل قدر الوزير عن ذلك، بل أنا أزوره في داره. فلما أمسى الليل جاءت إليه فغنت له، وشرب وطرب، ومكنته من نفسها، ثم وقع عليها ومسحت ذكره عند الفراغ بخرقة فيها سم قاتل، فتهرأ ومات من ليلته، فدفنه ولده منصور في اصطبله وسوى به الأرض، فلم يعرف له قبر إلى اليوم. وكانت وفاته ليلة السبت الخامس عشر من جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وخمس [٧٩] مئة[8].

---

(١) في الأصل: بيت.
(٢) في الأصل: بيت.
(٣) في الأصل: لأنه كانت.
(٤) في الأصل: درقها.
(٥) في الأصل: جوارها.
(٦) في الأصل: أم الحرة والتصحيح من خ.
(٧) في الأصل: قال.
(٨) ولكن في سلوك / دار: ٣ / ورقة: ٤٥٢: الخامس من جمادى الأولى سنة ٥٣٣.

ثم وزر بعده لفاتك بن منصور، زريق[1] الفاتكي، وكان شجاعاً كريماً. أما شجاعته فقال لي محمد بن عبدالله اليافعي[2] ثم الحميري - وكان كاتب رزيق - قال: (رأيت)[3] رزيقاً الفاتكي يوم الجمعة (وكان يوماً مشهوداً بينه وبين القائد أبي محمد مفلح)[4] وكان لمفلح على أهل زبيد[5]، وقد اشتجرت فيه سبعة أرماح، وهو مضاعف درعين، فحصد أكثرها بسيفه، واندق فيه منها رمحان وهو ثابت[6] في سرجه. ومفلح ينادي به: اعقروا صاحب الفرس، وإلا فما يسقط على الأرض[7]. ثم حمل على مفلح فضربه ضربة على مقعد الرديف في فرس مفلح فقسمت[8] الفرس نصفين، وسقط مفلح، ورد عنه بنو مشعل، وهم[9] عرب.

وأما كرمه فكان أكثره على الشعراء، ولم يكن في زمانه من يقدر على ما يقدر عليه من الأكل، حتى كان يضرب به المثل. فكان له بين ذكور وإناث، ثلاثون ولداً (فلما توفي)[10] تناسخت فريضته[11]، وفريضة من مات من أولاده وأولادهم قبل القسمة، فانتشرت واتسعت حتى لم يقدر أحد من العلماء على قسمتها. وكان الوزير مفلح والوزير إقبال، والوزير مسعود

---

(١) في خ: زريق.

(٢) في خ: الشافعي.

(٣) زيادة من خ.

(٤) زيادة من خ.

(٥) أي أنه انتصر فيه مفلح على أهل زبيد؛ ويقول خ: وكان يوماً مشهوداً بينه وبين القائد أبي محمد المفلح.

(٦) جاء في خ: وقد استخرجت منه تسعة أرماح، وهو مضاعف بين درعين، فحمل أكثرها سيفه، واندق منها فيه رمحان وهو ثابت.

(٧) في خ: اعقروا به الفرس نسقط إلى الأرض.

(٨) في خ: فحمل على مفلح فضربه ضربة وقعت على مقعد الردف من الفرس فقسمت....

(٩) انظر حاشية: ٩٠ (كاي).

(١٠) زيادة من خ ومكانها واو العطف.

(١١) تناقل ميراثه.

الفاتكيون[1]، قد أراد كل منهم أن يبتاع[2] من ورثة الوزير رزيق أراضي ورباعاً، فلم يصلوا إلى[3] ذلك، لعدم القدرة على (معرفة)[4] صحة سهام كل وارث. ولما كان في سنة تسع وثلاثين، وجدت في عدن شيخاً من أهل حضرموت يسمى أحمد بن محمد الحاسب، وكان حاسباً فرضياً[5]، قد جاوز الثمانين، وهو يريد الحج. وكان ذا ضرورة[6]، ولم يملك منذ خلقه الله عشرة دنانير، ولا يصدق من يقول: رأيت ألف دينار. لأنه كان ناشئاً في بلاد كندة فيما يلي الرمل. فانكسر مركب في ساحل البحر المجاور، فوقع منهم إلى رمل كندة، رجل عالم زاهد، وهذا الشيخ أحمد هو الفرضي. فأخذت هذا الفقيه إلى منزلي بعدن، فكسوته وأمرت من كان معي بإكرامه وإطعامه، وتنظيفه من فضلات وخضاب لحيته وأطرافه بالحناء. فلما حسنت حاله عادلني في محمل من عدن إلى زبيد، ووعدته أني أحج به معي، وأكفيه ففرح بذلك ووثق به، وسكن إليه وذاكرته ليلة ونحن على الجمل فريضة بني رزيق، وهي إحدى وخمسون بطناً، فاندفع فيها كأنه يحفظها غيباً، حتى طلع الفجر، ولم يأخذني نوم لفرط المسرة بعلمه. ثم قال: إن شئت أن نترك السفر هذا اليوم وتقيم على هذه البئر، ولم أصل صلاة الظهر حتى قد صححت الفريضة، وعرفتك سهام كل واحد من الورثة على الانفراد، ففعلت ذلك. فناولني الفريضة مكتوبة بخطه عند الغذاء ووالله لقد طال ما اجتمع عليها عثمان بن الصفار، ومحمد بن علي السهامي ونظراؤهما من الفرضيين، وما منهم إلا من يرى أن ابن اللبان [٨٠][7] من أتباعه في الفرائض والوصايا والدور والجبر والمقابلة. وفي الزمان المتطاول،

---

(١) في الأصل: والفاتكيون؛ وفي خ: القائد بدلاً من الوزير.

(٢) في الأصل: أن يبتاع منهم.

(٣) في الأصل: على.

(٤) زيادة اقتضاها السياق.

(٥) حجة في أحكام الميراث.

(٦) أي ذا حاجة.

(٧) انظر حاشية: ٨٠ (كاي) والتعليق عليها.

كانت تصنع الوزراء لهم الولائم، ويسعون لهم في الصلات، يفترقون فيها على غير شيء.

ولما وصلت زبيد، أسكنت الفقيه في آخر الدار، بحيث لا يراه أحد غيري، وكنت بالليل أقرأ عليه الفرائض، وبالنهار أقرأ عليه حرف أبي عمرو بن[1] العلاء [٨١] في القرآن العظيم. وكان فيما يقرئه القراءات السبع، ثم أخذت أكرر المسألة التي لأولاد رزيق، إلى أن صرت أتحدث بها مع نفسي غيباً. ثم تقدمت إلى القائد سرور الفاتكي، فادعيت عنده معرفتها، وهو من أشد الناس حرصاً على الابتياع من آل رزيق، وقال: إن صحت دعواك دفعت لك كذا وكذا مبلغاً، قد أنسيته فلما صحت أحضر المال، فدفعه إلى الفقيه أبي محمد عبدالله القاسم الأبار، فهو رأس الشافعية يومئذ بزبيد، وعليه قرأت المذهب الشافعي. ثم جمع الفقهاء إلى قاعات أرضية مفروشة بحر الرمل وجلس كل قوم يضربون الرمل، ناحية من غيرهم، فإذا صح لهم بطن نقلوه من الرمل إلى الورق، إلى أن صحت لهم الفريضة جميعها. ولم يبرح من هنالك حتى قسم المال بين الفقهاء، وأجزل نصيبي منه. ورجعت إلى منزلي، فأحضرت المال إلى الفقيه الحضرمي فقال: أستغفر الله يا ولدي، وقد كنت أكذب من يقول إنه رأى مئة دينار، ثم دفع المال إلي. وقال: لا حاجة لي به، وأنت تكفيني، فحملته. ومات رحمة الله عليه بعد أن قضى الحج.

ولما همت الحبشة بزبيد بقتلي سنة خمسين، قال لهم القائد سرور: أليس هو صاحب مسألة رزيق، والله لا يقتل، أما رزيق فلم يكن له نفاذ في سياسة العسكر، ولا خبرة في إقامة نواميس السلطنة فلم يلبث في الوزارة مدة، حتى استقال منها[2] واستدعى لها الوزير أبا منصور مفلح الفاتكي.

❋ ❋ ❋

(١) انظر حاشية: ٨١ (كاي) والتعليق عليها.

(٢) في الأصل: من الوزارة.

أما جنسه فبطن الحبشة يقال لهم: سحرت، وكان يكني: أبا المنصور، ومنصور ولد له. وكان (أبو) منصور هذا رشيداً من الأعيان أهل الخبرة والفقه والأدب، والصباحة والشجاعة والسماحة والرياسة الكاملة. وكان الناس يقولون: لو كان له نسب من قريش كملت له شروط الخلافة. وكان عبيد فاتك ينبزون مفلحاً بالبغل. فكان يقال له: مفلح البغل، لأنه كان يدلي آلة مثل التي يدليها البغل، وكان مع ذلك عفيف الذيل، ولم يعلم له صبوة في صغر ولا في كبر[1].

قال حمير: ولقد أذكر يوماً من عفافه، أنه دعاني وهو وزير فقال: قد[2] تنكد عليَّ العيش، بسبب ما أسمعه كل حين من غناء وردة جارية الأمير عثمان الغزي، و(ما)[3] يوصف لي من جمالها. ولقد استدت على أبواب الحيلة في حصولها عندي. قلت: إن كنت تريدها سفاحاً بذلت وسعي في خدمة الوزير. فقال: والله ما عصيت الله تعالى بفرجي منذ خلقت. قلت: فبكم يشتريها الوزير؟ قال: بكل ما يقترح مولاها، وكان مولاها أميراً[4] جليلاً، كبير القدر، له وجاهة ومنزلة في الدولة. ثم هو مقدم الغز الذين استدعاهم الملك جياش لمحاربة سبأ بن أحمد الصليحي، وعثمان هذا أميرهم وشيخهم، وهم أربع مئة فارس رماة، وبهم امتدت دولة الحبشة على العرب.

وكان الملك جياش استدعى منهم ثلاثة آلاف قوس، فلما فصلت عن مكة منهم ألفان إلى زبيد، ندم جياش على رأيه، وعلم أنهم يخرجونه من البلاد ويستولون عليها. فتقدم جياش على الولاة[5] الذين أمرهم على الغز

---

(١) في خ: في صغره ولا كبره.
(٢) في الأصل: مذ.
(٣) زيادة من خ.
(٤) في الأصل: إماماً.
(٥) في الأصل: ولاية.

بمكة، أن يطرحوا لهم السموم فيما يأكلون[١] ويشربون ويلبسون، فمات فيهم بشر كثير. وخلص منهم إلى زبيد ألف فارس أو دونها. فجهز منهم خمس مئة إلى الجبال، ففتحوا فيها ما وطأ[٢] الحافر، ولما حُصِروا في كور صنعاء، دس عليهم جياش من قتلهم بالسم، وفرق كلمتهم بالحروب والأموال.

وبقيت عنده بتهامة أربع مئة وخمسون فارساً، فأقطعهم من واسع الأعمال إلى واد يقال له ذؤال، ورعيته عك والأشاعر، وعرضه يوم، وطوله من الجبل إلى البحر يومان أو دونها. وبينه وبين مدينة زبيد يوم [٨٢] واحد. ولم يزل الغز يستأدون خراج هذا الوادي من سنة ست وثمانين وأربع مئة إلى سنة أربع وعشرين وخمس مئة، فأثرت الغز وحسنت حالهم وتملكوا و[كانت][٣] رياستهم تنتهي إلى [ثلاثة نفر وهم][٤] سولي[٥] وطيطاس وعثمان[٦] هذا. ثم مات الاثنان وبقي عثمان هذا. ولم يبق في الغز إلا مئة فارس شيوخ. وأما أولادهم المولدون بزبيد فلم يفلحوا، ولا جاء منهم بأس يتقى ولا معروف يرجى.

قال الشيخ حمير بن أسعد كاتب الوزير: ففكرت في حيلة أتوصل بها إلى غرضه فوجدتها وهي: أني قلت للوزير[٧] بأمر ينقض قسمة الأعمال القديمة، فإن الرجال التي كانت تنفع ماتت، وبقيت الأقطاع الجيدة في أيدي أولادهم الذين لا ينفعون وتصلب في ذلك، وتقدم على الناس بالحشود[٨] من الأعمال إلى زبيد، وتنقل [كل قوم إلى عمل آخر غير عملهم][٩]. قال

---

(١) في الأصل: يأكلونه.
(٢) في الأصل: ما وطىء.
(٣) زيادة من خ.
(٤) زيادة من خ.
(٥) في الأصل: شاه والى والتصحيح من خ.
(٦) في الأصل: وهذا عثمان.
(٧) الوزير مفلح الفاتكي.
(٨) في خ: الحشور، وحشد القوم أي دعوا وأجابوا مسرعين.
(٩) في الأصل: وتنقل يومين إلى عملين آخرين.

حمير: فلما فعل ذلك الوزير ضاق الأمر على جماعة من أكابر الدولة ولا كضيقة على عثمان الغزي. فإن أموال الغز الذين ماتوا من رفقتة[1] صارت إليه.

فلمّا كاد عثمان أن يخرج من زبيد فيمن معه من قومه، ويشق العصا دخلت عليه[2]، وشربت معه، وغنت له وردة وغيرها ممن عنده. ولم يكن أحد من أهل تهامة يحجب عن حمير، لا مغنية، ولا أم ولد [٨٣] لأن أكثر سراريهم[3] ومغنيهم من تخريجه وتربيته في داره. وخدم جماعة من ملوك الجبال، ثم نزل إلى تهامة، فاختص بصحبة أحمد بن مسعود بن فرج المؤيد صاحب حيس. ثم كتب بعده للشيخ مَنّ الله الفاتكي، ومن عند حمير هذا يبتاع السم الذي يقتل به الملوك، لأن له إخوة وأعمام[4] في بلاد بكيل. وحاشد (لا)[5] ينبت هذا الشجر في بقعة من الأرض لبيت هناك (إلا)[6] لهم، وهي من حصونهم، وهم يحتفظون بها كما يحتفظ للديار المصرية بالشجر الذي فيه دهن البيلسان[7] وأوفى[8].

وكل من مات من بني نجاح ووزرائهم، فمن عند حمير بن أسعد[9]، حتى كانوا إذا نادموه قالوا له: يا أبا سبأ[10]، نأكل ونشرب ونحن في حسبك، فيضحك ويقول: نعم. وكان حلو المحاضرة، كثير المحفوظات، حسن النادرة، كثير البذل في ذات الله، وفي سبيل المعروف، يترسل بين الملوك من الحبشة فيرقع الخلل، ويهون الجلل. ثم سكن الكدراء عند

---

(١) في الأصل: رفاقه.
(٢) في الأصل: إليه.
(٣) في الأصل: سرايرهم.
(٤) في الأصل: أعماماً.
(٥) زيادة من (كاي).
(٦) زيادة من (كاي).
(٧) البيلسان شجر له زهر أبيض صغير بهيئة العناقيد يستخرج منه دهن عطري الرائحة.
(٨) أي أن عناية اليمنيين بشجرهم السام أوفى وأتم من عناية المصريين بشجرهم العطر.
(٩) نقل ياقوت هذه الفقرة في حديثه عن بلاد بكيل (٧٠٦/١ ـ ٧٠٧).
(١٠) في الأصل: يا بأسنا.

القائد إسحاق بن مرزوق السحرتي، فأكرمه وخلطه بنفسه، وبها مات، سنة ثلاث وخمسين، وقد جاوز السبعين. وكان ينزل عندي إذا دخل زبيد وعند غيري من أصدقائه، ولم يكن بها أهله، وبهذا السبب يسترسل معي.

قال حمير: فلما أخذت النشوة من عثمان مأخذها قال لي: كنت حريصاً على لقائك طمعاً في صلاح أحوالنا مع هذا العبد الطاغي، وتركنا على إقطاعنا وأملاكنا التي لم نعد نستفدها[1] في أيامه، ولا من إنعامه. قلت: نعم (إنه)[2] مع ما فيه من الإعجاب والتكبر، وحسن الباطن، قريب الرجوع، وأنا أجتهد في غد إن شاء الله تعالى، إذا عاد من الصباح على مولانا أن يطيب[3] صنعاً عندك. وأنا أعلم أنه إذا أكل طعامك و (شرب)[4] شرابك، وغنى له جواريك[5] استحي منك وخجل. وعاد عما في نفسه. فكاد عثمان أن يطير فرحاً، ولم يصدق أن الوزير يزوره[6]، وأشرت على عثمان، أن يتطفل في الليل على الوزير ويركب إلى داره ويقول: ضيف يشتهي أن يتشرف بالسماع والشراب. فلما أمسينا[7]، ووصل عثمان إلينا، أشرت على الوزير أن يخرج المغنيات[8] والوصائف الساقيات علينا، ففعل ذلك. ووعده الوزير أنه في غد (يكون)[9] ضيفه. فحمل إلى عثمان في تلك الليلة مالاً جزيلاً، وعدنا من الركوب من دار مولانا إلى دار عثمان[10] فوجدنا أسمطة واسعة، عددت في (قود)[11] واحد (منها) ثلاثين خروفاً

---

(١) في الأصل: نشهدها.
(٢) زيادة من خ.
(٣) في الأصل: لطل.
(٤) زيادة من خ.
(٥) في الأصل: حريمك، والتصحيح من خ.
(٦) في الأصل: وزيره والتصحيح من خ.
(٧) في الأصل: أمسى.
(٨) في الأصل: المغاني.
(٩) في خ: ووعده أن يكون في غد ضيفه.
(١٠) في خ: ولما عدنا من الركوب إلى دار السلطان سرنا إلى دار عثمان.
(١١) زيادة من خ.

مشوياً، وثلاثين جاماً من الحلاوة. وأما الذي جلس عليه الوزير فكان في طول قاعة البستان الذي لعثمان، وهي خمسون ذراعاً. فلما رأى الوزير ذلك، امتعض حسداً لعثمان على همته، وسرعة ما تأتى له من تلك الأسمطة وكانت أربعة. ثم فرق عثمان على حواشي الوزير خمس مئة خروف، وأنهب العسكر تلك الأسمطة، وفرق على حواشي الوزير ثلاثة أبهرة[1] سكر، وهي تسعة قناطير. ثم انتقلنا إلى مجلس الوزير[2] وكنا سبعة [٨٤]. فلما انصرفوا قلت لعثمان: إنك بهيمة لا عقل لك، أترى[3] الوزير إنما زارك لأكلة أو شربة ما أقصر همتك، وأعمى بصيرتك، قال: فدبرني. أعرض عليّ ما عندك، فذكر الخيل والعدد الجمال[4]، والألطاف والذخائر، فأظهرت له في كل شيء نقيصة، وقبحته عليه. قال: فما ترى، قلت: انظر هدية لا تخبأ في الخزائن، ولا تغيب عن عينه، فإن المقصود أن يذكرك[5] بهديتك كلما[6] نظر إليها. قال: ما عندي سوى وردة. وهي روحي فإن كانت تصلح له نزلت عنها، ولو أني[7] أموت. قلت: إن قبلها فهي مما تصلح له. قال: فتحدث معه فيها، فإن قبلها فلك عندي ألف دينار، ثم أمرنا بإحضارها، عاشرة عشر، فقبّلن يد الوزير، ثم اندفعن يغنين بين يديه مكشوفات الوجوه. وأوصيت الوزير أن يعرض عن وردة ويستحسن غيرها. ففعل ذلك مما قوى عزيمة مولاها في قبولها منه. فلما سكر عثمان ونام، وسكر النسوة إلا وردة، فإني كنت أريد صحوها، قمت إلى المستراح، فاستدعيت وردة فأعلمتها القصة فقالت: لا أرغب[8] إلا في مولاي. فاستدعيت الوزير إلى مجلسي، ودخلت أنا ووردة عليه. فوعدها ومناها،

---

(١) انظر حاشية: ٧٩ (كاي).

(٢) في خ: مجلس الشراب.

(٣) في الأصل: أرى.

(٤) في الأصل: والمال.

(٥) في الأصل: أن يكون يذكرك.

(٦) في الأصل: فلما.

(٧) في الأصل: وأن أموت.

(٨) في الأصل: أغب.

وهممت بالخروج، عنهما، فأمسكني وقال: والله لا يكون هذا أبداً. ثم عدنا جميعاً إلى المجلس، ووالله ما ملأ عينيه منها، ولا مكنها [من تقبيل][1] يده عند السلام. فلما صحا مولاها، استأذناه في الخروج، وكان [ذلك][2] عند العشاء الآخرة. فلم نخرج إلا ووردة في أيدينا. فأما عثمان: [فلما][3] أصبح[4] أعدت[5] عليه الألف دينار التي كان دفعها إليّ، وسألته في ضيعة ذؤال[6] [٨٥]. وأما الوزير فأحضرني ليلة وخلع علي وقال: إن بنتك وردة أقسمت علي، لا دنوت منها، حتى ترضي حمير، فما الذي يرضيك؟ قلت: ضيعة العبادي بما فيها من زروع، وما لها من أبقار، فوقع لي بها وهي الضيعة التي لا ضيعة على مالكها.

ونعود إلى أخبار الوزير مفلح: فمنها ما حدثني به الشيخ أبو الطامي جياش بن إسماعيل بن البوقا قال: قدم علينا إلى زبيد في أول وزارة الشيخ القائد مفلح أبو المعالي ابن الحباب[7] من الديار المصرية، فابتاع وصيفاً حبشياً برسم الخدمة، ثم هرب الوصيف [وعلق][8] بسبب غلامه بيتين من الشعر هما [٨٦]:

وأنت سحاب طبق الأرض صوبه	وعاقته عن سقياي إحدى[9] عوائقه[10]
فإن لم تجد في هاطلات غمامة	فلا تدن مني محرقات صواعقه[11]

---

(١) زيادة من خ.
(٢) زيادة من خ.
(٣) زيادة من خ.
(٤) في الأصل: أصبحت والتصحيح من خ.
(٥) في الأصل: فأعدت.
(٦) في الأصل: ذوال.
(٧) في الأصل: الحلبا والتصحيح من قرة.
(٨) انظر حاشية: ٨٦ (كاي).
(٩) في الأصل: أحد.
(١٠) في خ: العوائق.
(١١) في الأصل: الصواعق.

فلما وقف مفلح على البيتين عثر بهما وتنبه على فضل أبي المعالي، واستدعى الغلام فرده إليه خامس خمسة من جنسه. ثم استدعى أبا المعالي وأمره أن يمدح الوزير بقصيدة ففعل ذلك، ثم أحضره إليه حتى أنشده ودفع له خمس مئة دينار، ووصله أيضاً منصور بن مفلح من عنده بثلاث مئة دينار ثواباً على قصيدة أخرى مدحه بها، وحمله إلى مكة حرسها الله تعالى.

وأما أحوال مفلح مع العسكر، فإن قصر الملك فاتك بن منصور نشأت به رجال من عبيد الحرة الملكة، أم فاتك بن منصور وهم: صواب وريحان ويمن وعز[1] وريحان الأكبر. هؤلاء أزمة أعيان أكابر. ومن الفحول إقبال، ومسرور، وبارة[2]، وسرور، وهو أمير الفريقين مكانة وغنى.

وكان هؤلاء الجماعة هم الذين يتكلمون على لسان السلطان. وصار الوزير في أمور السلطان أجنبياً معهم، وعظم بهم جانب الحرة. واستمالوا كثيراً من الفارس والراجل. ثم دبروا حيلة يخرجون بها مفلحاً من زبيد. فقال لهم سرور: ما عندكم حيلة أحسن من مخاطبته على حج مولاتنا الملكة وتجهيزها بثلاثين ألف دينار. فلما أرسلوا إليه في ذلك امتنع وقال: صرف المال[3] إلى أعداء الدولة أولى من هذه الخرافات، ولمولاتنا بالمغزل، ولزومها كسر بيتها شغل شاغل [عن الحج][4]. ولم يزالوا يراجعون في ذلك إلى أن قال: مولاتنا إلى غير هذا محاجة، فانظروا لها فيه فإنه يسليها. قالوا: وما هو؟ قال شيء في طول هذا. وقبض كفه ومد ذراعه. فحدث في النفوس من هذه الكلمة شر لم يستدركه مفلح إلا بالإذن لها في الحج وتجهيزها[5] بثلاثين ألف دينار، وتسيير ولده منصور معها إلى مكة.

ثم كان من تدبير سرور على خروج مفلح، تسييره إلى عدن لمحاربة

---

(١) في خ؛ وفي قرة: عنبر.

(٢) في الأصل: سارة غير معجمة وكذا في خ مع اختلاف في الأسماء؛ ورواية خ: إقبال وبرهان وسرور وسارة.

(٣) في خ: صرف المال في محاربة أعداء الدولة.

(٤) زيادة من خ.

(٥) في الأصل: وتجهزها.

سبأ بن أبي السعود وعلي بن أبي الغارات الزريعيين. فلما خرج مفلح من زبيد على ليلة، ثار محمد بن فاتك [بن جياش][1] في زبيد على الحرة وولدها. فقضى ذلك برجوع مفلح إلى زبيد. ثم دبر سرور على خروج مفلح. أنه كاتب عرب الزعلي، والعمراني بالاتفاق[2] على أعمال المهجم، وفيها يومئذ القائد مسعود الزبيدي فقضى ذلك بخروج مفلح إلى المهجم، وهي من زبيد على ثلاثة أيام [من الناحية الشمالية][3] فما هو إلا أن خرج مفلح من زبيد مسير ليلة من البلد، حتى تسلل الناس عنه، ورجعوا إلى المدينة، وبقي في خاصته[4] وتوجه إلى جبال برع، وملك حصن المكرشة [٨٧] وراوح[5] تهامة، وغاداها بالغارات، وعبيد فاتك تقاتله[6] بالمراكز والأموال، ثم انتقل من الحصن وترك به حريمه [وسار][7] إلى عرب المهجم وهم بنو مشعل[8] وعزان وزعل، وهم الفرسان والأنجاد، فأسكنوه حصناً لهم يقال له دبسان[9] وبينه وبين المهجم نصف يوم أو دونه، فشن الغارات على أعمال المهجم.

ثم كاتب الأمير الشريف غانم بن يحيى السليماني[10] ثم الحسني. وهو يومئذ ملك[11] مخلاف (سليمان)[12] بن طرف [٨٨]، واشترط مفلح

---

(١) زيادة من خ.
(٢) أي بالاتفاق على الهجوم على أعمال المهجم.
(٣) زيادة من خ.
(٤) في الأصل: خاصة.
(٥) في الأصل: رواح والتصحيح من خ.
(٦) في الأصل: تقابله.
(٧) زيادة من خ.
(٨) في الأصل: مشغل؛ وفي خ: بنو الكرندي؛ وبنو مشعل بطن من آل مفلس (انظر عشائر العراق للغزاوي ص٢٣٣).
(٩) الأصح: دبان (صفة: ٩٠).
(١٠) حاشية: ٨٨ (كاي) والتعليق عليها.
(١١) في خ: صاحب.
(١٢) زيادة من خ.

للشريف ولبني عمه إسقاط الإتاوة عنهم، المستقرة لصاحب زبيد، على غانم في كل سنة، ومبلغها ستون ألف (دينار)، [١] وأن يضيف لهم مفلح إلى ذلك، أعمال الواديين، وهي واسعة. فسار الشريف في ألف فارس وعشرة آلاف راجل ناصراً لمفلح على أهل زبيد. فلقيهم القائد سرور، فكسر مفلح وكسر الأشراف، وكسر العرب على المهجم وخرج إليه من زبيد[٢] ـ وهو مقيم بالمهجم ـ تقليد بأعمال المهجم، وما معها من الأعمال، وهو مور والواديان، فاستقر سرور فيها، وعاد مفلح إلى حصن الكرش[٣] فمات بها سنة تسع وعشرين وخمس مئة. فخلفه[٤] ولده منصور بعد أبيه، فناوشهم حروباً، وأذاقهم من الشر ضروباً، ثم خذله أصحابه وتفللوا[٥] عنه، وسئم الناس عض الحديد وفراق الأوطان فاستأمن (على يد القائد سرور ودخل معه زبيد، والوزير يومئذ إقبال، فخلع)[٦] علي منصوراً، وأنزله في دار أبيه. فلما كان من الغد، قبض عليه وقتل ليلاً بدار[٧] الوزير إقبال، فأنكر الملك فاتك (والقائد سرور)[٨] ذاك. وهم (بالوزير)[٩] ثم أبقاه على دخن[١٠].

قال حمير بن أسعد: فابتاع مني رسول إقبال سما، والله ما علمت لمن هو. وتلطف إقبال حتى سقى مولاه فاتكاً ـ ولد الحرة ـ ذلك السم، فمات فاتك بن منصور في شعبان (سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة)[١١] [٨٩].

---

(١) زيادة من خ.
(٢) في الأصل: زبين.
(٣) ورد هكذا في الأصل؛ وفي خ.
(٤) في الأصل: فأما؛ والتصحيح من خ.
(٥) في الأصل: تقللوا؛ وفي خ: تغللوا: وليس في اللغة كلمة تقللوا بمعنى تسللوا ولا تغللوا بنفس المعنى. والأصوب أن نقول: تسللوا.
(٦) زيادة من خ.
(٧) في خ: بيد.
(٨) زيادة من سلوك.
(٩) زيادة من خ، والأصل: هم بإقبال.
(١٠) الدخن ـ الحقد والفساد.
(١١) راجع حاشية: ٨٩ (كاي).

قالت وردة جارية الوزير مفلح: ولما مات مولاي في الجبال بحصن الكرش أو مكرشة خطبني الوزير إقبال، والقائد سرور، والقائد إسحاق بن مرزوق، والقائد علي بن مسعود صاحب حيس، فوعدت رسول كل واحد منهم وعداً جميلاً، وشاورت مولاي منصور بن مولاي مفلح في رسائل القوم. فأشار [علي بـ][1] سرور وقال: استظهري بمشورة الشيخ حمير بن أسعد: فاستدعيته من تهامة إلى الجبال. فقال: أما علي بن مسعود فعنده تسعون سرية وأربع زوجات. أما إقبال فعنده عشرون مغنية ثم عنده ناجية (وهي من) تربية التجار[2] ونجلها منصور بين عينيه إلى هذه الغاية. وأما القائد إسحاق بن مرزوق فعنده ابنة عويد أم ولده فرج، وعنده ابنة عمه أحد[3]. ولا والله ما تمشي بأرض تهامة مثلها. ولكني أشير عليك بالقائد أبي محمد سرور الفاتكي، فإنه واسع النعمة[4]، ثم هو تربية الملك فاتك بن منصور، وتربية مولاتنا أم فاتك بن منصور. قالت: فتزوجني القائد أبو محمد سرور الفاتكي، فوجدت رجلاً مشغولاً عن الدنيا، وعن النساء، وعن التنعم، بالنظر في معالي الأمور، فلم أزل به حتى حللته[5]، وتدوجت في عشرته حتى ملكته، فكان على خشونته ويبسه وهيبته. وانقباض جواريه منه لا يخالفني فيما آراه، وإذا غضبت عليه، كاد أن يفارق الحياة، ودليل ذلك ما حدثني به الشيخ مسلم بن يشجب وزير الأمير الشريف غانم بن يحيى الحسيني قال: قدمت من بلادي رسولاً إلى القائد سرور الفاتكي في عقد هدنة بيننا وبينه فقال لي وزيره عبيد بن بحر: ليت قدومك تقدم أو تأخر، فإنك صادفت القائد مشغولاً خاطره، فأقمت يومين أو ثلاثة أيام. ولما لم أجتمع بالقائد قدم علينا حمير بن أسعد فقال لي عبيد بن بحر،

---

(١) في الأصل: فأشار سرور.

(٢) في الأصل: ثم هي عند تاجر وتربية التجار.

(٣) ذهب [كاي] إلى أن اسمها (أحدولا) مضيفاً إلى كلمة (أحد) كلمة (ولا).

(٤) في الأصل: المقمة.

(٥) في الأصل: حللته ولا معنى لها إلا إذا كانت تشبهه بالعقدة ثم جاءت فحللتها، أما أحل فمعناها خرج من ميثاق كان عليه، ومن المستبعد أن تكون بالخاء، فاخللته معناها أفقرته.

وزير القائد سرور: الآن انحلت عقدتك بعد قدوم حمير. قلت: فكيف ذلك؟ قال: إن أم عمرو وردة ساخطة عليه وأقسمت لا تكلمه، ولا تأذن له في الدخول عليها حتى يأتي أبوها، وهو الشيخ حمير بن أسعد. قال مسلم: ولما كان في تلك الليلة، دعينا إلى مجلس فيه شراب وغناء وطيب، فجلسنا، وإذا القائد قد طلع علينا، فسلمنا عليه، ثم سمعنا من خلف الستارة جلبة وجرس حلي لم يكن[١]. وإذا هي وردة، أصلح حمير بينها وبين القائد، فجاءت لتغني له، فوقع في قلبي من تعجيز القائد سرور وضعف عزيمته، بعض ما وقع. فكأنه يوحي بما في نفسي. فاقترح عليها قول الشاعر:

نحن قوم تذيبنا الحدق النجل مع أننا نذيب الحديدا[٢]

ومن عبيد فاتك من جعلت ذكره ختامهم وأخرته، وإن كان أمامهم، وهو القائد الأجل أبو محمد سرور أمحرة الفاتكي، وجنسه من الحبشة أمحرة، وكل ما أورده عنه نقطة من بحر فضله. فمن مبادىء أمره أن منصور بن فاتك لما قتل الوزير أنيساً، وابتاع من ورثته الحرة الصالحة، حرة زبيد الحاجة واستولدها ولداً سماه فاتكاً بن منصور، ابتاعت لولدها من الحبشة وصفانا صغاراً، كان سرور[٣] هذا أحدهم، وربي في حجرها. ولم يلبث أن ترعرع وبرع، وولته زمام[٤] المماليك، وصرفت إليه الرياسة على كل من في القصر، فساد وشدد ولين. ثم ولي العرافة[٥] على طائفة من الجند فملكهم بالإحسان والصفح عنهم. ثم ترقت به الحال إلى أن ولي الترسل[٦] بين السلطان والوزراء ـ الأكابر ـ واستغنى عن الأزمة. وكان الزمام

---

(١) أي لم يكن هذا الصوت موجوداً من قبل.
(٢) في الأصل: الجديد.
(٣) في الأصل: كان هذا سرور.
(٤) في الأصل: زم.
(٥) العرافة: الرياسة.
(٦) في الأصل: الخطابة والتصحيح من سلوك.

الناظر[١] يومئذ هو[٢] الشيخ صواب. وكان يميل إلى الدين والتخلي للعبادة، فإذا عوتب على ذلك قال: القائد أبو محمد سرور هو[٣] صاحب الأمر والنهي علي [وعليكم][٤]، وعلى مولاتنا. وليس (شيء)[٥] يخرج عن أمره، وهو أهل أن يتقلد أمور الناس في الثواب والعقاب، والحل والعقد. وترقت الحال بسرور، حتى أخرج الوزير مفلح من زبيد، ولم يزل سرور يحارب مفلحاً، حتى مات مفلح في الجبال، بعد أن جرت بينهم وقائع، يموت في كل واحدة منها العدد الكثير من الفريقين، وكانت العاقبة والدولة لسرور.

وحدثني الشيخ عبدالمحسن بن إسماعيل، وكان كاتب القائد سرور ووزيره قال: أذكر وقد سار الأمير الشريف غانم بن يحيى الحسني في نصرة الوزير مفلح على سرور، ومع غانم ألف فارس، ومن الرجال عشرة آلاف، وانضاف ذلك إلى عسكر مفلح، وانضمت إليها من العرب بنو مشعل، وهم أحلاس[٦] الخيل وفرسان الليل، وبنو عمران، وبنو زعل، وبنو حرام، والحكميون [٩٠] في ضموم[٧]. وزحفوا إلينا ونحن في عدد يسير[٨]. وقد كتب القائد سرور إلى أهل زبيد يستنفر الناس، وكانت الوقعة بالمهجم[٩]، وبعدها من زبيد ثلاثة أيام، قال: فقلت للقائد: إن هذا تهور، إنما نحن في هؤلاء كقطرة في اليم، أو لقمة في الفم. فقال: أمسك عليك، فوالله إن الموت عندي أهون من الهزيمة، ثم التقى الناس، فكانت الدائرة على مفلح

---

(١) في سلوك: زمام الدار.
(٢) في خ: هو الشيخ صواب.
(٣) في الأصل: وهو، وواو العطف محذوفة في سلوك، وفي خ.
(٤) زيادة من خ، سلوك.
(٥) زيادة من خ.
(٦) والمراد أنهم فرسان مغاور.
(٧) من الجائز أن تكون جموع. لكن ضموم بفتح الضاد معناها كل وادي يسلك بين أكمتين طويلتين، راجع التعليق على الحاشية: ٩٠ (كاي).
(٨) في الأصل: كثير.
(٩) في الأصل: على المهجم والتصحيح من خ.

وغانم ومن معهما، وتضاعف خطر[1] القائد سرور في نفس الموالف والمخالف. وقبل ذلك ما كان من خروج الوزير مفلح طالباً العون، إلى أن حصل على زبيد، على نصف مرحلة. وثار محمد بن فاتك بن جياش في زبيد حين خلت من العسكر، فحاز[2] محمد بن فاتك هذا[3]، دار الإمارة (ليلاً)[4]، ووقف القراء بين يديه، ففاضت البلد عليه التهنئة. ووزيره منصور بن الوزير مَنّ الله الفاتكي.

واستعصمت الحرة وولدها بعلو الدار ونمى[5] الخبر إلى القائد سرور، وهو في ساقة العسكر، فأثنى راجعاً وتسور الحصن، ودخل المدينة، ونادى إلى مولاته من خلف دار الملك: ارموا إليَّ الحبل، أنا فلان. ورفعه الأستاذون، والنساء بالحبال حتى وصل إلى مولاته، فسلم عليها وسكن روعها وقال: هذه العساكر خلفي متواصلة. ثم أخذ مئة جارية وخمسين أستاذاً فألبسهم زي الرجال من الدروع والسلاح، وفتح الطيقان[6]، وصاح الجميع صيحة واحدة: يا فاتك بن منصور، هذا ومحمد بن فاتك جالس على سرير تحت طيقان الدار. ثم رماه[7] القائد بحجر، فلم يخطىء وجه محمد بن فاتك، فهشمت وجهه عند تلك الصيحة العظيمة، فانهزم هو ووزيره في تلك الساعة ومن معهما، وخرجوا من باب البلد ليلاً. ولم يصل العسكر إلى البلد إلا في الظهر من صبيحة تلك الليلة.

فهذه بعض المقدمات الموجبة لتقدم سرور على كافة أهل الدولة.

ثم ولي المهجم، وهو كرسي ملك كبير، ثم تشاعب[8] العرب،

---

(١) في الأصل: خط.
(٢) في الأصل: وملك والتصحيح من خ.
(٣) في الأصل: هذا محمد بن فاتك.
(٤) الزيادة من خ.
(٥) يعني: انتشر.
(٦) في الأصل: الطبقات.
(٧) في الأصل: وإن القائد رمى بحجر وأثبتنا عبارة خ..
(٨) شاعب صاحبه أي باعده، تشاعبوا أي تباعدوا. وبالغين تشاغب أي تعاصى وامتنع.

وبنو عمران، وبنو زعل. وتشاعب الحكمية، وتشاعب الأمير غانم بن يحيى الحسني، ودولته ظاهرة. وكان هذا القائد مقيماً في زبيد من هلال ذي القعدة إلى آخر يوم من شعبان، ثم يخرج من زبيد فيصوم رمضان في المهجم، ويصلح أحوال تلك الأعمال، وتتسع نفقاته[1] وصلاته في شهر رمضان حتى قال لي الشيخ عبيد بن بحر وزيره: كانت وظيفة مطبخه مدة شهر رمضان في كل يوم ألف دينار، وكنت أشاهده عدة سنين، إذا جاء من المهجم يريد زبيد، احتفل الناس بالخروج للقائه على اختلاف طبقاتهم، ويقف الناس على تل عال فأول طائفة تسلم عليه الفقهاء المالكية والحنفية والشافعية. وكان يترجل لهم، ولا يترجل لأحد قبلهم ولا بعدهم، ثم ينصرفون ويجيء بعدهم التجار، فإذا انفرجوا جاءت العسكرية أفواجاً. وإذا دخل المدينة وقضى حق السلام على السلطان، مضى إلى دار مولاته الحرة. فإذا دخل عليها انفض الناس من عندها، الصغير والكبير، ولا يبقى عندها إلا غزال جاريتها، وهي أخت زوجته، وجارية مولاها منصور بن فاتك. وهؤلاء النسوة يمشون في الخير على منوالها، ويتشبهن في الصلاح بأفعالها. فإذا وصل إليها نزلت عن سريرها إكراماً له منها، وتبجيلاً[2] لقدره وقالت له: أنت يا أبا محمد وزيرنا، بل ومولانا. بل ورجلنا الذي لا يحل لنا أن نخرج عن طاعتك في شيء[٩١]. فيصيح بالبكاء بين يديها، ويعفر خده بالأرض، إلى أن تتولى رفعه بيدها عن الأرض.

ثم تستأخر النسوة (الثلاث)[3] في طرف المجلس غير بعيد، بحيث يفضي إليها بما حسن عنده أن يفعله، من التدبير في تلك السنة، من ولاية وعزل وإنعام (وقتل ثم)[4] لا يزال جالساً بين يديها [٩٢]، والنسوة الثلاث واقفة على رأسه، حتى يقوم إلى صلاة الظهر، فيعود إلى مسجده ـ وهو

(١) في الأصل: نفاقه.
(٢) في سلوك: تجليلاً.
(٣) زيادة من سلوك.
(٤) بياض في الأصل والتكملة من خ.

على باب داره ـ فيجده لا يتسع من كثرة الناس الذين لا يستطيعون الخروج في لقائه.

* * *



فصل فيما شاهدت بخط كتابه

رأيت جريدة الصدقات[1] التي يدفعها عند دخوله إلى زبيد للفقهاء والقضاة والمتصدرين في الحديث، والنحو واللغة وعلم الكلام والفروع (والمدرسين والمفتين)[2] اثني عشر ألف (دينار)[3]. في كل سنة، خارج عن صلة العسكر، مع كثرتهم. وحكى لي عبيد بن بحر وغيره: أن الهدايا التي يدفعها كل سنة، برسم حواشي السلطان، من الجهات والأزمة، ووصفان الخواص، عشرون ألف دينار. وهذه صلة[4] خارجة عن أرزاقهم المستقرة[5] وحدثني غيرهم: أن المحمول من أعماله إلى بيت ماله[6] في كل سنة ستون ألف دينار، وأن المحمول من بيت مولاته الحرة وحواشيها وترائبها، ومن يلوذ بها، على وجه الهدية خمسة عشر[7] ألف دينار.

فصل: كان القائد أبو محمد سرور الفاتكي رحمه الله، يخرج إلى مسجده بعد نصف الليل أو ثلثه، وكان أعلم الناس جميعاً بالمنازل وبالأنواء ويقول: إنما[8] أخرج في هذا الوقت، لعل أحداً من أهل البيوتات، وأرباب الستر لا يقدرون على الوصول إلى عندي بالنهار، إما لكثرة الناس أو لفرط

(١) في خ: الصدقة المعتاد.
(٢) زيادة من سلوك.
(٣) زيادة من خ.
(٤) في الأصل: هذه وصلة.
(٥) في سلوك: المستمرة.
(٦) في خ: إلى بيت مولاه.
(٧) في خ، في سلوك: اثني عشر ألفاً.
(٨) في الأصل: أنا والتصحيح من خ، سلوك.

الحياء، فإذا صلى الصبح ركب: إما إلى فقيه يزوره، أو مريض يعوده، أو ميت يحضر دفنه[1]، أو وليمة أو عقد نكاح (يشهده)[2]. وما يخص بذلك أكابر الجند والعلماء والتجار، دون أصاغرهم، بل من دعاه أجاب. وكان المتظلم من الرعية يجفو عليه ويفحش له في القول، وهو آمن حميته وعزته[3] وغضبه. وكان يدعى إلى الحاكم[4] فيحضر ولا يوكل (كما يفعل الجبابرة وإن كانوا أصاغر)[5]. ويقعد بين يدي الحاكم تواضعاً، لا وضاعة، ودخولاً لأوامر الشرع تحت الطاعة (ليقتدي به سواه)[6] ثم يعود به بعد ركوبه بالغداة، فيسلم على السلطان، ويستعمل الاشتغال بتدبير الأمور العسكرية إلى وقت الغداء. ثم[7] يخرج إلى المسجد [٩٣] في [أول][8] زوال الظل، فلا يشتغل بشيء سوى المستندات الصحيحة عن رسول الله ﷺ إلى صلاة العصر. ثم يدخل داره ويخرج قبل المغرب إلى المسجد. فإذا صلى المغرب تناظر الفقهاء بين يديه إلى [وقت صلاة][9] العشاء الآخرة. وربما تطول المناظرة في بعض الليالي، و[ربما][10] ركب حماراً، وأخذ وصيفاً واحداً بين يديه حتى يجتمع بالحرة الملكة للمشورة، ولم يزل هذا[11] حاله من سنة تسع وعشرين وخمس مئة، إلى أن قتل في مسجده هذا[12]، رحمه الله بزبيد في الركعة الثالثة من صلاة العصر، يوم

---

(١) في الأصل: أو صيحة ميت فيحضرها.
(٢) زيادة من سلوك / دار.
(٣) في الأصل: وعزه والتصحيح من خ.
(٤) وفي سلوك: ومتى استدعي إلى مجلس الحاكم.
(٥) زيادة من سلوك.
(٦) زيادة من خ.
(٧) في سلوك: وكان متى عاد بعد الركوب.
(٨) زيادة من خ.
(٩) زيادة من خ.
(١٠) زيادة من خ.
(١١) في الأصل: هذه.
(١٢) في الأصل: هذه.

الجمعة الثاني عشر من رجب من سنة (إحدى وخمسين وخمس مئة)[1]. قتله رجل يقال له مجرم، من أصحاب علي بن مهدي. ثم قتل قاتله في تلك العشية، بعد أن قتل جماعة من [٩٤] الناس[2] ولم تلبث الدولة بعد قتله إلا يسيراً حتى أزالها علي بن مهدي، وملك زبيد وأعمالها في سنة أربع وخمسين وخمس مئة وسأذكر[3] علي بن مهدي هذا[4] باليمن (في) فصل أشير فيه جمل من بدايته وغايته.

***



ذكر خروج علي بن مهدي باليمن

أما نسبه فمن حمير. وأما اسمه فعلي بن مهدي من أهل قرية يقال لها العنبرة. من سواحل زبيد. كان أبوه رجلاً صالحاً سليم القلب، ونشأ ولده علي بن مهدي هذا على طريقة أبيه في العزلة والتمسك (بالعبادة)[5] والصلاح ثم حج وزار، ولقي حاج العراق، وعلماءها، ووعاظها، وتضلع من معارفهم، وعاد إلى اليمن فاعتزل، وأظهر الوعظ، وإطلاق التحذير من صحبة العسكرية (الملوك وحواشيهم. وكان ظهوره في سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة)[6] وكان فصيحاً صبيحاً، أخضر اللون، ملوح الخدين، ألحى[7]، طويل القامة، مخروط الجسم، بين عينيه [٩٥] سجادة[8]، حسن

---

(١) زيادة من خ؛ من سلوك.

(٢) استطرد صاحب السلوك بعد ذلك فقال: «أو مسجده الآن يعرف بمسجد سرور غربي مرباع العجوز بمدينة زبيد. ولا يكاد يعرف من هو سرور إلا آحاد الناس. وأما أهل زبيد فيعرفون أنه من المساجد المنسوبة إلى الحبشة».

(٣) في الأصل: أذكر.

(٤) في الأصل: علي بن مهد باليمن هذا.

(٥) زيادة من خ. وفي المختصر: ٣٥/٣: «التمسك بالصلاح».

(٦) زيادة من خ؛ من سلوك.

(٧) الطويل اللحية.

(٨) في خ؛ في سلوك: سجدة؛ راجع حاشية: ٩٥ (كاي).

الصوت. طيب النغمة، حلو الإيراد، غزير المحفوظات، قائماً بالوعظ والتفسير، وطريقة الصوفية، أتم قيام. وكان يتحدث بشيء من أحواله المستقبلات فيصدق. فكان ذلك من أقوى عدده في استمالة قلوب العالم.

وظهر أمره بساحل زبيد، بقرية العنبرة، وقرية واسط وقرية القضيب[١]، والأهواب والمعتفى[٢]، وساحل الغازة، وكان ينتقل منها. وكانت عبرته لا ترقأ[٣] على ممر الأوقات. وكنت يومئذ منقطعاً إليه، ملازماً له في أكثر الأوقات مدة سنة. ثم علم والدي أني تركت التفقه ولزمت طريقة النسك، فجاء من بلده مسافراً حتى أخذني من عنده، وأعادني إلى المدرسة بزبيد، وكنت أزوره في كل شهر زورة. فلما استفحل أمره انقطعت عنه خوفاً من أهل زبيد. ولم يزل من سنة إحدى وثلاثين يعظ الناس في البوادي، فإذا دنا موسم مكة خرج حاجاً على نجيب إلى سنة ست وثلاثين. ثم أطلقت الحرة أم فاتك بن منصور له ولإخوته ولأصهاره، ثم لمن يلوذ به، خراج أملاكهم، فلم يمض بهم هنيهة[٤] حتى أثروا واتسعت بهم الحال، وركبوا الخيل. فكانوا[٥] كما قال المتنبي:

فكأنما نتجت قياماً تحتهم   وكأنما ولدوا على صهواتها [٩٦][٦]

ثم أتى بقوم من أهل الجبال حالفوه على النصرة، فخرج إليهم سنة ثمان وثلاثين، وجمع جموعاً تبلغ أربعين ألفاً، وقصد بهم مدينة الكدراء، فلقيه القائد إسحاق بن مرزوق[٧] السحرتي في قومه فهزموا أصحابه، وقتلوا خلقاً من جموعه، وعفوا عن أكثرهم. وعاد ابن مهدي إلى الجبال فأقام بها

---

(١) في الأصل: القصب والتصحيح من صفة: ٥٠، ١٧٨.
(٢) المعمعى: هكذا وردت في الأصل.
(٣) في الأصل: لا ترقى.
(٤) في الأصل: هنية.
(٥) في الأصل: فكانا.
(٦) راجع حاشية: ٩٦ (كاي) والتعليق عليها.
(٧) في خ: مروان.

[إلى][1] سنة إحدى وأربعين. ثم كتب إلى زبيد، وسألها في ذمة له، ولمن يلوذ به ويعود إلى وطنه، ففعلت الحرة ذلك، على كره من أهل دولتها، ومن فقهاء عصرها ﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾[2].

أقام علي بن مهدي يشتغل [في] أملاكه، عدة سنين، وهي مطلقة من الخراج، واجتمع له من ذلك مالاً جزيلاً، وكان يقول في وعظه: «أيها الناس، دنا الوقت وأزف الأمر، وكأنكم بما أقول لكم، وقد رأيتموه عياناً». فما هو إلا أن ماتت الحرة سنة خمس وأربعين، حتى أصبح في الجبال في موضع يقال له الداشر من بلد خولان [٦٧]، ثم ارتفع منه إلى حصن يقال له الشرف، وهو لبطن من خولان، يقال لهم بنو حيوان. بإسكان الياء، وسماهم الأنصار، وسمى من صعد من تهامة المهاجرين.

ثم ساء ظنه بكل أحد ممن هو في صحبته، خوفاً منهم على نفسه، فأقام للأنصار رجلاً من خولان يسمى سبأ بن يوسف[3]، وكناه بشيخ الإسلام، وللمهاجرين رجلاً (من العمرانيين)[4] يسمى النوبي[5]. نعته أيضاً بشيخ الإسلام. وجعلهما نقيبين على الطائفتين. فلا يخاطبه، ولا يصل إليه سواهما. وربما احتجب فلا يرونه، وهم يتصرفون في الغزو. فلم يزل يغادي الغارات، ويراوحها على أهل تهامة، حتى أخرب الحدود المصاقبة للجبال. والحبشة يومئذ تبعث[6] بالأموال في المراكز. فلا يغنون شيئاً لوجوه كثيرة منها: إن الموضع الذي هو حصن الشرف حصن منيع بنفسه، وبكثرة خولان. ومنها أن الإنسان إذا أراد أن يصل إلى حصن الشرف مشى في واد ضيق بين جبلين مسافة يوم كامل أو

---

(١) زيادة من خ؛ سلوك.

(٢) سورة ٨؛ آية: ٤٣.

(٣) في خ: محمد.

(٤) زيادة من خ.

(٥) في الأصل: غير معجمة؛ وفي خ: النومي؛ وفي المختصر: (٣٥/٣: التويتي).

(٦) في الأصل: تمنعش.

بعض يوم، فإذا وصل إلى أصل الجبل، الذي فيه الحصن، احتاج في طلوع النقيل[١] إلى نصف يوم حتى يقطع العقبة. ومنها أن الوادي يتصل مسيله من تهامة بشعاب[٢] عظيمة. إذا كمنت فيها الجيوش العظيمة الجرارة شهراً لم يعلم بها أحد.

وكانت غزوات ابن مهدي إذا غارت على بعض أعمال تهامة، ونهبت وأحرقت[٣] وأدركها الفجر، تعدل إلى الجبال التي[٤] في الوادي الذي فيه الشعاب[٥]، فمكثت[٦] فيه، فلا يوصل إليها، ولا يقدر عليها. ولم يزل ذلك من فعله مع أهل زبيد إلى أن أخلى جميع أهل البوادي، وقطع الحرث والقوافل. وكان يأمر أصحابه أن يسوقوا الأنعام والرقيق، وما عجز عن المسير عقروه. ففعلوا من ذلك ما أرغب وأرهب، وقضى بخراب الأعمال.

ثم لقيت علي بن مهدي هذا[٧] عند الداعي محمد بن سبأ، صاحب عدن، بمدينة ذي جبلة سنة تسع وأربعين[٨]، يستنجده على أهل زبيد، فلم يجبه الداعي إلى ذلك. وعرض [علي][٩] صحبته. وعقد لي أن يقدمني على كل أحد من أصحابه[١٠]. ولما عاد ابن مهدي من ذي جبلة سنة تسع [وأربعين][١١] إلى حصن الشرف، دبر على (قتل)[١٢] القائد سرور الفاتكي.

---

(١) الطريق المختصر.
(٢) في الأصل: الخراج.
(٣) في الأصل: وأخربت.
(٤) في الأصل: الذي.
(٥) في الأصل: الخراج.
(٦) في خ: فكمنت في بعض تلك الشعاب.
(٧) في الأصل: هذا علي بن مهدي.
(٨) وخمس مئة.
(٩) زيادة من خ.
(١٠) لم يصرح عمارة برفضه أو قبوله لهذا.
(١١) زيادة من خ.
(١٢) زيادة من خ.

فقتل في رجب سنة إحدى وخمسين وخمس مئة. وكان مما[1] أعان ابن مهدي على أهل زبيد، اشتغال روؤسائها بالتنافس والتحاسد على رتبة[2] القائد سرور. وفتح على [أهل][3] الدولة بعده، أبواب الشر المسدود، وانحل عقدها المشدود. وفارق ابن مهدي حصن الشرف، وهبط إلى الداشر بينه وبين زبيد أقل من نصف يوم، وتقرب الرعايا إليه، وعرب البلاد هم [الذين] كانوا رعايا الحبشة. وكان الرجل من أصحاب ابن مهدي يلقى أخاه أو قريبه وهو [ممن] مع الحبشة، إما مزارع، وإما جمال، وإما راعي ماشية لهم فيفسده.

ولم يزل الأمر كذلك حتى زحف ابن مهدي لهم إلى باب المدينة في عوالم لا تحصى. وحدثني غير واحد من أهل اليمن ممن أدرك[4] الحصار بزبيد قالوا: لم تصبر أمة على الحصار والقتال ما صبر [عليه][5] أهل زبيد، وذلك أنهم قاتلوا ابن مهدي اثنين وسبعين زحفاً، يقتل منهم من[6] يقتل، ونالهم الجوع، حتى أكلوا الميتة من شدة الجهد والبلاء. ثم استنجدوا بالشريف الزيدي، ثم الرسي أحمد بن سليمان [الهروي][7]، صاحب صعدة، فأنجدهم طمعاً في الملك، وشرطوا له أن يملكوه عليهم. فقال الشريف: إن تقتلوا مولاكم فاتكاً حلفت لكم. فوثب عبيد فاتك بن جياش بن نجاح، ونجاح مولى مرجان، ومرجان مولى أبي عبدالله الحسين بن سلامة، والحسين بن سلامة مولى رشيد[8] الزمام ورشيد[9]

(١) في الأصل: ممن.
(٢) في خ: مرتبة.
(٣) زيادة من خ.
(٤) في الأصل: أدركه والتصويب من خ.
(٥) زيادة من خ.
(٦) في الأصل: ما.
(٧) زيادة من خ.
(٨) في الأصل: رشد.
(٩) في الأصل: رشد.

مولى[١] أبي الجيش إسحاق بن[٢] إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم بن محمد بن زياد [٩٨]، فقتلوه في شهور سنة ثلاث وخمسين.

ثم عجز الشريف عن نصرهم على ابن مهدي. وجرت بينهم بعد ذلك وبين ابن مهدي مصافات، يتحصنون منهم بالمدينة، إلى أن كان فتحه لها، وزوال دولتهم، واستقراره بدار الملك في يوم الجمعة، الرابع عشر من رجب سنة أربع وخمسين وخمس مئة، وأقام علي بن مهدي بقية رجب وشعبان ورمضان ومات في شوال من السنة. فكانت مدة ملكه شهرين وواحد وعشرين يوماً.

ثم انتقل إلى والده المهدي. ثم إلى ولده عبدالنبي وخلع. ثم إلى ولده عبدالله ثم عادت إلى عبدالنبي كرة ثانية، والأمر اليوم[٣] في اليمن بأسره إليه ما عدا عدن، فإن أهلها هادنوه عليها بمال في كل سنة. واجتمع لعبدالنبي هذا[٤] ملك الجبال والتهائم، وانتقل إليه ملك جميع ملوك اليمن وذخائرها.

وحدثني محمد بن علي، من أهل ذي جبلة، أنه حصل في خزائن ابن مهدي ملك خمس وعشرين دولة من دول أهل اليمن. فمنها أموال أهل زبيد، وما من عبيد فاتك وجهاته وأعيان دولته، إلا من مات عن أموال جليلة من العين جزيلة (صار جميع ذلك إليه)[٥]، لأنه ملك الذراري والنساء. فأظهروا له كنوز مواليهم، وكذلك المصوغ، واللؤلؤ والجوهر، واليواقيت الفاخرة، والملابس الجليلة على اختلاف أصنافها. وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾[٦].

---

(١) في الأصل: بعد كلمة مولى. زياد بن إبراهيم بن. . . ، ويرى (كاي) حذفها.

(٢) في الأصل: إسحاق بن محمد بن إبراهيم (راجع حاشية: ٩٨ (كاي).

(٣) أي أيام عمارة بن أبي الحسن الحكمي.

(٤) في الأصل: واجتمع لهذا عبد النبي.

(٥) زيادة من خ.

(٦) سورة ٤٤؛ آية: ٢٥ ـ ٢٨.

وانتقل إليهم ملك بني سليمان الشرفاء، وانتقل إليهم ملك بني وائل، سلاطين وحاظة، وهم أهل دولة متأثلة. وكذلك معاقل من بقي من بني الصليحي. كل معقل منها له أعمال واسعة، والارتفاعات الكثيرة. فأما ملك الملك منصور بن المفضل بن أبي البركات بن الوليد الحميري، فإنه حاز[1] جميع حصونه وهي ما هي، وجميع ذخائره؛ وإنما هي جميع ذخائر الداعي علي بن محمد الصليحي، وذخائر المكرم أحمد[2] بن علي زوج الحرة الملكة السيدة. وذخائر الحرة الملكة زوجته. وذلك أن الجميع انتقل إلى الحرة. وأودعته في حصن التعكر. وتغلب عليه المفضل بن أبي البركات وعلى ما فيه. وانتقل التعكر وما فيه من الممالك بأسرها، إلى ولده منصور بن المفضل، لأنهم يزعمون أن الأمير منصور بن المفضل، عمر في الملك ثلاثين سنة، ومات في عشر المئة أو التسعين[3] [٩٩].

ومما انتقل لابن مهدي حصن المجمعة وأمواله، وحصن التعكر وأمواله على ما قيل. ومدينة ذي جبلة، وهي مقر الدعوة الفاطمية، وكرسي الملك لبني الصليحي، وكذلك مدينة الجند وأعمالها، وكذلك ثالثه وشرياق وذخر[4] وأعمالها [وهي مخلاف واسع][5] وليس ملك علي بن محمد[6] هذا صاحب ذخر دون ملك منصور بن المفضل، ثم ملك بني الزر. ومدينة ذي جبلة ومدينة ذي أشرق، ومدينة إب، وحصون خولان، وحصون بني ربيعة وهي: عزان وحب والشماحي[7]. وأخذ السلطان أبا النورين أبا[8] الفتح، فبقي حصن السوا لابن السبئي.

---

(١) في الأصل: حان.
(٢) في الأصل: علي.
(٣) أي أنه توفي في العقد التاسع أو العقد العاشر.
(٤) في خ: وماله وسرياق وصبر وأعماله.
(٥) زيادة من خ.
(٦) في الأصل: وليس ملك هذا علي بن محمد.
(٧) في خ: وهي: عران وحب والسماحي.
(٨) في الأصل: أبي.

ثم استولى ابن مهدي على معاقل الداعي عمران بن محمد، التي صارت لابن مهدي وهي: حصن سامع ومطران، وهذه حصون[1] إقليم المعافر. وانتقل إليه معقل اليمن ـ الذي ليس بعد التعكر وحب سواه ـ وهو حصن السمدان[2].

وبه يضرب المثل، وهو الذي ليس لمخلوق عليه اقتدار ما لم يعنه الخالق بماضيات الأقدار.

وهذا الذي سميته نقطة من بحر ما ملك ابن مهدي هذا. ولم أذكر[3] بلاد بني المظفر[4]، سبأ بن أحمد الصليحي. ولا إقليم حراز[5]، ولا برع[6]، ولا بلاد بكيل، ولا حاشد، ولا جبلة وحصونها وأعمالها، ولا وادي عنه[7]، ولا وادي زبيد، ولا غير ذلك من [جبال][8] وادي رمع، وريمة والأشاعر وحصونها ومعاقلها وقراها [ولا وحاظة وأعمالها. وهو مسيرة أيام][9]. ومذيخرة وأعمالها. وهي مسيرة أيام ودمت. ووادي نخلة [١٠٠].

فأما المذهب الذي كان عليه ابن مهدي وما يعتقده، فكان حنفي الفروع[10]، ثم أضاف إلى عقيدته في الأصول: التكفير بالمعاصي[11] والقتل بها، وقتل من خالف اعتقاده من أهل القبلة، واستباحة الوطء لسباياهم، واسترقاق ذراريهم وجعل دارهم دار حرب. وحكي لي عنه،

---

(١) في الأصل: الحصون.
(٢) الصليحيون: ٦٢ هامش ٣.
(٣) في الأصل: يذكر.
(٤) في الأصل: المظفرين:
(٥) في خ: ولا حلة ولا وادي نخلة ولا وادي عنة.
(٦) في الأصل: حزان والتصويب من خ، صفة: ٩٦، ٩٧.
(٧) في الأصل: تحله والتصويب من صفة: ٦٨، ٧٠.
(٨) زيادة من خ.
(٩) زيادة من خ.
(١٠) في الأصل: خفي الفروع؛ وفي خ: حنفي المذهب في الفروع.
(١١) أي يكفر من ارتكب المعصية ويقتل على الكبيرة على طريقة الخوارج.

والعهدة على الحاكي: أنه لم يكن يثق بإيمان أحد من المهاجرين حتى يذبح ولده أو أباه أو أخاه. ويقرأ عليه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[1]. وأعرف صبياً منهم كان جاراً له، وكان يتفقه، راحت والدته إليه تزوره فذبحها.

وأما اعتقاد أصحابه فيه، فهو فوق ما يعتقده الناس في الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم. وذلك أن الواحد من آل ابن مهدي هؤلاء، يحسن عنده أن يقتل جماعة من عسكره، ثم إذا قدروا عليه لم يقتلوه ديناً وعقيدةً. وإذا غضب على رجل من أكابرهم وأعيانهم حبس نفسه في الشمس، ولم يطعم ولم يشرب، ولم يصل إليه ولده ولا زوجته، ولا يقدر أحد أن يشفع فيه، حتى يرضى عنه ابتداءً من نفسه.

ومن طاعتهم له أن كل واحد منهم يحمل ما تغزله زوجته وبناته إلى بيت المال ويكون ابن مهدي هو الذي يكسو الواحد منهم[2]. ويكسو أهله من عنده. وليس لأحد من العسكرية فرس يملكه، ولا يرتبطه في داره، ولا عدة ولا سلاح، ولا غيرها، بل الخيل في اسطبلاته، والسلاح في خزائنه. فإذا عن[3] له أمر دفع لهم من الخيل والعدة ما يحتاجون إليه.

ومن سيرته أن المنهزم من عسكره، يضرب رقبته، ولا سبيل إلى حياته. ومن سيرته قتل من شرب المسكر، وقتل من سمع الغناء، وقتل من زنى، وقتل من تأخر عن صلاة الجمعة، وعن مجلسي وعظه وهما يوم الخميس، ويوم الإثنين، وقتل من تأخر فيهما عن زيارة قبر أبيه[4]. وهذه الرسوم إنما هي في العسكرية. وأما الرعايا فالأمر فيهم ألطف من أمر

---

(١) سورة ٥٨، آية: ٢٢.

(٢) نظام شيوعي اشتراكي.

(٣) في الأصل: عز.

(٤) في الأصل: عن زيارة أبيه مقبوراً وأثبتنا رواية خ.

العسكرية. وقد بلغني في هذا الوقت وهو سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة، أن الأمر قد هان على ما كان عليه من الشدة [١٠١].

* * *



فصل في من ولي الدعوة الفاطمية باليمن

فمن ذلك الداعي علي بن محمد الصليحي، جمع بين الدعوة والملك. ثم ولده المكرم أحمد بن علي الصليحي، جمع بين الدعوة والملك. ثم السلطان سليمان الزواحي، ولي الدعوة دون ذلك. ثم القاضي لملك بن مالك الحمادي الهمداني[١] جمع بين الدعوة والحكم دون الملك. ثم علي بن إبراهيم الموفق في الدين بن نجيب الدولة، ولي الدعوة، وملك بأمر الحرة الملكة بعض أعمالها [١٠٢] ثم[٢] وصل سجل مولانا الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين عليه السلام، بالبشارة بولادة مولانا الإمام الطيب أبي القاسم بن الإمام الآمر بالنص عليه بالإمامة، إلى حجته بهذه الجزيرة اليمنية بما مثاله: «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله ووليه[٣] المنصور، أبي علي الآمر بأحكام الله، أمير المؤمنين، إلى الحرة، الملكة، السيدة، الرضية، الطاهرة الزكية وحيدة الزمن، وسيدة ملوك اليمن، عمدة الإسلام، خاصة[٤] الإمام، ذخيرة الدين، عمدة المؤمنين، كهف المستجيبين، عصمة المسترشدين، وولية أمير المؤمنين، وكافلة أوليائه الميامين[٥]، أدام الله تمكينها ونعمتها، وأحسن توفيقها ومعونتها. سلام عليك. فإن أمير المؤمنين يحمد الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلي على جده محمد خاتم

---

(١) في الأصل: بعد كلمة القاضي فضاء لكلمة، ثم بن ملك الصليحي، والأصح ما أثبتناه كما هو معروف في كتب أولي الدعوة (الصليحيون: ١٧٥).

(٢) في الأصل: ثم لما.

(٣) في الأصل: ولبه والتصحيح من عيون: ١٩٢/٧.

(٤) في عيون: خالصة الإمام.

(٥) نفسه: المؤمنين.

النبيين وسيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين الأئمة المهتدين[1] وسلم تسليماً.

أما بعد، فإن نعم الله عند أمير المؤمنين لا يحصى لها عد[2]، ولا تقف عند أمد ولا حد، ولا تنتهي إلى الإحاطة بها الظنون، لكونها كالسحاب الذي كلما انقضى [منها][3] سحاب أعقبه[4] سحاب هتون. فهي كالشمس الساطعة الإشراق، الدائمة الانتظام والاتساق، والغيوث المتتابعة الاتصال، المتوالية في الغدو والآصال. ومن أشرفها[5] لديه قدراً، وأعظمها صيتاً وذكراً، وأسناها جلالاً وفخراً، الموهبة بما جدده الآن، بأن رزقه مولوداً زكياً[6] مرضياً، براً تقياً. وذلك في الليلة المصبحة بيوم الأحد الرابع من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وخمس مئة. ارتاحت إلى طيب ذكره أسرة المنابر، وتطلعت إلى مواهبه آمال كل باد وحاضر، وأضاءت بأنوار عزته[7]، وبهجة طلعته ظلم الدياجر، وانتظمت به للدولة[8] الزاهرة الفاطمية عقود الفضائل[9] والمفاخر. استخرجه من سلالة النبوة كما يستخرج النور من النور، ومنح أمير المؤمنين منه، ما قدح به زناد السرور[10]. وسماه الطيب، الطيب عنصره، وكناه أبو القاسم كنية جده نبي الهدى المستخرج جوهره من جوهره. وأمير المؤمنين يشكر الله تعالى على ما من به من إطلاعه كوكباً منيراً في سماء دولته، وشهاباً مضيئاً في فلك جلالته[11] ورفعته، شكراً

---

(١) في عيون: المهديين.
(٢) في الأصل: لا تحصى له بعد.
(٣) زيادة من عيون.
(٤) في الأصل: أعقبها.
(٥) في عيون: أفضلها.
(٦) في عيون: زكياً ضياو ومرضياً.
(٧) في عيون: غرته.
(٨) نفسه: الدولة.
(٩) في الأصل: المفاصل.
(١٠) في الأصل: بما قدح زناد السرور وأثبتنا رواية عيون عيون.
(١١) في عيون: جلاله.

يقضي باستدامة نعمته، وإدرار سحائب طوله ورأفته، ويسأله[(١)] أن يبلغه فيه كنه الآمال، ويصل به حبل الإمامة، ما اتصلت الأيام بالليالي[(٢)]، ويجعله عصمة للمسترشدين، وحجة على الجاحدين، وعوناً للمضطرين[(٣)]، وغوثاً[(٤)] للمنتجعين، ووازراً[(٥)] للخائفين، وسعادة للعارفين، لتنال الدنيا بسعادته أوفى حظوظها وقسمها، وتصبح الأيام مفترة عن ناجذ مبسمها، ولمكانك من حضرة أمير المؤمنين المكين، ومحلك [عنده][(٦)] الذي امتنع[(٧)] عن المماثل والقرين، أشعرك هذه البشرى، الجليل قدرها، العظيم فخرها، المنتشر صيتها وذكرها، لتأخذي من المسرة بها بأوفى نصيب، وتذيعيها[(٨)] فيمن قبلك من الأولياء[(٩)] والمستجيبين، إذاعة يتساوى في المعرفة بها كل بعيد منها[(١٠)] وقريب، لينتظم بها عقد السرور، ويتضوع عرفها تضوع المندل[(١١)] الرطب منها [في البادية][(١٢)] والحضور. فاعلمي هذا، واعملي به إن شاء الله تعالى: [والسلام عليك ورحمة الله][(١٣)]، وكتب بالتاريخ[(١٤)] المذكور [والحمد لله وحده][(١٥)]. وصلى الله على رسوله سيدنا محمد، وعلى آله الأئمة

---

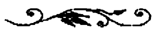
(١) في الأصل: نسأله.
(٢) في عيون: والليالي.
(٣) في عيون: غوثاً للمصطرخين.
(٤) نفسه: وغياثاً.
(٥) في الأصل وفي عيون: ووزرا.
(٦) زيادة من عيون.
(٧) في عيون: ارتفع.
(٨) في الأصل: وتذيعها.
(٩) في عيون: من الأولياء والمؤمنين.
(١٠) في عيون: منهم والقريب.
(١١) يعني العود الطيب الرائحة والجمع متادل.
(١٢) زيادة من عيون؛ وفي خ: الرطب منها والكافور.
(١٣) زيادة من عيون.
(١٤) في عيون: في اليوم.
(١٥) زيادة من عيون.

الطاهرين، وسلم وشرف وكرم إلى يوم الدين [١٠٣](١).

ثم انتقل [الأمر](٢) عن(٣) مولانا الآمر، وولي الحافظ، فكان أول سجل وصل منه إلى الحرة الملكة من ولي عهد المسلمين، وفي السنة الثانية من أمير المؤمنين، فأقامت الحرة الملكة الداعي الأجل إبراهيم بن الحسين الحامدي(٤)، ثم نقلت دعوة الحافظ إلى آل زريع وقالت(٥): حسب بني الصليحي ما علموه(٦) من أمر مولانا الطيب. ثم صارت الدعوة في ولده حاتم بن إبراهيم بن الحسين الحامدي إلى هذه المدة(٧). فانتقلت من ولاية الحافظ (إلى)(٨) آل زريع. فمنهم الأمير الأوحد سبأ بن أبي السعود بن زريع بن العباس اليامي، جمع بين الدعوة والملك، ثم ولده الداعي المتوج المكين، داعي أمير المؤمنين، محمد بن سبأ، جمع بين الدعوة والملك.

قد أتينا في هذا المختصر على جمل من أخبار الملوك في جزيرة اليمن والدعاة.

تم التاريخ المبارك، فالحمد الله الذي تتم بنعمته الصالحات



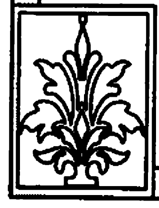
---

(١) راجع نص هذا السجل في كتاب «الصليحيون» ملحق ٨ ص٣٢١ ـ ٣٢٢ المنقول من عيون: ١٩٢/٧ ـ ١٩٣.
(٢) زيادة اقتضاها السياق.
(٣) في الأصل: إلى.
(٤) نزهة: ٩١/١ ـ ٩٢.
(٥) في الأصل: وقال، والتصحيح من سلوك.
(٦) في سلوك: ما عملوه، وأثبتنا ما جاء في الأصل وفي عيون.
(٧) انظر التعليقات على حاشية: ١٠٢ (كاي).
(٨) زيادة اقتضاها السياق.

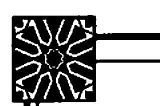
(ثانياً)
تاريخ اليمن المنقول من العبر

للعلامة عبدالرحمن بن خلدون المغربي

تقويم النص








أخبار اليمن والدول الإسلامية التي كانت فيه للعباسيين وللعبيديين، وسائر ملوك العرب، وابتداء ذلك وتصاريفه على الجملة، ثم تفصيل ذلك على مدته وممالكه واحدة بعد واحدة

قد تقدم لنا في آخر السيرة[1] النبوية، كيف صار اليمن في مملكة[2] الإسلام بدخول عامله في الدعوة الإسلامية، وهو باذان عامل كسرى، وأسلم معه أهل اليمن، وأمره النبي ﷺ على جميع مخاليفها. وكان منزله صنعاء كرسي التبابعة، وأنَّهُ مات بعد حجة الوداع. فقسم النبي ﷺ على عمال من قبله، وجعل صنعاء لابنه شهر بن باذان. وذكرنا خبر الأسود العنسي[3]، وكيف أخرج عمال النبي ﷺ من اليمن، وزحف إلى صنعاء فملكها، وقتل شهر بن باذان، وتزوج امرأته، واستولى على أكثر اليمن، وارتد أكثر أهله. وكتب النبي ﷺ إلى أصحابه وعماله، وإلى من ثبت على إسلامه، فداخلوا زوجة شهر بن باذان التي تزوجها في أمره على يد ابن عمها فيروز. وتولى كبر ذلك قيس بن عبديغوث المرادي، فبيته هو وفيروز وداذويه بإذن زوجته وقتلوه. ورجع عمال النبي ﷺ إلى أعمالهم، وذلك قبيل الوفاة.

واستبد قيس بصنعاء، وجمع المغل من جند الأسود. فولى أبو بكر

(١) في الأصل: السير.

(٢) في الأصل: في ملكة.

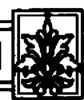
(٣) انظر التعليق على حاشية: ١٠٤ (كاي).

على اليمن فيروز، فيمن إليه من الأبناء، وأمر الناس بطاعته فقاتل قيس بن مكشوح وهزموه [١٠٤]. ثم ولى أبو بكر المهاجر بن أبي أمية على قتال أهل الردة باليمن وكذلك عكرمة بن أبي جهل، وأمره بأن يبدأ بالمرتدة من أهل عمان ويلحق بالمهاجر، ثم استقر اليمن في ولاية يعلى بن منبه[١]، ولقي عائشة بمكة فسار معها، وحضر حرب الجمل [١٠٥]. وولى علي على اليمن عبيدالله بن عباس، ثم أخاه عبدالله. ثم ولى معاوية على صنعاء، فيروز الديلمي، ومات سنة ثلاث وخمسين. ثم جعل عبدالملك اليمن في ولاية الحجاج، لما بعثه لحرب الزبير سنة اثنتين وسبعين.

ولما جاءت دولة بني العباس، ولى السفاح على اليمن عمه داود بن علي، حتى إذا توفي سنة ثلاث وثلاثين [ومئة][٢]، ولى مكانه محمد ابن خاله زياد[٣] بن عبيدالله [بن عبدالله][٤] بن عبد المدان [الحارثي][٥]. ثم تعاقب الولاة على اليمن. وكانوا ينزلون صنعاء، حتى [آلت][٦] الخلافة إلى المأمون، وظهرت دعاة الطالبيين بالنواحي، وبايع أبو السرايا من بني شيبان بالعراق لمحمد بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم - وإبراهيم أخو المهدي - النفس الزكية، محمد بن عبدالله بن حسن وكثر الهرج، وفرق عماله في الجهات، ثم قتل. وبويع محمد بن جعفر الصادق بالحجاز وظهر باليمن إبراهيم بن موسى الكاظم سنة مئتين[٧]، ولم يتم أمره، وكان يعرف بالجزار لسفكه الدماء. وبعث المأمون عساكره إلى اليمن، فدوخوا نواحيه، وحملوا كثيراً من وجوه الناس، فاستقام أمر اليمن كما نذكره.

***

(١) في كاي: منية؛ انظر أيضاً التعليق على حاشية: ١٠٥ (كاي).
(٢) زيادة اقتضاها السياق للإيضاح.
(٣) في الأصل: يزيد، والتصحيح من الطبري.
(٤) زيادة من الطبري: ١١١/٦ ـ ١١٢.
(٥) زيادة من الطبري: ١١١/٦ ـ ١١٢.
(٦) زيادة اقتضاها السياق.
(٧) انظر جدول نسب الأئمة حاشية ١٠٧ (كاي) والتعليق عليها.



[قيام][1] دولة بني زياد بالدعوة العباسية

ولما وفد وجوه أهل اليمن على المأمون، كان فيهم محمد بن زياد، من ولد عبيدالله بن زياد بن أبي سفيان، فاستعطف المأمون، وضمن له حياطة اليمن من العلويين. فوصله وولاه على اليمن، وقدمها سنة ثلاث ومئتين. وفتح تهامة اليمن، وهو البلد الذي على ساحل البحر الغربي. واختط فيها مدينة زبيد، ونزلها واختارها كرسياً لتلك المملكة. وولى على الجبال مولاه جعفراً. وفتح تهامة بعد حروب مع العرب. واشترط على عرب تهامة ألا يركبوا الخيل، واستولى على اليمن أجمع، ودخلت في طاعته أعمال حضرموت، والشحر، وديار كندة، وصار في مرتبة التبابعة.

وكان في صنعاء قاعدة اليمن، بنو يعفر من حمير، بقية الملوك التبابعة استبدوا بها، مقيمين للدعوة العباسية، ولهم مع صنعاء، بيحان ونجران[2]، وجرش. وكان آخرهم أسعد بن يعفر، ثم أخوه محمد. فدخلوا في طاعة بني زياد. وكان في عثر من ممالك اليمن أيضاً: سليمان بن طرف. فدخل في طاعته.

ثم هلك محمد بن زياد، وولي بعده ابنه إبراهيم ثم ابنه زياد بن إبراهيم ثم أخوه أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم، وطالت مدته إلى أن اشتد، وبلغ الثمانين. وقال عمارة: ملك ثمانين سنة باليمن، وحضرموت، والجزائر البحرية. ولما بلغه قتل المتوكل وخلع المستعين[3]، واستبداد الموالي على الخلفاء منع ارتفاع اليمن، وركب بالمظلة، شأن سلاطين العجم المستبدين [١٠٦].

وفي أيامه خرج في اليمن يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بن

---

(١) زيادة لتوضيح العنوان.

(٢) في الأصل: تحراب.

(٣) انظر التعليق على الحاشية ١٠٦ (كاي).

إبراهيم طباطبا بدعوة الزيدية [١٠٧]، وجاء إليها من السند، وكان جده القاسم قد فر إلى السند بعد خروج أخيه، محمد بن أبي السرايا ومهلكه كما مر، فلحق القاسم بالسند وأعقب بها الحسين، ثم ابنه يحيى بن الحسين، فظهر يحيى باليمن سنة ثمان وثمانين (ومئتين)[١] ونزل صعدة. وظهرت[٢] دعوة الزيدية، وزحف إلى صنعاء فملكها من يد أسعد بن يعفر، ثم استردها ابن يعفر[٣]، ورجع إلى صعدة، وكان شيعته يسمونه الإمام، وعقبه الآن بها، وقد تقدم خبرهم.

وفي أيام أبي الجيش بن زياد أيضاً، ظهرت دعوة العبيديين باليمن، فقام بها علي[٤] بن الفضل بعدن لاعة، وجبال اليمن، إلى جبل المذيخرة سنة أربع وتسعين ومئتين[٥]. وبقي له باليمن من الشرجة إلى عدن عشرون مرحلة، ومن مخلافه إلى صنعاء خمس مراحل. ولما غلبه علي[٦] بن الفضل بهذه الدعوة، امتنع أصحاب الأطراف عليه. مثل بني أسعد بن يعفر بصنعاء، وسليمان بن طرف بعثر، والإمام الرسي بصعدة، فسلك معهم طريق المهادنة، ثم هلك أبو الجيش سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة بعد أن اتسعت جبايته، وعظم ملكه. قال ابن سعيد: رأيت مبلغ ارتفاع جبايته وهو ألف ألف ـ مكررة مرتين ـ وثلاث مئة ألف، وستة وستون ألفاً من الدنانير العثرية[٧]، ما عدا ضرائب على مراكب السند، وعلى العنبر الواصل بباب المندب، وعدن أبين، وعلى مغائص اللؤلؤ، وعلى جزيرة دهلك. ومن بعضها ألف رأس وصائف، وكانت ملوك الحبشة من وراء البحر يهادونه ويخطبون مواصلته.

ولما مات خلف طفلاً صغيراً اسمه عبدالله، وقيل إبراهيم، وقيل

(١) زيادة لضبط التاريخ؛ وانظر الحاشية ١٠٧ (كاي) والتعليق عليها.
(٢) في الأصل: ظهر.
(٣) في الأصل: بنو أسعد.
(٤) في الأصل: محمد.
(٥) في الأصل: أربعين وثلاث مئة والتصحيح من سلوك / كاي: ١٤٢ ـ ١٤٣.
(٦) في الأصل: محمد.
(٧) في الأصل: العشرية.

زياد، وكفلته أخته[١]، ومولاه رشيد الحبشي. وولى رشيد على الجبال مملوكه الحسين[٢] بن سلامة النوبي. وآل الأمر في دولتهم بتوالي الوزارة في موالي الحبشة والنوبة. واستبدادهم عليهم، إلى أن انقرضت دولتهم سنة سبع وأربع مئة[٣]. ثم هلك هذا الطفل، فولى طفل آخر من بني زياد أصغر منه. قال ابن سعيد: لم يعرف عمارة اسمه لتوالي الحجبة عليه. ويعني عمارة مؤرخ اليمن. وقيل اسم هذا الطفل الأخير إبراهيم، وكفلته عمته، ومرجان من موالي الحسين[٤] بن سلامة، واستعبد أمرهم ودولتهم. وكان له موليان: اسم أحدهما نفيس[٥] والآخر نجاح. فجعل الملك في كفالة نفيس[٥]، وأنزله معه في زبيد، وولى نجاحاً على سائر الأعمال، خارج زبيد، ومنها الكدراء والمهجم. وكان يؤثر نفيساً[٥] على نجاح ووقع بينهما تنافس، ورفع لنفيس[٥] أن عمة الطفل تميل إلى نجاح، وتكاتبه دونه. فقبض عليهما بإذن مولاه مرجان، ودفنهما حيين.

واستبد وركب بالمظلة وضرب السكة، وامتعض نجاح لذلك، فزحف في العساكر، وبرز نفيس[٥] للقائه، فكانت بينهما حروب ووقائع انهزم نفيس[٥] في آخرها. وقتل في خمسة آلاف من عسكره. وملك نجاح زبيد سنة اثنتي عشرة وأربع مئة. ودفن نفيساً[٥] ومولاه مرجاناً مكان الطفل والعمة، واستبد وضرب السكة باسمه. وكاتب ديوان الخلافة ببغداد، فعقد له على اليمن. ولم يزل مالكاً لتهامة، قاهراً لأهل الجبال، إلى أن قتله علي الصليحي، القائم بدعوة العبيديين، بالسم على يد جارية، بعث بها إليه سنة اثنتين وخمسين وأربع مئة، فقام بالأمر بعده بزبيد مولاه كهلان. ثم استولى الصليحي على زبيد، وملكها من يده كما ذكرنا.

* * *

---

(١) أي أخت أبي الجيش.
(٢) في الأصل: الحسن.
(٣) في عمارة: تسع وأربع مئة.
(٤) في الأصل: الحسن.
(٥) في الأصل: قيس.

الخبر عن بني الصليحي القائمين بدعوة العبيديين باليمن

كان القاضي محمد بن علي الهمداني ثم الصليحي، رئيس حراز من بلاد همدان وينتسب في بني يام[1]. ونشأ له ولد اسمه علي، وكان صاحب الدعوة يومئذ سليمان[2] بن عبدالله الزواحي، نسبة إلى قرية من قرى حراز، ويقال: أنه كان عنده كتاب الجفر، من ذخائر أئمتهم بزعمهم، فزعموا أن علياً بن القاضي محمد مذكور فيه، فقرأ علي على سليمان[3] الداعي وأخذ عنه، لما توسم فيه الأهلية. أراه مكان اسمه في الجفر وأوصافه. وقال لأبيه القاضي: احتفظ بابنك فسيملك جميع اليمن.

فنشأ فقيهاً صالحاً، وجعل يحج بالناس عن طريق الطائف والسرات خمس عشرة سنة. فطار ذكره، وعظمت شهرته، وألقي على ألسنة الناس أنه سلطان اليمن. ومات الداعي سليمان[4] الزواحي، فأوصى له بكتبه، وعهد إليه بالدعوة. ثم حج بالناس سنة ثمان وثلاثين[5] وأربع مئة على عادته. واجتمع بالموسم بجماعة من قومه همدان كانوا معه، فدعاهم إلى النصرة والقيام معه فأجابوه وبايعوه، وكانوا ستين رجلاً من رجالات قومهم، فلما عادوا قام في مسار، وهو حصن في ذروة جبل حراز، وحصن ذلك الحصن، ولم يزل أمره ينمو[6]. وكتب إلى المستنصر صاحب مصر، يسأله الإذن في إظهار الدعوة، فأذن له، وأظهرها وملك اليمن كله.

ونزل صنعاء، واختط بها القصور. وأسكن عنده ملوك اليمن الذين غلبوا على أمرهم، وهزم بنو طرف ملوك عثر وتهامة، وأعمل الحيلة في

---

(١) انظر «الصليحيون»: ٦٤ - ١١٢؛ انظر اللوحة في التعليق على الحاشية ١٠٨ (كاي).
(٢) في الأصل: عامر: وسبق أن ذكرنا ذلك.
(٣) في الأصل: عامر: وسبق أن ذكرنا ذلك.
(٤) في الأصل: عامر: وسبق أن ذكرنا ذلك.
(٥) في الأصل: ثمان وعشرين.
(٦) في الأصل: ينمي.

قتل نجاح مولى بني زياد، ملوك زبيد، حتى تم له ذلك على يد جارية أهداها إليه كما ذكر سنة اثنتين وخمسين (وأربع مئة)[1].

ثم سار إلى مكة بأمر المستنصر صاحب مصر، ليمحو منها الدعوة العباسية، والإمارة الحسنية، واستخلف على صنعاء ابنه المكرم أحمد، وجعل معه زوجته أسماء بنت شهاب والملوك الذين معه مثل: ابن الكرندي. وابن يعفر التبعي، ووائل بن عيسى الوحاظي وأمثالهم. فبيته سعيد بن نجاح بالمهجم وقتله سنة تسع[2] وخمسين وأربع مئة. وقام بالأمر بعده[3] ابنه المكرم أحمد، واستولى على أمره، وأقام بصنعاء. وكانت أمه أسماء بنت شهاب، قد سباها سعيد بن نجاح ليلة البيات فكتبت إلى ابنها المكرم: «إني حبلى من العبد الأحول، فأدركني قبل أن أضع، وإلا فهو العار الذي لا يمحوه الدهر». فسار المكرم من صنعاء سنة ستين[4] (وأربع مئة)[5] في ثلاثة آلاف، ولقي الحبشة في عشرين ألفاً فهزمهم. ولحق سعيد بن نجاح بجزيرة دهلك، ودخل المكرم إلى أمه وهي جالسة بالطاق الذي نصب عنده رأس الصليحي وأخيه، فأنزلهما ودفنهما، ورفع السيف.

وولى أسعد[6] بن عراف على أعمال تهامة. وأنزله بزبيد منها وارتحل بأمه إلى صنعاء. وكانت تدبر ملكه. ثم جمع أسعد بن[7] عراف أموال تهامة، وبعث بها مع وزيره أحمد بن سالم، ففرقتها أسماء على وفود العرب. ثم هلكت أسماء سنة سبع[8] وستين (وأربع مئة)[9]. وخرجت زبيد من يد

---

(١) زيادة لتوضيح المعنى.

(٢) في الأصل: ثلاث وسبعين.

(٣) في الأصل: وقام بأمره بعد ابنه.

(٤) في الأصل: خمس وسبعين.

(٥) زيادة لاستقامة المعنى.

(٦) في الأصل: أسعد بن شهاب.

(٧) في الأصل: أسعد بن شهاب.

(٨) في الأصل: سبع وسبعين.

(٩) زيادة لاستقامة المعنى.

المكرم، واستردها جياش[١] بن نجاح سنة إحدى[٢] وستين، ثم انتقل المكرم إلى ذي جبلة سنة خمس[٣] وسبعين، وولى على صنعاء عمران بن الفضل الهمداني، فاستبد بها وتوارثها عقبه. وتسمى ابنه أحمد، باسم السلطان، واشتهر به، وبعده ابنه حاتم بن أحمد، وليس بعده بصنعاء من له ذكر، حتى ملكها بنو سليمان لما غلبتهم الهواشم على مكة كما في أخبارهم[٤].

ولما انتقل المكرم إلى ذي جبلة، وهي مدينة اختطها عبدالله بن محمد الصليحي سنة ثمان وخمسين (وأربع مئة)[٥]، وكان انتقاله بإشارة زوجته، سيدة بنت أحمد التي صار إليها تدبير ملكه بعد أمه أسماء. فنزلها وبنى فيها دار العز، وتحيَّل على قتل سعيد بن نجاح، فتم له كما نذكر في أخبار بني[٦] نجاح، وكان مشغولاً بلذاته، محجوباً بزوجته. ولما حضرته الوفاة سنة سبع[٧] وسبعين عهد إلى ابن عمه، المنصور سبأ بن أحمد بن المظفر بن علي الصليحي، صاحب معقل أشيح [١٠٨]. فقلَّده المستنصر العبيدي[٨]، وأقام بمعقله، وسيدة بنت أحمد بذي جبلة.

وخطبها المنصور سبأ، وامتنعت فحاصرها بذي جبلة، وقال له أخوها لأمها سليمان بن عامر الزواحي: والله لا تجيبك إلا بأمر المستنصر، خليفة مصر. فراسل في ذلك، وأجيب، ووصل خادم من عند المستنصر، وأبلغه أمره بذلك، وتلا عليها: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٩]. وإن أمير المؤمنين زوجك من الداعي

---

(١) في الأصل: سعيد.
(٢) في الأصل: تسع وسبعين.
(٣) في الأصل: سنة ثمانين.
(٤) راجع حاشية ٨ (كاي).
(٥) زيادة لاستقامة المعنى.
(٦) في الأصل: ابن.
(٧) في الأصل: أربع وثمانين.
(٨) راجع التعليق على الحاشية ١٢٠ (كاي).
(٩) سورة رقم ٣٣؛ آية: ٣٦.

المنصور أبي حمير سبأ بن أحمد بن المظفر، على مئة ألف دينار، وخمسين ألفاً من أصناف التحف واللطائف. فانعقد النكاح. وسار سبأ من معقل أشيح إلى ذي جبلة، ودخل إليها بدار العز. ويقال: إنها شبهت عليه بجارية من جواريها[1]. فقامت على رأسه ليلها كله، وهو لا يرفع الطرف إليها، حتى أصبح فرجع إلى معقله. وأقامت هي بذي جبلة[2].

وكان المستولي عليها المفضل بن أبي البركات من بني يام - رهط الصليحي - واستدعى عشيرته[3] جانباً، وأنزلهم عنده، بذي جبلة. فكان يسطو بهم. وكانت سيدة تأتي التعكر في الصيف، وبه ذخائرها وخزائنها، فإذا جاء الشتاء رجعت إلى ذي جبلة، ثم انفرد المفضل بالتعكر، ولم ينكر منها ولا أنكرت منه.

ثم سار المفضل لقتال آل نجاح، فوثب في حصن التعكر فقيه يلقب بالحمل، مع سبعة من الفقهاء[4]. أحدهم إبراهيم بن زيدان، عم عمارة الشاعر. فبايعوا الحمل على أن يمحو الدعوة الإمامية. فرجع المفضل من طريقه وحاصرهم. وجاءت خولان لنصرتهم، فصانعم المفضل. وهلك في حصارهم سنة أربع وخمس مئة. فجاءت بعده الحرة سيدة، وأنزلتهم على عهد، فنزلوا ووفت لهم به، وكفلت عقب المفضل وولده. وصار معقل التعكر في يد عمران بن الزر الخولاني وأخيه سليمان. واستولى عمران على الحرة السيدة مكان المفضل. ولما ماتت استبد عمران وأخوه بحصن التعكر، واستولى منصور بن المفضل بن أبي البركات على ذي جبلة حتى اشتراه[5] منه الداعي الزريعي صاحب عدن كما سيأتي:

واعتصم بمعقل أشيح الذي كان للداعي المنصور سبأ بن أحمد،

---

(١) في الأصل: بجواريها.

(٢) راجع عمارة / كاي: ٣٥؛ والحواشي ٤١، ٤٢ والتعليق عليها.

(٣) في الأصل: عشيرة.

(٤) عبر (طبعة بولاق): جماعة.

(٥) في الأصل: حتى باعه من الداعي...

وذلك أن المنصور توفي سنة اثنتين وتسعين[1] وأربع مئة. واختلف أولاده من بعده، وغلب ابنه علي منهم، على المعقل، وكان ينازع المفضل بن أبي البركات والحرة سيدة وأعياهما أمره فتحيل المفضل بسم أودعه في سفرجل أهداه إليه، فمات منه، واستولى بنو أبي البركات على حصون بني المظفر.

ومات المفضل عن قرب كما مر، وكفلت السيدة ابنه المنصور، وكان غير مستقل بالملك ثم نهضت به سنه، فصار له ملك أبيه في حصن التعكر وقلاعه، وذي جبلة وحصونه. وملك بني المظفر في أشيح وحصونه، ثم باع حصن ذي جبلة إلى[2] الداعي الزريعي صاحب عدن بمئة ألف دينار. وما زال يبيع معاقله حصناً حصناً، حتى لم يبق له غير معقل تعز، أخذه منه علي بن مهدي بعد أن ملك ثمانين سنة، وبلغ من العمر مئة سنة، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.





الخبر عن دولة بني نجاح بزبيد موالي بني زياد ومبادىء أمورهم وتصاريف أحوالهم

ولما استولى الصليحي على زبيد من يد سعيد[3] بن نجاح بعد أن أهلك[4] [نجاح][5] بالسم على يد الجارية التي بعثها إليه سنة اثنتين وخمسين وأربع مئة، كما مر. وكان لنجاح ثلاثة من الولد: معارك وسعيد وجياش. فقتل معارك نفسه، ولحق سعيد وجياش بجزيرة دهلك. وأقاما هنالك يتعلمان القرآن والآداب. ثم رجع سعيد إلى زبيد مغاضباً لأخيه

(١) في الأصل: ست وثمانين والتصحيح من كفاية: ٥٩؛ في عيون: ١٦٨/٧ توفي سنة ٤٩١.
(٢) في الأصل: من.
(٣) في الأصل: كهلان.
(٤) في الأصل: أهلكه.
(٥) ذكرنا نجاح لتوضيح المعنى.

جياش، واختفى بها في نفق احتفره تحت الأرض، ثم استقدم أخاه جياشاً فقدم، وأقاما هنالك في الاختفاء.

ثم إن المستنصر العبيدي ـ الخليفة المصري ـ قطع دعوته بمكة، محمد بن جعفر أميرها من الهواشم: فكتب إلى الصليحي يأمره بقتاله، وحمله على إقامة الدعوة العلوية بمكة. فسار علي الصليحي لذلك من صنعاء، وظهر سعيد وأخوه من الاختفاء. وبلغ خبرهم إلى الصليحي، فبعث عسكراً نحواً من خمسة آلاف فارس[1]، وأمرهم بقتلهما. وقد كان سعيد وجياش خالفا العسكر، وسارا في أتباع الصليحي، وهو في عساكره. فبيتوه في المهجم متوجهاً إلى مكة، وكان معه خمسة آلاف من الحبشة، فلم يغنوا عنه شيئاً. فانقض عسكره، وقيل[2] تولى قتله جياش بيده وذلك سنة تسع[3] وخمسين. ثم قتل عبدالله الصليحي، أخا علي، في مئة وسبعين من بني الصليحي، وأسر زوجته أسماء بنت عمه شهاب، في خمس وثلاثين من ملوك القحطانيين، الذين غلب عليهم باليمن. وبعث إلى العسكر الذين ساروا لقتل سعيد وجياش، فأمنهم واستخدمهم، وارتحل إلى زبيد، وعليها أسعد بن[4] عراف. ففر أسعد إلى صنعاء، ودخل سعيد إلى زبيد، وأسماء زوجة الصليحي أمامه في هودج. ورأسي الصليحي وأخيه عند هودجها، وأنزلها بدارها، ونصب الرأسين قبالة طاقها في الدار.

وامتلأت القلوب منه رعباً وتلقب بنصير الدولة، وتغلب ولاة الحصون على ما بأيديهم. ودهش المكرم بن علي الصليحي بصنعاء، وكاد أن يتضعضع أمره، وكتبت إليه أسماء، أمه من زبيد تغريه وتقول: إني حبلى من سعيد، فأدركني قبل أن تقع الفضيحة عليك، وعلى جميع العرب. فتحيل المكرم في إغراء سعيد بن نجاح بصنعاء على لسان بعض أهل الثغور، وضمن له الظفر [١٠٩].

---

(١) من الأحباش (عمارة كاي ٦١).

(٢) في الأصل: وقتل.

(٣) في الأصل: ثلاث وسبعين.

(٤) في الأصل: أسعد بن شهاب أخو أسماء زوجة الصليحي.

فجاء سعيد لذلك في عشرين ألفاً من الحبشة، وسار إليه المكرم من صنعاء وهزمه، وحال بينه وبين زبيد، فهرب إلى جزيرة دهلك ودخل المكرم زبيد وجاء إلى أمه وهي جالسة بالطاق، وعندها[١] رأس الصليحي وأخيه فأنزلهما ودفنهما، وولى على زبيد أسعد[٢] بن عراف في سنة ستين[٣] وأربع مئة، وارتحل إلى صنعاء، ثم رجع إليها سعيد سنة إحدى وستين[٤].

وكتب المكرم إلى أبي عبدالله بن يعفر[٥] صاحب حصن الشعر بأن يغري سعيداً بالمكرم، وانتزاع ذي جبلة من يده، لانشغاله بملذاته، واستيلاء زوجته سيدة بنت أحمد عليه، وأنه مفلج. فتمت الحيلة، وسار سعيد في ثلاثين ألفاً من الحبشة. وكمن[٦] له المكرم تحت حصن الشعر، فغدروا به هنالك. وانهزمت عساكره وقتل، ونصب رأسه عند الطاق الذي كان فيها رأس الصليحي بزبيد، واستولى عليه المكرم وانقطع منها ملك الحبشة.

وهرب جياش ومعه وزير أخيه، خلف بن أبي الطاهر الأموي[٧] ودخلا عدن متنكرين، ثم لحقا بالهند وأقاما هناك[٨] ستة أشهر، ولقي هنالك كاهناً جاء من سرنديب، فبشرهما بما يكون لهما، فرجعا إلى اليمن. وتقدم خلف الوزير إلى زبيد، وأشاع موت جياش، واستأمن لنفسه ولحق به جياش. فأقام هنالك مختفياً. وعلى زبيد يومئذ أسعد بن[٩]

---

(١) في الأصل: وعنده.
(٢) في الأصل: أسعد بن شهاب.
(٣) في الأصل: سنة خمس وسبعين.
(٤) في الأصل: سنة تسع وسبعين.
(٥) عمارة كاي: أبو عبدالله التبعي.
(٦) في الأصل: أكمن.
(٧) في الأصل: المرواني والتصحيح من أنباء / دار: ٤٣.
(٨) في الأصل: وأقامها.
(٩) في الأصل: أسعد بن شهاب.

عراف ومعه علي بن القم ووزير المكرم، وكان حنقاً على المكرم ودولته. فداخله الوزير خلف ولاعب ابنه الحسين الشطرنج، ثم انتقل إلى ملاعبة أبيه، فاغتبط به، وأطلعه على رأيه في الدولة، وأنه يتشيع لآل نجاح. وتمتم[1] بعض الأيام وهو يلاعبه، فسمعه علي بن القم واكتشف أمره، فكشف له القناع واستحلفه. وجياش أثناء ذلك يجمع أشياعه من الحبشة وينفق فيهم الأموال، حتى اجتمع له منهم خمسة آلاف. فثار بهم في زبيد سنة اثنتين وستين[2]، ونزل دار الإمارة. ومن على أسعد عراف[3]، وأطلقه لزمانة كانت به. وبقي ملكاً على زبيد وتهامة يخطب للعباسيين. والصليحيون يخطبون للعبيديين. والمكرم يبعث العرب للغارة على زبيد، كل حين، إلى أن هلك جياش على رأس المئة الخامسة. وكانت كنيته أبو الطامي، وكان موصوفاً بالعدل.

وولي بعده ابنه الفاتك بن جياش. وخالف عليه أخواه: إبراهيم وعبدالواحد وجرت بينه وبينهما حروب، وكان الظفر له آخراً، ثم هلك سنة ثلاث وخمس مئة.

ونصب عبيده للملك ابنه منصور بن فاتك، صبياً لم يحتلم، ودبروا ملكه، وجاء عمه إبراهيم لقتاله، وبرزوا له، فثار عمه عبدالواحد بالبلد. وبعث منصور إلى المفضل بن أبي البركات، صاحب التعكر، فجاء لنصره مضمراً للغدر به، ثم بلغه انتقاض أهل التعكر عليه، فرجع.

ولم يزل منصور في ملكه بزبيد، إلى أن وزر من عبيده أبو منصور من الله، فقتله مسموماً سنة سبع عشرة وخمس مئة، ونصب فاتكاً، ابنه طفلاً صغيراً، واستبد عليه، وقام بضبط الملك، ونعى عليه التعرض لحرم آل نجاح، حتى هربت منه أم فاتك هذا، وسكنت خارج المدينة.

---

(١) في الأصل: وانتمى.
(٢) في الأصل: ثنتين وثمانين.
(٣) في الأصل: أسعد بن شهاب.

حاربه ابن نجيب [الدولة]، داعي العلوية، فامتنع عليه. وهو الذي شيد المدارس للفقهاء بزبيد، واعتنى بالحاج، وابتنى سور المدينة. ثم راود بنت معارك بن جياش[1]. فلم تجد بدا من إسعافه فأمكنته حتى إذا قضي وطره. مسحت ذكره بمنديل مسموم فتهرأ لحمه، وذلك سنة أربع وعشرين وخمس مئة.

وقام بأمر فاتك بعده رزيق، من موالي آل نجاح. قال عمارة: كان أحولاً شجاعاً قدماً، وكان ولوداً، ثم عجز بعد حين، ولم يستقر أحد مكانه، حتى قام بالوزارة سرور الحبشي الفاتكي، من موالي أم فاتك، المختصين بها.

قال عمارة: وفي سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة توفي فاتك بن منصور وولي بعده ابن عمه وسميه، فاتك بن محمد بن فاتك، وسرور قائم بوزارته، وتدبير دولته ومحاربة أعدائه. وكان يلازم المسجد، إلى أن دس عليه علي بن مهدي الخارجي من قتله في المسجد. وهو يصلي العصر يوم الجمعة ثاني عشر صفر سنة إحدى وخمسين [وخمس مئة]. وثار الناس بذلك الشيطان القاتل، فقتل جماعة من أهل المسجد ثم قتل. واضطرب موالي آل نجاح بالدولة، وثار عليهم علي بن مهدي الخارجي وحاربهم مراراً، وحاصرهم طويلاً، واستعانوا بالشريف المنصور أحمد بن حمزة السليماني، وكان يملك صعدة، فأغاثهم على أن يملكوه، ويقتلوا سيدهم فاتك بن محمد. فقتلوه سنة ثلاث وخمسين [وخمس مئة]. وملكوا عليهم[2] الشريف أحمد، فعجز عن مقاومة ابن مهدي، وفر تحت الليل، وملكها علي بن مهدي سنة أربع وخمسين [وخمس مئة] وانقرض أمر آل نجاح. والبقاء لله[3].

* * *

(١) في الأصل: بنت.

(٢) في الأصل: عليه.

(٣) انظر حاشية: ١٣٠ (كاي) والتعليق عليها.



الخبر عن دولة بني الزريع بعدن من دعاة العبيديين باليمن، وأولية أمرهم ومصائرهم

وعدن هذه من أمنع مدائن اليمن، وهي على ضفة البحر الهندي، وما زالت بلد تجارة منذ عهد التبابعة، وأكثر بنائهم بالأخصاص، ولذلك يطرقها الحريق كثيراً، وكانت صدر الإسلام دار ملك لبني معن. قال البيهقي: [١١٠] ينتسبون إلى معن بن زائدة(١)، ملكوها من أيام المأمون، وامتنعوا على بني زياد، فقنعوا منهم بالخطبة والسكة.

ولما استولى الداعي علي بن محمد الصليحي على اليمن، رعى لهم ذمار العروبة(٢) وقرر عليهم ضريبة يعطونها، ثم أخرجهم منها ابنه أحمد المكرم، وولى عليها بني الكرم من عشيرة جشم بن يام، من همدان، وكانوا في أقرب عشائره إليه. فأقامت في ولايتهم زمناً، ثم حدثت بينهم الفتنة، وانقسموا إلى فئتين: بنو مسعود بن الكرم، وبنو زريع بن العباس بن الكرم، وغلب بنو الزريع بعد حروب عظيمة.

قال ابن سعيد: وأول مذكور منهم الداعي سبأ بن أبي السعود بن الزريع، أول من اجتمع له الملك بعد بني الصليحي، وورثه عنه بنوه، وحاربه ابن عمه، علي بن أبي الغارات بن أبي مسعود بن الكرم، صاحب الرعارع. فاستولى على عدن من يده، بعد مقاسات ونفقات في الأعراب. ومات بعد فتحها بسبعة أشهر، سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة.

ولي ابنه الأعز، وكان مقيماً بحصن الدملوة [١١١]، (٣)المعقل الذي لا يرام، وامتنع عليه بعدن، بلال بن جرير، مولى بني زريع، وأراد أن يعدل بالملك لمحمد بن سبأ بن أبي سعود بن زريع من مواليه. وخشي

(١) راجع التعليق على الحاشية ١١٠ (كاي).

(٢) في الأصل: العروبة.

(٣) راجع الحاشية ١، ٢ (كاي).

محمد بن سبأ على نفسه، ففر إلى المنصور بن المفضل من ملوك الجبال الصليحيين بذي جبلة.

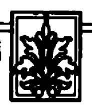
ثم مات الأعز قريباً، فبحث بلال عن محمد بن سبأ، فوصل إلى عدن، وكان التقليد جاء من مصر، باسم الأعز، فكتب مكانه محمد بن سبأ وكان من نعوته: الداعي المعظم المتوج المتين، سيف أمير المؤمنين، فوقعت كلها عليه، وزوجه بلال بنته، ومكنه من الأموال التي كانت في خزائنه. ثم مات بلال عن مال عظيم، وورثه محمد بن سبأ، وأنفقه في سبيل الكرم والمروءات. واشترى حصن ذي جبلة من منصور بن المفضل بن أبي البركات، كما ذكرنا واستولى عليه. وهو دار ملك الصليحيين. وتزوج سيدة بنت عبدالله الصليحي، وتوفي سنة ثمان وأربعين وخمس مئة.

وولي ابنه عمران بن محمد بن سبأ، وكان ياسر بن بلال يدبر دولته، وتوفي سنة ستين وخمس مئة، وترك ولدين صغيرين هما: محمد وأبو السعود، فحبسهما ياسر بن بلال في القصر، واستبد بالأمر. وكان ياسر ممدحاً، كثير العطية للشعراء، وممن وفد عليه ومدحه، ابن قلانس[١] شاعر الإسكندرية، ومن قصائده في مدحه:

سـافـر إذا حـاولـت قـدرا سـار الـهـلال فـصـار بـدرا [١١٢]

وهو آخر ملوك الزريعيين. ولما دخل شمس الدولة سيف الإسلام أخو صلاح الدين إلى اليمن سنة تسع[٢] وستين وخمس مئة واستولى عليها، جاء إلى عدن فملكها. وقبض على ياسر بن بلال. وانقطعت دولة بني زريع[٣]، وصار اليمن للغز، وفيه ولاتهم بنو أيوب، كما نذكر في أخبارهم، وكانت مدينة الجوة قرب عدن، اختطها ملوك الزريعيين. فلما جاءت دولة بني أيوب تركها، ونزلوا تعز من الجبال كما يأتي ذكره [١١٣].

(١) راجع التعليق على الحاشية ١، ٢ (كاي).
(٢) في الأصل: سنة ست وستين وستمائة.
(٣) راجع الجدول التابع للحاشية ١١٣ (كاي).



أخبار ابن مهدي الخارجي وبنيه وذكر دولتهم باليمن، بدايتها وانقراضها:

هذا الرجل من أهل العنبرة، من سواحل زبيد. وهو علي بن مهدي الحميري، كان أبوه مهدي معروفاً بالصلاح والدين، ونشأ ابنه علي على طريقته. فاعتزل ونسك ثم حج، ولقي علماء العراق، وأخذ الوعظ من وعاظهم. وعاد إلى اليمن واعتزل، ولزم الوعظ. وكان حافظاً فصيحاً، ويخبر بحوادث أخباره، فيصدق. فمال إليه الناس واغتبطوا به. وصار يتردد للحج من سنة إحدى وستين، ويعظ الناس في البوادي. فإذا حضر الموسم، أتاه على نجيب له. ولما استولت أم فاتك على بني جياش، أيام ابنها فاتك بن منصور، أحسنت فيه المعتقد، وأطلقت له ولقرابته وأصهاره خرجهم فحسنت أحوالهم، وأثروا، وركبوا الخيول، وقوي جمعهم.

وكان يقول في وعظه: دنا الوقت، يشير إلى وقت ظهوره، واشتهر ذلك عنه. وكانت أم فاتك تصد أهل الدعوة عنه إلى أن ماتت سنة خمس وأربعين. وكان أهل الجبال قد حالفوه على النصرة. وخرج من تهامة سنة ثمان وثلاثين، وقصد الكدراء فانهزم، وعاد إلى الجبال، وأقام بها سنة إحدى وأربعين، ثم أعادته الحرة أم فاتك إلى وطنه، وماتت سنة خمس وأربعين.

فخرج إلى خولان ونزل ببعض منهم يقال له: حيْوان. في حصن يسمى الشرف، وهو حصن صعب المرتقى، على مسيرة يوم من سفح الجبل في طريقه أوعار، في واد ضيق، عقبة كؤود. وسماهم الأنصار، وسمَّى كل من صعد معه من تهامة، المهاجرين. وأمر للأنصار رجلاً اسمه سبأ، وللمهاجرين آخر أسماه شيخ الإسلام، واسمه النوبة. واحتجب عمن سواهما.

وجعل يشن الغارات على أرض تهامة، وأعانه على ذلك خراب النواحي بزبيد فقطع سابلتها، وأخرب نواحيها، وانتهى إلى حصن الداشر، على نصف مرحلة من زبيد، وأعمل الحيلة في قتل سرور، مدبر الدولة

فقتل كما مر. وأقام يتحيف[1] زبيد بالزحوف. قال عمارة: زاحفها سبعين زحفاً، وحاصرها طويلاً. واستمدوا الشريف أحمد بن حمزة السليماني ـ صاحب صعدة ـ فأمدهم. وشرط عليهم قتل سيدهم فاتك بن محمد، فقتلوه سنة ثلاث وخمسين. وملك عليهم الشريف، ثم عجز وهرب عنهم. واستولى علي بن مهدي عليها في رجب سنة أربع وخمسين. ومات لثلاثة أشهر من استيلائه.

وكان يخطب له بالإمام المهدي، أمير المؤمنين، وقاطع الكفرة المعتدين، وكان على رأي الخوارج يبرأ من علي وعثمان. ويكفر بالذنوب. وله قواعد ونواميس في مذهبه، يطول ذكرها. وكان يقتل على شرب الخمر. قال عمارة: كان يقتل كل من يخالفه من أهل القبلة، ويستبيح نساءهم، وأولادهم، وكانوا يعتقدون فيه العصمة، وكانت أموالهم تحت يده، ينفقها عليهم في مؤنهم. ولا يملكون معه مالاً ولا فرساً ولا سلاحاً. وكان يقتل المنهزم من أصحابه، ويقتل الزاني، وشارب الخمر، وسامع الغناء، ويقتل من تأخر عن صلاة الجماعة، ومن تأخر عن وعظه يومي[2] الاثنين والخميس. وكان حنفياً في الفروع.

ولما توفي تولى بعده ابنه عبدالنبي، وانتقض عليه أخوه عبدالله، وغلبه على زبيد واستولى على اليمن أجمع، وبه يومئذ خمس وعشرون دولة، فاستولى على جميعها، ولم يبق له سوى عدن، ففرض عليها الجزية.

ولما دخل شمس الدولة توران شاه بن أيوب. أخو صلاح الدين، سنة تسع[3] وستين وخمس مئة، واستولى على الدولة التي كانت باليمن، فقبض على عبد النبي وامتحنه، وأخذ منه أموالاً عظيمة. وحمله إلى عدن، فاستولى عليها.

---

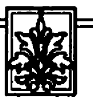
(١) يعني يظلمها.

(٢) في الأصل: يوم.

(٣) في الأصل: ست.

ثم نزل زبيد واتخذ(ها) كرسياً لملكه، ثم استوخمها وسار في الجبال ومعه الأطباء يتخير مكاناً صحيح الهواء والماء ليتخذ منه مسكناً. فوقع اختيارهم على مكان تعز فاختط به المدينة، ونزلها، وبقيت كرسياً لملكه، وملك بنيه ومواليهم بني رسول، كما نذكر في أخبارهم، وبانقراض دولة بني مهدي، انقرض ملك العرب من اليمن، وصار للغز ومواليهم.

***



ولنذكر الآن طرفا من الكلام عن قواعد اليمن ومدنه واحدة واحدة كما أشار إليه ابن سعيد

اليمن: من جزيرة العرب تشمل على كراسي سبعة للملك، وهي على قسمين. تهامة والجبال. تهامة مملكتان، مملكة زبيد، ومملكة عدن. ومعنى تهامة ما انخفض من بلاد اليمن مع ساحل البحر. من السرين من جهة الحجاز، إلى آخر أعمال عدن، درّة البحر الهندي. قال ابن سعيد: وجزيرة العرب في الإقليم الأول. ويحيط بها البحر الهندي من جنوبها وبحر السويس من غربها وبحر فارس من شرقها.

وكانت اليمن قديماً للتبابعة، وهي أخصب من الحجاز، وأكثر أهلها القحطانيين، وفيها عنز بن[1] وائل [١١٤]، وملكها لهذا العهد لبني الرسول، موالي بني أيوب، ودار ملكهم تعز، بعد أن نزل الجوة أولاً. وبصعدة من اليمن أئمة الزيدية.

زبيد: وهي مملكة اليمن. شمالها الجبال، وجنوبها البحر الهندي، وغربها بحر السويس. اختطها محمد بن زياد، أيام المأمون سنة أربع ومئتين. وهي مدينة مسورة، تدخلها عين جارية، جلبها الملوك، وعليها

(١) راجع التعليق على الحاشية ١١٤ (كاي).

غيطان نخل، يسكنونها أيام القلة[1]. وهي الآن من ممالك ابن رسول. وبها كان ملك بني زياد ومواليهم، ثم غلبهم عليها بنو الصليحي. وقد مر خبرهم.

عثر وحلي والشرجة: من أعمال زبيد في شماليها. وتعرف بأعمال ابن طرف مسيرة سبعة أيام في يومين، من الشرجة إلى حلي. وبين حلي ومكة ثمانية أيام. وعثر هي منبر الملك، وهي على البحر، وكان سليمان بن طرف ممتنعاً بها على أبي الجيش بن زياد، وكان مبلغ ارتفاعه خمس مئة ألف دينار. ثم دخل في طاعته وخطب له، وحمل المال. ثم صارت هذه المملكة للسليمانيين من بني الحسن، أمراء مكة حين طردهم الهواشم من مكة[2]. وكان غانم[3] بن يحيى منهم يؤدي الإتاوة لصاحب زبيد، وبه استعان مفلح الفاتكي على سرور. ثم ملك بعد غانم عيسى بن حمزة بن بنية. ولما ملك الغز اليمن أخذ يحيى أخو عيسى أسيراً، وسيق إلى العراق فحاول عليه عيسى، فخلصه[4] من الأسر. ورجع [يحيى][5] إلى اليمن فقتل أخاه عيسى وولي مكانه.

المهجم: من أعمال زبيد على ثلاث مراحل عنها، وعربها من سعد العشيرة من حكم وجعفر[6] قبيلتين منهم. ويجلب منها الزنجبيل.

السرين: آخر أعمال تهامة من اليمن، وهو [و][7] البحر، دون سور، وبيوتها اختصاص. وملكها راجح بن قتادة، سلطان مكة أعوام

(١) أي فصل الجفاف، انظر رحلة ابن بطوطة ـ نشر ديمفرميري: ١٦٧/٢ ـ ١٦٨.
(٢) راجع حاشية ١٣٠ (كاي).
(٣) في الأصل: غالب.
(٤) في الأصل: فتخلصه.
(٥) زيادة لتوضيح المعنى.
(٦) لعلها: جعفى (كاي).
(٧) زيادة لتوضيح المعنى.

الخمسين وست مئة. وله قلعة على نصف مرحلة منها.

الزرائب: من الأعمال الشمالية عن زبيد، وكانت لابن طرف. واجتمع له فيها عشرون ألفاً من الحبشة. ولما ثار الداعي الصليحي لقيه بها في نحو من ثلاثة آلاف فهزمه وقتل الحبشة الذين معه جميعاً. وقال ابن سعيد في أعمال زبيد: والأعمال التي في الطريق الوسطى بين البحر والجبال، وهي في خط زبيد في شماليها وهي الجادة إلى مكة. قال عمارة: هي الجادة السلطانية، منها إلى البحر يوم أو دونه، وكذلك إلى الجبال. ويجتمع الطريقان الوسطى والساحلية في السرين ويفترقان.

عدن: من ممالك اليمن في جنوب زبيد، وهي كرسي عملها، وهي على ضفة البحر الهندي. وكانت بلد تجارة منذ أيام التبابعة. وبعدها عن خط الاستواء ثلاث عشرة درجة، ولا تنبت زرعاً ولا شجراً، ومعاشهم السمك، وهي ركاب الهند من اليمن، وأول ملكها لبني معن بن زائدة، استقاموا لبني زياد وأعطوهم الإتاوة.

ولما ملك الصليحيون أقرهم الداعي بها، ثم أخرجهم ابنه أحمد المكرم وولاها بني الكرم من جشم بن يام، رهطه من همدان. وصفا الملك فيها لبني الزريع منهم، وورث دعوة الصليحيين وملكهم، وقد تقدم خبر ذلك كله. ولما ملك علي بن مهدي لم يظفر بها منهم، وقنع منهم بالإتاوة، حتى ملكها من أيديهم شمس الدولة بن أيوب كما تقدم.

عدن أبين: من بنيات المدن وهي إلى جهة الشحر.

الزعازع: بأودية عدن، وكانت لبني مسعود بن الكرم المقارعين لبني زريع.

الجوة: اختطها ملوك الزريعيين قرب عدن، ونزلها بنو أيوب، ثم انتقلوا إلى تعز.

حصن ذي جبلة: من حصون مخلاف جعفر، اختطه عبدالله الصليحي، أخو الداعي سنة ثمان وخمسين وأربع مئة، وانتقل إليه ابنه المكرم، من حصن صنعاء وزوجه سيدة بنت أحمد، المستبدة عليه، وهي التي أكملت تشييده سنة ثمانين. ومات المكرم، وقد فوض الأمر في الملك والدعوة إلى سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي[1]، وكان في معقل أشيح. وكانت تستظهر بقبيلة[2] جنب، وكانوا خاملين في الجاهلية. وظهروا بمخلاف جعفر.

ثم وصل من مصر ابن نجيب الدولة داعياً، ونزل مدينة الجند، واعتصم بهمدان، فحاربته السيدة بجنب وخولان، إلى أن ركب البحر وغرق، وكان يتولى أمورها المفضل بن أبي البركات، بعد زوجها المكرم، واستولى عليها.

التعكر: من مخلاف جعفر، كان لبني الصليحي، ثم لسيدة[3] من بعدهم، ثم طلبه منها المفضل بن أبي البركات. فسلمته إليه، وأقام به إلى أن سار إلى زبيد، وحاصر فيها بني نجاح. وطالت غيبته، فثار بالتعكر جماعة من الفقهاء، وقتلوا نائبه وبايعوا لإبراهيم بن زيدان[4]، وهو عم عمارة الشاعر. واستظهروا بخولان، فرجع المفضل وحاصرهم، كما مر ذكر ذلك من قبل.

حصن خدد: كان لعبدالله بن يعلى الصليحي، وهو من مخلاف جعفر، وكان المفضل قد أدخل من خولان في حصون المخلاف عدداً كثيراً من بني بحر، وبني منبه ورزاح وشعب. فلما مات المفضل ملكت خولان حصن التعكر، وبقي ذو جبلة لمنصور بن المفضل، في كفالة سيدة كما

---

(١) سبق أن بينا هذا.

(٢) في الأصل: قبيل.

(٣) ويجب أن نفهم أن الملكة السيدة الحرة كانت من الصليحيين.

(٤) في الأصل: ابن زياد.

مر، ووثب مسلم بن الزر من خولان، وملكه من يد عبدالله بن يعلى الصليحي، ولحق عبدالله بحصن مصدود، ورشحته سيدة لمكان المفضل، واستخلصه وأخويه عمران وسليمان. ومات مسلم، فملك ولده سليمان حصن خدد، مع سيدة مكان أخيه مسلم، وزوجته بنت القائد فتح عاملها على التعكر. فغدر بفتح وملك التعكر من يده. واستطالت أيدي خولان على الرعايا، واستظهرت سيدة عليهم[1] بجنب. وكان عمران وسليمان ناصحين في خدمتها، وهما اللذان أخرجا الداعي ابن نجيب الدولة من مدينة الجند، ومن اليمن بأمرها.

حصن مصدود: من حصون مخلاف جعفر وهي خمسة: ذو جبلة والتعكر وحصن خدد[2]. ولما غلبت خولان على حصن خدد من يد عبدالله بن يعلى الصليحي، ولحق بحصن مصدود، كما ذكرناه، ثم غلبوه على حصن مصدود واستولى عليه منهم، زكريا بن شكير البحري.

وكان بنو الكرندي من حمير، ملوكاً قبل بني الصليحي باليمن، وانتزع بنو الصليحي ملكهم. وكان لهم مخلاف جعفر بحصونه، ومخلاف المعافر ومخلاف الجند [وحصن[3]]. سمدان، ثم استقرت للمنصور بن المفضل بن أبي البركات، وباعها لبني[4] الزريع كما مر.

صنعاء: قاعدة التبابعة قبل الإسلام، وأول مدينة اختطت باليمن، وبنتها فيما يقال عاد، وكانت تسمى أوال، من الأولية [١١٥] بلغتهم. وقصر غمدان قريب منها ـ أحد البيوت السبعة ـ بناه الضحاك باسم الزهرة. وحجت إليه الأمم، وهدمه عثمان. وصنعاء أشهر حواضر اليمن، وهي فيما يقال معتدلة. وكان فيها أول المئة الرابعة، بنو يعفر من التبابعة. ودار

---

(١) في الأصل: عليها.
(٢) لم يذكر ابن خلدون سوى ثلاثة حصون.
(٣) لعلها مكررة.
(٤) في الأصل: من.

ملكهم كحلان ولم يكن لها نباهة في الملك، إلى أن سكنها بنو الصليحي، وغلب عليها الزيدية، ثم السليمانيون من بعد بني الصليحي.

قلعة كحلان: ومن أعمال صنعاء قلعة كحلان لبني يعفر من التبابعة[1]، بناها قرب صنعاء إبراهيم[2]. وكانت له صعدة وصنعاء ونجران وغيرها من جبال اليمن. وحاربهم بنو الرسي أئمة الزيدية، إلى أن ملكوا صعدة ونجران، واعتصم بنو يعفر بقلعة كحلان. وقال البيهقي: شيد قلعة كحلان أسعد بن يعفر، وحاربهم بنو الرسي وبنو زياد أيام أبي الجيش.

حصن السمدان: من أعمال صنعاء، كانت فيه خزائن بني الكرندي الحميريين، إلى أن ملكه الصليحي، ورد عليهم المكرم بعض حصونهم، إلى أن انقرض أمرهم على يد ابن مهدي. وكان لهم مخلاف جعفر، الذي منه مدينة ذي جبلة، ومعقل التعكر، وهو مخلاف الجند، ومخلاف معافر. ومقر ملكهم السمدان، وهو أحصن من الدملوة.

قلعة منهاب: من قلاع صنعاء بالجبال، ملكها بنو زريع، واستبد بها منهم المفضل بن علي بن راضي بن الداعي محمد بن سبأ بن زريع، نعته صاحب الخريدة [١١٦] بالسلطان وقال: كانت له قلعة منهاب، وكان حياً سنة ست وثمانين وخمس مئة، وصارت بعده لأخيه الأعز[3] بن علي.

جبل المذيخرة: وهو بقرب صنعاء، وقد اختط جعفر مولى ابن زياد سلطان اليمن مخلاف جعفر فنسب إليه.

عدن لاعة: بجانب المذيخرة. أول موضع ظهرت فيه دعوة الشيعة باليمن. ومنها علي[4] بن الفضل الداعي، ووصل إليها أبو عبدالله الشيعي

(١) انظر الحاشية رقم ٨ (كاي)؛ انظر التعليق على الحاشية ١١٥ (كاي).
(٢) هو إبراهيم بن محمد بن جعفر.
(٣) في الأصل: الأغر؛ راجع التعليق على الحاشية ١١٦ (كاي).
(٤) في الأصل: محمد.

صاحب الدعوة بالمغرب، وفيها قرأ علي بن محمد الصليحي صبياً. وهي دار دعوة اليمن. وكان علي[1] بن الفضل داعياً على عهد أبي الجيش بن زياد، وأسعد بن يعفر.

بيحان: ذكرها عمارة في المخاليف الجبلية، وملكها نشوان بن سعيد القحطاني.

تعز: من أجل معاقل الجبال المطلة على تهامة، مازال حصناً للملوك، وهي اليوم كرسي لبني رسول، ومعدود في الأمصار. وكان به من ملوك اليمن منصور بن المفضل بن أبي البركات. من أقارب الصليحيين. وأبوه صاحب معقل أشيح. واستولى على حصون بني البركات، وبني المظفر، وورثه عنه ابنه منصور، ثم باعها حصناً حصناً إلى[2] الداعي ابن المظفر، والداعي الزريعي، إلى أن بقي بيده حصن تعز، فأخذه منه ابن مهدي.

معقل أشيح: من أعظم حصون الجبال، وفيه خزائن بني المظفر، وكان للداعي المنصور أبي حمير سبأ بن أحمد بن المظفر من الصليحيين، صارت له بعهد المكرم ابن عمه، صاحب ذي جبلة، وقلده المستنصر الدعوة، وتوفي سنة إحدى وتسعين[3] وأربع مئة. وغلب ابنه علي على معاقل الملك بأشيح[4]. وأعيى المفضل أمره إلى أن تحيل عليه وقتله بالسم. وصارت حصون بني المظفر لبني أبي البركات، ثم مات المفضل وخلفه[5] ابنه منصور. واستقل بملك أبيه بعد حين. وباع جميع الحصون، فباع ذا جبلة منه[6] الداعي الزريعي صاحب عدن بمئة ألف دينار، وحصن

(١) في الأصل: محمد.
(٢) في الأصل: من.
(٣) في الأصل: ست وثمانين.
(٤) في الأصل: بأشح.
(٥) في الأصل: وخلف.
(٦) في الأصل: من.

صبر بعد أن كان حلف بالطلاق على [ألا][1] يبيعه. فطلق زوجته الحرة، وتزوجها الزريعي، وطال عمره. ملك ابن عشرين، وبقي في الملك ثمانين[2]، وأخذ منه معقل تعز علي بن مهدي.

صعدة: مملكتها تلي مملكة صنعاء، وهي في شرقيها. وفي هذه المملكة ثلاثة قواعد: صعدة، وجبل قطابة، وحصن ثلا، وحصون أخرى. وتعرف كلها ببني الرسي، وقد تقدم ذكر خبره.

وأما حصن ثلا: فمنه كان ظهور الموطيء، الذي أعاد إمامة الزيدية لبني الرسي، بعد أن استولى عليها بنو سليمان. فآووا إلى جبل قطابة ثم بايعوا الأحمد الموطيء سنة خمس وأربعين وست مئة. وكان فقيهاً عابداً، وحاصره نور الدين بن رسول في هذا الحصن سنة ثم جمر[3] عليه عكسراً للحصار. ثم مات ابن رسول سنة ثمان وأربعين، وشغل ابنه المظفر بحصار حصن الدملوة. فتمكن الموطيء، وملك حصون اليمن وزحف إلى صعدة، وبايعه السليمانيون، وإمامهم أحمد المتوكل، كما مر في أخبار بني الرسي.

وأما قطابة: فهو جبل شاهق شرقي صعدة، وفيه حصن وقرى، وانضوى إليه بنو الهادي عندما غلبهم بنو سليمان على صعدة إلى أن كان ما ذكرنا[4].

حراز ومسار: أما حراز فهو إقليم في بلاد همدان، وحراز بطن من بطونهم كان منهم الصليحي [١١٨]. وحصن مسار هو الذي ظهر فيه الصليحي، وهو من إقليم حراز. قال البيهقي: بلادهم غربية[5] بجبال اليمن

---

(١) زيادة لاستقامة المعنى.

(٢) ثلاثين (كاي).

(٣) أي جمع.

(٤) راجع التعليق على حاشية ١١٧ (كاي).

(٥) في الأصل: شرقية ومنها (كاي)؛ وراجع التعليق على الحاشية ١١٨.

وتفرقوا في الإسلام. ولم تبق لهم قبيلة وبرية إلا في اليمن، وهم[1] أعظم قبائله. وبهم قام الموطىء، وملكوا جملة من حصون الجبال، ولهم بها إقليم بكيل، وإقليم حاشد، وهما ابنا جشم بن خيوان بن نوف بن همدان. قال ابن حزم[2]: ومن بكيل وحاشد افترقت قبائل همدان انتهى. ومن همدان بنو الزريع، أصحاب السلطان والدعوة في عدن والجوة، ومنهم بنو يام قبيلة الصليحي. وبنو همدان شيعة[3]، وهم الآن نهاية في التشيع ببلادهم، وأكثرهم زيدية.

بلاد خولان: قال البيهقي: هي شرقية، من بلاد اليمن، ومتصلة ببلاد همدان، وهي حصون الجبال، ومخلاف جعفر. دخلوا إليها في الدولة الصليحية. وتغلب بنو الزر منهم على حصن خدد والتعكر وغيرهما، وهم أعظم قبائل اليمن مع همدان، ولهم بطون كثيرة، وافترقوا على بلاد الإسلام، ولم يبق منهم وبرية إلا باليمن.

مخلاف بني أصبح: هو بوادي سحول. وذي[4] أصبح، الذي ينسب إليه قد تقدم ذكره في أنساب حمير من التبابعة والأقيال.

ومخلاف يحصب مجاور له، وهو أخو أصبح.

مخلاف بني وائل: مدينة هذا المخلاف شاطح، وصاحبها أسعد بن وائل. وبنو وائل بطن من ذي الكلاع، من سبأ، تغلبوا على هذه البلاد عند مهلك الحسين[5] بن سلامة عامل الجبال لبني نجاح.

---

(١) في الأصل: هو.

(٢) النسابة المتوفى سنة ٤٥٦ (كاي). وعده (كاي) من النسابة للكتابة في الأنساب ولكنه ألف في الفقه والأصول والكلام والأدب، وكان من أكبر فقهاء قرطبة، وانتحل مذهب الظاهرية، وقد رد على الفرق في كتابه الضخم المفضل في الملل والأهواء والنحل.

(٣) في الأصل: سيعة.

(٤) في الأصل: وذو.

(٥) في الأصل: الحسن.

مخلاف يربوع: من الجبال، تغلب عليه بنو عبدالواحد بعد موت الحسين[1] بن سلامة. وكان أهل الأطراف قد استبدوا على الثغور فقاتلهم الحسين[2] بن سلامة، حتى عادوا إلى الطاعة، واختط مدينة الكدراء على مخلاف سهام، ومدينة المعفر على وادي ذوال، ومات سنة ثنتين وأربع مئة.

بلاد كندة: وهي من جبال اليمن مما يلي حضرموت وأبحر والرمل، وكان لهم بها ملوك، وقاعدتهم دمون، ذكره امرؤ القيس في شعره.

بلاد مذحج: توالي جهات الجند من الجبال وينزلها من مذحج عنس وزبيد ومراد. ومن عنس بإفريقية فرقة وترية من ظواعن أهلها. ومن زبيد بالحجاز بنو حرب ـ بين مكة والمدينة أو بنو زبيد الذين[3] بالشام والجزيرة فهم من طيء وليسوا من هؤلاء.

بلاد بني نهد: في أجوان السروات وتبالة. والسروات بين تهامة والجبال، ونجد من اليمن والحجاز، كسراة الفرس. وبنو نهد من قضاعة، سكنوا اليمن جوار خثعم، وهم كالوحوش، والعامة تسميهم السرو. وأكثرهم أخلاط من بجيلة وخثعم، ومن بلادهم تبالة، يسكنها[4] قوم عنز بن وائل، ولهم بها صولة، وهي التي وليها الحجاج، واستحقرها فتركها.





البلاد المضافة إلى اليمن

أولها اليمامة: قال البيهقي: هو بلد منقطع بعمله، والتحقيق أنه من

---

(١) في الأصل: الحسن.

(٢) في الأصل: الحسن.

(٣) في الأصل: الذي.

(٤) في الأصل: يسكنهم.

الحجاز، كما هي نجران من اليمن، وكذا قال ابن حوقل، وهي دونها في المملكة[1]. وأرضها تسمى العروض، لاعتراضها بين الجبال والبحرين، ففي شرقها البحرين، وغربها أطراف اليمن والحجاز، وجنوبها نجران، وشمالها نجد من الحجاز. وفي طولها عشرون مرحلة، وهي على أربعة أيام من مكة، وقاعدتها حجر بالفتح.

وبلد اليمامة كان مقر الملوك قبل بني حنيفة ثم اتخذ بنو حنيفة حجراً - وبينهما يوم وليلة - وبظواهرها أحياء من بني يربوع من تميم، وأحياء من بني عجل. قال البكري: واسمها جو، وسميت باسم زرقاء اليمامة. سماها بذلك تبع الآخر. وهي في الإقليم الثاني مع مكة وبعدها عن خط الاستواء واحد، ومن منازلها: توضح وقرقرا[2]. وقال الطبري: إن رمل عالج بين اليمامة والشحر، وهي من أرض وبار.

وكانت اليمامة والطائف لبني هزان بن يعفر بن السكسك: وغلبهم عليها طسم وجديس. ثم غلب بنو هزان آخراً، وملكوا اليمامة. وطسم وجديس في تبعهم، وكان آخر ملوك بني هزان: قرط بن جعفر فمات، وغلبتهم طسم على الملك. وكان منهم عمليق وأخباره معروفة. ثم غلبت جديس[3].

ومنهم اليمامة التي سميت مدينة جو بها. وأخبارها معروفة، ثم استولى على اليمامة بعد طسم وجديس بنو حنيفة. وكان منهم هوذن بن علي[4] ملك اليمامة وتتوج. ويقال: إنما كانت خرزات تنظم ولم يتوج أحد من بني معد قط. ثم كان ثمامة بن أثال[5] ملك اليمامة على عهد النبوة. وأسر وأسلم وثبت عند الردة، وكان منهم مسيلمة، وأخباره معروفة. قال

---

(١) ابن حوقل - طبعة دي خوي - ص١٨؛ والإصطخري ص١٢، ١٤ (كاي).
(٢) صفة: ١٦٤ (كاي).
(٣) راجع التعليق على الحاشية ١١٩ (كاي).
(٤) في الأصل: هودة بن علي.
(٥) في الأصل: تمامة بن أتال.

ابن سعيد: وسألت عرب البحرين وبعض مذحج عن اليمامة اليوم، فقالوا: لعرب من قيس عيلان، وليس لبني حنيفة بها ذكر [١١٩].

بلاد حضر موت: قال ابن حوقل: هي في شرقي عدن بقرب البحر، مدينتها صغيرة، ولها أعمال عريضة، وبينها وبين عدن وعمان من الجهة الأخرى رمال كثيرة تعرف بالأحقاف. وكانت موطن لعاد وبها قبر هود عليه السلام. وفي وسطها جبال شبام، وهي في الإقليم الأول. ولبعدها عن خط الاستواء ثنتا عشر درجة. وهي معدودة من اليمن. بلد نخل وشجر ومزارع، وأكثر أهلها يحكمون بأحكام علي وفاطمة، ويبغضون علياً للتحكيم[١].

وأكبر مدينة بها الآن قلعة شبام. فيها خيل الملك، وكانت لعاد مع الشحر وعمان. ثم غلبهم عليها بنو يعرب بن قحطان. ويقال: إن الذي دل عاد على جزيرة العرب هو رقيم بن أرم[٢]. كان سبق إليها مع بني هود فرجع إلى عاد ودلهم عليها. وعلى دخولها بالجوار. فلما دخلوا غلبوا على من فيها، ثم غلبهم بني يعفر بن قحطان [١٢٠] بعد ذلك. وولي على البلاد، فكانت ولاية ابنه حضرموت[٣] على هذه البلاد. وبه سميت الشحر، من ممالك جزيرة العرب. مثل الحجاز واليمن. وهو منفصل عن حضر موت وعمان. والذي يسمى الشحر قصبته. ولا زرع فيه ولا نخيل، إنما أموالهم الإبل والمعز، ومعاشهم من اللحوم والألبان ومن السمك الصغار، ويعلفونها للدواب، وتسمى هذه البلاد أيضاً بلاد مهرة، وبها الإبل المهرية. وقد يضاف الشحر إلى عمان، وهو ملاصق لحضرموت، وقيل هو ساحلها.

وفي هذه البلاد يوجد اللبان، وفي ساحله العنبر الشحري، وهو متصل

---

(١) في الأصل: للتحكم.
(٢) ابن حوقل ـ طبعة دي خوي: ٣٢، والأصطخري: ٢٥ (كاي).
(٣) انظر التعليق على الحاشية: ١٢٠.

في جهة الشرق، ومن غربيها بساحل البحر الهندي الذي عليه عدن، وفي شرقيها ببلاد عمان، وفي جنوبها بحر الهند مستطيلة عليه. وشمالها حضرموت كأنها ساحل لها، ويكونان معاً لملك واحد. وهي في الإقليم الأول، وأشد حراً من حضرموت.

وكانت في القديم لعاد، وسكنها بعدهم مهرة من حضرموت، أو من قضاعة، وهم كالوحوش في تلك الرمال، ودينهم الخارجية، على رأي الإباضية[1] منهم.

وأول من نزل الشحر من القحطانيين مالك بن حمير، خرج على أخيه وائل، وهو ملك بقصر غمدان، فحاربه طويلاً، ومات مالك، فولى بعده ابنه قضاعة بن مالك. فلم يزل السكسك بن وائل يحاربه إلى أن قهره. واقتصر قضاعة على بلاد مهرة، وملك بعده ابنه الحاف، ثم مالك بن الحاف، وانتقل إلى عمان، وبها كان سلطانه. قال البيهقي: وملك مهرة بن حيدان بن الحاف بلاد قضاعة، وحاربه عمه مالك بن الحاف، صاحب عمان، حتى غلبهم عليها، وليس لهم اليوم في غير بلادهم ذكر.

وببلاد الشحر مدينة مرباط وظفار[2] على وزن نزال، وظفار دار ملك التبابعة، ومرباط بساحل الشحر، وقد خربت هاتان المدينتان. وكان أحمد بن محمد بن محمود الحميري، ولقبه الباخودة. وكان تاجراً كثير المال، تقرب إلى صاحب مرباط بالتجارة حتى استوزره، ثم هلك، فملك أحمد الباخودة. ثم خربها وخرب ظفار سنة تسع عشرة وست مئة. وبنى على ساحل مدينة ظفار بضم الظاء المعجمة، وسماها الأحمدية باسمه، وخرب القديمة لأنها لم يكن لها مرمى [١٢١].

نجران: قال صاحب الكمائم: هي صقع منفرد عن اليمن[3] وقال

---

(١) انظر مروج الذهب: ٦٧/٦ (كاي).

(٢) انظر حاشية: ٧ (كاي) والاصطخري: ٢٤؛ ابن حوقل: ٣١ (كاي)؛ والتعليق على الحاشية: ١٢١ (كاي).

(٣) راجع التعليق على الحاشية: ١٢٢ (كاي).

غيره: هي من اليمن: قال البيهقي: مسافتها عشرون مرحلة، وهي شرقي صنعاء وشماليها، وتوالي الحجاز. وفيها مدينتان: نجران وجرش: بنيت على هيئة غمدان قاعدة اليمن، وكانت طائفة من العرب تحج إليها، وتنحر عندها. وتسمى الدير، وبها كان قس بن ساعدة يتعبد [١٢٢].

ونزلها القحطانية، طائفة من جرهم. ثم غلبهم عليها بنو حمير، وصاروا ولاة للتبابعة، وكان كل من ملك منهم يلقب «الأفعى». وكان منهم أفعى نجران واسمه القلمس[١] بن عمرو بن همدان بن مالك بن منتاب بن زيد بن وائل بن حمير ـ كان كاهناً ـ وهو الذي حكم بين أولاد نزار، لما أتوه حسبما هو مذكور. وكان والياً على نجران لبلقيس، فبعثته إلى سليمان عليه السلام. وآمن وبث دين اليهودية في قومه، وطال عمره. ويقال: إن البحرين والمشلل[٢] كانتا له [١٢٣].

قال البيهقي: ثم نزل نجران بنو مذحج واستولوا عليها. ومنهم بنو الحرث بن كعب. وقال غيره: لما خرجت اليمانية في سيل العرم، مروا بنجران فحاربتهم مذحج، ومنها افترقوا. قال ابن حزم: ونزلوا جوار مذحج بالصلح، الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نضر بن الأزد، ثم غلبوا عليها مذحجاً، وصارت لهم رياستها.

ودخلت النصرانية نجران من فيمون[٣]، وخبر معروف في كتب السير [١٢٤] وانتهت رياسة بني الحارث فيها إلى الديان، ثم صارت إلى بني عبد المدان. ثم كان يزيد منهم، على عهد النبي ﷺ، وأسلم على يد خالد بن الوليد، وفد مع قومه. ولم يذكره ابن عبدالبر[٤]، وهو مستدرك عليه [١٢٥]. وابن أخيه زياد بن عبدالملك بن عبد المدان ـ خال السفاح ـ ولاه نجران واليمامة، وخلفه[٥] ابنيه محمداً ويحيى.

---

(١) في الأصل: بالياء.
(٢) راجع التعليق على الحاشية: ١٢٣ (كاي).
(٣) في الأصل: ميمون. وراجع التعليق على الحاشية: ١٢٤ (كاي).
(٤) راجع ترجمته في التعليق على الحاشية: ١٢٥ (كاي).
(٥) في الأصل: خلف.

ودخلت المئة الرابعة، والملك بها لبني أبي الجود بن عبد المدان، واتصل فيهم، وكان بينهم وبين الفاطميين حروب، وربما يغلبونهم بعض الأحيان على نجران. وكان آخرهم عبدالقيس، الذي أخذ علي بن مهدي الملك من يده. ذكره عمارة [١٢٦] وأثنى عليه. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب[١].

* * *



الخبر عن دولة بني الرسي أئمة الزيدية بصعدة وذكر أوليتهم ومصائر أحوالهم

قد ذكرنا فيما تقدم خبر محمد بن إبراهيم، الملقب أبوه طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن المثنى[٢]، وظهوره أيام المأمون، وقيام أبي السّرايا ببيعته، وشأنه كله. ولما هلك، وهلك أبو السرايا وانقرض أمرهم، طلب المأمون، أخاه القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا ففر إلى السند. ولم يزل به إلى أن هلك سنة خمس وأربعين ومئتين، ورجع ابنه الحسن إلى اليمن، وكان من عقبه الأئمة بصعدة من بلاد اليمن، أقاموا للزيدية بها دولة، اتصلت آخر[٣] الأيام [١٢٧].

وصعدة جبل في الشرق من صنعاء، وفيه حصون كثيرة أشهرها صعدة، وحصن ثلا، وجبل قطابة. وتعرف كلها بني الرسي. وأول من خرج بها منهم: يحيى بن الحسين القاسم الرسي، دعا إلى نفسه بصعدة وتسمى بالهادي، وبويع بها سنة ثمان وثمانين[٤] (ومئتين)[٥] في حياة أبيه

---

(١) راجع حاشية ١٢٦ والتعليق عليها.

(٢) أي ابن حسن بن علي بن أبي طالب (كاي).

(٣) ولا يزال الزيدية يحكمون اليمن إلى اليوم. (في الخمسينات من القرن الماضي).

(٤) انظر: الإمام الهادي يحيى بن الحسين: لمحمد عبدالله ماضي.

(٥) زيادة اقتضاها السياق.

الحسين. وجمع الجموع من شيعتهم وغيرها، حارب إبراهيم بن يعفر، ويقال أسعد بن يعفر، الثائر من أعقاب التبابعة بصنعاء وثلا[1]، فغلبه على صنعاء ونجران، وملكها وضرب السكة. ثم انتزعها بنو يعفر منه، ورجع إلى صعدة. وتوفي سنة ثمان وتسعين (ومئتين)[2] لعشر سنين من ولايته، هكذا قال ابن المجاور. قال: وله مصنفات في الحلال والحرام. وقال غيره. وكان مجتهداً في الأحكام الشرعية، وله في الفقه آراء غريبة، وتآليف[3] بين الشيعة معروفة.

قال الصولي [١٢٨]: وولي بعده ابنه المرتضى، واضطرب الناس عليه وهلك سنة عشرين وثلاث مئة لثنتين وعشرين من ولايته. وولي بعده أخوه الناصر أحمد، واستقام ملكه، واضطرد في بنيه بعده. فولى بعده حسين المنتخب ومات سنة أربع وعشرين. وولي بعده أخوه القاسم المختار، إلى أن قتله أبو القاسم الضحاك الهمداني سنة أربع وأربعين. وقال الصولي: ولي من بني الناصر: الرشيد والمنتخب والمختار والمهدي[4]. وقال ابن حزم: لما ذكر ولد أبي القاسم الرسي فقال: ومنهم القائمون بصعدة من أرض اليمن. ومنهم يحيى الهادى، له رأي في الفقه، وقد رأيته، ولم يبعد فيه عن الجماعة كل البعد. كان لابنه[5] أحمد الناصر، بنون ولي منهم صعدة بعده، جعفر الرشيد، وبعده أخوه القاسم المختار، ثم الحسن المنتخب ومحمد المهدي[6]. قال: وكان اليماني القائم بماردة سنة ثلاث

---

(١) في الأصل: كملا. وجعلها (كاي) في الترجمة: كحلان.

(٢) زيادة لاستقامة المعنى.

(٣) في الأصل: تواليف.

(٤) انظر حاشية رقم ٨ (كاي).

(٥) في الأصل: لأبيه.

(٦) أسماء أبناء المنصور كما ذكرها صاحب الحدائق هي: القاسم أبو محمد المختار. وإسماعيل والحسن وجعفر ويحيى وعلي. أما محمد المهدي الذي جاء في رواية ابن خلدون فقد يشير إلى الإمام الفارسي الذي توفي في طبرستان سنة ٣٦٠هـ. ولكنه كان سليل القاسم ابن الحسن، وليس من أسرة الرسيين (انظر حاشية رقم ٧ (كاي).

وأربعين وثلاث مئة يذكر عبدالله بن أحمد الناصر، أخو الرشيد والمختار والمنتخب والمهدي.

وقال ابن المجاور: ولم تزل إمامتهم بصعدة مطردة، إلى أن وقع الخلاف بينهم. وجاء السليمانيون من مكة، عندما أخرجهم الهواشم، فغلبوا عليهم بصعدة، وانقرضت دولتهم بها في المئة السادسة[1]. قال ابن سعيد: وكان من بني سليمان حين خرجوا من مكة إلى اليمن أحمد بن حمزة بن سليمان[2]، فاستدعاه أهل زبيد لينصرهم على علي بن مهدي الخارجي، حين حاصرهم، وبها فاتك بن محمد، من بني نجاح. فأجابهم على أن يقتلوا فاتكاً. فقتلوه سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة، وملكوا عليهم أحمد بن حمزة. فلم يطق مقاومة علي بن مهدي، ففر عن زبيد، وملكها ابن مهدي. قال: وكان عيسى بن حمزة أخو أحمد في عشر من حصون اليمن[3]، ومنهم غانم بن يحيى.

ثم ذهب ملك بني سليمان من جميع التهائم والجبال واليمن على يد بني مهدي، ثم ملكهم بنو أيوب وقهروهم. واستقر ملكهم أخيراً في المنصور بن أحمد[4] بن حمزة. قال ابن النديم [١٢٩]: ورث الملك بصعدة عن أبيه، وامتدت يده مع الناصر[5] العباسي، وكان يناظره، ويبعث دعاته إلى الديلم وجيلان، حتى خطب له هنالك، وصار له فيها ولاة، وأنفق الناصر عليه أموالاً في العرب باليمن، ولم يظفر به.

قال ابن الأثير: جمع المنصور عبدالله بن أحمد بن حمزة إمام الزيدية بصعدة سنة ثنتين وتسعين وخمس مئة، وزحف إلى اليمن فخاف منه

---

(١) انظر حاشية رقم ١٣٠ (كاي).

(٢) صحتها أحمد بن حمزة بن أحمد بن سليمان (حاشية رقم ٨٨، ١٣٠ (كاي).

(٣) ربما كان الصواب في رواية ابن سعيد: أن عيسى بن حمزة والد غانم بدلاً من أخي أحمد (حاشية رقم ٨٨ (كاي).

(٤) صحتها عبدالله بن حمزة (كاي).

(٥) تولى الخلافة سنة ٥٧٥هـ. (كاي).

المعز بن سيف الإسلام طغتكين بن أيوب، ثم زحف إليه المعز فهزمه، ثم جمع ثانية سنة ثنتي عشرة وست مئة جموعاً من همدان وخولان، وارتجت له اليمن، وخاف المسعود بن الكامل[1]، وهو يومئذ صاحب اليمن ومعه الكرد والترك. وأشار أمير الجيوش عمر بن رسول بمعاجلته قبل أن يملك الحصون. ثم اختلف أصحاب المنصور، ولقيه المسعود فهزمه. وتوفي المنصور سنة ثلاثين وست مئة عن عمر[2] مديد وترك ابناً اسمه أحمد، ولاه الزيدية، ولم يخطبوا له بالإمامة، ينتظرون علو سنه، واستكمال شروطه. ولما كانت سنة خمس وأربعين بايع قوم من الزيدية بحصن ثلا للموطىء من بني الرسي، وهو أحمد بن الحسين[3] من بني الهادي. لأنهم لما أخرجهم بنو سليمان من كرسي إمامتهم بصعدة، آووا إلى جبال قطابة بشرقي صعدة، فلم يزالوا هنالك. وفي كل عصر منهم إمام شائع بأن الأمر إليهم، إلى أن بايع الزيدية أحمد الموطىء، وكان فقيهاً أديباً عالماً بمذهبهم، قواماً صواماً، بويع سنة خمس وأربعين وست مئة.

وأهم نور الدين عمر بن رسول شأنه، فحاصره بحصن ثلا سنة، وامتنع عليه فأفرج عنه. وعمل العساكر من الحصون المجاورة لحصاره، ثم قتل عمر بن رسول[4] وشغل ابنه المظفر بحصن الدملوة، فتمكن الموطىء وملك عشرين حصناً، وزحف إلى صعدة، فغلب السليمانيين عليها، وقد كانوا بايعوا لأحمد ابن إمامهم عبدالله المنصور، ولقبوه المتوكل، عندما بويع للموطىء بالإمامة في ثلا، لأنهم كانوا ينتظرون استكمال سنه.

فلما بويع الموطىء بايعوه. ولما غلبهم على صعدة، نزل أحمد المتوكل إمامهم. وبايع لهم وأمنه. وذلك سنة تسع وأربعين، ثم حج سنة خمسين. وبقي أمر الزيدية في صعدة في عقب الموطىء [١٣٠] هذا.

---

(١) السلطان الكامل الأيوبي (كاي).

(٢) صحتها أربع عشرة وست مئة، عن ثلاث وخمسين سنة (كاي).

(٣) في الأصل: بن.

(٤) كان قتل عمر بن رسول سنة ٦٤٧هـ. وخلفه ابنه المظفر (كاي).

وسمعت بمصر أن الإمام بصعدة كان قبل الثمانين والسبع مئة ـ علي بن محمد ـ من أعقابهم. وتوفي قبل الثمانين، وولي ابنه صلاح، وبايعه الزيدية. وكان بعضهم يقول: ليس هو إمام لعدم [توفر][1] شروط الإمامة [فيه][1]. فيقول هو: أنا لكم ما شئتم، إمام أو سلطان. ثم مات صلاح آخر سنة ثلاث وتسعين، وقام بعده ابنه نجاح، وامتنع الزيدية من بيعته. فقال: أنا محتسب لله، هذا ما بلغنا عنهم بمصر، أيام المقام فيها، والله وارث الأرض وما عليها.

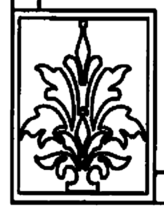


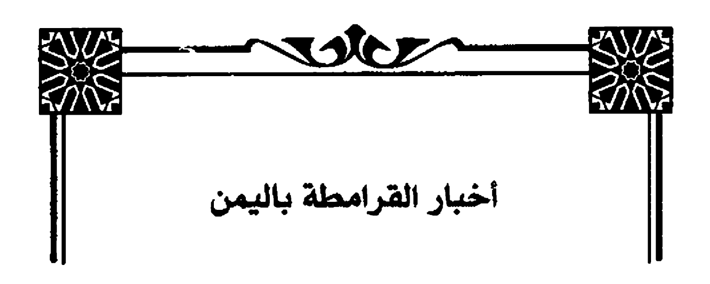
---

(١) زيادة لتوضيح المعنى.

(ثالثاً)
أخبار القرامطة باليمن

المنقول من كتاب السلوك من طبقات العلماء والملوك
للقاضي أبي عبدالله محمد بن يوسف المعروف
ببهاء الدين الجندي (ت: ٧٣٢هـ)





أخبار القرامطة باليمن

وفي أيامه(١) ظهر القرامطة، علي بن فضل ببلد يافع، ومنصور بن حسن، [و] يعرف بمنصور اليمن [١٣١]. فحينئذ أذكر نبذة من أحوالهما، على ما ذكره الفقيه أبو عبدالله محمد بن مالك بن أبي الفضائل(٢)، أحد فقهاء اليمن وعلماء السنة، وكان ممن دخل مذهبهما أيام الصليحي، وتحقق أصل مذهبهما، فلما تحقق فساده، رجع عنه، وعمل رسالة مشهورة، يخبر بأمور أصل مذهبهم، ويتبين عوارهم، ويحذر من الاغترار(٣) بهم.

فقال: كان علي بن فضل من عرب يقال لهم [جيشان](٤)، ينسبون إلى ذي جدن [١٣٢]، وكان شيعياً على مذهب الاثنا عشرية، فحج مكة، ثم خرج مع ركب العراق، يريد زيارة مشهد الحسين، فلما وصله جعل يولول، ويصيح ويقول: ليت من كان حضرك يا ابن [بنت](٥) رسول الله ﷺ، حين جاءك جيش الفجرة(٦). وميمون ملازم للضريح، ومعه

---

(١) أي أيام أسعد بن يعفر (كاي).

(٢) في الأصل: العصائل غير معجمة.

(٣) في الأصل: الأغرار.

(٤) زيادة من قرة: ١٣؛ وراجع التعليق على الحاشية ١٣٢ (كاي).

(٥) زيادة لتوضيح المعنى.

(٦) ليس في الجملة خبر (ليت)، وترجمها (كاي) ليتني كنت حاضراً حين جاءك جيش الفجرة.

ولده عبيد يخدمه [١٣٣] فحين رأيا ابن فضل على تلك الحال، طمعا اصطياده[١].

ثم خلا به ميمون، وعرفه أنه لا بد لولده عبيد من دولة تقوم، ويتوارثها بنوه، لكن لا يكون حتى تكون بدأتها في اليمن على يد بعض دعاته، فقال له ابن فضل: ذلك ممكن في اليمن، والناموس جائز عليهم، فأمره بالتثبيت والوقوف، حتى ينظر في الأمر، وكان ميمون في الأصل يهودياً قد حسد الإسلام، واعتار[٢] على دينه، فلم يجد حيلة غير العكوف على تربة الحسين بكربلاء[٣]، وإظهار الإسلام.

وأصله من سلمية، مدينة بالشام، وانتسب إلى العلويين، وأكثرهم ينكر صحة نسبه، فالله أعلم. وقطع ابن مالك بأنه يهودي. وصحبه رجل من كربلاء، يعرف بمنصور بن زادان بن حوشب بن فرج بن المبارك، من ولد عقيل بن أبي طالب، كان جده زادان اثني عشري المذهب، أحد أعيان الكوفة. وسكن على تربة الحسين، فحين قدم ميمون تعرش بمنصور (ولما رأى فيه من)[٤] النجابة استماله[٥] وصحبه وكان له ذهناً[٦] يستمد بها. وكان ذا علم بالفلك فأدرك أن له دولة، وأنه يكون أحد الدعاة لولده.

فلما قدم ابن فضل صحبه، ورأى أنه قد تم له المراد، وأن (ابن)[٧] فضل من أهل اليمن خبير به وبأهله. فقال ميمون لمنصور: يا أبا القاسم إن الدين يمان والحكمة يمانية، والركن، وكل أمر يكون مبتدأه من قبل اليمن، فهو ثابت لثبوت نجمه [١٣٤] وقد رأيت أن تخرج أنت وصاحبنا علي بن فضل إلى اليمن، وتدعوان إلى ولدي، فسيكون لكما به شأن وسلطان.

---

(١) راجع التعليق على الحاشية: ١٣٣ (كاي).
(٢) هكذا في الأصل ولم أقف على معناها.
(٣) ذكر (كاي) أنه يترجم هذه الفقرة مع كثير من الحيرة والتردد لأن نقط الإعجام ليست موجودة.
(٤) زيادة لتوضيح المعنى.
(٥) في الأصل: فاستماله.
(٦) في الأصل: دينا.
(٧) زيادة لتوضيح المعنى.

وكان منصور: قد عرف من ميمون إصابات[1] كثيرة، فأجابه إلى ما دعا. فجمع بينه وبين علي بن فضل، وعاهد بينهما، وأوصى كلاً منهما بصاحبه خيراً. قال منصور: لما عزم ميمون[2] «١٥» على إرسالنا اليمن أوصاني بوصايا منها: أنني متى دخلت اليمن سترت أمري، حتى أبلغ غرضي. وقال لي: الله، الله - مرتين - صاحبك يعني ابن فضل، احفظه وأحسن إليه، وأمره بحسن السيرة، فإن له شأناً ولا آمن عليه. ثم قال لابن فضل: الله الله أوصيك بصاحبك خيراً، وقره، واعرف حقه، ولا تخرج عن أمره، فإنه أعرف منك ومني، فإن عصيته لم ترشد. ثم ودعنا، وخرجنا مع الحاج حتى أتينا مكة ثم سرنا مع حاج اليمن حتى جئنا غلافقة [١٣٥]، ثم تواصينا لا ينسى أحد منا صاحبه، ولا يقطع خبره عنه.

ثم سرت حتى قدمت الجند، وهي إذ ذاك بيد الجعفري. حتى تغلب عليها وانتزعها من ابن يعفر. وكان الشيخ قد قال لي: إياك أن تبدي بشيء من أمرك إلا في بلد يقال لها عدن لاعة، فإنها البلد الذي يتم ناموسك، وتنال غرضك فيها فلم أعرفها. فقصدت عدن أبين، وسألت عن عدن لاعة، فقيل لي: إنها بجهة حجة. فسألت عمن قدم[3] من أهلها، فأرشدت إلى جماعة قدموا لغرض التجارة، واجتمعت بهم وصحبتهم، وتطلعت عليهم حتى أخيوني. وقلت أنا رجل من أهل العلم، بلغني أن لكل بلداً[4] جبلاً، وأريد أصحبكم إليه، فرحبوا وأهلوا. ثم لما أرادوا السفر خرجت من جملتهم، وكنت في أثناء الطريق أتحفهم بالأخبار، وأحضهم على الصلاة. وكانوا يأتمون بي فحين دخلت لاعة، سألت عن المدينة فيها وأرشدت إليها، ولزمت بعض مساجدها، وأقبلت على العبادة حتى مال إلي جمع من الناس، فلما علمت أن قد استحكمت محبتي في قلوبهم، أخبرتهم بأني[5]

(١) في الأصل: إصامات والتصحيح من خ.
(٢) انظر التعليق على الحاشية: ١٣٣ (كاي).
(٣) في الأصل: تقدم؛ راجع التعليق على الحاشية: ١٣٥ (كاي).
(٤) في الأصل: بلد.
(٥) في الأصل: وإني.

إنما قدمت عليهم داع للمهدي الذي بشر به النبي ﷺ، فحالفت منهم جمعاً على القيام. فصار يؤتى لي بالزكاة. فلما اجتمع لي منها شيء كثير، قلت: إنه ينبغي أن يكون لي معقلاً يحفظ به هذه الزكاة، يكون بيت مال المسلمين، فبنيت عبر محرم[1]، وهو حصن كان لقوم يعرفون ببني[2] العرجا. ونقلت إليه ما كان قد تحصل عندي من طعام ودراهم. فحين سرت إليه بما معي، وقد عاهدني خمس مئة رجل على النصر، صعدوا معي الحصن بما معهم من مال وأولاد. فأظهرت حينئذ الدعوة إلى عبيدالله المهدي بن الشيخ ميمون، ومال إلى موافقتي خلق بأسرهم[3].

ثم لما أخذ جبل مسور، واستعمل الطبول والرايات، بحيث كان له ثلاثون طبلاً، إذا أقبل إلى مكان، سمعت إلى مسافة بعيدة. وكان للحوالي حصن بجبل مسور، له به وال، انتزعه منه.

ثم حين علم استقامة أمره، كتب إلى ميمون يخبره بقيام أمره، وظهوره على من[4] عانده. وبعث له بهدايا وتحف جليلة، وذلك سنة تسعين ومئة. فحين بلغه الأمر، ووصلت الهدايا، قال لولده عبيد: هذه دولتك قد قامت، ولكن لا أحب ظهورها إلا من المغرب [١٣٦]. ثم بعث أبا عبدالله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا. المعروف بالشيعي الصنعاني، إلى المغرب. وأمره بدخول إفريقية وسياسة أهلها، واستمالتهم[5] إلى طاعة ولده عبيد، فقدم المغرب حيث أمره. وكان من رجال العالم الذين يضرب بهم المثل في السياسة، فلم يستحكم أمره إلا في سنة ست وتسعين ومئتين. فكتب إلى المهدي يخبره بقيام الأمر، وطاعة الناس له، ويأمره بالقدوم إليه. فبادر عبيد الملقب بالمهدي، وقدم إفريقية.

---

(١) في الأصل: عين محرم.

(٢) في الأصل: لبني العدما والتصحيح من ابن مالك.

(٣) في الأصل: حلق باشر.

(٤) في الأصل: على ما.

(٥) في الأصل: واستمالهم؛ وراجع التعليق على الحاشية: ١٣٦ (كاي).

وقد كان الشيعي غلب على ملكها، وصار بيده، فحين قدم المهدي سلمه إليه. فندمه، وذمه أخوه، وقال له: بئس ما صنعت، بيدك ملك تسلمه لغيرك. وجعل يكرر ذلك عليه حتى أثر عنده. وهم أن يغدر بالمهدي، فبلغه ذلك، فاستشعر عنه، ودبر عليه من قتله، وقتل أخاه في ساعة واحدة، منتصف جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين.

وهذا عبيدالله[١] الملقب بالمهدي[٢]، وهو جد ملوك المغرب ثم مصر. فابن خلكان يقول في نسبهم: العبيديون[٣] نسبة إلى عبيد[٤] هذا، وناس يسمونهم العلويين، على صحة دعواهم، فالله عالم بالصواب.

فهذه نبذة بينت فيها حال القرامطة في اليمن، وحال منصور الذي دعا إليه. وكان منصور ملكاً مسدداً. وأما [علي بن][٥] فضل فسيأتي من ذكره ما يبين حاله. فقد مضى نسبه، وأصل بلده. فذكر من نقل سيرته أنه لما فارق منصوراً من غلافقه، كما قدمنا ذكره، طلع الجبل، ودخل الجند، ثم خرج منها إلى أبين، وهي إذ ذاك بيد رجل من الأصابح، يقال له: محمد بن أبي العلي، ثم خرج عنها إلى بلد يافع. فوجدهم[٦] رعاعاً، فجعل يتعبد في بطون الأودية، ويأتون بالطعام فلا يأكل منه إلا اليسير، لمن يحقق حاله. فأعجبوا وهم يسكنون برؤوس الجبال، فسألوه أن يسكن معهم، فلم يكد يجيبهم إلا بعد مدة، حتى ألحوا عليه، فذكر لهم: إنما يمنعه عن مساكنتهم عدم[٧] امتثالهم بالمعروف، والنهي عن المنكر، وشرب الخمر، والتظاهر بالفجور، فحلفوا له على الطاعة، وألا يخالفوه بأمر، فوعدهم خيراً، وصاروا يجمعون له زكواتهم، حتى اجتمع له شيء جيد.

---

(١) في الأصل: عبد.
(٢) اسمه في العملة التي سكت باسمه عبدالله (كاي).
(٣) في الأصل: العبيديين.
(٤) في الأصل: نسبة إلى هذا عيد.
(٥) زيادة لتوضيح المعنى.
(٦) في الأصل: فلقيهم، وأثبتنا رواية خ.
(٧) في الأصل: إلا عدم.

ثم إنه قصد أبين، فقتل صاحبها واستباحها، وأخذ أموالاً جليلة، ثم قصد المذيخرة[1] بلد الجعفري[2]. وكانت مدينة عظيمة بجبل ريمة. فحاربه مراراً [و] كانت الدائرة له[3]. فقتله واستباح بلده، وسبى الحريم، وقد ذكر ابن مالك ذلك برسالته على أكمل وجه، وليس هو من ملازم الكتاب فيأتي به.

ولما صار بالمذيخرة أعجبته، فأظهر بها مذهبه، وجعلها دار ملكه، ثم أدعى النبوة، وأحل لأصحابه شرب الخمر، ونكاح البنات والأخوات، ثم دخل الجند في موسمها أول خميس من رجب. وصعد المنبر وقال الأبيات المشهورة وهي:

خذي الدف يا هذي والعبي	وغني هزاريك[4] ثم أطرابي
تولى نبي بني هاشم	وهذا نبي بني يعرب
لكل نبي مضى شرعة	وهذي شريعة[5] هذا النبي
فقد حط عنا فروض الصلاة	وحط الصيام ولم يتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهضي	وإن صوموا فكلي واشربي
ولا تطلبي السعي عند الصفا	ولا زورة القبر في يثرب
ولا تمنعي نفسك المعر	بين من الأقربين مع الأجنبي
أحلّ البنات مع الأمهات	ومهر فضله زاد حلّ الصبي
بماذا حللت لهذا الغريب	وصرت محرمة للأب
أليس الغراس لمن (قد) رباه	وسقاه في الزمن المجدب
وما الخمر إلا كماء السماء	محل فقدست من[6] مذهب [١٣٧]

(١) في سنة ٢٩١ كما جاء في خ (كاي).

(٢) جعفر بن أحمد المناخي كما في خ؛ وفي صفة ٧٥: أن جعفر بن إبراهيم (كاي).

(٣) في سنة ٢٩٢ كما في خ؛ وفي صفة ٧٥: أن جعفر بن إبراهيم المناخي في خوالة وهو موضع قريب لأحد منابع وادي نخلة (كاي).

(٤) الهزار: العندليب.

(٥) كشف: شرائع.

(٦) انظر كشف: ٣١؛ الصليحيون: ٤٢؛ وقال صاحب الحور: ١٩٩ «وغالب الظن أن قائل هذه الأبيات من الخطابية»؛ راجع التعليق على الحاشية: ١٣٧ (كاي).

ثم استقام أمره، وغلب على مخلاف جعفر والجند [ثم] عزم على غزو وبها يومئذ أسعد بن إبراهيم بن[1] جعفر. فمر بذمار وأخذ حصن هران، ودخل إليه وغالب من معه فيه بالمذهب. ولحق بقيتهم بأسعد بن يعفر. ولما سمع أسعد بن يعفر بكثرة جيوشه، خرج من صنعاء هارباً. ودخلها ابن فضل، يوم الخميس لثلاث مضين من رمضان سنة تسع وتسعين ومائتين [١٣٨]، فنزل الجامع، ونزل بقدومه مطر عظيم، فأمر بسد الميازيب التي للجامع، وأطلع النساء اللاتي[2] سبين من صنعاء وغيرها، وطلع «المنارة» ثم جعلوا يلقوهن إلى الماء منكشفات عرايا، فمن أعجبته أخذ بها إلى المنارة وافتضها، حتى قيل: إنه افتض عدة من البكور. وأمر ذلك الماء وتحققه على السقف، حتى يوجد أثر ذلك إلى اليوم، ذكره القاضي سري الآتي ذكره.

ثم إنه حلق رأسه فحلق معه موافقة مائة ألف نفس. وأمر بإخراب دار ابن عنبسة، ظن أنه يجد بها ذهباً، فلم يجد غير عشرة آلاف دينار. وقد[3] كان ابن عنبسة من أعيان صنعاء، خرج مع أسعد حين خرج، فلما بلغه إخراب بيته، أخذته بطنه ومات.

وحين بلغ منصور (اليمن)[4] دخول ابن فضل صنعاء سره ذلك وتجهز حتى جاءه، واجتمعا، وفرح كل بصاحبه. ثم خرج ابن فضل إلى حراز[5]، ثم نزل المهجم فأخذها وسار إلى الكدراء فأخذها أيضاً. ثم قصد زبيد، فهرب صاحبها، وهي يومئذ بيد أبي الجيش إسحاق بن إبراهيم بن محمد[6]، الواصل من بغداد، فقتل وهرب[7]، وقيل قاتل، فقتله ابن

---

(١) في الأصل: جعفر.
(٢) في الأصل: التي.
(٣) في الأصل: وإن كان.
(٤) زيادة لتوضيح المعنى.
(٥) جاء في خ. أن ابن فضل خرج إلى حراز وملهان والموضع الأخير يسمى أيضاً ريشان (انظر ياقوت؛ صفة ١٨ (كاي)).
(٦) من بني زياد حكم زبيد (٢٨٩ ـ ٣٧١) انظر حاشية: ١٣ (كاي).
(٧) غير مفهوم كيف قتل ثم هرب.

فضل[1]. واستباح زبيد، وسبى الحريم. فذكر نقلة الأخبار أنه أخذ منها أربعة آلاف بكر، سوى الجارح[2].

ثم خرج منها يريد المذيخرة على طريق الميراد؛ جبل شرقي زبيد. فلما صار بعسكره بموضع يسمى المداحيص[3] أو المشاخيص [١٣٩] أمر صائحه، فصاح بالعسكر بالنزول. فلما نزلوا ناداهم نداء الاجتماع، فاجتمعوا إليه، وحضر والديه. فقال[4] لهم: قد علمتم إنما خرجتم للجهاد في سبيل الله، وقد غنمتم من نساء الحصيب ما لا يخفى، ولست آمنهن عليكم أن يفتنكم، ويشغلنكم عن الجهاد [١٤٠] فليذبح كل رجل منكم ما صار معه منهن. ففعلوا ذلك، فصار الدم في ذلك أثره سنين كثيرة، ولذلك سمي بالمداحيص أو المشاخيص.

ثم توجه إلى المذيخرة، فلما صار بها أمر بقطع الطرق لا سيما طريق الحج وقال: حجوا (إلى)[5] الحرف، موضعاً بالقرب من المذيخرة، واعتمروا إلى الثلاث، واد بالقرب من الحرف[6].

ولما علم أن قد استحكم له أمر اليمن. خلع عبيد بن ميمون الذي كان يظهر أنه داع إليه، ثم كاتب صاحبه منصور بذلك، فعاد جوابه إليه يعاتبه ويقول له: كيف تخلع طاعة من لم تنل خيراً إلا به، وتترك الدعاء إليه، فما تذكر (ما) بينك وبينه من العهود[7]، وما أخذ علينا جميعاً من الوصية على الاتفاق وعدم الافتراق.

---

(١) انظر حاشية رقم ١٣ (كاي).

(٢) ترجمها (كاي) بأنهن النساء الأمهات.

(٣) انظر حاشية: ١٣٩ (كاي) والتعليق عليها.

(٤) في الأصل: قال.

(٥) زيادة لتوضيح المعنى.

(٦) في صفة: (٦٩): الحرف في الأجزاء المنخفضة من سراة قدم، ولذلك فهو لا يبعد عن الحجة. لكن إذا صح ذلك فإنه يكون بعيداً عن المذيخرة. وقد ذكرت ثالثه في نهاية ص٩٧ والهامش رقم ١٠٠ على أنها موضع في مخلاف جعفر. انظر أيضاً سبرنجر ص١٥٣ حيث جاء فيه أن حصن ثلاث يقع قرب صنعاء (كاي).

(٧) في أنباء / ماضي ٥٤: «كيف نخلع طاعة من لم تر خيراً إلا ببركة الدعاء إليه، وقد أعطينا من العهود ما قد علمته».

فلم يلتفت إليه بل كتب كتاباً يخيره ويقول: إن لي بأبي سعيد الجنابي أسوة [١٤١]. إذ قد دعا إلى نفسه. وأنت إن لم تنزل إليّ وتدخل في طاعتي[١] نابذتك الحرب[٢]، فلما ورد كتابه إلى المنصور بذلك، غلبه على ظنه صحته. وطلع جبل مسور، وأخذ بتحصينه. وقال: إنما حصنت هذا الجبل من هذا الطاغية وأمثاله. ولقد عرفت الشر بوجهه، حين اجتمعنا بصنعاء.

ثم إن ابن فضل بعد مديدة من تصديره الكتاب. تجهز إلى غزو منصور، وانتدب إلى ذلك عشرة آلاف رجل من المعدودين في عسكره. وسار من المذيخرة حتى دخل شبام[٣]. فحصل بينه وبين عسكر منصور حرب. وتكرر ذلك. ثم دخل ابن فضل بلد لاعة. وصعد جبل الجميمة[٤] بالجيم مفتوحة. وهو جبل فائش، على قرب من مسور، وهو لقوم يقال لهم بنو المنتاب.

فأقام به ثمانية أشهر يحاصر منصور، فلم يدرك منه طائلاً. وشق به الوقوف، وعلم منصور بذلك فراسله بالصلح. فقال ابن فضل: لا أفعل إلا أن يرسل لدي ولده، يقف معي الطاعة، وإلا فلا يسمع مني أنني رحت بغير قضاء حاجة. ويشيع ذلك عند العالم أني تركته تفضلاً لا عجزاً، ففعل منصور ذلك، وتقدم معه بعض أولاد منصور، ثم أن ابن فضل طوقه بطوق من ذهب[٥].

وانهمك في المذيخرة على تحليل محرمات الشريعة، وإباحة محظوراتها، وعمل بها داراً واسعة يجمع فيها غالب أهل مذهبه نساء ورجالاً

---

(١) في الأصل: بإجابتي.

(٢) في كشف: ٣٣ «إنما هذه الدنيا شاه، ومن ظفر بها افترسها».

(٣) أظن أن الموضع المشار إليه هو شبام أقيان (حاشية: ١١).

(٤) انظر حاشية: ١١، وفي خريطة جلازر وجدت جميمة وهي على خط عرض ١٦ والدقيقة ٦ (كاي).

(٥) في خ: أن منصور هو الذي وضع طوق في عنق ابن فضل (كاي).

متزينين متطيبين. ويوقد بينهم الشمع ساعة، ويتحادثون فيها بأطيب الحديث، وأطربه، ثم يطفأ الشمع، ويضع كل منهم يده على امرأة، فلا يترك الوقوع عليها، وإن كانت من ذوات محارمه. وقد يقع مع أحدهم ما لا يعجبه إما لعجز أو لغيره فيريد التفلت منها، فلا تكاد تعذره.

فقد حكا ابن مالك أن رجلاً من القوم، وقعت يده على عجوز كبيرة محدودبة فحين تحقق حالها، أراد التفلت منها. فقالت له: لا بد من ذى حكم الأمير. وذى بالذال المهملة، لغة بعض اليمنيين بمعنى لا. فكأنها قالت: لا بد من الذي حكم (به) الأمير، يعني ابن فضل.

وهذه مخزية عظيمة شاعت عنه (و) عمت جميع من انتسب إلى التسمعل. وهي شيء لم يحقق عن أحد غيره. ولقد سألت جمعاً من الذين يتحقق منهم المذهب، فأنكروا ذلك. ورأيتهم مجتمعين على أن علي بن فضل زنديق، وأن منصور اليمن من أعيان مذهبهم، وأخيارهم، وذلك الذي يقرر في ذهني.

وكان ابن فضل لما طابت له المذيخرة، وجعلها دار إقامته. استناب على صنعاء أسعد بن يعفر، المقدم ذكره. استنابه مكانه. لأنه لم يثبت أن أسعد اجتمع به. كان حذراً من غدره. فأقام أسعد بصنعاء نائباً له، وهو يود أن يأخذ شأن المسلمين منه، وهو أيضاً حذر منتقض[1]. وكان لا يكاد يستقر بصنعاء خشية غازية من ابن فضل أو هجمة.

قال ابن جرير: وكان عنوان كتب ابن فضل إلى أسعد بن يعفر: من باسط الأرض وداحيها، ومزلزل الجبال ومرسيها، علي بن فضل إلى عبده أسعد. وكفى بهذا الكلام دليلاً على كفره، فنسأل الله العصمة.

وفي أثناء نيابة أسعد له، قدم رجل غريب يزعم أنه شريف بغدادي، فصحب أسعد وأنس به. وقيل: إن قدومه كان بإرسال من صاحب بغداد،

---

(١) من انتقض الجرح بعد برئه والأمر بعد التئامه أي فسد والمعنى أنه يضمر الخروج عليه.

لما بلغه من تقوم بن فضل. ليعمل الحيلة في قتله. فلبث عند أسعد مدة، وكان جراحاً[1] ماهراً بصناعة الأدوية. بصيراً بفتح العروق، ومداواة الجروح[2] وسقي الأشربة النافعة.

ولما اشتد[3] خوف أسعد من ابن فضل. قال[4]: إنني عزمت أن أهب نفسي لله وأتصدق على المسلمين، لأريحهم من هذا الطاغية. فعاهدني إن أنا عدت إليك على (أن) تقاسمني ما يصير إليك من الملك، فأجابه أسعد إلى ما سأل.

فتجهز الغريب وخرج من عند أسعد، وهو إذ ذاك مقيم بالجوف[5] ببلد همدان. على تخوف من ابن فضل. فسار الغريب حتى قدم المذيخرة. فخالطه وجوه الدولة وكبراؤها، وفتح لهم العروق، وسقاهم الأدوية النافعة، وأعطاهم المعجونات، فرفعوا ذكره إلى ابن فضل، وأثنوا عليه عنده، ووصفوه بما فيه من الصفة وقيل له: إنه لا يصلح إلا لمثلك.

فلما كان ذات يوم، أحب الافتصاد، فبحث عنه وطلبه، فجيء له به. وحين وصله الطالب عمد إلى سم فعمله بشعر في مقدم رأسه. وكان ذا شعر كثير، ثم لما دخل عليه، أمره أن يتجرد من ثيابه، ويلبس غيرها من ثياب كانت عند ابن فضل. ثم أمره بالدنو منه ليفصده. ففعل وقعد بين يديه. ثم أخرج المفصد وامتصه تبرية له من السم. ثم مسحه برأسه في موضع السم، فعلق منه بعض الشيء، ثم فصده بالأكحل[6] وربطه وخرج من فوره. وحمل حاجاته[7] على حمار له. وخرج من المذيخرة مبادراً إلى أسعد بن يعفر.

---

(١) في الأصل: جرائياً.
(٢) في الأصل: الأجرحة.
(٣) في الأصل: ولما شد خوف أسعد لابن فضل.
(٤) قال يعني الرجل الغريب.
(٥) اسم يطلق على منطقة واسعة في ديار همدان.
(٦) اسم لأحد الأوردة.
(٧) في الأصل: هراوة.

ولما قعد ابن فضل ساعة أحس بالسم، وعلم أنه أكيد على يد الفاصد، وأمر بطلبه فلم يوجد. فازداد تبغياً. وأمر أن يلحق حيث كان. ويؤتى به، فخرج العساكر في طلبه بنواح شتى، حتى أدركه بعضهم بوادي السحول عند المسجد المعروف بقينان[1] فلم يلتزم، بل دافع عن نفسه حتى قتل. وقبره هنالك، وهو مسجد جامع له منارة يزار ويتبرك به. دخلته في المحرم سنة ست وتسعين وست مئة.

وتوفي ابن فضل عقيب ذلك، ليلة الخميس منتصف ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاث مئة «٩١٦». وكانت[2] مدة امتحان المسلمين بتملكه سبع عشرة سنة. ولما علم أسعد بوفاته فرح، وكذلك جميع أهل اليمن فرحوا فرحاً شديداً. ثم كاتبوا أسعد على أن يغزو المذيخرة ويستأصل شأن القرامطة، فأجابهم إلى ذلك، وتجهز بعسكر جرار من صنعاء ونواحيها. ثم لما صار بمخلاف جعفر، اجتمع إليه أهله، ثم أهل الجند، والمعافر، والتفت العساكر إلى المذيخرة.

وكان خلف ابن فضل ولداً له يعرف بالفأفأ، لفأفأة كانت به فحصر أسعد المذيخرة بمن كان معه من الناس. وكانت محطته بجبل ثومان، الذي تقدم ذكره، عند ذكر الجعفري، الذي يعرف الآن باسم جبل خولان، لأن به عرباً منهم يعرفون ببني البعم. فلم تزل العساكر فيه وكلما خرج لهم عسكر من المذيخرة كسرهم المسلمون، وتتابع ذلك مرة على مرة حتى ذلوا وخضعوا.

ثم نصب أسعد على المدينة المنجنيقات، فهدم غالب دورها ودخلها قهراً. ثم قتل ابن علي بن فضل، وجمع من ظفر به من خواصه وأهله، ومن دخل بمذهبه وسبى بناته، وكن ثلاث، اصطفى أسعد منهن واحدة

---

(١) ذكر الهمداني (صفة: ٦٨، ١٠٠) على أنه موضع يقع في إقليم السحول وفي الجزء الشمالي من منطقة ذي الكلاع. (كاي).

(٢) في الأصل: كان.

اسمها معاذة، وهبها لابن أخيه قحطان[1]، فولدت له عبدالله الآتي ذكره، والاثنتان صارتا إلى رعين. فكانت مدة حصار المسلمين وأسعد للمذيخرة سنة كاملة. قيل أنه لم ينزع أسعد فيها درعه، ولم يزل متقلداً لسيفه. وانقطعت دولة القرامطة من مخلاف جعفر، ولم تزل المذيخرة خراباً منذ ذلك إلى عصرنا.

وأما منصور فهو على الحال المتقدم، ولكنه كان رئيساً لبيباً، يحب المباقاة، ولم يبرح في جهة لاعة. حتى توفي قبل ابن فضل سنة اثنتين وثلاث مئة، بعد أن أوصى لولد له اسمه الحسن، ورجل آخر من أصحابه اسمه: عبدالله بن العباس الشاوري، كان خصيصاً به، وكان قد أرسله إلى المهدي برسالة وهدية، وصار عند المهدي منه صورة ومعرفة.

وذلك أن منصور لما أحس بالموت جمع بينهما وقال: أوصيكما بهذا الأمر فاحتفظاه، ولا تقطعا دعوة بني عبيد بن ميمون. فنحن غرس من غروسهم، ولولا ما دعونا إليه من طاعتهم، لم يتم لنا مراد، وعليكما بمكاتبة إمامنا المهدي، فلا تقطعا أمراً دون مشاورته، فإن هذا الأمر لم آخذه بكثرة مال، ولا رجال، ولم آت هذه البلاد إلا بغضاً، وبلغت ما لم يخف ببركة المهدي، الذي بشر به النبي ﷺ. وكثيراً ما كان يقول ذلك في ملأ من الناس.

ثم لما توفي منصور كتب وصيته الشاوري إلى المهدي، وهو مقيم بالمهدية، يخبره بوفاة منصور، وتركه أمر الدعوة مرخى حتى يرد أمره. وأعلم المهدي بأنه يقوم بأمر الدعوة قياماً شافياً وافياً، دون أولاد منصور. وبعث بالكتاب مع بعض أولاد منصور، فسار به حتى قدم المهدية، دفع

---

(1) ابن عبدالله بن يعفر، فولدت له عبدالله بن قحطان (حور: ٢٠٠) واستطرد نشوان قائلاً: «وأخذ (أي أسعد بن أبي يعفر الحوالي) ولدين لعلي بن الفضل وجماعة من رؤساء القرامطة معه إلى صنعاء، وأمر بهم فذبحوا جميعاً، وطرحت أبدانهم في بئر في الجبانة وأخذت رؤوسهم فبقرت ووجهت في أربعة صناديق إلى مكة فنصبت هنالك أيام الموسم».

الكتاب إلى المهدي، فلما قرأه، وكان قد عرف الشاوري من وقت [أن] قدم عليه برسالة منصور وأنه يكمل للدعوة، وخشي عجز أولاد منصور عنها، ولم يكن ابن منصور علم بما في كتاب الشاوري، فأجاب المهدي للشاوري بالاستقلال، وعاد ولد منصور خائباً فعاد [إلى] البلاد، وهو مضمر [الشر][1]، فأوصل جواب المهدي إلى الشاوري وصار هو وإخوته يواصلونه، وهو يكرمهم ويبجلهم، ولا يحجب أحداً منهم، بل يدخلون عليه متى شاؤوا بغير حاجب.

ثم إن الذي وصل من المهدي، دخل عليه في بعض الغفلات فقتله، واستولى على البلاد، ولما صار مستولياً، جمع الرعايا من أنحاء بلده وأشهدهم أنه قد خرج إلى مذهب السنة، وترك مذهب أبيه، فأعجب الناس ذلك وأحبوه ودانوا له. فدخل عليه أخ له اسمه جعفر فنهاه عما فعل، وقبحه عليه، فلم يلتفت إليه[2].

فخرج عنه مغضباً، وقصد المهدي إلى القيروان، فوجده قد توفي، وقام ابنه بعده ـ القائم ـ، وذلك سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة، أعني موت المهدي، وقيام القائم[3]، فلبث ابن منصور عنده[4].

ثم إن أخاه قتل أهل مذهب أبيه وشردهم، حتى لم يبق حوله إلا من لا يعرف، بل بقي في البلد جماعة قليلة، يكاتبون بني عبيد بن ميمون إلى القيروان.

ثم إن ابن منصور خرج من مسور إلى عبر محرم المذكور أولاً، وكان

---

(١) في الأصل: السر.

(٢) ويقول الحمادي (كشف: ٤٠) قال جعفر بن منصور لأخيه الحسن: «إن أمرنا إذا يتلاشى، ويزول ملكنا، وتفترق هذه الدعوة، ويذهب الناموس الذي نمسناه على الناس، فلا تحدث نفسك بهلاكه فتهلك».

(٣) القائم بأمر الله الخليفة الفاطمي الثاني حكم (٣٢٢ ـ ٣٣٤هـ.).

(٤) وأضاف إدريس (عيون: ٥/٥٠): «وانتهى إلى أن بلغ مبلغاً عظيماً عند الأئمة، وبلغ مراتب الأبواب الفائزين بعلو الدرجات»: راجع «الصليحيون» ٥٢ ـ ٥٤.

به رجل من بني العرجاء ـ سلاطين تلك الناحية ـ واستخلف على مسور رجل ـ يقال له: إبراهيم بن عبدالحميد السباعي الشيعي[١]، وهو[٢] جد بني المنتاب الذي إليه ينسب مسور، فيقال: المنتاب.

فلما صار بعبر[٣] محرم، وثب عليه ابن العرجاء فقتله، وحين سمع ابن عبدالحميد[٤] ذلك (لزم مسوراً وادعى الأمر لنفسه)[٥]، وخرج من بقي معه بمسور من أهل منصور وحرمه إلى جبل بني أعشب[٦]، فوثب الناس عليهم ينهبون ويسبون ويقتلون.

ثم حصل بين ابن العرجاء وابن عبدالحميد[٧] اتفاق، واقتسما البلاد، ورجع ابن عبدالحميد عن مذهب منصور، وابتنى جامعاً وعمل منبراً، وخطب[٨] لبني العباس، وجعل يتبع القرامطة حيث سمع بهم حتى أفناهم، ولم يبق منهم إلا عدد[٩] قليل بناحية مسور كاتمين أمرهم، مقيمين ناموسهم برجل منهم يقال له: [يوسف بن موسى بن][١٠] أبي الطفيل فقتله إبراهيم، فانتقلت الدعوة إلى رجل منهم يقال له: ابن جفتم[١١]، في أيام المنتاب بعد موت أبيه إبراهيم بن عبدالحميد[١٢] [الشيعي][١٣]. (وكان) حازماً لا يكاد

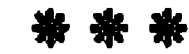
---

(١) في الأصل: إبراهيم بن عبدالمجيد الشبعي، والتصحيح من كشف: ٤١.
(٢) في الأصل: وقد.
(٣) في الأصل: بعين محرم.
(٤) في الأصل: ابن عبدالمجيد.
(٥) زيادة من بغية.
(٦) في الأصل: جيل الحسب، والتصحيح من بغية، وصفة: ١١٢.
(٧) في الأصل: عبدالمجيد.
(٨) في الأصل: وبايع الخطبة لبني العباس.
(٩) في الأصل: غير شيء تدمه قليلة.
(١٠) زيادة من عيون: ١/٧ ـ ٢؛ نزهة: ٣٢/١ ـ ٣٣.
(١١) ويقول إدريس (عيون: ١/٧): وتفرق من بقي من أصحابه إلى نواحي عمان وقطابة وانكتم أمرهم عن إبراهيم.
(١٢) في الأصل: عبدالمجيد.
(١٣) زيادة من بغية.

يعرف أين قراره خوفاً أن يناله المنتاب، أو غيره من أهل السنة، وهو مع ذلك يكاتب أولاد المهدي إلى القيروان وإلى مصر.

وفي أيامه قدم المعز بن (المنصور بن)[1] القائم بن المهدي من القيروان إلى مصر، وابتنى القاهرة[2]، وجعلها دار إقامته [١٤٢]، ثم لما دنت وفاته[3] استخلف على أهل مذهبه، رجلاً منهم يقال له: يوسف بن الأسد[4]، ثم توفي.

وولي الأمر يومئذ [١٤٣] الحاكم (بأمر الله). فكان ابن الأسد يدعو إليه ويبايع له سراً حتى دنت وفاته. واستخلف رجلاً يقال له: سليمان بن عبدالله الزواحي، من ضلع شبام، وكان ذا مال جزيل يداري به، ويدفع به عن أهل مذهبه. وكلما همَّ أحد من الناس بقتله يقول له: «أنا رجل من المسلمين، أقول لا إله إلا الله، كيف يحل لكم دمي، وأخذ مالي؟» فيمسكون عنه. ولما دنت وفاته، استخلف علي بن محمد الصليحي، وأصله من الأخروج[5] [١٤٤]، سبع من أسباع حراز[6].



---

(١) زيادة لتصحيح نسب المعز.

(٢) الذي بنى القاهرة هو جوهر الصقلي قائد المعز الفاطمي (راجع التعليق على الحاشية: ١٤٢).

(٣) أي وفاة ابن جفتم.

(٤) في الأصل: الأسح والتصحيح من بغية؛ في كشف: ٣٩ (يوسف بن الأشح).

(٥) في الأصل: الأحراج (كاي).

(٦) هؤلاء الدعاة سبق أن ذكرناهم من قبل، راجع التعليق على الحاشية: ١٤٣.

حاشية [١]: الدعاة - واللفظ مشتق من الدعوة - وكانوا رسلاً يستخدمهم الإسماعيلية لنشر دعوتهم، وكان رئيسهم في عهد الفاطميين (أو الإسماعيليين) يقيم بالقاهرة ويلقب بداعي الدعاة. ولم يكن هذا اللقب يقل مرتبة عن قاضي القضاة، بل كثيراً ما كان يتقلد المنصبين شخص واحد(١).

وقد ظن أن الكلمة (داعي) هي نفس كلمة (داي) التي يطلقها الأوربيون على حكام الجزائر، غير أنه من المستبعد أن تكون كلمة (داي) أصلها من كلمة (داعي)، إذ جاء في كتاب «المؤنس في أخبار إفريقية وتونس لابن أبي القاسم الرعيني»، بعد أن ذكر فتح الترك لتونس، وتحكم الباشوات قال:

---

(١) وسلسلة رجال الدعوة الإسماعيلية منقولة من المراجع الإسماعيلية اليمنية القديمة هي: ١ - الناطق - ٢ - الوصي - ٣ - الإمام - ٤ - الباب - ٥ - الحجة - ٦ - الداعي: أ - داعي البلاغ ب - الداعي المطلق حـ - الداعي المحسور. ٧ - المأذون: أ - المطلق ب - المحسور حـ - المحدود. ٨ - المكاسر - ٩ - المؤمن البالغ - ١٠ - المستجيب.

وجاء في كتاب زهر المعاني تفسير وجيز لمدلولات هذه الدرجات: «فالناطق هو النبي ﷺ» والوصي هو علي، والإمام يكون من نسل علي، والباب كانت هذه الوظيفة في أول نشأتها سرية، لا يعرف بها ولا بصاحبها إلا رجال الدعوة المقربين، ولما تركز الحكم الفاطمي أعلنوا هذه الوظيفة ورفعوا الستار عن صاحبها، فأصبحت الوظيفة خطيرة لأن منها ينبع التوجيه السياسي والديني والعلمي، ولا يمنح هذه اللقب إلا لمن سبق أن تدرج في مراتب الدعوة. ويعتبر الباب (داعي الدعاة) الصلة بين الإمام وبين حدود الدعوة، كما يتضح ذلك من قول المؤيد في الدين الشيرازي عند كلامه عن داعي الدعاة القاسم بن عبدالعزيز بن محمد بن أبي حنيفة النعمان في عهد المستنصر: «وتوجهت بعد ذلك إلى المرسوم بالقضاء والدعوة الذي كان باب خطتنا ونحن بالبعد، والواسطة بيننا وبين مجلس الإمامة» (سيرة المؤيد: ٨١ - ٨٢)، ومن أعماله رياسة الدعوة الفاطمية، وأخذ العهد على المريدين مباشرة أو بواسطة (خطط: ٢٩١/١). والحجة معناها رئيس الدعوة في بحر (إقليم) من بحار الدعوة. وسنرى أن سلطة الملكة أروى بنت أحمد الصليحية قد اتسعت كثيراً عندما أصبحت حجة الإمام في بلاد اليمن (الملكة أروى: ٦٧).

«ولما فعلوا فعلتهم تحزبوا أحزاباً، وصار كل حزب منهم له رئيس، فاجتمعت عدة رؤساء، وصار كل رئيس يدعى باسم (الداي)، وهذه اللفظة معناها «خال» باللسان العامي، وهي عندهم تكبرة لمن ينادى بها، ثم مضى يقول... ولكن لا يتم لهم رأي من كثرة داياتهم».

حاشية [٢]: سورة فاطر آية: ١٨.

حاشية [٣]: كان الأشاعر[١] من القحطانيين من سلالة عريب، ومن أشهر رجالها أبو الحسن علي الأشعري، صاحب المذهب الذي يعرف أتباعه بالأشاعرة. وكثيراً ما يوصف العكيون أيضاً بأنهم قحطانيون، من سلالة مالك وقحطان وعزان. ويقال بأن صحة قراءة الاسم الأخيرة هي عدنان، وأن العكيين إذاً قبيلة من بني إسماعيل. وقد نزح العكيون في تاريخ مبكر إلى تهامة اليمن، حيث عقدوا حلفاً وثيقاً مع الأشاعرة. والمعروف أن هاتين القبيلتين، كانتا أول من ارتد عن الإسلام في اليمن عند وفاة النبي ﷺ.

وكافة المؤلفات عن تاريخ العرب، وجغرافية البلاد العربية لا تكف عن الإشارة إلى عديد لا يكاد يحصى من القبائل، وبخاصة حين تتناول المقاطعات اليمنية، والقراء الذين لم يألفوا هذا الموضوع، قد يرون في تزويدهم بعناصره العامة نفعاً لهم، لذلك أضفت لهذه الحاشية بياناً بالقبائل الرئيسية في بلاد اليمن. وقد أنشأ فستنفلد جداول[٢] دقيقة بأنساب القبائل العربية عظيمة الفائدة لكل راغب في دراسة النظام القبلي عند العربي. أما وقد عسر على الحصول على كتاب فستنفلد، فقد اكتفيت في إعداد بياني التالي الموجز بمتابعة فصول كتاب ابن خلدون (العبر) التي تعرض لأنساب العرب. وبعد أن تناولتها بتصويبات وإضافات، استقيت أغلبها من كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني، ومن معجم البلدان لياقوت، واستقيت قلة منها من كتاب أو كتابين عربيين آخرين.

---

(١) الأشاعر جمع أشعر، وفضلنا هذا الجمع على الأشاعرة، حتى لا يلتبس اسم القبيلة بأصحاب مذهب أبي الحسن الأشعري (سلوك / ورقة: ٦١).

(٢) W'ustenfeld F. Von: Genealogische der Arabischen Stamme Und Familien.

والجدير بالملاحظة أن هذا الموضوع يكتنفه الجم من المفارقات، والكثير من المتناقضات، حتى ليكاد يستحيل على المرء تقديم ما يداني في اعتدال، ما أطنب فيه رواة العرب من وصف هذه القبائل وأنسابها. فالكثير من القبائل سواء ما كان منها مغموراً أو مشهوراً، يجمعها اسم واحد وإن لم يقل الجدال في وحدة أصلها.

ويحدثنا الهمداني عمن يحمل من العرب اسم جعدة فيقول: إنهم يزعمون الانتماء إلى قبيلة جعدة الإسماعيلية المنحدرة من قيس عيلان، منوها بأنه كان من عادة قبائل عرب البادية استغلال تشابه الاسم لإثبات نسبها، وادعاء ما لسميتها من شرف مرموق. يقول الهمداني: إن هذا الأمر كان كثير الحدوث، وإنه وقع في غالب الأحيان تحت نظره وملاحظته.

وقد اصطلح على تقسيم سكان شبه الجزيرة العربية إلى شعبين كبيرين: أحدهما وهو الأقدم، يعرف عادة باسم القبائل اليمنية، إذ سكنوا في الغالب، وما زالوا يسكنون الأقاليم الجنوبية من بلاد العرب، ويزعمون أنهم السلالة الأولى لقحطان الذي يرى العرب أنه ورد في أسفار اليهود باسم يقطان. وهو جد حزر مافث (حضرموت)، وأزال شبيه (سبأ) وغيرهما. ويقول: إنه كان يسكن شبه الجزيرة العربية جيل من القبائل أقدم من هذا الشعب، باد بنظمه منذ زمن سحيق، ولا يعرف من بقاياه أثر يدلنا على ذراريه. والروايات عن السكان الأصليين لا تستند إلى مرجع وثيق، فيما عدا قليل من التفصيلات حفظتها لنا سور القرآن. وقد اشتهر عن هؤلاء القوم أنهم كالقحطانيين من سلالة سام بن نوح، وسار الاعتقاد أن لغتهم كانت العربية، وأنها لحقيقة مؤكدة بالنسبة لبعض القبائل.

والشعب الكبير الثاني ينتسب إلى إسماعيل بن إبراهيم، ويسمى العرب الإسماعيلية أحياناً بالنزارية أو المعدية، نسبة إلى نزار بن معد بن عدنان. والروابط الدقيقة في سلسلة النسب من إسماعيل وعدنان لا يمكن ضبطها، ولكن صحة هذا النسب ليست موضعاً للشك أو الخلاف، وقد قيل: إن عدنان كان معاصراً للنبيين جرميا وباروخ وبختنصر وهذا الأخير صدع كما جاء في الروايات العربية بما أمره به ربه، وغزا بلاد العرب الشمالية

والوسطى وأفنى أهلها، فيما عدا قلة من سكانها. وكان معد بن عدنان في أيام هذه الغزوة طفلاً فحمل بمعجزة كما يقال إلى بلدة عتيقة في العراق تسمى حران، وعند عودته التقى ببقية قوم أبيه الذين كانوا قد التجؤوا إلى بلاد اليمن.

فالعرب الإسماعيلية ـ طبقاً للرواية الشائعة ـ من سلالة معد، كما أن عرب اليمن من سلالة قحطان.

وبنو إسماعيل يقسمون أنفسهم ثلاثة أقسام كبيرة: إلياس بن مضر بن نزار، وإليه ينتمي قبائل عدة من بينهم: قريش التي ظهر فيها النبي ﷺ، وثانيهما قيس عيلان أخو إلياس، والثالث ربيعة أخو مضر بن نزار.

والقبائل اليمنية تنقسم بطريقة مماثلة ثلاثة أقسام كبيرة، كلها تنحدر من سبأ أو عبدشمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وأولها الحميريون وهم سلالة العرنجاج الذي اشتهر باسم حمير بن عبد شمس. ومن بين قبائل حمير الرئيسية التي يكثر ورود أسمائها في تواريخ اليمن: بنو شرعب، وبنو شعبان، وقبائل أخرى عديدة: ذورعين، يريم، يافع، وحاظة، ذو الكلاع، حراز، ميتم، سحول، أوزاع، ذو أصبح. ويلاحظ أن كثيراً من أسماء المواضع في اليمن سميت بأسماء القبائل التي سكنتها. والقسمان الآخران من القحطانيين يتألفان من سلالة مالك وعريب ابني زيد بن كهلان بن عبدشمس. ومن بين القبائل مالك وأحقها بالذكر همدان، وهي من سلالة الخيار بن مالك. ويتفرع من بني همدان عدد من البطون لا يحصى كثرة، كلها يتصل فيما بينهما بنسب مشترك، وهي كغيرها من القبائل العربية الشقيقة ـ غالباً لا دائماً ـ ما تربط بينها وشائج تعاهد على قدر من التوثق يتفاوت. ويكفي أن نذكر هنا من بطون همدان أسماء حاشد وبكيل (وقلما يفترقان)، وبني يام، جشم، شهاب.

ويلي بني همدان في الأهمية، بنو الأزد، والأزد اسم ينتمي إليه أعظم الأقسام أهمية من الشعب الذين سكنوا بلاد سبأ، وعاصمتها مأرب، في الوقت الذي تهدم فيه السد بسبب سيل العرم، وما جره انهيار السد من خراب حاق بهذا الجزء من بلاد اليمن، وهجره غالبية الأزد (سنة ١١٨م فيما يراه كوسان ده برسيفان) ومضى فريق منهم إلى عمان، وسوادهم الأكبر إلى تهامة اليمن،

موطن قبائل عك وأشعر، حيث استقروا على مقربة من مستنقع غسان بين نهري زبيد وريمة، وبعد إقامة طالت، وقعت بينهم وبين السكان الأصليين منازعات، فاضطروا إلى الرحيل، فاستوطنت فرقة منهم نجران على مقربة من بني مذحج، الذي سكنوا هذا الإقليم منذ زمن طويل وحكموه، وهبت فرقة أخرى بقيادة حارثة بن عمرو، وهاجموا الجرهميين بمكة فغلبتهم عليها وعرفت باسم خزاعة، وهو اسم أطلق عليها ـ كما قيل ـ لأنهما فصلتا عن إخوانهم الذين كانا يقودهم ثعلبة بن عمرو. ومن الأزديين بطنا الأوس والخزرج، سميتا هكذا باسمي حفيدين لثعلبة، وامتلكوا يثرب (اسم المدينة في الجاهلية). ومن سلالتهم جاءت أول جماعة عربية اعتنقت الإسلام، وآمنت بالنبي حين بدا كأنما اليأس قد استغرقه، ثم غدت خير عدة له أبلغت دعوته النصر. وقد قبل النبي عليه السلام ما عرضه عليه الأوس والخزرج من حمايتهم له، فلقبهم بالأنصار، ولقب النفر القليل الذي صحبه في هجرته من مكة إلى يثرب بالمهاجرين. ورويداً رويداً رحل الأزد الغسانيون نحو الشمال حتى بلغوا بلاد الشام، وأسسوا مملكة عرفت باسم الغساسنة، وكانت متماسكة في عهد السيادة الرومانية، إلى أن فتح المسلمون بلاد الشام.

وهناك قبيلتان أخريان تنتسبان إلى مالك وهما: بنو خثعم، وبنو بجيلة، وجدهم الغوث أبو الأزد. ولكن بعض الروايات تقول: إن أصلهما من معد.

القسم الكبير الثالث من العرب القحطانية يتألف كما أسلفنا القول من سلالة عريب أخي مالك. وينقسم أربعة فروع، ثلاثة منها: بنوطي، بنو مذحج، بنو مرة، وتؤلف عدداً كبيراً من البطون، والرابع قبيلة الأشعر شركاء بني عك في تهامة اليمن.

وقد ترك بنو طي بلاد اليمن بعد تفرق الأزديين بوقت قصير، واستوطنوا في الغالب الجهات الشمالية لبلاد العرب قرب جبلي أجا وسلمى، ومنهما انتشروا في العراق وبادية الشام. ومن بطون مذحج: بنو جعفي، زبيد، الحكم، سنحان، وهم من سعد العشيرة بن مذحج. ومن بطون مذحج أيضاً: بنو عنس، بنو مراد، بنو جلد، وبنو حراب، النخع، منبه، جنب، وبنو

الحارث بن كعب، الذين فتحوا نجران واستوطنوها لعدة قرون، وفي بعض الروايات أن بني سنحان والحارث يندرجان تحت اسم جنب.

ومن بني مرة بنو خولان، الذين يوصفون بأنهم أبناء عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة، وأقاربهم بنو جرة أبناء ركلة بن عمرو بن مالك، على أن بعض المراجع تذكر أن بني خولان بطن من قضاعة، أي أنهم أبناء عمرو بن الحاف بن قضاعة. ويقرر الهمداني إذا صدقت رواية ياقوت[1] أنهما قبيلتان منفصلتان تحملان اسماً واحداً، يميز أحدهما باسم خولان العالية، والآخرة بخولان قضاعة[2].

وقبيلتا همدان وخولان أكبر وأقوى القبائل في بلاد اليمن. وتوجد بطون أخرى كثيرة لفرع مرة نذكر منها قبيلة معافر، وكندة[3] وبطونها سكون[4]، وتجيب[5]، وسكسك، وأيضاً بنو لخم[6]، وبنو جذام[7].

---

(١) ٤/٤٣٧ ـ ٤٣٨.

(٢) في طبعة ملر الفقرة المشار إليها توجد في ص١٠٧؛ انظر أيضاً ص١٠٩، ١١٣، ويلاحظ أن ياقوت يضبط هذه الأسماء ضبطاً آخر (كاي)؛ صفة: ٢٥، ٦٧؛ ياقوت: ٤/٥٧٠.

(٣) تنسب إلى ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، وسمي كندة لأنه كند أباه أي كفر بنعمته، ومن بطونهم السكون والسكسك، وكانت بلادهم جبال اليمن مما يلي حضرموت (معجم قبائل العرب ٣/٩٩٨ ـ ١٠٠٠؛ تاج العروس: ١/٤٣؛ ٢/٤٨٧؛ لسان العرب: ٤/٣٨٦).

(٤) بطن من كندة من قحطان كان لهم فرقة بحضرموت وملك بدومة الجندل (معجم قبائل العرب: ٢/٥٢٩؛ الصحاح: ٢/٣٨٣).

(٥) بطن من كندة كانوا يسكنون حضرموت وكانت لهم خطة بمصر (صفة: ٨٨؛ تاج العروس: ١/١٩٤).

(٦) من القحطانية، تنسب إلى لخم بن عدي، كانت مساكنهم متفرقة وأكثرها بين الرملة ومصر، ونزل بعضهم منطقة بيت المقدس فدعيت باسمهم (بيت لحم)، ومنهم آل المنذر ملوك العراق، وبنو عبادة ملوك أشبيلية، ومنهم بطون كثيرة بمصر (العبر: ٢/٢٥٦؛ النجوم الزاهرة: ٤/٦٩؛ لسان العرب: ١٦/١٢).

(٧) بطن من كهلان من القحطانية وهم بنو جذام بن عدي، ومنهم بنو حرام وبنو جشم ومنهما تفرعت جذام، ومساكنها بين مدين وتبوك، وكانوا أول من سكن مصر من العرب (صفة: ١٢٩؛ الطبري: ٣/١٠٧؛ معجم قبائل العرب: ١/١٧٤).

ويبقى بعد هذا، الفرع العربي الأكبر لقضاعة، والرأي المعتمد عنهم، أن قضاعة من سلالة مالك بن حمير، وهناك من يظن أن قضاعة ابن لمعد، وأن سلالته عرب إسماعيلية، ومن يقول بأنه ابن لزوجة معد تبناه الرجل. وفي رواية أخرى أن بني الحارث بن كعب الأزديين أجلوا بني قضاعة من نجران فرحلوا إلى الحجاز، وهناك تحالفوا مع المعديين. وبطون قضاعة لا يحصون كثرة، ويكفي أن نذكر منهم هنا بني كلب، وبني تنوخ، وبني جرم، وبني نهد، وبني عذرة، وبني فهم. وقد سبق أن أثبت أن بني خولان كما جاء في بعض الروايات هي بطن من قضاعة.

حاشية [٤]: معظم ما سلف بيانه، نقله ياقوت، نقلاً يوشك أن يكون حرفياً فيما كتب عن زبيد. وما أورده ابن خلدون عن سلالة أبي طالب[١] هو تكرار لما رواه لنا في تاريخه عن اليمن، نوه فيه بالدوافع التي دفعت الخليفة المأمون إلى إرسال محمد بن زياد لتلك البلاد. فلقد أوفد - كما قال - لقمع ثورة العلويين الذين قاموا بزعامة إبراهيم «الجزار»، يهددون

---

(١) نريد أن نعرف هنا الأسباب التي أدت إلى رواج الحركات الشيعية في اليمن. كان لعلي مريدون ومحبون من الصحابة في عهد الرسول ﷺ أطلق عليهم شيعة علي (الزينة: ٢١٩) ولم يقتصر وجود هؤلاء على المدينة وحدها بل أخذ عددهم يزداد كلما اتسعت رقعة الإسلام زاد عدد المسلمين وبخاصة في بلاد اليمن، لأن علياً زارها ثلاث مرات (السيرة: ٩٦٥)، وفي هذه الزيارات كان لعلي فيها اتصالات شخصية تركت أثراً في نفوس الناس هناك، ذلك الأثر هو حب علي وآل بيت النبي، وهذا هو الذي دعا الإمام المستور أحمد بن الحسين (زهر المعاني: ٦٣) أن يرسل سفارته لتلك البلاد. وقد لعب منصور اليمن وزميله علي بن الفضل دوراً هاماً في تلك البلاد لحساب آل بيت الرسول. كذلك لعب اليمنيون المتعصبون لعلي وآل بيته دوراً هاماً في قتل الخليفة عثمان (الصليحيون: ١٥ - ١٦)، وإن جهاد همدان مع الإمام علي في حروبه ليدل دلالة واضحة على مقدار تحمسهم له (نفسه: ١٧ - ٢١).

وعلى هذا يمكننا أن نقول: إن نجد اليمن كان حصناً من حصون الشيعة بل مستودعاً من مستودعاتها، لأن أهله برهنوا في مواقف عديدة على حبهم لعلي وبنيه. (نفسه: ٢٦).

بسلخ اليمن عن بقية الدولة. يقول ابن خلدون: واختار المأمون ابن زياد لما عرف عنه من شدة بغضه لآل علي[1].

ونسب ابن زياد ـ فيما يبدو ـ يصل به إلى عبيدالله بن زياد، الذي قام بدور رئيسي في مقتل الإمام الحسين، سبط النبي، ذلك الحدث المشهور الذي بات بفضل كتابات جيبون غير مجهول عن قراء الإنجليزية: وزياد هذا هو جد مؤسس زبيد: وهو فيما عرف عنه ابن لأبي سفيان، وأخ لمعاوية، أول خلفاء بني أمية. وقد اقترن مولده بما يثير الشبهة حول حقه في ادعاء هذا النسب، حتى اشتهر باسم «زياد بن أبيه». وإذا كان معاوية قد أقر بأخوته، فإقراره هذا لم يكن عن اقتناع منه بحقه في النسب، بقدر ما كان ذريعة أراد بها تألف جماح هذا الرجل الخطير الطموح.

ويغلب على الظن أن معظم ما ظفر به زياد من نجاح وسلطان، إنما يعزى إلى ملكة الخطابة لديه. فقد روي أنه حين كان فتى لم يكد يجاوز العشرين من عمره خطب في المدينة خطبة أسرت بلاغتها لب سامعيه، فقال عمرو بن العاص: «لله درُّ هذا الغلام!.. لو كان أبوه من قريش لوسعه أن يسوق العرب بعصاه...» ـ عندئذ قال أبو سفيان: «إني والله لأعلم من أبوه». وكان علي قريباً منه فالتفت إليه بقطع هذا الحديث الخطر، ويقول له: «صه يا أبا سفيان. إنك لتعلم أن عمر لو أدرك ما عنيت، لما نجوت

(١) روي أن ثورة أخرى وقعت باليمن سنة ٢٠٧هـ. (الطبري) وقد قادها عبدالرحمن بن أحمد العلوي. وقمعها فيما تقول الرواية، دينار بن عبدالله، الذي سيره إليها المأمون على رأس جيش قوي. ويقال: إن هذه الثورة نشبت في بلاد العكيين. وليس من السهل التوفيق بين هذه الرواية وبين الرواية القائلة بأن هذه البلاد كانت في تلك الأثناء خاضعة كل الخضوع لابن زياد على أن الراجح أن هذه الثورة الأخيرة إنما شبت بتهامة اليمن ولم تستشر سريعاً على النحو الذي ذكره عمارة. ويخبرنا الهمداني (المتوفى سنة ٣٣٤هـ.) ـ ص١٠٣ ـ أن أسرة بني شريح، (وهم بطن من قبيلة ذي رعين الحميرية) قد سيطرت على تهامة اليمن منذ عهد المعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ.) حتى عهد المعتمد (٢٥٦ ـ ٢٧٩هـ.) ويروي لنا في موضع آخر (١٢٠) أن بني شريح قد سيطروا في زبيد سيطرة تامة على كافة القبائل القريبة المجاورة. انظر أيضاً ص١١٩.

من عقاب معجل». وقد ولد زياد في السنة الأولى للهجرة، وتوفي في سنة ٥٣هـ.

ولابن زياد، رفيق يدعي الانتماء إلى سليمان بن هشام بن عبدالملك، (ابن الخليفة الأموي هشام) الذي قتل سنة ١٣٢هـ. بين من قتلوا من ضحايا الخليفة العباسي الأول عبدالله السفاح. وسوف نشهد من بعد هذا الرفيق، ملقباً بالمرواني نسبة إلى جده الخليفة مروان، أبي عبدالملك.

وبنو تغلب من قبيلة معد (الإسماعيلية)، ومن نسل ربيعة بن نزار. وكان اسم التغلبي، رفيق محمد بن زياد، محمد بن قاسم محمد (الأمين) بن هارون (الرشيد) وخليفته. وقد خلع الأمين عن أريكة الخلافة، تحقيقاً لصالح أخيه عبدالله المأمون، وقبض عليه طاهر بن الحسين قائد قوات المأمون، وقتله في سنة ١٩٨هـ.

ويقال: إن الخليفة الجديد، ظل يسر تفجعه على مقتل أخيه، ولا يجهر به. وحدث ذات مرة، وقد وقعت عيناه على طاهر، أن انفجر باكياً، فلما سئل عما أحزنه قال: إنه إنما بكا لأمر خطر بباله، إفشاؤه عار، وكتمانه فجيعة. ونقل هذا الخبر إلى طاهر فروعه. فما زال يرجو حتى ولي حكم خراسان، ثم سرعان ما استقل بإدارة شؤونها. وأسس بها الدولة الطاهرية.

حاشية [٥]: في هذا الموضع من تاريخ عمارة أورد لنا الخزرجي بضع تفصيلات عن بلدة زبيد يقول: إنها دائرية الشكل، تقع في منتصف الطريق بين الجبال والبحر، على مسيرة نحو نصف يوم من هذين المكانين، وإلى الجنوب يجري نهر زبيد، وفي شمالها يجري نهر ريمة. ويصف الخزرجي في موضع آخر من كتابه أسوار زبيد فيقول: إن الحسين بن سلامة هو أول من شيدها ثم رممها مَنُّ الله الفاتكي سنة ٥٢٠هـ. وغيرها من السنوات. ثم أعاد بنو مهدي ترميمها، فسيف الإسلام طغتكين الأيوبي سنة ٥٨٩هـ.

وكان لها: ـ بقول الخزرجي ـ أربعة أبواب: في الشرق باب الشبارق، المؤدي لقرية بهذا الاسم تقع على نهر زبيد، ومنها إلى حصن القوارير، وفي الغرب باب النخل، وكان يسمى في عهده بهذا الاسم، ولكن اسمه في العصور السابقة كان باب الغلافقة، ويؤدي الطريق منه إلى الغلافقة والأهواب. الأسبق من هذين البابين كان في عصر من العصور مدخل زبيد، ولكنه تداعى وحل محله باب الأهواب، وكان يعرف في عصر الخزرجي باسم باب البقاعة. أما الباب الثالث فيقع إلى الشمال، واسمه باب سهام ويؤدي إلى باب ريمة ووادي سهام. أما الباب الرابع ففي الجنوب ويسمى باب القرتب، ويؤدي إلى وادي زبيد ومنها إلى قرية القرتب التي تقع على النهر.

[وجوهانسن في ترجمته لكتاب «البغية» للديبع قد أورد أغلب هذه التفصيلات[1]، لأنه نقلها عن الخزرجي. ثم أشار (كاي) إلى بعض الأخطاء التي وقع فيها جوهانسن نتيجة لعدم إعجام بعض الكلمات].

واستطرد الخزرجي بعد ذلك في بيانات مسهبة تتعلق بقياس هذه الأسوار، وليس هناك من حاجة لمتابعة هذا الاستطراد. والخزرجي في وصفه لأسوار زبيد وقلاعها ينقل عن كتاب «ابن المجاور» الذي كتب في حوالي سنة ٦٣٠هـ. واعتمد عليه المستشرق الألماني سبرنجر Sprenger في مؤلفه القيم عن جغرافية البلاد الشرقية، والكتاب بعنوان «تاريخ المستبصر».

حاشية [٦]: ذكرت ما أورده عمارة من بيانات عن إنشاء المذيخرة، وأصل تسمية مخلاف جعفر، وقد نقضه الجندي[2] كل النقض، فيقول (في الورقة ١٨٢): إن بلدة المذيخرة تقع على جبال ثومان، وبانيها هو إبراهيم

---

(١) بغية: ورقة: ٧.

(٢) سلوك / ورقة: ١٨٢.

المناخي[١]، ويقول: في مواضع أخرى بالفصل الذي عقده عن الحكام العباسيين لليمن، إن مؤسس هذه القصبة هو إبراهيم بن أبي جعفر المناخي، الذي استولى على جبل ثومان في أيام المأمون، وعندما ولي أحمد بن عبدالحميد حكم اليمن في سنة ٢١٣هـ. سار في العام التالي لقتال المناخي، ولكنه هزم وقتل. ثم يعرض الجندي لرسم كلمة ثومان فيضيف بأنها مثنى كلمة ثوم. وأورد ياقوت وصف عمارة للمذيخرة[٢]، كما أورد الجانب الأكبر من الفقرة المتعلقة بجعفر عتيق بن زياد، كما هو واضح في التحشية التي ذيلت بها النص العربي. وقد بدأ ياقوت بيانه بقوله بأن المذيخرة تقع على جبل صبر، وهذا خطأ لا حاجة بي إلى إثباته.

وأبو جعفر المناخي في قول الجندي ينتسب إلى ذي المثلة[٣] الحميري، كما ينتسب إلى ذي المناخ، واستمر عقبه إلى زمن الجندي نفسه، وكانوا يعرفون بسلاطين قياض، بيت عز وكرم عميم[٤].

وقد استولى إبراهيم والد جعفر على جبل ريمة، كما استولى على ثومان، واكتسب الأخير اسم «ريمة المناخي»، وبسط نفوذه على الجانب الأكبر من مخلاف جعفر.

وفي كتابات الجندي والخزرجي بعض تفصيلات أخرى تتعلق بدويلة المناخي، جاءت في معرض حديثهما عن الظروف التي انتشرت فيها مذاهب القرامطة الإسماعيلية في اليمن. وقد فتح ابن الفضل[٥] بلدة المذيخرة، كما

---

(١) اسمه الحقيقي جعفر بن إبراهيم المناخي، ويقول صاحب الأنباء / دار: ٢٠: وهو الذي ينسب إليه مخلاف جعفر، وقد ملك جعفر هذا خمسين سنة كما ملك أبوه إبراهيم ثلاثين سنة (صفة: ١٠٠)؛ ولكن صاحب البغية (ورقة: ٢٩) يقول: إن مخلاف جعفر ينسب إلى جعفر مولى ابن زياد؛ كذا ورد في تاريخ ابن المجاور (١ / ورقة: ٥٤)؛ وهو الآن معروف بالعدين والحبيش (الصليحيون: ٣٦ هامش١).

(٢) ياقوت: ٧/٤٣٦ ـ ٤٣٧.

(٣) قارن بذلك صفة: ٢٠٠.

(٤) أورد (كاي) هذه الكلمات الأخيرة على أنها أعلام.

(٥) هو علي بن الفضل الجدني المتوفى سنة ٣٠٣هـ.

سنرى، وكان حاكمها في ذلك العهد كما يقول الخزرجي[1] هو جعفر بن أحمد (إبراهيم) المناخي، الذي سمي باسمه مخلاف جعفر، سار علي بن الفضل إليه سنة ٢٩١هـ. ولكنه هزم واضطر بعد هزيمته إلى الارتداد والإغارة على بلاد يافع، ولكنه ما لبث بعد ذلك بخمسة أشهر، في سنة ٢٩٢هـ. أن عاود الهجوم على البلدة ونجح في السيطرة أولاً على المذيخرة، ثم على حصن التعكر، ففر جعفر بن إبراهيم إلى تهامة حتى بلغ قرية القرتب في وادي نهر زبيد، وأمده أمير زبيد (أبو الجيش إسحاق)[2] بالرجال فاستأنف بهم القتال. ويقول الخزرجي بأنه وقعت معركة شهيرة في وادي نخلة، قتل فيها جعفر بن إبراهيم وابن أخيه أبو الفتوح. ويقول الخزرجي بأن حكم جعفر استمر ثلاثة وأربعين سنة (٢٤٩ ـ ٢٩٢هـ).

ويقول الهمداني بأن جعفر بن إبراهيم المناخي قتل في حصن خوالة، أو على مقربة منه، وموضع هذا الحصن على مقربة من أحد منابع وادي نخلة. وقد زار دكتور جلازر[3] بلدة مناخة على مقربة من شبام حراز، ولست بحاجة إلى القول بأن هذه البلدة تختلف عن مخلاف جعفر أو إقليم المناخي الذي تسمى به أحياناً. ولم أجد ذكراً لبلدة المناخي التي زارها جلازر في كتاب الهمداني أو في مؤلفات العرب الأخرى التي هي في متناول يدي، وربما كان إطلاق هذا الاسم على البلدة التي نحن بصددها قد وقع في تاريخ أحدث نسبياً. وذكر الهمداني «اسم المناخي» في موضع آخر، وكتبها ملر muller في طبعته لصفة جزيرة العرب (بالحاء) المهملة لا (بالخاء) المعجمة. والهمداني يصفها فيقول: إنها تقع عند ملتقى المجريين الرئيسيين لوادي خارد، وأحد المجريين يأتي من صنعاء، والآخر يجري منابعه مجاورة لشبام أقيان، وحضور بني أزاد، ويسمى مجراه الأعلى كما جاء في خريطة جلازر بوادي خزامر، وفي جزئه الأدنى باسم وادي

---

(١) وقد نقل هذه البيانات من نفس المصدر الذي استقى منه الجندي.

(٢) هو أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم (٢٨٩ ـ ٣٧١هـ.)؛ تاريخ ابن المجاور: (١/ ورقة ـ ٥٢).

(٣) أحد الرحالة المستكشفين لبلاد العرب في القرن ١٩ (١٨٨٥ ـ ١٩٠٨).

شوابة[١]، ومن روافده كما أوضح جلازر مجرى صغير يسمى ذوبين في بلاد الصيد[٢]. وبلدة ذي بين دفن فيها الإمام أحمد بن الحسين، وقد ورد ذكرها مراراً في الكتب الخاصة بتاريخ الأئمة الزيديين.

حاشية [٧]: كتب ابن خلدون[٣] عن ديار كندة وشحر ومرباط. انظر أيضاً طبعة دي خوي لابن حوقل هامش ص ٣٢. ويبدو أن الحاشية المضافة لمخطوطة باريس في القرن السادس الهجري تصف مرباط كفرضة على البحر على مسيرة يوم ونصف من ظفار بينما ذكر ياقوت[٤] أنها على بعد خمسة فراسخ.

وكافة هذه الأماكن موضحة على الخرائط الحديثة.

حاشية [٨]: رأينا أن الخليفة المأمون بعث ابن زياد أميراً على اليمن. وكلمة أمير غامضة المعنى بعض الغموض، فقد تعني الأمير أو الحاكم أو القائد، ولكنه من الواضح أنه لم يقصد بتعيينه إحلاله محل حكام اليمن الذين كان مقرهم صنعاء، وظلوا يلون أمرها من قبل الخليفة المأمون، ومن أعقبه من خلفاء بني العباس إلى ما بعد تأسيس الدولة الزيادية بوقت طويل.

---

(١) قارن الهمداني: صفة: ٨٢، ١١٠.

(٢) نفسه: ١٩٠إلـ ١٩٣.

(٣) راجع ص١٥٥ ـ ١٥٧. من هذا الكتاب.

(٤) كما ذكر ياقوت: ٢٤٠/٥ أن الشحر تقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، بين عدن وعمان؛ راجع كذلك: صفة: ٥٢، ١٢٠، ٢١٧؛ صبح الأعشى: ١٦/٥. وعن المدن الأخرى التي ذكرت في النص يمكن الرجوع إلى المراجع الآتية:
مرباط (صفة: ٥٢، صبح الأعشى: ١٥/٥)؛ أبين (صفة: ٩٧)؛ حلي (ياقوت: ٣ ـ ٣٢٢، صبح الأعشى: ١٣/٥، صفة: ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٥٤، ١٨٨)؛ الجند (ياقوت: ١٤٧/٣، صبح الأعشى: ١٤/٥، شمس العلوم: ٢٢)؛ صعدة (ياقوت: ٣٥٨/٥، شمس العلوم: ٦١)؛ نجران (صفة: ٢٧، ٤٥، ٦٧، ١٩٩، ٢٩٣)؛ بيجان وهي تقع جنوب غربي مأرب وشمال شرقي ذمار (صفة: ٢٧، ٨٠، ٨٧، ١٠٣، ١٣٤).

وأسرة بني يعفر[1] التي وطدت ملكها كدولة مستقلة في صنعاء، كانت من سلالة التبابعة أو ملوك حمير القدماء، كما جاء في كتاب عمارة وتاريخ ابن خلدون، في الفصل الذي عقده في أشراف صعدة الرسيين. ويحذو ابن خلدون حذو عمارة في الكلام عنه باعتبارهم من التبابعة، وفي موضع آخر من تاريخه حين يتناول أنساب ملوك اليمن وقبائله[2]، يورد لنا سلسلة نسب بني يعفر، ومع ذلك يبدو من المتعذر أن نتابع نسبهم إلى التبابعة إلا إذا استثنينا أنهم من سلالة زرعة (حمير الأصغر) بن سبأ الأصغر.

ومن أسلافهم اثنان كانا يسميان باسم ذي حوال[3]، وقد يكون هذا سبب غلبة اسم «الحواليين» عليهم في كثير من المصادر. ومؤسس الدولة يعفر بن عبدالرحمن، ونسمع به لأول مرة كما جاء في الجندي، عندما كان يحكم اليمن القائد التركي إيتاخ الذي نصبه الخليفة المعتصم على اليمن في سنة ٢٢٥هـ. برواية. وفي عهد الواثق (٢٢٧ ـ ٢٣٢هـ.) عزل إيتاخ وأعيد جعفر بن دينار والياً عليها (وكان قد وليها من قبل، ثم عزل بتعيين إيتاخ) يقول ابن الأثير[4]: إن ولاية ابن دينار على اليمن كانت سنة ٢٣١هـ. وأن هذا الحاكم الجديد دخل صنعاء في أربعة آلاف فارس وألف راجل. ويقول الجندي: إن ابن دينار هاجم يعفر بن عبدالرحمن ولكنهما تهادنا. ولما بويع المتوكل بالخلافة سنة ٢٣٢هـ. عين حمير بن الحارث حاكماً على اليمن، ولكن الحاكم الجديد عجز عن مقاومة هجمات يعفر حتى اضطر إلى العودة هارباً إلى العراق. ثم اغتيل المتوكل بعد ذلك في سنة ٢٤٧هـ. وسيطر يعفر على صنعاء والجند، ولكنه لم يسيطر على تهامة التي كانت منذ سنة ٢٠٤هـ. خاضعة لنفوذ بني زياد.

---

(١) قامت دولتهم في اليمن في آخر عهد المتوكل، وكان جدهم عبدالرحيم بن إبراهيم الحوالي نائباً عن جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي الذي كان والياً للخليفة المعتصم على نجد اليمن، ولما توفي عبدالرحيم خلفه ابنه يعفر؛ وهو رأس الدولة وباعث استقلالها سنة ٢٤٧هـ. واستمر أعقابه في صنعاء حتى سنة ٢٨٧ وهو من أولاد التبابعة من حمير كما حكاه عمارة / كاي: ٤.

(٢) العبر: ٢/٢٤٣.

(٣) كتبها ملر في صفة: حوال.

(٤) ٨/٧.

وقد خلف يعفر ابنه محمد بن يعفر الذي دان لسيادة الخليفة المعتمد (٢٥٦ ـ ٢٧٩هـ.) بمنصبه حاكماً على صنعاء، ودخلت في حوزته حضرموت والجند، وتحالف مع بني زياد، وكان يدفع لهم الجزية السنوية.

وفي سنة ٢٦٢هـ. حج بعد أن أناب عنه ولده إبراهيم، فلما عاد سنة ٢٦٥هـ. شيد مسجد صنعاء على الطراز الذي احتفظ بطابعه حتى عصر الجندي. وقد قتل إبراهيم أباه، ثم لم يكفه قتله ـ فيما نقل الجندي عن ابن الجوزي ـ بل قتل عمه وابن عمه، وزوجة أبيه، قبل انقضاء ستة أشهر على وفاة المعتمد، أي في المحرم من سنة ٢٧٩هـ. وظل إبراهيم محالفاً لأمراء بني زياد، ولكن حكمه لم يدم طويلاً، وخلفه ابنه أسعد الذي فتح القرامطة[١] في عهده جزءاً كبيراً من بلاد اليمن، ويمضي الجندي في وصف فتوحات القرامطة، وخضوع أسعد لعلي بن الفضل على نحو ما جئنا به في هذا الكتاب. ومقتل محمد بن يعفر على يد ابنه إبراهيم، لم يرد فيما ذكره الخزرجي عن تاريخ تلك الحقبة، التي اختلف في رواية حوادثها اختلافاً ظاهراً عمارة والجندي. يقول الخزرجي: وظل إبراهيم يسوس مملكته بعد عودة أبيه من مكة، ثم شبت نار الثورة في صنعاء بعد سنة ٢٧٠هـ. بقليل، وعرض الثوار على جعفر بن أحمد المناخي أن يولوه عليهم، وسرعان ما خرج بنو يعفر جميعاً من المدينة. ثم قتل محمد بن يعفر بعد ذلك بقليل في شبام[٢]. ولم يخلفه إبراهيم بل ابن أخ له، يدعى عبدالقادر بن أحمد بن يعفر. والظاهر أن السبب في العدول عن تولية إبراهيم، هو اتهامه باغتيال أبيه. وظل عبدالقادر حاكماً لمدة أيام قليلة، ثم جاء من بغداد وال في صفر سنة ٢٧٩هـ. هو علي بن حسين جفتم، فوصل في الشهر التالي لقتل محمد بن يعفر، كما جاء في الجندي، وحكم جفتم إلى سنة ٢٨٢هـ. ثم عاد إلى العراق فخلا الجو لإبراهيم بن يعفر، وأصبحت له السيادة

---

(١) يذكر (كاي) نقلاً عن المؤرخين العرب كلمة القرامطة كثيراً بدون تحفظ، والواقع أن إسماعيلية اليمن ليسوا قرامطة بل فاطميون، والفرق بين الاثنين أن القرامطة يؤمنون بالباطن فقط وأن الفاطميين يؤمنون بالظاهر وبالباطن (الصليحيون: ٢٧ ـ ٦١).

(٢) سبق ذكره.

المطلقة، ولكن حكمه لم يطل، إذ توفي وخلفه ابنه أسعد.

وفي سنة ٢٨٨هـ. غزا الإمام الهادي الرسي[١] صنعاء، وزج في السجن برؤساء بني يعفر، ولكنهم هربوا إلى شبام، واسترد فيها أسعد نفوذه على أتباعه ثم تمكن من إرغام الإمام على ترك صنعاء. وأخيراً فتح القرامطة[٢]. صنعاء سنة ٢٩٩هـ. كما جاء في الجندي والخزرجي[٣].

وعند وفاة علي بن الفضل القرمطي سنة ٣٠٣هـ.[٤]. بادر أسعد إلى توطيد سلطانه في اليمن، وظل مسيطراً عليها حتى وفاته سنة ٣٣٢هـ.، السنة التي بدأ فيها المسعودي تدوين كتابه ـ مروج الذهب ـ وصف فيه

---

(١) ورد نسبه في جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص٢٨ على الوجه الآتي:

يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. ويقول نشوان (حور ١٩٦): ولقبه الهادي إلى الحق، ولد هذا الإمام سنة ٢٤٥هـ. وتوفي سنة ٢٩٧هـ. وكان عالماً جليلاً وخطب له بمكة سبع سنين، (اتعاظ ١٢).

(٢) يقصد بذلك علي بن الفضل الجدني وقد اختلف المؤرخون في أمر استيلاء علي بن الفضل على صنعاء فقال صاحب الأنباء / ماضي: إنه تم سنة ٢٩٣هـ. وقال الجندي سلوك / كاي: ١٤٥ إنه كان سنة ٢٩٩هـ. والواقع أنه دخلها سنة ٢٩٣ ولكن لم يستقر أمره فيها إلا سنة ٢٩٩ (الصليحيون ص٣٧).

(٣) أغلب هذه التفصيلات موجودة في كتاب البغية للديبع، وعلى ذلك فهي مأخوذة من الخزرجي.

(٤) وفي قتله يقول صاحب العيون: ٤٩/٥: «أمر المهدي (الخليفة الفاطمي) رجلين من أهل دعوته وممن في حضرته، حتى وصلا إلى مدينة صنعاء، ودخل أحدهما على علي بن الفضل مدعياً بأنه طبيب ففصده وسمه، وخرج من عنده وبادر بالهرب هو وصاحبه». ومات ابن الفضل، ولكن الحمادي (كشف: ٣٥ ـ ٣٧) قال: «إن سبب موت ابن الفضل أن رجلاً من أهل بغداد يقال: إنه شريف وصل إلى الأمير أسعد بن أبي يعفر، وقال للأمير: تعاهدني وأعاهدك أني إذا قتلت هذا القرمطي كنت شريكاً فيما يصل إليك»، فعاهده على ذلك. وتمكن هذا الشريف من تنفيذ خطته وهرب، ولكن رجال ابن الفضل لحقوا به دون نقيل صيد (معروفة الآن باسم نقيل سمارة) بإزاء قينان فقتلوه. وقد كرر هذه الرواية الجندي وزاد فيها قائلاً: «إن وفاته كانت ليلة الخميس منتصف ربيع الآخر سنة ٣٠٣هـ.» (سلوك /١٤٩)؛ راجع الصليحيون: ٤٦ ـ ٤٧.

بعباراته الجزلة، ثروة ملوك حمير وسطونهم. ويقول ابن خلدون: إن أسعد قد خلفه أخ له يدعى محمد، ولكن بعد وفاة أسعد لم يستطع بنو يعفر قط أن يستعيدوا شأوهم، الذي بلغوه في عهد أسعد.

وفي السنوات الاثني عشرة التالية، وقعت فتن وثورات، بذلت محاولات لقمعها، وكانت هذه الاضطرابات مصحوبة بنزاع لا ينتهي بين أفراد أسرة بني يعفر.

وفي سنة ٣٤٥هـ. استولى على صنعاء إمام صعدة[١] الرسي المختار بن الناصر أحمد بن الهادي، ولم ينته العام حتى اغتاله زعيم همداني ذو بأس هو الضحاك[٢]. وقد آزر الضحاك رجلاً من موالي بني يعفر يدعى علي بن وردان، ونادى به أميراً على صنعاء، ولكنه لم يستطع مقاومة معارضة قبيلة خولان[٣]، التي كان على رأسها الأسمر يوسف بن أبي الفتوح. وتوفي ابن وردان سنة ٣٥٠هـ. فخلفه أخوه سابور وحالفه الضحاك. وفي العام التالي فشلا في قتال بني خولان، ولاذا بالفرار. وبينما كانا يحاولان الهرب إلى ذمار[٤] لحق الأسمر بسابور وقتله، فاضطر الضحاك إلى الدخول في طاعة أمير زبيد، أبي الحسن بن زياد، غير أن الأسمر الخولاني عرض الملك على الأمير عبدالله بن قحطان[٥]، من سلالة أسعد بن يعفر، فقتله في سنة ٣٥٢هـ. ودخل صنعاء، فأسرع الضحاك إلى الفرار، وتلت ذلك عدة حروب بين المتنازعين، ساهم فيها الإمام الرسي

---

(١) صعدة: تقع شرقي صنعاء وهي مملكة تشتمل على ثلاث قواعد هي: صعدة، قطابة، ثلا، وحصون أخرى تعرف كلها ببني الرسّي (العبر / كاي: ١٢٧)؛ حاشية: ٧ هامش ٢.

(٢) وقد ذكر المؤرخون الزيديون: القاسم الملقب بالمختار، ولكنهم لا يعترفون بإمامته كما أنهم لا يقولون بأنه اغتيل.

(٣) خولان: هم بطن من همدان من القحطانيين (لسان العرب: ١٣/٢٤٠؛ تاج العروس: ١٥٢/٦، ٣١٢/٧).

(٤) ذمار اسم قرية باليمن على مرحلتين من صنعاء (ياقوت: ١٩٦/٤).

(٥) سلوك / كاي: ٤٧.

يوسف بن يحيى بن الناصر أحمد، بنصيب كبير، أسفر عن الاعتراف بسلطانه أميراً على البلدة وما جاورها[1] وعلى أن عبدالله قد وفق في استعادة نفوذه واستمتع بحكم طويل، وإن كانت تشوبه الفتن والاضطرابات. واستطاع في سنة ٣٧٩هـ. أن يغزو تهامة على رأس جيش هاجم به ابن زياد، وهزمه هزيمة منكرة[2] وفتحت زبيد واستبيحت، وقطع عبدالله اسم الخليفة العباسي من الخطبة في أنحاء دولته، وأعلن طاعته للفاطميين بمصر، وقد توفي سنة ٣٨٧هـ. فخلفه ابنه أسعد، لكن نفوذ بني يعفر كأسرة كبيرة حاكمة في اليمن آذن الآن بالنهاية، فقد زال آخر أثر لسلطانهم في صنعاء، ولم يعد حالهم خير من حال غيرهم من الرؤساء خاملي الذكر، حتى لنجهل من بعد أسماءهم. ثم نجد لهم ذكراً في وقت متأخر في سنة ٦٧٩هـ. حين نقرأ في عقود الخزرجي، وفي ابن حاتم أن سلطان اليمن[3] من الدولة الرسولية استرد ملكه في حصن كوكبان من بني حوال.

وبقيت صنعاء إلى أن فتحها علي الصليحي[4] مسرحاً لقتال دائم، ليس فحسب بين قبيلتي همدان وخولان المتنافستين، بل بين عدد من أدعياء الإمامة، وفي سنة ٣٨٩هـ. ظهر في ديار بني خثعم الإمام المنصور القاسم بن علي، وتمكن بمساعدة الهمدانيين؛ من طرد الإمام يوسف بن يحيى من صعدة، وولى على البلدة ابنه جعفر، ثم وصل ريدة[5] (حيث دان له بالطاعة جعفر بن الضحاك وأهل البون)[6]. وأرسل إلى صنعاء شريفاً

---

(١) ذكر الكتاب الزيديون اسم الإمام يوسف بن يحيى، ولكني لا أجد وصفاً لسيرته، وقد أضفى عليه مؤلف الجواهر لقب داعي؛ ولم يذكر عنه سوى أنه كان معاصراً للمنصور قاسم، والأخير يسمى بالعياني نسبة للمكان الذي أظهر نفسه فيه سنة ٣٨٩هـ. (كاي).

(٢) وقد ورد في مصادرنا أن الحسين بن سلامة كان وصياً على العرش من سنة ٣٧٢ إلى سنة ٤٠٢هـ..

(٣) الملك المظفر شمس الدين يوسف (الأول) بن عمر (٦٤٧ ـ ٦٩٤هـ).

(٤) تنسب إليه الدولة الصليحية التي حكمت اليمن من سنة ٤٣٩ ـ ٥٣٢هـ. الصليحيون.

(٥) ريدة: مدينة باليمن على مسيرة يوم من صنعاء، وقال الهمداني: إنها من قرى همدان في نجد/(ياقوت: ٣٤٨/٤ ـ ٣٤٩).

(٦) البون: مدينة باليمن (ياقوت: ٣٠٩/٢).

زيدياً هو القاسم بن الحسين سليل الإمام زيد بن علي زين العابدين، فبادر الشيعة الزيدية إلى الخضوع لنفوذه[1]، واستقر أسعد بن عبدالله اليعفري في كحلان[2] يدين بالطاعة للإمام القاسم، فما مضى وقت طويل حتى شق الشريف الزيدي عصا الطاعة على المنصور القاسم بن علي، وأعلن خضوعه لسلطان الإمام يوسف بن يحيى. وتوفي الإمام سنة ٢٩٣هـ. وأصبحت صنعاء مسرحاً لقتال مستمر، وفريسة لأحزاب تتقاتل على نصرة أئمة متنافسين، وأسروا عشائر عربية منها: بنو همدان، وبنو خولان، الذين لعبوا الدور الأكبر في هذه المعارك ولم يفلح فريق منهم في بسط سلطانه، أو في إقامة حكومة مستقرة. وفي سنة ٤٠١هـ. أعلن حسين بن القاسم ـ كما طالما فعل كثيرون من الأدعياء منذ عصره وقبله ـ أنه المهدي المنتظر الذي روي عن النبي أنه أخبر بظهوره، وقد كثر أتباعه بين بني حمير وهمدان، فانفضوا من حول الشريف الزيدي، وطردوه من صنعاء، ثم طورد حتى أمسك، وقتل سنة ٤٠٣هـ. لكن المهدي نفسه أخرج في العام التالي من المدينة، وقتل على مقربة من ثيين، أثناء هجوم شنه الهمدانيون، وكان فيهم زعيم من أسرة الضحاك، ولاه الناس العرش. ولم يكن المهدي قد بلغ الثلاثين، ولذلك ظل أتباعه يعتقدون فيما بعد أنه لا زال على قيد الحياة.

وفي سنة ٤١٣هـ. وصل الشريف جعفر أخو حسين المهدي من صعدة بدعوة من بني همدان وحمير. وكان الهمدانيون بعد قتل الحسين قد حكموا صنعاء حكماً متقطعاً.

وفي سنة ٤١٨هـ. ظهر داعي جديد مجهول في مأرب، وأعلن نفسه

---

(١) لم أجد ذكراً لهذا الشريف الزيدي في موضع آخر (كاي).

(٢) ذكرت أن جلازر أثبت بلدة كحلان على خريطته، في شمال شرق حجة وأرجح أنها الحصن القديم لبني يعفر، وذكر ياقوت أن اليمنيين يذكرون الاسم كحلان، ولكنه يسمى هذا المكان مخلافاً، ويذكره الهمداني على أنه اسم لمكان آخر مجاور، ويختلف عن هذا كل الاختلاف، ويبدو أنه (في) يريم أو ذورعين. وجاء في القاموس أن كهلان اسم لقبيلة عربية (كاي).

إماماً متخذاً لقب «المؤيد لدين الله» وقد نجح في السيطرة على صنعاء[1]، ولكنه قتل في سنة ٤٢١هـ. وفي هذه السنة والسنة التالية تعرضت اليمن كلها لمجاعة جائحة. وفي سنة ٤٢٢هـ. ادعى الإمامة أبو هاشم الحسن بن عبدالرحمن، وكان يصحبه ابنه حمزة الذي ينتسب إليه الأشراف الحمزيون[2]. وقد تغلب على صنعاء فهرب منها ابن حاشد، ودان له بالطاعة منصور بن أبي الفتوح، وظل نفوذ أبي هاشم قائماً إلى سنة ٤٢٩هـ. ثم طرده بنو همدان.

وقد دعا الهمدانيون بعد فترة دامت عامين، جعفر بن المنصور القاسم، فاستقام سلطانه على المدينة. وزخرت السنوات السبع التالية باضطرابات قام في خلالها أبو هاشم بدعوة من ابن أبي حاشد، باسترداد صنعاء لفترة قصيرة. ثم ظهر مدع جديد للإمامة هو أبو الفتح ناصر الديلمي، فتمكن بمساعدة بني همدان من فتح صعدة ونهبها، ثم فتح صنعاء[3]. ودان لسلطانه لفترة من الزمن جعفر بن الإمام القاسم، وقد بسط نفوذه واستتب له الأمر بعض استتباب، إلى أن طرد بدوره من البلدة على يد جعفر بن أبي حاشد الخولاني، وقد مات في أوائل سنة ٤٤٠هـ. يحيى بن حاشد الذي يلقبه الكاتب بلقب سلطان، ودعا الناس ولده ليتولى

---

(١) لم أجد لهذا ذكراً عند المؤرخين الزيديين (كاي).

(٢) لم أعثر على تاريخ وفاة أبي هاشم. (كاي).

(٣) وكان الناصر الديلمي من سلالة زيد بن الحسن، ووصل اليمن من فارس فيما بين ٤٣٠ ـ ٤٤٠هـ. ويقال: إن علياً الصليحي قتله بعد سنة ٤٤٠هـ. بقليل ويقال: إن جعفر بن منصور القاسم قد حارب جنود الصليحي (كاي). انظر نسب الإمام أبي الفتح الناصر الديلمي في: (اتعاظ: ١٣؛ زبارة: اتحاف المسترشدين: ٥١) وقد وصل هذا إلى اليمن سنة ٤٣٧هـ. وانضم إليه بعض قبائل اليمن الذين دخل بهم صعدة ثم سار منها إلى صنعاء وملكها ثم أخرجه السلطان يحيى بن حاشد منها فعاد إلى ذي بين واختط ظفار ذي بين. وقال فيه صاحب العيون ١٣/٧: «وكان له (أي للناصر) قذع في القول وسب للصليحي»؛ وقال الجرافي (المقتطف ١١١): للإمام أبي الفتح ذرية في اليمن يعرفون ببني الديلمي في مدينة ذمار وغيرها، ومنهم بيت هاشم. أما عن محاربة جعفر بن منصور القاسم للصليحي فقد حدثت وانتهت بهزيمته وهربه (الصليحيون: ٧٨).

الحكم مكان أبيه، وبايعه بنو همدان على الطاعة[1]. وفي نحو سنة ٤٥٣هـ. فتح علي الصليحي صنعاء حيث كان أول ظهوره باليمن، ويضيف الكاتب بأن ذلك يبدأ من ليلة الاثنين في الثالث من شهر جمادى الآخر سنة ٤٣٩هـ.[2] وهي ليلة اقتران الكوكب المشتري، وقد رأينا أن المكرم أحمد بن علي حين نقل مركز الدولة الصليحية إلى ذي جبلة في سنة ٤٨٠هـ.[3] عين على صنعاء عمران بن الفضل اليامي[4]، وعند وفاة سبأ بن أحمد سنة ٤٩٢هـ. تألف من صنعاء والأرض المجاورة لها ولاية مستقلة يحكمها السلطان حاتم بن الغشم[5]، وكان من بني همدان وتوفي سنة ٥٠٢هـ. وخلفه ولداه، وهما: عبدالله الذي توفي مسموماً بعد أن حكم عامين، ثم معن بن حاتم الذي خلع في سنة ٥١٠هـ. وهناك أسرة همدانية أخرى حكمت إلى سنة ٥٣٣هـ، حين دعت هذه القبيلة حميد الدين حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل[6]. إلى تنصيبه سلطاناً[7]. وقد هاجمه

---

(١) ودخل في حرب مع الصليحي انتهت بقتله عند صوف هو وألف من أتباعه وامتلك الصليحي صنعاء (أنباء الزمن ٣٩؛ عيون: ٧/١٥؛ الصليحيون: ٨١).

(٢) أما عن السنة التي ظهر فيها الصليحي في اليمن فقد اختلف فيها المؤرخون (راجع هامش ٣ ص٧٣ من كتاب الصليحيين).

(٣) لم يحدث هذا في سنة ٤٨٠هـ. لأن المكرم كما أثبتنا بالدليل القاطع قد توفي سنة ٤٧٧هـ. (الصليحيون: ١٤١)، وأما عن خبر نقل العاصمة إلى ذي جبلة (انظر نفسه ١٣٦).

(٤) ومعه أبا السعود بن أسعد بن شهاب (ورد في كفاية ٥٣؛ أنباء: ٤٢، قرة ورقة: ٢٤) أنه ولى أسعد بن شهاب، وهذا يخالف الحقيقة لأن أسعد خال المكرم كان قد توفي سنة ٤٥٦ (عيون: ٧/٧٧) والذي ولاه المكرم على صنعاء هو أبو السعود بن شهاب (الصليحيون هامش (١) ١٣٧).

(٥) هو حاتم بن الغشم المغلسي الهمداني من بني المغلس ثم من مذكر ثم من يام (عيون: ٧/٢٣١) (انظر تفصيلات أكثر في كتاب الصليحيين: ٢٣٩).

(٦) أي أنه حفيد الحاكم الذي عينه المكرم الصليحي.

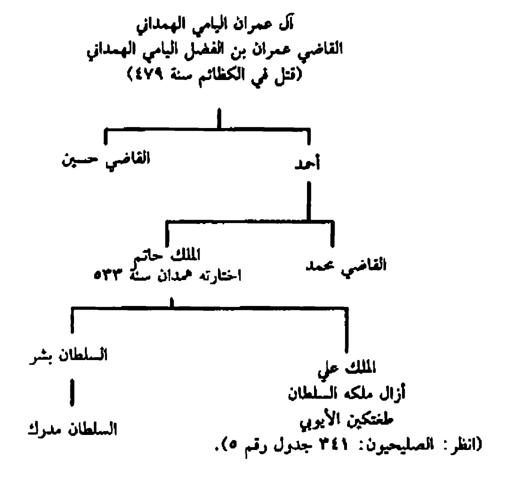
(٧) وطبقا لما سبق فإن ما أورده ابن خلدون من أن عمران بن الفضل استقل بصنعاء وورث الملك لذراريه ليس مطابقاً للصواب. وكان ابن حاتم المؤرخ من سلالة حميد الدولة (كاي). والواقع أن كلام ابن خلدون هو الصحيح، وقد حكم من بيت عمران ابنه الملك حاتم الذي اختارته همدان بأمر صنعاء سنة ٥٣٣هـ. ثم حكم بعده ابنه الملك علي بن حاتم الذي أزاله عن ملكه طغتكين بن أيوب (راجع لوحة المترجم).

في سنة ٥٤٥هـ. الإمام الزيدي المتوكل أحمد بن سليمان[١] ولكنه مع ذلك استطاع أن يدفع عن نفسه، وتوفي حاتم في سنة ٥٥٦هـ. فخلفه ابنه علي الملقب بالوحيد، وقد ساهم علي بنصيب كبير في المحالفة التي عقدت في أوائل سنة ٥٦٩هـ. ضد عبدالنبي بن علي بن مهدي[٢]، وكان الأمير الحاكم لصنعاء حين أصبحت اليمن بعد ستة أشهر من حملته ضد المهديين، مسرحاً لغزوة توران شاه الأيوبي، أخو صلاح الدين، ولابد أن محمد بن أحمد بن عمران الذي ذكر في النص، كان أخاً للسلطان حميد الدين حاتم[٣].

حاشية [٩]: يظهر وادي بيحان[٤] في خريطة ووكر لبلاد العرب

(١) عمارة / كاي: ٩٦.

(٢) من حمير من أهل قرية العنبرة من سواحل زبيد (راجع هامش ١ ص٢٣٨ الصليحيون).



(٣) يتضح ذلك من الجدول السابق.

(٤) مخلاف باليمن معروف (ياقوت: ٣٢٦/٢).

واقعاً إلى الجنوب الغربي من مأرب، والشمال الشرقي من ذمار، على نحو مسافة متساوية من كل هاتين الجهتين، وجاء في ابن خلدون أن نشوان بن سعيد[1] كان رئيساً لبيحان. وقد نظم القصيدة الحميرية التي نشرها البارون فون كريمر مع ترجمة ألمانية منذ نحو خمسة وعشرين سنة في فينا (أي سنة ١٨٦٧م.)، وفي ابن خلدون وصف لنجران[2] وجرش مع بيان بتاريخهما القديم.

حاشية [١٠]: من الثابت أن بهذا الموضع نقصاً كما بينت في الترجمة. وما جاء عن وصف صنعاء والمذيخرة وشبام[3] في كتاب عمارة يكاد يكون منقولاً بنصه من كتاب ابن حوقل[4] عن الاصطخري[5]، فابن حوقل ضمن كتابه وصف الاصطخري وخاصة ما اتصل منه بصنعاء

---

(١) هو أبو سعيد نشوان بن سعيد بن نشوان الحميري المتوفى سنة ٥٧٣، كان فقيهاً فاضلاً عارفاً باللغة والنحو والتاريخ وحائزاً فنون الأدب.... وله مؤلفات منها كتاب شمس العلوم وهو كتاب فضلاً عن أنه في اللغة إلا أنه بما احتواه من إضافات واستطرادات أصبح موسوعة علمية واسعة الآفاق.
(راجع نص ترجمته في مقدمة كتاب «الحور العين» طبعة دار السعادة بالقاهرة سنة ١٩٤٨م).

(٢) مدينة عظيمة باليمن وولاية واسعة، وفتحت جرش في حياة النبي في سنة عشرة للهجرة صلحاً على الفيء وينسب المحدثون إليها بعض أهل الرواية (ياقوت: ٨٤/٣ ـ ٨٥).

(٣) وشبام جبل عظيم تشرب من عيونه صنعاء، وبينها وبينه يوم وليلة، وهو صعب المرتقى يسكنه ولد يعفر (ياقوت: ٢٦٦/٥؛ الإكليل: ٣٥٢)؛ وشبام اسم قبيلة همدانية يمنية، وهم ولد شبام بن عبدالله من ولد هاشم (شمس العلوم: ص٥٣). ويقول الهمداني: (صفة: ١٠٥): يطلق اسم شبام على مكانين في اليمن: الأول يقع على جبال حراز بين وادي سهام ووادي سردد. والثاني يسمى شبام أقيان، ويقع متاخماً لكوكبان، عند سفح جبل ذخار، حيث منبع نهر سردد (صفة: ١٠٦) وأما شبام التي تقع في حضرموت فهي عاصمة الإقليم، وبها ثلاثون مسجداً، وتعرف هناك باسم شبات (صفة: ٨٦، ٨٧).

(٤) طبعة دي خوي ٣١.

(٥) طبعة دي خوي ٢٤.

والمذيخرة مع تغيير طفيف يسعنا معه القول بأن عمارة اتخذ كتاب جغرافية ابن حوقل مرجعاً له، وقد ذهب هذا إلى أن صنعاء تقع على خط الاستواء، وليس في كتاب الاصطخري شيء من هذا، ونقل ياقوت وصف صنعاء من عمارة. واسم عمارة في كتاب ياقوت: عمران بن أبي الحسن بدلاً من عمارة.

والفكرة القائلة في كتاب عمارة بأن ارتفاع جبل المذيخرة عشرون فرسخاً أو ستون ميلاً توجد في كل من كتابي الاصطخري وابن حوقل، ولا أدري كيف أفسر هذا، وحتى لو أننا فسرنا كلمة ارتفاعاً على أنها محيط، فإن هذا يبدو تقديراً مبالغاً فيه.

حاشية [١١]: لابد أنه وقع خطأ من نساخي هذا المخطوط جعل عمارة يقول: إن علياً بن الفضل[١] هو شيخ لاعة فهذه التسمية لا يمكن إطلاقها إلا على منافسه ابن حوشب (منصور اليمن)[٢]، وقد حذفت في ترجمتي حرف العطف الظاهر في المخطوط، فقد جاء فيه (هذه ولاعة)، وهذا يخفف صعوبة تقويم النص حتى يمكن أن نجعله مفهوماً، ويبدو أن المقصود به هو التدليل على أن بلدة عدن لاعة كانت مجاورة للمذيخرة، ويتضح خطأ هذا وضوحاً كافياً في كتاب عمارة نفسه حين يقول بأن المذيخرة تقع في مخلاف جعفر.

---

(١) اسمه علي بن الفضل الجدني الخنفري الجيشاني. جدن من ذي جدن. وجيشان مدينة باليمن، وفي قرة ١٣ قال: إنه ولد حنفر بن سبأ الأصغر. كان في أول أمره لا شهرة له، وقد تعلم أصول الدعوة في الكوفة، ثم رجع إلى اليمن، وقال القاضي النعمان (افتتاح ٩): وكان ابن الفضل شاباً جميلاً من أهل بيت تشيع ونعمة ويسار، ويقال له أبو الحسن علي بن الفضل، خرج حاجاً من جيشان في جماعة من أهلها. (راجع «الصليحيون»: ٣٠ / هامش ٤).

(٢) هو أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفي، كذا ورد اسمه في افتتاح (٣ ـ ٤)؛ وفي الحور ١٩٧ جاء: أبو القاسم أبو الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفي، واشتهر باسم منصور اليمن، بعد أن فتح هو وعلي بن الفضل الجيشاني اليمن (راجع «الصليحيون» ١٤ / هامش ٥).

وقد جاء في ياقوت العبارة التالية في مادة عدن قال عمارة: «لاعة مدينة في جبل صبر من أعمال صنعاء، إلى جانبها قرية لطيفة يقال لها عدن لاعة»، ويمضي في وصفه كما جاء في مخطوطنا إلى أن وصل لعبارة «العلوية باليمن»، فيضيف إليها «بعد المصريين». هنا يتبين لنا على الأرجح أصل هذه العبارة القائلة بأن المذيخرة تقع على جبل صبر، وثمة اقتباسات أخرى في ياقوت كتلك التي أوردناها آنفاً تشككنا في سلامة النسخة الخطية من كتاب عمارة التي رجع إليها ياقوت.

وقد ذكر المقدسي بلدة المذيخرة في تعديده لمدن اليمن مع الجند، وذمار، ويحصب، وخولان، وسحول، ولم يذكر الهمداني تلك البلدة إلا مرتين في كتابه صفة، ولكنه يخبرنا بأنها كانت تقع في بلاد ذي الكلاع مع الشجة[1]، وأنها بجانب تعكر[2] نفسها وسحول[3] وريمة إلخ. وفي صفحة ١٠٠ يخبرنا الهمداني بأن المذيخرة وثومان وجبل بعدان وريمة إلخ كانت في منطقة سحول.

ويقول ابن خلدون بأن المذيخرة كانت قريبة من عدن لاعة. وقد وقع في هذا الخطأ بسبب اعتماده على ياقوت أو ابن سعيد، إذ يبدو أنه نقل منهما كثيراً كما ذكرت من قبل، ويمكن أن أضيف هنا أن ابن خلدون وقع في خطأ مماثل حين تكلم عن عدن أبين على اعتبار أنها بلدة مستقلة بعيدة عن فرضة عدن الشهيرة. وما هما في الواقع إلا بلدة واحدة[4]، وربما كانت بلدة عدن لاعة تقع على وادي لاعة أو قريباً منه، ووادي لاعة من الروافد الهامة لوادي مور، ولا يزال يحتفظ باسمه إلى اليوم. وهذا التشابه في الأسماء لو اقتصرنا عليه، لا يمكن أن يكون له سوى صلة ضئيلة، وقد

(١) ويمكن أن نستنتج أن الأخيرة تقع في أصل جبل تعكر. (ياقوت: ٩/٣).
(٢) قلعة حصينة عظيمة مكينة باليمن من مخلاف جعفر، مطلة على ذي جبلة، ليس باليمن أحصن منها (ياقوت: ٣٩٤/٢).
(٣) قرية من قرى اليمن يحمل منها ثياب قطن بيض تدعى السحولية (ياقوت: ٤٥/٥).
(٤) أحسن التقاسيم ٨٥.

يؤدي إلى الوقوع في خطأ جسيم[1]. ولكن هناك أدلة أخرى قائمة، فالهمداني (ص٦٩) في الصفة يخبرنا بأن لاعة تقع في السراة، أو سلسلة الجبال المسماة بالمساني. وفي (ص١١٢) يقول: بأن لاعة تحدد لنا بداية بلاد حاشد شمال غربي صنعاء. وفي فقرات أخرى من كتابه ما يؤيد هذا التحديد، فضلاً عن أنه ذهب إلى أن عدن لاعة تجاور حجة وجبل مسور، وهذان الموضعان ظاهران في خريطة جلازر. وأخبرنا الجندي بأن عدن لاعة مدينة من مدن حجة، أعلن فيها منصور اليمن خضوعه للعبيديين في مصر، وأنها كانت في زمن الجندي متخربة.

وذكر الهمداني جبلاً هاماً آخر في سلسلة جبال المساني واسمه جبل تخلى، وفي الوصف التفصيلي الذي أورده للجبل، والمسالك التي تدور حوله، وقراه ومعاقله وخصوبة التربة، وجوها الصحي، وخلوها من الحيوانات والحشرات الضارة، نتبين للمؤلف أسلوباً أخاذاً لا نألفه في مواضع أخرى من الكتاب.

ولو أن هذا الجبل لا يصل في ارتفاعه إلى ارتفاع قمم المساني، إلا أنه يطل كما يقول الهمداني على مساحة واسعة من الأرض. ففي الجنوب برع[2] وحراز، وجبال أخرى يمكن أن ترى منه، ويمتد النظر نحو الغرب من أواسط بلاد الحكميين إلى المهجم، ويروي المجرى الأبيض لوادي مور، وهو ينساب في الفلاة التي تتصف بسهول تهامة، وعلى مسافة بعيدة يمتد البحر الأزرق، وعلى مدى البصر يستطيع أولئك الذي عندهم قوة خارقة في الإبصار أن يميزوا جزائر فراسان في الأفق نحو البحر، وفي الشرق يعترض المنظر سلسلة جبال المساني العالية.

---

(١) وقد وقع في هذا الخطأ رينو في ترجمته لجغرافية أبي الفدا، عندما صحح بعض الأعلام في كتاب أبي الفدا، توهم أنها أخطاء، وقد أضاف لترجمته حاشية ذهب فيها أن الشرجة لم تكن فرضة بحرية. وفي الحق أن نيبهر ذكر قرية داخلية تسمى شرجة جنوبي حيث (كاي).

(٢) جبل بناحية زبيد اليمن، فيه قلعة يقال لها حلبة وهي قرب سهام، ويسكنه الصنابر من حمير وله سوق، وتفرق بين برع وبين ضلع ريمة (ياقوت: ١٢٨/٢).

ويخبرنا الهمداني أن جبل بيت فائش، هو اسم لأعلى قمة في جبل تخلى، ويخيل إلي أني لا أستطيع أن أحدد موقع هذا الجبل على الخريطة التي نشرها جلازر، ولكنه يذكر اسمه ويقول: بأنه يقع إلى الغرب من جبل مسور[١]، ويمضي عمارة متابعاً ابن حوقل والاصطخري فيصف شبام. وفضلاً عن موضع بهذا الاسم في حضرموت، فثمة مكانان في اليمن باسم شبام: أحدهما في جبال حراز التي تقع بين واد سهام ووادي سردد[٢]، والثاني يسميه الهمداني أقيان، ويقع قريباً من كوكبان، في أصل جبل ذخار. حيث يوجد منبع وادي سردد، والمكانان حددهما جلازر في خريطته.

ويملك الحواليون أو بنو يعفر إقليم أقيان كما جاء في الهمداني. ويضيف هذا بأن هذه الجهات كانت مسرحاً للقتال، حيث استطاع يعفر بن عبدالرحمن أن يوطد نفوذه في أيام المعتضد والواثق والمتوكل.

وذكر ياقوت في المشترك مكاناً آخر يسمى أيضاً باسم شبام على ثلاثة فراسخ من الشمال الشرقي لصنعاء، لكن هذا في حاجة إلى استيثاق. ويقول الهمداني بأن شبام الواقعة في حضرموت هي أهم بلدة في هذا الإقليم، ويوجد بها ثلاثون مسجداً، ولكن نصف البلدة كان في زمنه متخرباً، ويضيف إلى ذلك أن اسمها الأصلي كان شبات.

حاشية [١٢]: بيان الخراج والدخل وما يلي ذلك من تفصيلات منقولة مع يسير من المبالغة عن ابن حوقل[٣]، وهذا الرأي ينطبق لذلك على البيانات الخاصة بأسعد بن يعفر وابن طرف. والمسافة بين الشرجة[٤] وعدن - كما جاء في ابن حوقل - تبلغ مسيرة اثنتي عشر يوماً بدلاً من عشرين يوماً.

---

(١) مسور: هو حصن من أعمال صنعاء (ياقوت: ٥٨/٨).

(٢) صفة: ١٠٥؛ ياقوت: ٦٧/٥.

(٣) طبعة دي خوي ٢٠.

(٤) صفة: ٥٢، ١٢٠، ٢١٧.

وجاء في المقدس[1]، أن الدينار العثري[2] يبلغ ثلثي مثقال، والمثقال هو الوزن الأصلي المعتمد للدينار. وعلى ذلك فهو يساوي نحو سبعة شلنات ذهباً من عملة زماننا[3]. ويسمي ابن حوقل أمير حلي[4] الخزامي، ولكن ملر في ضبطه لكتاب الهمداني كتبه بالحاء المهملة أي الحرامي.

حاشية [١٣]: ذكر الخزرجي أن بن زياد توفي سنة ٢٤٥هـ. وأن ابنه توفي سنة ٢٨٩هـ. بعد حكم دام ٣٨ سنة، وجاء بعد إبراهيم ابنه زياد الذي لم يحكم طويلاً، ولم يستطع الكاتب أن يحدد تاريخ وفاته، وخلف زياداً أخوه أبو الجيش إسحاق الذي يقال بأنه حكم ثمانين عاماً. ويذهب الخزرجي إلى أنه توفي سنة ٣٩١هـ. وصحتها لا ريب ٣٧١ كما جاءت في نسختنا الخطية لعمارة وفي الجندي. وبهذا يكون توليه السلطة في سنة ٢٩١هـ. ويمتد حكم أخيه وسلفه زياد سنتين. ولعل هذا الأخير هو الأمير الذي قيل إنه قتل حين استولى القرامطة بقيادة علي بن الفضل على مدينة زبيد ونهبوها. وإذا كان الاستيلاء على زبيد لا بد قد حدث في سنة ٢٩٢هـ. عندما غزا ابن الفضل المذيخرة، ففي وسعنا الزعم كذلك بأن من هوجم حقاً هو أبو الجيش، وإن لم يقتل. ثم كيف نصدق بعد هذا، أن أبا الجيش بعد أن حكم ثمانين عاماً قد ترك طفلاً رضيعاً ليخلفه؟. ويقول المسعودي إنه في الوقت الذي كتب فيه [سنة ٣٣٢هـ. أو ما بعدها بقليل]، كان أمير زبيد إبراهيم بن زياد، وهذا يزيد في المصاعب التي تحيط بنا، ويمضي المسعودي فيقول بأن الأمير كان يلقب بصاحب الحرملي، ولم أعثر على هذه الكلمة في موضوع آخر، فقد عثرنا على تاريخ زمني قيم في دينار مسكوك تحدث عنه المستر استانلي لين بول في مجلة جمعية النميات[5].

---

(١) نفسه: ٩٩.

(٢) عثر: تقع بتهامة اليمن شمال زبيد (ياقوت: ١٢١/٦).

(٣) انظر أيضاً شرح الأستاذ دي خوي على ابن حوقل والمقدس ٢٩٦ (كاي).

(٤) هي مدينة باليمن على ساحل البحر الأحمر بينها وبين مكة ثمانية أيام (صبح الأعشى: ١٣/٥؛ صفة: ١٢٠، ١٢٢، ١٢٢، ١٥٤).

(٥) سنة ١٨٨٧ مجلد رقم ٤.

وهذه العملة تدل على أنها ضربت في عهد أبي الجيش إسحاق في زبيد في سنة ٣٤٦هـ. ومنقوش عليها اسم الخليفة العباسي المطيع (٣٣٤ ـ ٣٦٣هـ.). وليس لدينا شيء عن الأمراء الأخيرين لهذه الدولة، بل إن أسماءهم لا تزال موضع شك. والطفل الذي خلف أبا الجيش، إما أن اسمه كان عبدالله أو زياداً، وذلك كما جاء في نسختنا الخطية. وفي الجندي والخزرجي أن اسمه إما أنه عبدالله أو زياد أو إبراهيم، وبعد موت ابن سلامة سنة ٤٠٢هـ. الذي جاء في مصادرنا أنه حكم البلاد كوزير نحو ثلاثين عاماً، نجد طفلاً يقتعد العرش، وهو آخر أسرته، ويسميه الجندي عبدالله. أما في مخطوطة عمارة فاسمه في موضع عبدالله[١] وفي آخر إبراهيم[٢]، وقد اغتيل سنة ٤٠٩هـ.

ويقول الجندي بأنه من الواضح أن سلطان بني زياد ظل في عنفوانه مدة تبلغ نحو ١٦٨ سنة (٢٠٣ ـ ٣٧١هـ.) ثم قام منهم من هذا التاريخ إلى وفاة آخر أمرائهم في سنة ٤٠٩هـ. حكام ليس لهم من الحكم غير مظهره، استمروا ٣٨ سنة. وقد وقع بعد ذلك نزاع بين نجاح وأنيس دام نحو ثلاث سنوات إلى سنة ٤١٢هـ. استولى بعده نجاح على مقاليد الحكم. ويضيف الجندي بأن نجاحاً وخلفاءه ووزراءه حكموا زهاء ١٤٥ سنة، منها سنوات القتال بين نجاح وأنيس (أي من سنة ٤٠٩ ـ ٥٥٤هـ.) حين فتح ابن مهدي بلدة زبيد[٣].

والفقرة الأصلية التي اعتمدنا عليها فيما أسلفنا ذكره واردة في حاشية (رقم ٩٨). وسنة ٤٠٧هـ. ـ في مخطوطتي الجندي والخزرجي ـ هي السنة التي انتهت فيها الدولة الزيادية، وهي كذلك في الديبع والأهدل. ومع ذلك فعبارة الجندي تدل على أن سنة ٤٠٩هـ. كما جاء في مخطوطة عمارة، هي التاريخ الصحيح[٤].

---

(١) ص١٣.

(٢) ص١٥.

(٣) انظر لوحة النجاحيين في التعليق على الحاشية: ١٣٠.

(٤) يعرف طلاب العربية سهولة الخلط بين سبعة وتسعة مع التصحيف.

والجدير بالذكر أن عمارة ذكر لنا أن زبيداً أسست في سنة ٢٠٤هـ. وهي السنة التي توفي فيما الإمام الشافعي. وأورد الجندي التاريخ نفسه على اعتبار أنه في هذه السنة فتحت تهامة وأسست زبيد، ومع ذلك فقد أوضح بأن ابن زياد وصل اليمن في سنة ٢٠٣هـ. ويسمي مولى أبي الجيش، سيد حسين بن سلامة باسم رشد، وقد ورد اسمه أيضاً في الجندي وابن خلكان. ولكن الخزرجي وابن خلدون يسميانه رشيد، واسم القاتل لآخر أمراء الدولة الزيادية هو نفيس كما جاء في مخطوطة عمارة، وقد ورد هذا الاسم أيضاً في الخزرجي، ويسميه ابن خلكان وابن خلدون قيس، ويسميه الجندي أنيس، مع أنه يحدد حروف الاسم ويضبطه. ويتابعه في ذلك الأهدل وإن زاد عليه أن كتاباً آخرين يسمونه نفيساً.

حاشية [١٤]: معاذ بن جبل من قبيلة خزرج، أرسله الرسول إلى اليمن واستمر بها حتى توفي سنة ١٨هـ. وقد ذكر ترجمته ابن الأثير في كتابه أسد الغابة[١] وكان معاذاً إذا تهجد من الليل قال: «اللهم نامت العيون وغارت النجوم، وأنت حي قيوم، اللهم طلبي الجنة بطيء، وهربي من النار ضعيف، اللهم اجعل لي عندك هدى ترده إليّ يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد».

---

(١) ٣٧٦/٤ ـ ٣٧٨: هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدى بن سعد بن علي بن أسد بن سردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري الخزرجي ثم الجشمي، وعدي الذي ينسب إليه هو أخو سلمة بن سعد القبيلة التي ينسب إليها من الأنصار. وكان معاذ يكنى أبا عبدالرحمن، وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار وشهد بدراً وأحداً، والمشاهد كلها مع محمد رسول الله ﷺ. وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبدالله بن مسعود، وكان عمره لما أسلم ثمان عشرة سنة. وكان من أعلم الصحابة بالقرآن والحديث، وكان معاذ ممن يفتون عن رسول الله ﷺ، وقال النبي ﷺ: معاذ إمام العلماء يوم القيامة برتوة أو رتوتين (الرتوة رمية سهم وقيل ميل وقيل مد البصر كذا في النهاية) وقال ابن مسعود فيه: إن معاذ كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يكن من المشركين. وقد توفي معاذ في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة، وقيل سبع عشرة للهجرة، وكان عمره ثمانياً وثلاثين سنة.

حاشية [١٥]: الشرجة وعثر، كانتا فرضتين هامتين على الساحل الشمالي لليمن ولا أستطيع أن أحدد مكانهما بدقة ولكن المقارنة الصحيحة للبيانات التي يمدنا بها مختلف الكتّاب يجعل من الممكن تحديد موقعهما تقريباً، ونحن في انتظار أبحاث جديدة أو دراسات على الطبيعة لهذه المواقع ذاتها التي يمكن أن تؤدي إلى حل هذه المشكلة بدقة تامة.

وقد رسا ابن بطوطة في الشرجة، وهو في طريقه إلى جنوبي البحر الأحمر في القرن ١٤م، ووصفها بأنها بلدة يسكنها تجار صعدة، ثم أبحر منها إلى مرسي الحديث الذي لم يهبطه بل سار منه إلى الأهواب[١].

وقد وصف الهمداني ساحل اليمن من الجنوب إلى الشمال وبعد أن ذكر قمران تكلم عن عطينة[٢] ويذكر الهمداني بعد عطينة فرضة حردة ثم منفهق جابر، وهو رأس بارز في البحر، يعرف بكثرة ما يهب عليه من الرياح الشديدة، وحدودها تمتد من الشرجة، فرضة ديار بني حكم، ثم يليه

---

(١) ولاشك أن مرسى الحديث هو إما أن يكون لحية أو الحديدة، وأقدم ما وصلنا في ذكر هذه الفرضة وهي مرسى الحديث، وصف الديبع لغزو اليمن وفتحها على يد جيوش سلطان مصر الغوري، وكان الجيش يتألف من الشركس والأكراد والأسيويين الآخرين. وقد نزل في جزيرة قمران في ذي القعدة سنة ٩٢١هـ. (ديسمبر سنة ١٥١٥) وكانت العمليات الحربية الأولى التي قام بها هذا الجيش وجهتها نحو فرضة الحديدة حيث نهبت وخربت، فأظهر حاكم لحى خضوعه، وساعد الجيش الغازي في مهمته لكي يتقدم في داخل البلاد، ثم فتحت زبيده في جمادى الأولى سنة ٩٢٢هـ. وقد تم فتح اليمن في ربيع الأول من العام التالي، حين قتل قرب صنعاء آخر سلاطين اليمن بعد هزيمته. ومن الظروف التي تسترعي النظر أنه بينما كان الجيش المصري يغزو اليمن ويخضعها، كان الجيش العثماني بقيادة السلطان سليم يقومون بفتح مصر. وقد أمر سليم بشنق طومان باي آخر سلاطين المماليك بعد أيام من مقتل سلطان اليمن. وكان يتألف الجيش المصري في اليمن كما جاء في الديبع من ألف جندي مجهزين بالبنادق التي كان استعارها الغوري من السلطان سليم ليساعده على مقاومة الفرنجة الذين ظهروا في البحار الجنوبية وكانوا يقطعون الطريق إلى الهند، ولم يعطها له لأغراض الفتح.

(٢) صفة: ١٢٠ نقرأ عطنة بدلاً من مصغرها، ويقول المؤلف: إن عطنة والحردة هما فرضتا المهجم، ويسميها المقدسي عطنة.

باحة جازان، ومنها إلى عثر، ويقول الهمداني[١]: إن البحر عند رأس عثر معروف بموجه الشديد. يذكر المؤلف وادي حرض بين البلاد الأخرى في ديار الحكميين.

ويقول الأهدل بأن الشرجة هي ثغر حرض (ساحل حرض) ويسميها الخزرجي فرضة حرض، والعبارتان تؤديان نفس المعنى. ويخبرنا ابن حاتم أن حرض كانت تسمى أيضاً بمحل أبي تراب. وقد وجدت حرض مكتوبة على خريطة ووكر، والخريطة الأخرى الحديثة لبلاد العرب، ويتفق موقعها مع البيانات التي أوردها الكتاب العرب، وأظن أنه يمكن أن نستنتج أن فرضة الشرجة تقع في هذا المكان أو على مقربة منه، وتسمى في خريطة «إمارة البحر البريطانية» باسم رأس مصاحب، على نحو ٣٣ ميلاً إلى الشمال من لحية، وربما كانت تقع إلى الجنوب بمسافة ما. وليس من الضروري أن نقول: إن القرية المسماة باسم الشرجة والموضحة في خريطة نيبهر، والخرائط التالية، وتقع إلى الجنوب من زبيد، هي مكان آخر مختلف تمام الاختلاف عما تكلمنا عنه. ولم أعثر على ذكر لهذا المكان في كتاب من مؤلفات العرب التي رجعت إليها.

أما فيما يتعلق بعثر فقد جاء في الهمداني، بأنها تقع إلى الشمال من باحة جازان، ويمكن نفترض أنها هي نفس بلدة جيزان المدونة على خريطة إمارة البحر البريطانية، وفي (ص٤) يسمي الهمداني هذا المكان «عثر»، ولكن العرب كما يقول ينطقونها عادة بتشديد الثاء، ويقول بأنها فرضة بيش[٢]. ويضيف الهمداني بأن عتود هي قرية تقع في سهول عثر، ويرى أن المكانين مشهوران بوجود الأسود فيهما، وقد ذكرت بلدة عتود في خريطة «إمارة البحر البريطانية»، ويقول الأهدل بأن عثر هي قرية تقع بين حلي وحرض، ويضيف بأنهما تخربتا منذ زمن طويل، ويمضي في وصفه بقوله: إنه يقع في مقابلهما جزيرة تسمى باسم عثر. والمقدسي الذي كتب قبل

---

(١) صفة: ١٨٨.

(٢) وربما هي بيش في الخرائط الحديثة.

هؤلاء بزمن طويل، وصف عثر بأنها مدينة كبيرة مشهورة، ويقول عن هواء بيش التي يقيم فيها الحاكم: أصح من غيرها، وماؤها أكثر نقاء. والخريطة الوحيدة التي وجدت عليها بلدة عثر مدونة هي خريطة إسبانية للعالم عملت في القرن ١٦م. يوجد نسخة منها في مكتبة «ديوان الهند».

حاشية [١٦]: من أسماء المواضع الكثيرة التي وضعها الكتاب عند حديثهم عن الطريق الذي يسلكه حجاج اليمن، فضلاً عن أسماء المواضع الي ذكرناها آنفاً في الحواشي السابقة توجد مواضع أخرى لا أستطيع أن أحقق موقعها.

وذات الخيف هي في الخزرجي ذات الحبيت أو الخبيت، ولا بد أن بلدة موزع هي الميناء التجاري المدون على خريطة بطليموس، ولكن من المحير إلى حد ما أن يصفها مؤلفنا بأنها بلدة داخلية، وذكرها مع ذلك ابن المجاور في طبعة سبرنجر بأنها فرضة تقع جنوبي السحاري والخوهة وموشج، وذلك في طريق المسافرين من الشمال إلى الجنوب. وذكر الهمداني هذه البلدة ولكنه لم يوضح موضعها بدقة.

والجدون كتبت في الخزرجي الحدون. والضجاع ذكرها[1] ياقوت دون أن يحدد موقعها، واقتصر على قوله بأنها بلدة تجاور زبيد. ولم ترد في الخزرجي كل من الجثة وعرق النشان، ولكن صاحب المراصد ذكر الجث على أنها قرية باليمن. وذكر ياقوت أن الواديان[2] بلدة هامة في منطقة زبيد يجمع منها خراج كبير. ويلاحظ أن عمارة يذكرها دائماً على أنها تقع شمالي المهجم[3] ومور[4] ويمكن أن نعد جيزان هي نفس الموضع الذي يسمى جيران أو باحة جيزان التي ذكرت في الحاشية السابقة. ولكنها

---

(١) ٥/٥٢٦.

(٢) ياقوت: ٨/٣٧٧.

(٣) هي مدينة بسردد باليمن (صبح الأعشى: ٥/١٣).

(٤) هي مدينة بتهامة اليمن، وهي أحد مشارب اليمن الكبرى صفة: ٦٥، ٧٢، ١٠٤، ١٥٥.

لم تذكر على أنها فرضة، مع أنه نص على أن الأخيرة فرضة على ساحل البحر. وكتبت في الخزرجي حيزان، ويمكن أن نعد حيران وجيزان مكاناً واحداً. وذكر الهمداني[1] حيران بعد حديثه عن وادي تعشر على أنها بلدة في ديار بني حكم. والمساعد يسميها الخزرجي الساعد، وجاء اسمها هكذا في الهمداني[2]. وجاء في الخزرجي كل من كلمة المبنى ورياح، ولكن لم أعثر على ذكر لهما في موضع آخر. وبدلاً من الليث ذكر الخزرجي الحبت، ولكن ابن خرداذبة[3] ذكر الليث، وكذلك الهمداني[4]. وفي السطر التالي من هذا الموضع في كتاب الهمداني ورد ذكر البيضاء، ووادي رحمة، وكتب الخزرجي بير البيضاء بدلاً من البيضاء، ولكن ابن المجاور في طبعة سبرنجر لكتابه يأتي لنا بنفس الاسم كما في مخطوطة عمارة، وفي الخزرجي يوجد بئر آدم بدلاً من بيراد ويمكن أن نقرأ أيدم وهو الاسم الذي أورده ابن المجاور[5]، وأسماء مواضع المحطات الأولى للمسافر نحو الجنوب من مكة كما يلي في ابن المجاور: من مكة إلى القرين ثم إلى البيضاء ثم أيدام، ويلي ذلك وادي محرم (يلملم؟) حيث يتعين على الذاهبين لأداء فريضة الحج من اليمنيين أن يحرموا.

وقد وردت في الخزرجي سبخة الغراب، ويذكر ابن المجاور موضع البيضاء في الصحراء أوقاع سبخة الغراب على مقربة من عدن. ولا أدري كيف أعلل ذلك.

وذكر المقدسي أن موقع القرين بين مكة وجدة. ووصف ياقوت موضع نعمان[6] أو نعمان الأراك، كما ذكرها أيضاً ابن المجاور. وفيما يلي رواية للخزرجي عن الطريق بين يلملم ومكة: «ثم يصل المسافرون يلملم،

---

(١) صفة: ١٢٠.
(٢) صفة: ١١٩.
(٣) ص١٨٤.
(٤) صفة: ١٢٠.
(٥) طبعة: سبرنجر: ١٣١.
(٦) هذه العبارة مترجمة عن الإنجليزية ولم يتيسر لنا الرجوع إلى الأصل.

وهي ميقات أهل اليمن، ومن يلملم بئر أنبطه بن سلامة يليه بئر آدم، وهي بئر غزيرة الماء وعمقها عشر قامات واتساعها خمس، ثم تتفرع الطرق: فمن كانت جهته مكة يصل بئر البيضاء التي أنشأها ابن سلامة[١] ثم القرين ثم مكة».

أما أسماء المواضع في الطريق البحري فهي: المخنق، قد ذكرها الهمداني، وأما عثر على الساحل الجنوبي فقد كنت أميل إلى أنها هي نفس الموضع الذي سماه الهمداني باسم أبرهة. ومع أن هذا الاسم لم يرد في مخطوط الخزرجي فقد ورد في الديبع، كما ذكرها ابن المجاور، وذهب إلى أنه يبعد ثلاثة فراسخ من عارة، ويذكر مخطوطنا أن البلدة التالية باب المندب هي السحارى، ويكتبها الهمداني بهذا الرسم، يتابعه في هذا ابن المجاور، ولكنه يضع سحارى شمالي خوهة، وهي في هذا الموضع على خريطة «إمارة البحر البريطانية».

وقد ذكر الهمداني الحردة وعتنة، كما جاء في الحاشية السابقة كفرضتين للمهجم. أما موضع المفجر فيمكن أن نقرأه هجر[٢]. وأشار المقدسي إلى دويمة وحميدة، كما أشار الهمداني في الموضع الأخير. ويقول بأن حميدة تقع على مقربة من جبل يسميه قدمل، واسم كتمبل يظهر على خريطة «إمارة البحر البريطانية» ولكنه يطلق في هذه الخريطة على جزيرة صغيرة قرب الساحل.

---

(١) وهو وصيف لرشيد من أولاد النوبة نسب إلى أمه سلامة. وكان رشيد قد هذبه وأحسن تربيته وبعد موت رشيد قام بأمور الدولة خير قيام (أنباء / دار ٣٦)، واختط مدينة الكدراء على وادي سهام ومدينة المعقر على وادي ذؤال، وكان عادلاً كثير الصدقات، حفر الآبار طول الطريق بين حضرموت ومكة، وأنشأ الجوامع والمنابر التي أهمها المسجد الجامع بزبيد، وهو أول من أدار سوراً حول مدينة زبيد (بغية: ورقة: ١٩). ولما مات ملك عبد له يسمى مرجان، وقد جعل هذا السلطة في يد مواليه (نفيس ونجاح)، وقد تمكن الأخير من تأسيس الدولة النجاحية بتهامة سنة ٤١٢هـ.

(٢) صفة: ١٨٨؛ سبرنجر: ١٣٣.

حاشية [١٧]: سمع نيبهر[١] بنادرة مماثلة، ولكن يضاف إليها أنه لمنع تكرار وقوع مثل هذه المعجزة المثيرة، أمر واهب المال بضريح الولي الكبير الذي يقوم بدور النبي في الرواية الحديثة للقصة، أن تشيد حوله الجدران تشييداً محكماً.

حاشية [١٨]: أتى المقريزي في خططه[٢] على وصف المظلة الملكية التي كانت ترتفع في المناسبات الرسمية على رأس الخليفة، وقد قال فيها ما يلي: «ولها عندهم (أي عند خلفاء الفاطميين) جلالة لكونها تعلو رأس الخليفة، وهي اثنا عشر شوركاً، عرض سفل كل شورك شبر، وطوله ثلاثة أذرع وثلث، وآخر الشورك من فوق دقيق جداً فيجتمع ما بين الشوارك في رأس عودها بدائرة، وهو قنطارية من الزان، ملبسة بأنابيب الذهب، وفي آخر أنبوبة تلي الرأس من جسمه فلكة بارزة مقدار عرض إبهام، فيشد آخر الشوارك في حلقة من الذهب، ويترك متسعاً في رأس الرمح وهو مفروض، فتلقي تلك الفلكة فتمنع المظلة من الحدور في العمود المذكور، ولها أضلاع من خشب الخلنج مربعات مكسوة بوزن الذهب، على عدد الشوارك خفاف في الوزن طولها طول الشوارك، وفيها خطاطيف لطاف وحلق يمسك

---

(١) أرسلته الحكومة الدانمراكية على رأس بعثة سنة ١٧٦١ إلى اليمن، بعد أن قضت البعثة سنة في مصر وشبه جزيرة سينا وصلت إلى جدة سنة ١٧٦٢، وبعد استراحة قصيرة أبحرت إلى لحية في شمال اليمن، وكان كشفها الهدف الرئيسي للبعثة. ثم ساروا عبر تهامة وزاروا بيت الفقيه وزبيد والمخا، أكبر ميناء لتجارة البن في ذلك الحين. ثم استمروا شرقاً فعبروا الأقاليم الجبلية، حتى وصلوا إلى مرتفعات اليمن عند عدن، ثم اتجهوا شرقاً إلى جهات أكثر ارتفاعاً حتى وصلوا إلى مدينة جبلة التي تقع وسط سلاسل جبلية يصل ارتفاعها إلى عشرة آلاف قدم فوق سطح البحر، ثم انعطفوا جنوباً نحو تعز وهبطوا عائدين ثانية إلى تهامة عن طريق زبيد والمخا، ثم زاروا تعز ثانية سنة ١٧٦٣، ثم زاروا صنعاء، وقد وصفها نيبهر وصفاً قد لا يختلف كثيراً عما هي عليه الآن. وبعد أن مكثت البعثة عشرة أيام بمدينة صنعاء، بدأ سيرها مرة أخرى نحو المخا في نصف الطريق الذي يصل إلى العاصمة بالحديدة الآن، ومنها أبحروا إلى الهند (التاريخ الجغرافي للقرآن / مترجم: ٢٤ ـ ٢٧).

(٢) ١/٤٤٨.

بعضها بعضاً، وهي تنضم وتنفتح على طريقة شوكات الكيزان. ولها رأس شبه الرمانة، ويعلوه رمانة صغيرة كلها ذهب مرصع بجوهر يظهر للعيان. ولها رفرف دائر يفتحها من نسبتها، عرضه أكثر من شبر ونصف وسفل الرمانة فاصل يكون مقداره: ثلاث أصابع، فإذا دخلت الحلقة الذهب الجامعة لآخر شوارك المظلة في رأس العمود ركبت الرمانة عليها ولفت في عرض (يبقى مذهب فلا يكشفها منه إلا حاملها عند تسليمها إليه أول وقت الركوب)».

«وإذا ما كتب الخليفة أخرجت المظلة إلى حاملها فيكشفها مما هي ملفوفة فيه غير مطوية فيتسلمها بإعانة أربعة من الصقالبة برسم خدمتها، فيركزها في آلة حديد متخذة شكل القرن وهو مشدود في ركاب حاملها الأيمن بقوة وتأكيد، فيمسك العمود بحاجز فوق يده فيبقى وهو منتصف واقف ولم يذكر قط أنها اضطربت في ريح عاصف».

حاشية [١٩]: أوضح الجندي أنه عندما انتهت دولة القرامطة سنة ٣٠٤[1]هـ. خضعت اليمن لدول ثلاث: بنو زياد في زبيد (تهامة وعدن). أما صعدة والأجزاء الشمالية فكانت خاضعة لنفوذ الأئمة الزيديين، وكانت الجند ومدينة صنعاء والأرض المجاورة لها خاضعة لبني يعفر. وعين أسعد بن يعفر أسرة حميرية هم بنو الكرندي على إقليم الجند. وعند وفاة ابن سلامة سنة ٤٠٢هـ. حين اغتصب الحكام الذين عينهم بنو زياد السلطة على أقاليمهم، تابعهم بنو الكرندي، وأعلنوا استقلالهم، ولكن علياً الصليحي قضى على مملكتهم. وسنرى أن أميرهم المخلوع، كان واحداً من الرؤساء الذي صحبوا الصليحي إلى المهجم، وكان واحداً من القلائل الذين منَّ عليهم سعيد بن نجاح ولم يقتلهم. وجاء في ابن خلدون أن جانباً من هذه القلاع أعيد إلى بني الكرندي، أعادها إليهم المكرم أحمد بن علي، وظل بنو الكرندي مالكين لها إلى أن أخذها منهم ابن مهدي. ويبدو أن أبا عبدالله الحسين بن التبعي كان زعيم الأسرة في وقت استعادة هذه البلاد،

---

(١) راجع تعليق المترجم على الحاشية: ١٠٢.

وكان له دور في المؤامرة التي أدت إلى قتل سعيد بن نجاح، سيتضح فيما يلي. ويلاحظ أنه أطلق عليه في هذه القصة أمير الشعر.

ويقول الهمداني: إن أسرة الكرندي تنتمي إلى بني ثمامة من سلالة حمير الأصغر (جد بني يعفر وبني أوزع). وفيما يلي تعديد الخزرجي للولايات التي تناثرت في اليمن بعد وفاة ابن سلامة سنة ٤٠٢هـ. والأراضي والقلاع التي استولوا عليها: وتغلب ولاة الجبال وأهل الحصون على ما تحت أيديهم من ذلك. فتغلبت همدان على صنعاء، كما ذكرنا أولاً. وتغلب بنو معن على عدن ولحج وأبين والشحر وحضرموت، ليسوا من ولد معن بن زائدة الشيباني. وتغلب بنو الكرندي وهم قوم من حمير[١] على السمدان وعلى الحصون السوا، وعلى حصن الدملوة وحصن صبر وحصن ذخر وعلى حصن تعكر وهو الحاكم على الجند ومخلاف جعفر ومخلاف عنة. قال عمارة: ولبني الكرندي سلطنة ظاهرة ودولة قاهرة. وتغلب أبو عبدالله الحسين بن التبعي على حصن حب، وهو نظير التعكر، وعلى عزان وخدد، وبيت عز وحصن الشعر وحصن أبور[٢] والنقيل والسحول والشوافي. وتغلب بنو وائل بن عيسى على وحاظة وحصونها، يريس وزهران والخضراء وسعب ويفوز. وبنو وائل هؤلاء من ذي الكلاع ولهم (رياسة)[٣] متأثلة، وفيهم حماقة، يرون أنهم أشرف بني آدم على الإطلاق، ومنهم أسعد بن وائل صاحب الكرم العريض، والثناء المستفيض. كان رجلاً صالحاً يؤثر مذهب السنة على غيره، ويصحب القراء والعباد، ويؤثر عمارة المساجد، ويعظم السلف، ويقتدي بأخبارهم[٤] وكان سليماً من البدعة، وتوفي مقتولاً سنة ٥١٥هـ. وقبره في جامع الجعامي[٥].

---

(١) وهم أهل المعافر، وحصونهم: السوا والسمدان والدملوة، وصبر وذخر، ثم تغلبوا على حصن التعكر وهو الحاكم على الجند وكثير من مخلاف جعفر.

(٢) السلوك / دار: أنور.

(٣) عمارة / كاي.

(٤) في الأصل: بأجارهم.

(٥) هكذا في الأصل.

وقد حذفت ما تلا من كلمات لأنها شرح غير واضح لتلك الفقرة في كتاب عمارة، التي يتحدث فيها عن الحصون والأراضي التي استولت عليها أسرة من قبيلة بكيل وأسرة عبدالواحد. وأخذ الخزرجي هذه التفصيلات عن الجندي، ولكن مخطوطة الجندي التي في باريس غامضة في هذا الموضع بسبب خطأ من الناسخ وبها نقص بمقدار سطر أو سطرين، ولذلك آثرت رواية الخزرجي[1].

حاشية [٢٠]: معن بن زائدة من قبيلة شيبان الإسماعيلية وهو سبط ربيعة، وقد عين حاكماً على اليمن، عينه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، ترجم له ابن خلكان[2] ويتضح من الجندي أنه كان حاكماً لليمن (١٤٥ ـ ١٥١هـ). وسيتضح أن مطالبة بني معن بعدن على اعتبار أنهم من سلالة معن بن زائدة، قد ذكرها ابن خلدون وهي تتناقض تناقضاً واضحاً مع ما جاء في الخزرجي (انظر إلى الحاشية السالفة)[3] كما تتناقض مع ما أورده عمارة.

حاشية [٢١]: الإمام مالك بن أنس الأصبحي مؤسس المذهب

---

(١) أورد صاحب القاموس اسم حصن تعكر مكسور الكاف، لكن ملر في طبعته للصفة ذكره بضم الكاف، ويبدو كلا الضبطين جائزان، ويخبرنا الجندي بأن حصن التعكر فوق ذي جبلة، هدمه السلطان الأيوبي المعز إسماعيل سنة ٥٩٤هـ. وهذا السلطان هو ابن سيف الإسلام طغتكين بن نجم الدين بن شادي بن مروان (زامباور) المترجم ١٥٨/١.

(٢) هو أبو اليد معن بن زائدة بن عبدالله بن زائدة بن مطر بن شريك بن الصلب الشيباني، وقد كان جواداً شجاعاً جزيل العطاء، ممدحاً مقصوداً، وكان في أيام بني أمية متنقلاً في الولايات. ولمعن أشعار جيدة أشهرها في الشجاعة.. وقد كان والياً في آخر أيامه على خراسان فقتله قوم من الخوارج، وكان قتله بمدينة بست سنة ثمان وخمسين ومائة، ولما قتل رثاه الشعراء بأحسن المراثي، ومنهم مروان بن (أبي) حفصة، فقد رثاه بقصيدة من أفخر الشعر وأحسنه مطلعاً:

مضى لسبيله معن وأبقى مكارم لن تبيد ولن تنالا

وهذه المرثية من أحسن المراثي حتى إن جعفراً البرمكي لما سمعها منح مروان بن (أبي) حفصة مبلغ ١٦٠٠ دينار (وفيات: ٣٣١/ ـ ٣٤٠ طبعة القاهرة ١٩٤٨).

(٣) نضع بدلاً عنها: انظر التعليق السابق.

المالكي، أحد المذاهب الأربعة الكبرى، التي من بينها المسلمون من أهل السنة، وقد ولد وعاش في المدينة، ولذلك كان يسمى إمام دار الهجرة[١].

حاشية [٢٢]: الأماكن المذكورة بهذا الموضع وبالصحيفة السابقة تقع كما يتبين من بعد بمخلاف جعفر ولم أستطع التحقق من مواقعها اللهم إلا قلة. فدملوة[٢] ذكرها نيبهر في وصفه لبلاد العرب، وحدد موقعها على خريطته على مسافة قصيرة من شرق تعز. وفي الحاشية (رقم ١١١) أوردت وصف الهمداني لهذا الحصن. ولا شك أن حصني صبر[٣] وذخر يقعان على الجبلين المسميين باسمهما، وهذان الجبلان تفصلهما فتحة كما جاء في الهمداني، تقع بها مدينة جبا وحصنها، وهي مقر بني الكرندي. ويضيف الهمداني أن جبل صبر يفصل جبا عن الجند. ووادي عنة[٤] الذي سمي باسم بطن من قبيلة حمير، كان يرويه غدير يجري بوادي زبيد. ولم أجد في الهمداني ذكراً لسوا ولا لسمدان التي روي أنها كانت من أهم قلاع اليمن، ويذكر ياقوت أن أولاهما تقع على جبل صبر.

وجاء في الهمداني أن جبل حب يقع في ديار ذي رعين، ولا يمكن أن يكون بعيداً عن بلدة إب، ولعله يقع إلى الشرق، ومطلاً على الوادي

---

(١) الإمام أبو عبدالله مالك بن أنس الأصبحي المدني، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأعلام. وكان مالك إذا أراد أن يحدّث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته وتمكن من جلوسه بوقار وهيبة ثم حدّث... وكان يكره أن يحدّث على الطريق أو قائماً أو مستعجلاً. وكان لا يحب أن يركب في المدينة مع ضعفه وكبر سنه. ويقول: لا أركب في مدينة فيها جثة رسول الله ﷺ مدفونة. وكانت ولادته في سنة ٩٥هـ. وتوفي في شهر ربيع أول سنة ١٧٩هـ. فعاش أربع وثمانين سنة. وكان شديد البياض إلى الشقرة، طويل، عظيم الهامة، أصلع، يلبس الثياب العدنية الجياد، ويكره حلق الشارب، ويعيبه (وفيات: ٢٨٤/٣ ـ ٢٨٧).

(٢) صفة: ٧٦.

(٣) وهو اسم جبل شامخ مطل على قلعة تعز. فيه عدة حصون وقرى باليمن وإليه ينسب نشوان بن سعيد صاحب كتاب شمس العلوم. وهو في بلاد المعافر، وسكانه من الحواشب من حمير (ياقوت: ٣٣٦/٥ ـ ٣٣٧).

(٤) هو حصن باسم وادي يسقى من زبيد (صفة: ٧١؛ ١٠٠).

الممتد إلى أسفل، والمحيط بجبل خبان. ولم أجد في الهمداني اسم بلدة إب، وإذا كان عمارة قد ذكر «إب» و«حب» على أنهما اسمين لموضعين مختلفين، فثمة شك يساورني في أنهما قد يكونان اسماً لمكان واحد. وقد وردت كلمة خدير[1] في الهمداني (طبعة ملر) وفي مخطوطة المتحف البريطاني لتاريخ ابن خلدون ورد اسم هذا الموضع مشكولاً بضم الخاء وفتح الدال (خداد) وأورده ياقوت (خدد) بفتح الخاء ولم يذكر عنه إلا أنه حصن يقع في مخلاف جعفر. ويخبرنا الهمداني بأن خدد يقع على مسيرة ساعة من قلعة الوحاظيين، وإنه يشتمل على قصر منيف ولبلوغه طريقان يؤديان إلى أبواب الحصن، على مقربة من كل منهما مورد ماء. فالطريق الواقع إلى الناحية الجنوبية يتاخمه مستودع للمياه (كريف) يعرف باسم الوافيات. وهو محفور في الصخر الأسود، عمقه خمسون ذراعاً، وسعته عشرون، وطوله خمسون. يحيط به سور يحميه. والمورد الثاني يتاخم الباب الشمالي للحصن، وهو عبارة عن حفرة في الصخر تشبه البئر بطنت جدرانها ببناء حجري، وثمة درجات سلم تؤدي من قمة الحصن إلى موضع الماء، وقناديل تضاء فيسعى من شاء بلوغ الماء في النهار أو الليل. ورحلة الهبوط هذه إلى الماء تستغرق ساعة. ومن بلغ فوهة البئر عسرت مشاهدته على من كان بأعلى المكان. ولا بد أن قلعة خدد كانت تقع إلى الشمال أو إلى الشمال الغربي من إب.

وفي ياقوت تقع عزان[2] على جبل ريمة في إقليم المناخي، وعلى ذلك فهي لا تبعد عن المذيخرة. وقد ذكر ياقوت أيضاً عزان خبت على جبل صبر قرب تعز، وعزان ذخر التي يقول بأنها تقع على جبل صبر، وقد رأينا في حاشية رقم (٦) أن بيت عز تقع في إقليم المناخي. والشعر[3] التي ضبطها الجندي هكذا هي الموقع الذي قتل فيه سعيد بن نجاح. ولا بد أن

---

(١) حصن بمخلاف جعفر باليمن (ياقوت: ٤٠٤/٣؛ صفة: ٧٨).

(٢) صفة: ٧٩.

(٣) يقع على حافة وادي السحول، وفيه قتل سعيد الأحول بن نجاح (ياقوت: ٥/٥؛ صفة: ٧٥).

تكون على مقربة من هذه الجهات أو قريبة من ضفاف وادي سحول. وفي الجندي ضبط لموضع أنور بدلاً من نور، وهذا الموضع ذكره ياقوت الذي يقول بأنه يقع في مخلاف قيظان ويذكر الهمداني[1] موضع قينان، ويقول إنه في إقليم سحول، وفي الجزء الشمالي من منطقة ذي الكلاع. والنقيل[2] (الممر الجبلي) هو دون ريب نقيل صيد قرب يحصب العليا أو مدينة ظفار المتهدمة. وتقع سحول[3] في منطقة ذي الكلاع، ويطلق اسمها أيضاً على المجرى الذي يسيل إلى وادي زبيد. ويجب أن يكون موضع الشوافي[4] الذي ضبطه الجندي بالفاء، أن ينطق بالقاف. وجاء في الهمداني أنه من المواضع المأهولة بالسكان في إقليم سحول. وذكره كتاب المراصد (مراصد الاطلاع). ووصف الهمداني وحاظه[5] على أنها جزء من الأراضي المنخفضة في إقليم ذي الكلاع، وبه قلعة تسمى بهذا الاسم كما تسمى أيضاً شباع. أما اسم بيبرس فهو لا شك خطأ. ويضبطه الجندي والخزرجي بيائين أي يريس، وذكر هذان المؤلفان زهران و سعب بدلاً من دهران و شعر. ويقول الهمداني: إن الخضراء واليابس حصن على جبل وصاب. ويقول الجندي: إن شاحط كان فيما مضى مقر الملوك، ولكنه فقد أهميته، وذكره ياقوت، ولكنه لا يزيد شيئاً عما ذكره عمارة. وأورد ياقوت البيتين اللذين جاءا في كتاب عمارة، ولا شك أن ياقوت نقلهما عنه. ويتألف معناهما من الدلالة المزدوجة للكلمات الرئيسية في البيتين، ومعهما من

---

(١) صفة: ١٠٠.

(٢) اسم جبل، ويطلق على نقيل صيد، ونقيل نخلان، ونقيل حزر (صفة: ١٨٩)، وفي نقيل صيد قتل مالك وشهاب أخوي سعيد الأحول (عيون: ١١٢/٧) وتعرف الآن باسم نقيل سمارة (الصليحيون: ٤٧).

(٣) تقع في الجهة التي تقع فيها ذو القلا (صفة: ٦٨، ٧١)؛ وتسمى بهذا الاسم نسبة إلى السحول ابن سوادة بن عمرو بن سعد بن عوف (ياقوت: ٤٥/٥؛ الصليحيون: ٦٣ هامش ٧).

(٤) وهو اسم جبل أو مدينة بوادي النهى بمخلاف السحول (صفة: ١٠٠) أو هو جبل في رأسه مسجد يسمى ثهرة (نفسه: ٧).

(٥) صفة: ٦٨، ٧٨، ٧٩؛ ومن حصونه دهوان ويفوز والشعر (عمارة / كاي: ١٣).

الغلظة والبذاءة بالدرجة التي أعفيت نفسي من ترجمتها إلى الإنجليزية. وأذكر هنا أن الهمداني قد أوضح كلمة الغائط بأنها تطلق في اليمن على الصحراء. والجبجب[1] التي ذكرت في السطور التالية، كتبت في خريطة مانزوني بهذا الضبط، وهي بكسر الجيم الأولى والثانية، ويشير إليها الهمداني. وتحقق جلازر من أن وصاب[2] الأعلى ووصاب الأسفل هما جبلا العركبة، ويقعان - كما يقول الهمداني - بين وادي زبيد ووادي ريمة، ويضيف في موضع آخر أن وادي ريمة يسيل بين جبلي عركبة وجبلي ريمة.

حاشية [٢٣]: ومن قبائل همدان حاشد[3] وبكيل، ذكرهما ابن خلدون نقلاً عن البيهقي وابن حزم على اعتبار أنهما أصول لبطون بني همدان، وكان بين بكيل وبني حاشد محالفات وثيقة، ولهم مركز مرموق بين القبائل والجماعات العربية القوية في بلاد اليمن. ولا زالوا كذلك - فيما يخبرنا نيبهر - إلى يومنا هذا[4]. أما بنو يام[5] الذين ينتمي إليهم الصليحيون وبنو زريع فقد كانوا بطناً من بطون حاشد، وجاء في الهمداني أن الأرض التي يسكنها أفراد قبيلة همدان، كانت تمتد من صنعاء إلى صعدة[6]. ويقول الهمداني بأن بني بكيل كانوا بصفة عامة يملكون الأرض التي تقع شرقي الخط الذي يمكن أن نرسمه من صنعاء إلى صعدة، ويحتل بنو حاشد الأجزاء الواقعة غربي هذا الخط. وكان يملك بنو حاشد أيضاً إقليم

---

(١) صفة: ٦٨، ١٠٠، ١٠٤، ٢٤٣، ٢٤٧.

(٢) صفة: ١٠٣؛ ياقوت: ٤٢٥/٨.

(٣) يقول ابن حزم ص١٧٥: إن همدان وحاشد وبكيل أخوات من فرع واحد، وبكيل قبائل تسكن بلاد همدان ما بين خولان وحدود صعدة (صفة: ٦٦، ٦٩، ١٠٩، ٢٤٣)، وبنو بكيل قبائل شوكتهم على المنابذة قوية وصولتهم على المحاربة شديدة، وشدتهم على الجلاد عتيلة (القمي: ٦٣).

(٤) القرن: ١٨م.

(٥) يام: بطن من همدان من القحطانية، وهم بنو يام بن أصبح بن دافع من مالك بن جشم بن حاشد، وكانت مواطنهم بنجران وكان منهم القائم بدعوة العبيديين في حراز (صفة: ١٥٥؛ العبر: ٢٥٢؛ معجم قبائل العرب: ١٢٥٩/٣).

(٦) صعدة: العبر / كاي: ١٢٧.

الوحش، وهو الجزء الغربي لمنطقة السحول التي تقع تالية لبلاد ذي الكلاع، ويحدها المجاري التي تجتمع ليتألف منها وادي زبيد[1].

حاشية [٢٤]: وصف الهمداني جبل برع[2] بأنه امتداد نحو الشمال الغربي لجبلي ريمة، التي تقع بين وادي ريمة ووادي سهام، كما أوضح جلازر ذلك بدقة في خريطته، ولم أعثر في المصادر على اسم **العمد**[3]، وجاء في خريطة جلازر وفي الهمداني أن **لعسان** تمتد إلى المنحدرات الغربية لجبل حراز[4]. ومسار[5] أحد المجموعات الجبلية الهامة المعروفة باسم حراز. وسنرى فيما يلي أن أغلب المعاقل المذكورة آنفاً قد سيطرت عليها في فترة تالية أسرة مظفر الصليحية. ومن الأماكن الأخرى التي ورد ذكرها: **مقر**، و **الظرف**[6] وذو رسة. ولم أجد أية بيانات عن هذه المواضع. ويشير الخزرجي إلى **القوارير**. ويمكن أن نقرأ **ظفار** بأنها ظفران، وذكرها ياقوت[7] على أنها حصن يقع على جبال وصاب. وجبل **ريمة**[8] يقع على مقربة من ثومان، وعلى ذلك فهو مكان يختلف عن جبلي ريمة

---

(١) صفة: ١٠٠.

(٢) اسم يطلق على قرية أوواد (صفة: ٩٦، ٩٧)، أو يطلق على جبل برع نفسه: (٧٢، ١٠٣، ١٢٥).

(٣) العمد في أرض لعسان في بطن تهامة، ومواردها أسفل سهام وأسفل سردد، وسوقها المهجم والكدراء (صفة: ١٠٥ ـ ١٠٦)، وهي الآن قرية من قرى همدان من مديرية عيال سريح (الصليحيون: ١٠٢ هامش: ١).

(٤) حراز إقليم كبير باليمن ينقسم إلى سبعة أسباع هي: حراز وهوزن ولهاب ومجبح وكرار وحراز المستحرزة (صفة: ٦٨، ٧٢، ١٠٣، ١٩٣). يقول ياقوت: (٢٠٤/٣): مخلاف باليمن قرب زبيد، سمي باسم بطن من حمير وهو حراز، ويكنى أبا مرشد بن عوف ويقال لقريتهم حرازة، تعمل بها الأطباق الحرازية.

(٥) أعلى قمة في حراز وفيه ثار الصليحي سنة ٤٣٩هـ. (صفة: ٦٨، ١٠٥، ١٢٥، ١٩٣)؛ (الصليحيون).

(٦) قال عمارة / كاي: ٣٣: مقر ووصاب وقوارير والظرف والشرف من حصون بني المظفر المطلة على تهامة، وهي أقرب إلى تهامة من جميع الجبال (الصليحيون: ١٥١).

(٧) ٨٥/٦ ـ ٨٦.

(٨) ياقوت: ٣٥٣/٤. وجبلان ريمة (نفسه: ٤٨/٣).

الذي أشرنا إليه آنفاً. ويتكلم عمارة في موضع آخر عن ريمة الأشاعر، كما يتحدث الجندي عن ريمة المناخي، وانظر ريمة في الصفة كما ذكر الهمداني ريمة الكلاع، ويقصد بها مكانا آخر منفصل عن ريمة. كما يتكلم عن جبل ريمان[1] في المنطقة ذاتها، أي أنه يلي جبل بعدان، ويبدو أن بعدان وريمان هما اسمان لقبيلتين تسكنان إقليم سحول، وسمي باسميهما الجبلان دون شك. وجبلان[2] أيضاً اسم كان يطلق على الجد الأعلى لبعض القبائل الحميرية، ولا بد أن كلمة ريمان كان يقصد بها في بعض الحالات، إلى ما يفهم من معناها وهو التل.

حاشية [٢٥]: في الجندي والأهدل واليافعي كتبت الرواحي بالراء والحاء المهملتين، وأعاد ياقوت هذا البيان في نسختنا، وذكر أن الزواحي بالزاي كانت في إقليم حراز، ويضيف أيضاً أنها في إقليم النجم الذي يبدأ منه إقليم اليمن. ويخبرنا الهمداني أن قبيلة النجم تسكن المهجم، ويذكر موضعاً يسمى الزواحي، لكن من الواضح أن هذا الموضع يقع في إقليم سحول في أرض ذي الكلاع، وبعبارة أخرى يقع في مخلاف جعفر. وإني لأشعر بالحيرة الزائدة كلما حاولت التوفيق بين هذه البيانات المختلفة المتضاربة[3].

حاشية [٢٦]: ذكر هذا الكتاب تحت هذا العنوان وهو كتاب «الصور» في الجندي والخزرجي، وورد اسمه في معجم المؤلفات المعروف بكشف الظنون وجاء فيه أن هذا الكتاب لو وجد حقاً فإنه يشتمل على أبحاث ثلاثة في التنجيم كتبها أرسطو.

---

(١) نفسه: ٣٥١/٤ ـ ٣٥٢.

(٢) بين وادي زبيد ووادي رمع وتنسب إلى جبلان بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبدشمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير (ياقوت: ٤٨/٣).

(٣) راجع: كشف: ٢٩؛ ٤٢؛ عيون: ١/٧ ـ ٢؛ نزهة: ٣٢/١ ـ ٣٣. راجع حاشية: ٢٦ هامش ١؛ وذكر ياقوت: ٤١١/٤: «الزواحي وهي قرية من أعمال مخلاف حراز ثم أعمال النجم في أوائل اليمن.. وإليها ينسب عامر بن عبدالله الزواحي صاحب الدعوة».

وسنرى أن ابن خلدون يذهب إلى أن الكتاب الذي كان لدى عامر[1] كتاب يسمى الجفر[2]، وفي مقدمته دخل في مقدمات مسهبة في هذا الموضوع، فيقول: بأن الكتاب كان في الأصل في حوزة جعفر الصادق (الإمام السادس)، وإنه اشتمل على بيانات تتعلق بسلالة علي، أوصى بها لجعفر وبعض زعماء آل علي، وقد أفضى جعفر الصادق بمحتويات الكتاب إلى زعيم معين من فرقة الزيدية، وقام هذا الأخير بتدوينها في كتاب، وسمي طبقاً للنسخة الأولى الأصلية بكتاب الجفر، لأنه دون أول ما دون على رقوق من جلد الماعز.

ويلاحظ ابن خلدون أن سلسلة السند التي يستعان بها في توضيح صحة هذا الكتاب هي روايات مغلوطة، ثم يقول: إن مصير النسخة الأصلية من هذا الكتاب مجهول، ولكن الفاطميين يزعمون أن عبيدالله المهدي كان على بصيرة بمحتوياتها، ويسوقون أمثلة للبرهنة على إلمامه هو ورجاله بأسرار المستقبل، كما يتضح ذلك مثلاً في حالة ابن حوشب (منصور اليمن)، الذي عرف عندما أرسل أبو عبدالله[3] الشيعي إلى شمال إفريقية أن دولة آل علي ستظهر هنالك، وأن دعائمها ستثبت في تلك الجهات. وقد أعلن أبو عبدالله نفسه عند وصوله لإفريقية لرجال قبيلة كتامة البربرية أنهم

---

(١) اسمه سليمان عبدالله الزواحي من ضلع شبام (كشف: ٢٩ ـ ٤٢). ويقول إدريس: (عيون: ١/٧ ـ ٢؛ نزهة: ٣٢/١ ـ ٣٣): إن اسمه: «سليمان بن عبدالله بن عامر الزواحي من حمير، وكان له حصن كوكبان، وفي كوكبان جدد الزواحي دار الخراطيم وجعلها مقره في ذلك الأوان». (الصليحيون: ٥٧ ـ ٥٨، ٦٠).

(٢) كشف الظنون تحت مادة الجفر.

(٣) يرجع إليه الفضل في نشر الدعوة الفاطمية في شمال إفريقية، خرج إلى بلاد المغرب وهو يدين بالطاعة والولاء للإمام الحسين بن أحمد العلوي، وحجته أحمد الحكيم بن عبدالله القداح بعد أن تلقى علومه في اليمن على يد منصور اليمن (زبدة الفكره: ١٤٥/٥)، فمهد في بلاد المغرب لظهور المهدي، وظل خادماً لفكرته حتى تمكن من إقامة دولة الفاطميين المنشودة بظهور المهدي في شخص سعيد الخير حجة الإمام المستور (عبيدالله المهدي: ١١٦ ـ ١٢٢)؛ راجع التعليق على الحاشية: ١٣٦ (كاي).

الذين يحملون الاسم المشتق من الكتمان، وأنهم قدر عليهم أن يكونوا أنصارا للمهدي[1].

وفي قطعة عجيبة طبعها الأستاذ دي غوية من دستور المنجمين، وهي من لواحق كتابه عن قرامطة البحرين[2]، ورد أن عبيدالله حين بدأ رحلته من مصر إلى شمال إفريقية، هاجمه بعض اللصوص في موضع يقال له الطاحونة، فسلبوه قدراً كبيراً من مقتنياته. ولكن أفدح خسارة مني بها، كانت كتباً تحوي العلم الباطن للأئمة من آبائه. ويذكر الكاتب أن القائم بن عبيدالله حين وفد في غزوته الأولى لمصر سنة ٣٠١هـ. نجح في القبض على أولئك اللصوص واسترد منهم الكتب التي سلبوها. فلما سمع المهدي بالأمر، استخفه الفرح وصاح قائلاً: إن استرجاع هذه الكتب هو في ذاته فتح من الفتوح «وهذه النادرة أوردها بإيجاز ابن الأثير»[3].

حاشية [٢٧]: المتنبي طبعة ديتريصي[4] (ص٦٩٥) ورد بها البيت على النحو الآتي:

من علم الأسود المخصي مكرمة　　أقومه البيض أم آباؤه الصيد

حاشية [٢٨]: أول هذين البيتين لم يرد في الجندي، ولم أعثر عليه في موضع آخر، وكلمة أسما مشتقة من فعل وسم الذي يبدأ به البيت الأول، ومعناه أحدث علامة، وقد تكون ذات صلة بالفعل سما أي ارتفع،

---

(١) الكامل: ٨/٢٤؛ خطط: ١/٣٥٠.

(٢) De Goeje: Memoires Sur les Carmates du Bahrain et les Fatimites. (ليدن: ١٨٦٨)

(٣) الكامل: ٨/٣٠.

(٤) ورد هذا البيت في القصيدة التي ذكرها المتنبي في يوم عرفة من سنة خمسين وثلاثمئة، وذلك قبل مسيره من مصر بيوم واحد.
وجاء بعد هذا البيت في نفس القصيدة قوله:
أم أذنه في يد النخاس دامية　　أم قدره وهو بالفلسين مردود
راجع القصيدة في ديوان أبي الطيب المتنبي: ٤٨٥ ـ ٤٨٧ النسخة التي أخرجتها لجنة التأليف والترجمة والنشر احتفالاً بالعيد الألفي للشاعر سنة ١٣٦٣هـ. / ١٩٤٤م. تصحيح وتعليقات الدكتور عبدالوهاب عزام.

أو بكلمة سماء، أو بكلمة اسم. ذكرنا شيئاً عن بلقيس في حاشية (٤١)[١].

حاشية [٢٩]: حدث هذا كما جاء في كل من الخزرجي وابن خلكان في سنة ٤٥٣هـ. ويضيف الجندي أن رسل الصليحي كانوا: أحمد بن محمد والد السيدة (أروى) الذي قتل بعدن بسبب تداعي منزله وانهياره، وذلك حين كانت ابنته لا تزال في دور الطفولة، وكان رسوله الآخر هو أبو سبأ أحمد بن المظفر، والد السلطان سبأ بن أحمد. وذكر الجندي بعد ذلك: أن الصليحي أرسل إلى الخليفة المستنصر هدايا ثمينة تشتمل على: سبعين سيفاً مقابضها من العقيق[٢]. وبعد أن ذكر الخزرجي

---

(١) هذان البيتان من قصيدة عمرو بن يحيى الهيثمي (وليس أسعد كما قال عمارة / كاي: ١٦)، لأن هذا الشاعر له عدة قصائد في سلاطين وأمراء الصليحيين ذكرها صاحب العيون: ٩٦/٧، ٩٨ وغيرها، وذكر أن اسمه عمرو، وهو شاعر السلطان علي الصليحي زوج السيدة الحرة أسماء بنت شهاب، التي توفيت سنة ٤٦٧هـ في عهد ابنها الملك المكرم أحمد (والتي قيلت فيها هذه القصيدة مطلعها: حشمت بيضاء الأنامل حشما وليست حشمت ببيض الوامل حشما، كما في الأصل والتصحيح من هامش عمارة / كاي: ١٦). والبيتان اللذان يشير إليهما (كاي) وردا في كتاب «أخبار الدولة المنقطعة» ورقة: ٦٩؛ وذكر الأزدي (سمة) بدلاً من (سنة) التي جاءت في البيت الأول).

ومن فضائل السيدة أسماء ذكر المؤرخون: «كانت أسماء من أعيان النساء... وكان يثق بها زوجها ثقة تامة لكمالها، فوكل إليها أمر تدبير الدولة، ولم يخالف في أغلب أمورها، ويجلها إجلالاً عظيماً. وكانت إذا حضرت مجلساً لا تستر وجهها عن الحاضرين، وكانت من حرائر النساء» هذا ما ذكره الأزدي ورقة: ٦٩. وقال ابن الجوزي: (مرآة الزمان: ١/١٢، ورقة: ٨٨ب): «وكان يخطب لها على المنابر، فيخطب أولاً للمستنصر، ثم لعلي الصليحي، ثم لزوجته، فيقول: اللهم وأدم أيام الحرة الكاملة السديدة كافلة المؤمنين». وقال الخزرجي (كفاية ٤٩): «وكان فيها من الكرم والحزم والتدبير ما لم يكن في أحد من نساء زمانها». هذا خلاف ما ذكره عنها عمارة / كاي: ١٦، (الصليحيون: ٦٧).

(٢) وذكر ذلك صاحب الكفاية ٤٨؛ كشف: ٤٣؛ ويقول إدريس: (عيون: ٦٦/٧ ـ ٧٢) عن هذه الهدية: «هدية.. عظيمة القدر، لم يسمع بمثلها، كما ذكر أهل السير فيها ـ فنون كثيراً ـ من الذهب والسلاح والوشي، والمسك والعنبر والكافور والعود الهندي الرطب والأستاذين والجواري وكثير من الأمتعة. يبعد حصرها، ويعظم أمرها» فلما=

أن الصليحي أعلن الطاعة للخليفة الفاطمي المستنصر بالله يمضي قائلاً: بأن الصليحي رفع رايته على جبل مسار[1] حيث آزره أقوام من قبائل سنحان ويام وجشم وهبره. وتقدم جيش كبير لمقاتلته يقوده جعفر بن الإمام القاسم بن علي الذي ذكرنا من أمره فيما سلف، كما يقوده رجل يسمى جعفر بن العباس، وكان شافعياً يجله الناس إجلالاً عظيماً في الجهات

= انتهت الهدية إلى أسوان أخذ سلطان العرب أخو ابن حمدان ناصر الدولة في شحن الهدية في المراكب ثلاثين يوماً، يظل راكباً فيها من الصباح إلى المساء ونقلت الهدية إلى القاهرة، ثم إلى قصر المستنصر بالله. وأنزل الخليفة الرسولين منازل الإكرام. وقدمت إليهما الكسا والتشريفات، وأمر للصليحي برايات، وكتب له الألقاب، وعقد الولاية على جميع اليمن (عيون: ٦٨/٧).

(١) لما شاع الخبر بأن الصليحي يستعد للثورة والقتال، وذلك سنة ٤٣٩هـ، ازداد تحرش الأعداء بأمر دعوته وأتباعه، فوثب ابن جهور صاحب لهاب (صفة: ٦٨، ١٠٥ في حراز)، على من كان بناحيته من الصليحيين، وأسر القاضي لمك بن مالك الحمادي، وعدداً كبيراً منهم، فضاق الأمر على الصليحي، ورأى كما حكاه إدريس (عيون: ٢/٧ - ٤) في منامه أن الإمام يقول له: «ستملك جزيرة اليمن برها وبحرها ونجدها وغورها». فشد ذلك من عزمه وعزم أتباعه، وجد في الاستعداد لتنفيذ خطته فأرسل إلى أهل دعوته يحثهم على الوصول إليه، واشترى العدة واللبابيد، فخف لمقابلته كبار أهل دعوته من أهل نواحي حراز. أما عمن وصله من أهل دعوته، فقد ذكر أسماءهم وأسماء قبائلهم صاحب العيون (٤/٧ - ٥)؛ راجع «الصليحيون: ٧٣». وقد استقر رأيهم جميعاً على الأخذ بأسباب الاستعداد، فجمعوا ما استطاعوا من العدة، وتواصوا ببذل النفوس والأموال في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله وطاعة الإمام (عيون: ٥/٧ - ٦). ولما استكمل استعداده طلع جبل مسار وملكه في شهر جمادى الأولى سنة ٤٣٩. وبعد يومين من طلوعه وصلت الرسل عائدة من القاهرة تحمل جوانب المستنصر يأذن له بإقامة الدعوة باليمن، فسر ذلك الصليحي وأتباعه (عيون: ٨/٧)، وما لبث أن أخذ نفوذه يزداد، وشأنه يرتفع بفضل اعتماده على تأييد الإمام (نفسه) ٨/٧؛ (كشف: ٤٢)، ثم وصلته الشيعة من أنحاء اليمن، وجمعوا له أموالاً جليلة (كفاية: ٤٧). ولم يمض شهر على احتلاله الجبل حتى بناه ودربه وحصنه وأتقنه (نفسه). ثم كتب الصليحي كتاباً أمر بيثه في جواب حراز (نصه ملحق ١).

أما بخصوص حروب الصليحي مع جعفر بن الإمام القاسم العياني وجعفر بن العباس الشاوري. فبعد قتل الأخير وتفرق أتباعه اضطر الشريف جعفر أن يهرب وينجو بنفسه (عيون: ٩/٧؛ الصليحيون: ٧٨).

الغربية من أعالي اليمن. ومضى مصاحباً لجعفر بن القاسم على رأس ثلاثين ألف مقاتل. ولكن الصليحي هاجمه في شهر شعبان من نفس السنة، فقتل مع عدد كبير من رجاله وتفرق جيشه، ثم ارتقى الصليحي جبل حضور واستولى عليه، وفتح حصن يناع[1]. وجمع ابن أبي حاشد جيشاً وحارب الصليحي في موقع يقال له: صوف[2] وهي قرية بين حضور وبئر بني شهاب، فقتل ابن أبي حاشد مع ألف من رجاله، وأصبح اسم هذه الموقعة يضرب به المثل في اليمن فيقال: يوم صوف. ومضى الصليحي إلى صنعاء وملكها. وخضعت اليمن بأسرها له جبالها وسهولها. إلخ (كما في عمارة).

وفي الصحيفة ٤٨ من الخزرجي[3] يقول: إن الصليحي أخضع البلاد كلها من مكة إلى حضرموت، غير أن صعدة استعصت عليه بعض الوقت، وكان يحكمها خلفاء الناصر أحمد، ومع ذلك فقد أفلح الصليحي في قتل القائم منهم والاستيلاء على البلدة، وأظهر الدعاء إلى المستنصر بالله معد بن

---

(١) حصن حضور (صفة: ١٠٦)، وحصن بتاح بدلاً من يناع (التصحيح من تاريخ عدن ١٥٩/٢). بعد ذلك حارب الصليحي أبا النور ابن جهور صاحب حصن لهاب واضطره في النهاية إلى تسليم نفسه (الصليحيون: ٧٩).

(٢) هادف الصليحي السلطان يحيى بن إبراهيم الصحاري (في كفاية: ٤٧) قال: توفي السلطان يحيى بن أبي حاشد (هذا في أول سنة أربعين وأربع مئة)، صاحب صنعاء. ولما توفي هذا السلطان أرسل الصليحي بعض أصحابه وبني عمه إلى صنعاء لتعزية أبي حاشد في أبيه، لكن هذا اعتبر ذلك تدخلاً من الصليحي في أموره، وساءت العلاقات بين الطرفين ودارت موقعة صوف (وهي قرية بين حضور وبني شهاب)، انتهت بقتل صاحب صنعاء هو وألف من أتباعه (أنباء / دار: ٣٩) واستولى الصليحي على صنعاء: «ورأى الناس من عدله وفضله وحسن سيرته ما ألف له القلوب، وأرغم له أهل النخوة والمكابرة» (عيون: ١٥/٧). لكن استيلاء الصليحي على صنعاء أثار الإمام أبا الفتح الناصر الديلمي (اتعاظ: ١٣؛ اتحاف المهتدين: ٥١؛ كاي: ٣٠٣؛ عيون: ١٣/٧؛ المقتطف: ١١١)، فاتصل بنجاح صاحب تهامة وطلب منه المساعدة على إخراج الصليحي من صنعاء، ودارت الحرب بين الصليحي والإمام سنة ٤٤٠، وانتهت بقتل الإمام ونحو سبعين رجلاً من أتباعه بنجد الجاح ببلاد رداع، ومثل به، فحمل رأسه إلى صنعاء ودفنت.

(٣) الكفاية: ٤٧.

الظاهر العبيدي، فلما ظهر عيار، وكان معه فيه قوم من سنحان ويام وجشم وهبره، حضره ابن الإمام القاسم بن علي المذكور أولاً في جمع كثير، ورجل يسمى جعفر بن العباس الشافعي المذهب، كان رجلاً مجاباً في مغارب اليمن الأعلى، فسار مع جعفر بن القاسم في ثلاثين ألفاً، فأوقع الصليحي بجعفر بن العباس في محطته في شعبان من السنة المذكورة فقتله. وقتل من أصحابه جمعاً كثيراً، فتفرق الناس عنه، ثم طلع جبل حضور فاستفتحه وأخذ حصن بتاح، فجمع له ابن أبي حاشد جمعاً، فالتقوا بصوف، وهي قرية بين حضور وبئر بني شهاب فقتل ابن أبي حاشد، وقتل معه ألف رجل من أصحابه، وبهذه البقعة يضرب المثل في اليمن، فيقال: قتلة صوف. ثم سار الصليحي إلى صنعاء فملكها، فطوى اليمن طياً، سهله ووعره.

حاشية [٣٠]: هذه المواضع كلها: الزرائب[١] وجبلا عكاد والعكوتان[٢] ذكرها ياقوت الذي أورد الأسطر التي جاءت في مخطوطتنا، ولكنه يضيف شيئاً جديداً عما جاء به عمارة، فيما عدا قوله بأن الجبال تطل على زبيد، وهذا واضح الخطأ. فقد ذكر عمارة أن هذه الجبال تقع في بلاد ابن طرف، أو بعبارة أخرى في بلاد بني حكم، وهي القبيلة التي ينتمي إليها عمارة. وبدلاً من أن يكتب ياقوت عكاد بفتح العين وعدم تشديد الكاف كما جاء في القاموس وتاج العروس، يكتبها بضم العين وتشديد الكاف[٣].

---

(١) هي من أعمال ابن طرف، وفيها دارت موقعة بين الصليحي والعبيد (بنو نجاح) سنة ٤٥٠، وكان جيش الصليحي من ٢٧٠٠ فارس وجيش العبيد من عشرين ألفاً. وفيها دارت الدوائر على العبيد، ولم يبق منهم إلا ألف التجؤوا إلى جبل يعرف بالعكوتين (الصليحيون: ٨٣ ـ ٨٤).

(٢) في عيون: ١٤/٧ قال: «العكوتان جبلان منيعان لا يطمع في حصارهما. وقال الراوي: وجبلا عكاد فوق مدينة الزرائب». وهما في وادي بيش شمال صبيا، (راجع هامش (١) ص٨٤ الصليحيون).

(٣) وجبلا عكاد فوق مدينة الزرائب، وأهلها باقون على اللغة العربية من الجاهلية إلى اليوم، وهم أهل قرار لا يظعنون عنه ولا يخرجون منه. (ياقوت: ٢٠٥/٦).

حاشية [٣١]: سنة ٤٥٩هـ. هي السنة التي ذكرها الخزرجي وابن الأثير. ويتبين لنا من مقارنة التواريخ أن موت الصليحي لا بد أن يكون قد وقع في سنة ٤٧٣هـ.[١] كما أوضح ذلك عمارة في موضع آخر، فضلاً عما جاء في هذه الفقرة، وكما ذكر ابن خلكان والجندي. ويبدو أن من المرجح أن الكلمات التي وردت في نصنا هذا، والقائلة بأن سنة ٤٥٩هـ. هي التي وقع فيها الحادث، وأنها رواية صحيحة، يبدو أنها من عمل الناسخ، ولكن الخطأ يقع بسبب الخلط بين هذا الحادث وحملة سابقة على مكة قد دبر مشروعها سنة ٤٧٣هـ.[٢].

---

(١) الواقع أن المؤرخين اختلفوا في السنة التي قتل فيها السلطان علي بن محمد الصليحي فقال بعضهم: إن قتله كان سنة ٤٧٣هـ. ومنهم أصحاب (كشف: ٤٤، عمارة / كاي: ١١؛ مسالك ورقة: ١٩٧؛ سلوك ورقة: ١٨٣). وقال بعض آخر في كتبهم: (عيون: ٨٨/٧؛ الكفاية: ٨٣ السجلات المستنصرية) أن قتله كان سنة ٤٥٩هـ. ونحن نرجح الرأي الأخير لأن مراجع الدعوة الفاطمية اليمنية التي بين أيدينا تؤيد ذلك. ففي السجل رقم: ٤٠ المؤرخ في شعبان سنة ٤٦٠ الذي بعثه المستنصر إلى الملك المكرم بن السلطان علي الصليحي تعزية الخليفة الذي يظهر أسفه الشديد على وفاة السلطان علي، وفيه نادى بالمكرم ملكاً لليمن بعد أبيه. وجاء في السجل رقم ٤٢ المؤرخ في جمادى الثانية سنة ٤٦١هـ. الذي أرسله المستنصر إلى المكرم على يد القاضي لمك بن مالك الحمادي «إن المستنصر خلع على المكرم لقب أمير الأمراء» وبهذا يكون ما زعمه (كاي) في هذه الحاشية من أن قتل الصليحي كان سنة ٤٧٣. بعيداً عن الصواب.

(٢) الواقع أن فتح الصليحي لمكة. كان سنة ٤٥٤هـ. استجابة لرغبة الإمام المستنصر، وقد أجمعت المراجع السنية على أن وصول الصليحي لمكة كان سنة ٤٥٥هـ. (أنباء / دار: ٤٠)؛ اللطائف ورقة: ١٧؛ قلادة: حـ٢ ورقة: ٦٠٠؛ شفاء الغرام: ٢٥٢؛ مرآة الزمان ٢ / القسم الأول ورقة: ٨٨ب؛ تحفة الكرام ورقة: ١١١٨أ؛ خلاصة الكلام: ١٨). وانفردت المراجع الإسماعيلية: (عيون: ١٩/٧؛ مجموع المكاتبات؛ السجلات) بقولها بأن هذا الحج (الفتح) كان سنة ٤٥٤هـ. وإننا نرجح الرأي الأخير لأن سجل الخليفة المستنصر إلى السلطان علي بعد عودته من مكة يثبت ذلك. فقد ذكر ذلك في إدريس (عيون: ٢٢/٧ ـ ٢٣)؛ في السجلات.

وأما عن حسنات الصليحي في البلاد المقدسة فإنه لما انتهى من فريضة الحج أخرج من الأموال والصدقات للبيت وإقامة حرمه ما يفوق حد التصور (عيون: ١٩/٧)، وعامل الناس بالحسنى وأظهر العدل والإحسان، وعمل على استمالة الناس إلى جانبه بما امتلك من الأموال (سجل رقم٧). فطابت قلوبهم ورخصت الأسعار وأمنت الحاج أمناً لم يعرف مثله من قبل، حتى إنهم كانوا يعتمرون ليلاً ونهاراً وأموالهم محفوظة=

وابن خلدون في الفصل الذي عقده عن تاريخ أمراء مكة الهاشميين (طبعه بولاق ٤ / ١٠٣). يقول، كما قال في تاريخه عن اليمن أن حملة سنة ٤٧٣ أعدت بأمر الخليفة الفاطمي، وكان هدفها إعادة السليمانيين إلى سابق نفوذهم بدلاً من أبي هاشم محمد بن جعفر الذي خلع طاعة الفاطميين، وأعلن خضوعه للعباسيين.

وذكر ابن الأثير في تاريخه أن الصليحي تغلب على مكة في سنة ٤٥٥هـ، ولهج الناس بحمده، لتوطيده النظام بالبلدة، واتخاذه الإجراءات لاستيراد الأطعمة، وبسط حمايته على الحجاج، وتأمينه لهم، وقد كسا الكعبة بكساء أبيض من حرير الصين، وأعاد إليها ذخائرها. ومضى ابن الأثير قائلاً بأن هذه الذخائر كان قد حملها الحسنيون إلى اليمن، فاشتراها منهم الصليحي (مكة ص٦٢ وما بعدها بقلم سنوك هوجرون). ويلاحظ أن الصليحي نصب أبا هاشم محمداً حاكماً على مكة[1].

= ورحالهم محروسة (تحفة الكرام ١٨٨). ورد بني شيبة عن أعمالهم وأفعالهم مع الحاج، ورد إلى البيت من الحلي ما كان بنو الطيب الحسنيون قد أخذوه لما ملكوا بعد شكر، وكانوا قد عروا البيت والميزان (مرآة الزمان: ١/١٢ ورقة: ٨٨). وكسب بحسن سياسته رضا الإمام. وثقة الكثير من أهالي البلاد الإسلامية، لما قدمه من خدمات لحجاج المسلمين عامة، وما قام به من كسوة الكعبة بالديباج الأبيض (المتقي: ٥٤)، وما جلبه من الأقوات إلى أهالي هذه البلاد. فلهجت الألسن بالدعاء له في كل مكان (عقد الجمان: بين سنين ٤٢١ ـ ٤٥٤ ورقة: ٢٢٦).

بقي الصليحي في مكة حتى يوم عاشوراء سنة ٤٥٤، يخطب للمستنصر في الحجاز، ويعيب على العباسيين إهمالهم لشؤون الدين، وفي هذه الأثناء اتصل به الأشراف الحسنيون المغلوب على أمرهم. فأقام على البلد واليها السابق محمد بن جعفر. وأعطاه مالاً وسلاحاً، وعاد إلى صنعاء. (الصليحيون: ٨٨ ـ ٩٢).

(١) لم يعمل هذا الأمير طوال عهده (٤٥٣ ـ ٤٨٧) على تنظيم الأمور في الأراضي المقدسة وإقرار الأمن به بالرغم من المساعدات المادية التي كانت ترد له من الخليفة العباسي أحياناً. ومن الخليفة الفاطمي أحياناً أخرى. بل أساء السيرة فيها. وأصبح الحاج في أواخر أيامه لا يأمنون على أنفسهم (الكامل: ٨٣/١٠). كذلك لم يبد من هذا الشريف ما يشعر برغبته في الاستقلال عن الخلافتين. بل دان لكل منهما بالطاعة في فترات متقاربة حتى وصفه أبو المحاسن (النجوم الزاهرة: ١٤٠/٥) بأنه كان متلوناً تارة مع الخلفاء العباسيين. وتارة مع المصريين الفاطميين (الصليحيون: ٩٢ ـ ٩٣).

حاشية [٣٢]: يمكن أن تترجم كلمة أحول بمعنى (حاذق أو داهية)، ولعل هذا المعنى هو ما أراده اليمنيون عندما أطلقوها على سعيد بن نجاح[١].

حاشية [٣٣]: أمدنا الخزرجي هنا بنماذج من نظم علي الصليحي تدل على ملكته الشعرية، وهذه النماذج واردة في ترجمة البارون دي سلان لكتاب ابن خلكان[٢].

حاشية [٣٤]: انظر وصف لين بول لدينار عمران بن محمد، بفهرست المسكوكات بالمتحف البريطاني، ويرجح أن الكلمة التي يصعب

---

(١) أثبتنا في هامش (١) ص٢٧٠ أن السلطان علي الصليحي قتل سنة ٤٥٩هـ. على يد سعيد الأحول والعبيد. ونظراً لأن سعيد الأحول قد أسر أسماء بنت شهاب زوجة الصليحي، وأن هذا الأسر استمر سنة كاملة. فيكون وصول الخطاب من أسماء إلى ابنها الملك المكرم، كان في سنة ٤٦٠هـ. في شهر صفر كما حكاه إدريس (عيون: ٩٧/٧). وفي كفاية: ٥٠ قال: «تلطفت (أسماء) إلى رجل مشرقي فرمت إليه برغيف وفيه كتاب لطيف إلى ابنها المكرم». والمكرم هو ابن السلطان علي الصليحي تولى حكم بلاد اليمن بعد قتل أبيه في المهجم سنة ٤٥٩هـ. وكان ضخماً شجاعاً، هماماً، وفارساً مقداماً، وذلك كما حكاه صاحب القلادة (جـ٢ مجلد٢ ورقة: ٦٢٧). وقد منحه الخليفة المستنصر لقب المكرم سنة ٤٥٦ (عيون: ٧٦/٧). (الصليحيون: ١١٣ - ١٤١).

(٢) وقد ذكر بامخرمة (قلادة: ٢/٢ ورقة: ٦٠١): «أن الصليحي كان يتذوق الشعر، وقد روي عنه بعض الأبيات فقال في مناسبات منها:

أنكحت بيض الهند سمر رماحهم فرؤوسهم عوض النثار تثار
وكذا العلا لا يستباح نكاحها إلا بحيث تطلق الأعمار

ويروى أيضاً أن الملك علي الصليحي قال في وراخ الحصن المشهور:

ما اعتذاري وقد ملكت وراخا عن قراع العدا وقود الرعال

وكانت له نفس طموح، فأنشد على لسان حاله:

وألذ من قرع المثاني عنده في الحرب ألجم يا غلام وأسرج
خيل بأقصى حضرموت مجالها وصهيلها بين العراق ومنبج

وكان الصليحي فوق ذلك عالماً وفقيهاً مستبصراً في علم التأويل» (عمارة / كاي: ١٤، ١٥)، كما كان خطيباً ممتازاً، (انظر خطبته في أهل حراز (الصليحيون: ١١٢).

قراءتها بسبب خفاء حروفها هي كلمة (ملكي)[1].

حاشية [٣٥]: ذكر عمارة أن المكرم حين اتخذ ذا جبلة[2] مقراً لإقامته، عين أسعد[3] بن شهاب على صنعاء ومعه عمران بن الفضل[4]،

---

(١) ومما لا شك فيه أن الملك المكرم سك الدينار لأنه وجد أن عدم توحيد العملة في البلاد يدعو إلى اضطراب النقد، وكانت الدنانير المستعملة قبل ذلك إما سعيدية (نسبة إلى سعيد الأحول)، أو عثرية (نسبة إلى بلدة عثر شمال زبيد) وغيرها (أنباء / دار: ٤٠)، وكان هذا يدعو إلى المضاربة بين قيمة العملة المستعملة المتعددة وإلى التعقد في التعامل ولا سيما في التجارة. ثم إن المكرم يحتمل أنه قد طلب إلى الناس وجوب التعامل بهذه العملة الجديدة، إما رغبة في إزالة مظاهر سيادة الدول التي سبقته في حكم هذه البلاد، وأنه حمل الناس على استقبال عهد جديد له سياسته ونظمه وأهدافه، وإما أن يكون قصد من ذلك أن يحمل الناس على بيع ما عندهم من عملة قديمة بأثمان رخيصة فيعود ذلك على مالية الدولة بالربح (الصليحيون: ١٤٠).

(٢) اختط السلطان عبدالله بن محمد الصليحي في سنة ٤٥٧ مدينة ذي جبلة بمخلاف جعفر بأمر أخيه الملك علي بن محمد الصليحي (عيون: ١٢٢/٧). وتسمى مدينة النهرين لأنها مدينة بين نهرين كبيرين جاريين في الصيف والشتاء. ولما انتقل إليها المكرم اختط فيها دار العز الثانية في ذي بور، (الأولى اختطها السلطان عبدالله بن محمد الصليحي) وهي مطلة على النهرين وعلى الدار الأولى، وقال عبدالله بن يعلى الصليحي في وصف ذي جبلة:

هب النسيم فبت كالحيران ... شوقاً إلى الأهلين والجيران
ما مصر! ما بغداد! ما طبرية! ... كمدينة قد حفها نهران
خدد لها شام وحب مشرق ... والتعكر السامي الرفيع يمان

وأمرت الملكة أروى ببناء الدار الأولى مسجداً جامعاً، وهو المسجد الجامع الثاني، وبه قبر الملكة أروى إلى الآن (عمارة / كاي: ٣٠).

(٣) الواقع أن المكرم ولى على صنعاء أبا السعود بن أسعد بن شهاب، وأما ما جاء في كفاية ٧٣؛ أنباء / دار: ٤٢؛ قرة ورقة: ٢٤، وغيرها من المراجع من أنه ولى أسعد بن شهاب، فهو يخالف الحقيقة، ذلك لأن أسعد بن شهاب كان قد توفي سنة ٤٥٦ في عهد الملك علي الصليحي (عيون: ٧٧/٧).

(٤) ويلتقي نسبه مع الصليحيين في جشم الأوسط، وقد اختارت همدان حفيده السلطان حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي بأمر صنعاء سنة ٥٣٣، وملكها بعده السلطان علي بن حاتم، وضربت بأسمهما السكة وأقيمت لهما الخطبة (الصليحيون: ١٣٧ / هامش ٥، ١٣٨ هامش ٢). وقد قتل عمران بن الفضل في=

ونحن نعلم من الجندي أن أسعداً بعد قتل سعيد[1] بن نجاح نقل من صنعاء إلى زبيد، وفي نفس هذه السنة حدث أن طرده جياش، ومن العسير أن نحدد الفترة التي حكم فيها المدينة أسعد بن عراف[2]، ويلاحظ أن كتابنا في هذه النقطة على جانب كبير من الخلل والاضطراب.

حاشية [٣٦]: أورد ياقوت في معجم البلدان ما ذكره عمارة عن أصل اشتقاق كلمة ذي جبلة[3]، ولكن يبدو من طبعة فستنفلد لياقوت أن المؤلف أخطأ أو أن الخطأ وقع من النساخ، وبذلك اضطرب معنى الفقرة، وهي كما يلي: «كان يبيع الفخار في الموضع الذي بنيت فيه الحرة الصليحية[4] دار العروبة وسميت باسمها».

= موقعة الكظائم ٤٧٩هـ، قتل بطعنة من الشريف يحيى بن حمزة الذي كان يساعد العبيد ضد العرب، ويقول إدريس: (نزهة: ١/٦٣): «إن أحمد بن عمران بن الفضل خرج ومعه أخاه الحسين يطلبان بثأر أبيهما. فنزلا بتهامة وتعرفا على الإمام فقتلاه انتقاماً لقتل أبيهما، وقد أيد هذا الخبر صاحب الأنباء / دار: ٤٣».

(١) كان سنة ٤٦١، وفي عهد الملك المكرم، وذلك كما حكاه إدريس (عيون: ٧/١١٢)؛ (نزهة: ١/٥٣ ـ ٥٤)، ولم يكن سنة ٤٨١ كما قال عمارة: ٣٨؛ أنباء / دار: ٤٢؛ قرة ورقة: ١٢٤ (الصليحيون: ١٣٠ ـ ١٣٢).

(٢) الوضع بالنسبة لزبيد هو أنه في سنة ٤٥٥هـ دخلت في حوزة الصليحي، وتولاها من قبله أسعد بن شهاب، وخلفه الأمير الأعز محمد بن علي الصليحي بعد وفاة خاله أسعد سنة ٤٥٦، وبقي والياً على زبيد حتى توفي في شهر المحرم سنة ٤٥٨ (الصليحيون: ٩٥). وبعد قتل السلطان علي الصليحي في ذي القعدة سنة ٤٥٩، عادت زبيد إلى الأحباش العبيد حتى فتحها الملك المكرم سنة ٤٦١، بعد قتل سعيد الأحول كما سبق أن ذكرت ذلك في الحاشية السابقة، وقبل أن يغادر المكرم زبيد لمطاردة جياش بن نجاح، ولى عليها السلطان أبا حمير سبأ بن أحمد المظفر الصليحي، ثم عندما وصل المكرم الهجر في صبيحة الجمعة ٢٨ شوال سنة ٤٦١ سمع بأن جياشاً هرب إلى الهند، فترك المكرم الهجر بعد أن ولى عليها علياً ومحمداً ابنا مالك بن شهاب الصليحي (الصليحيون: ٩٥، ١٣٢). ثم تولى أمر زبيد ـ بعد سبأ ـ أسعد بن عراف، وهو الذي طرده جياش. ولم أتبين المدة التي تولى فيها أبو السعود بن أسعد بن شهاب وعمران بن الفضل أمر زبيد، لتضارب كتابات المؤرخين في هذا الموضوع.

(٣) حاشية: ٣٥ هامش (١).

(٤) وقد اشتهرت باسم (سيدة)، والواقع أن اسمها (أروى)، وقد ذكر ذلك عمارة /=

وقد أسيئت قراءة عبارة «دار العروبة» فغدا واضحاً تعذر انتهاء الجملة بكلمة (وسميت). ولذلك أخذ الكاتب على عاتقه بسبب عادة شائعة لسوء الحظ بأن يضيف من نفسه، على مسؤوليته كلمة (باسمها)، فضلاً عن أنه أضاف حرف عطف بعد كلمة (به)، وبذلك تورط دون أن يشعر بوقوعه في خطأ، بينما كان يحاول التخلص من آخر. ويقول ياقوت: «إن ذا جبلة تقع في أصل جبل صبر»، وهو خطأ يبدو أيضاً في جغرافية ابن سعيد، لكن الموضع ليس في الحقيقة سوى ذلك الذي ظهر في خريطة نيبهر وما تلاها من خرائط في الجنوب الغربي من إب.

حاشية [٣٧]: يقول الجندي: إن المكرم توفي في بيت يونس أو في حصن أشيح في سنة ٤٨٤هـ. أو سنة ٤٨٠هـ أو في سنة ٤٧٩هـ، والسياق هنا، وفي مواضع أخرى من كتابنا يبين أن المكرم كان على قيد الحياة سنة ٤٨١هـ[١]. ويذكر لنا نفس الكاتب أنه على الرغم من نجاح سبأ في تقلد وظيفة الداعي[٢] (وهي وظيفة لا تتقلدها امرأة قط) فقد احتفظت

= كاي: ١٦، ويؤيد ذلك ما ذكره صاحب العيون: ٢٠٣/٧ ـ ٢٠٤؛ والظاهر أن لفظه (سيدة) لقب للملكة، وليس اسماً لها، ولكنه أطلق عليها بكثرة استعماله لها. كذلك وقع اختلاف في اسم جدها الأعلى، وروى عمارة / كاي: ٢٨ أنها ابنة أحمد بن جعفر بن موسى الصليحي، واتبعه المؤرخون الآخرون في هذا ببعض الاختلاف، كما جاء في رواية الجندي والخزرجي: أنها ابنة أحمد بن محمد بن جعفر (نفسه ص٢٨). انظر أجدادها كما في رواية العيون: ٢١٨/٧، ٣١٩، ٢٢٣ (الصليحيون ـ الباب السادس: ١٤٢ وما بعدها...)؛ والملكة أروى سيدة ملوك اليمن.

(١) وقد اختلف المؤرخون في وفاته، فزعم بعضهم أنها كانت سنة ٤٨٤هـ (كفاية: ٥٣؛ قرة ورقة: ٢٤؛ عمارة / كاي: ٣١؛ قلادة: ٢/٢ ورقة: ٦٢٨؛ اللطائف ورقة: ٢٠). وقال إدريس إن وفاته كانت سنة ٤٧٧، وقد أثبت روايته السجل المستنصري الموجه إلى الملكة الحرة المؤرخ في شهر ربيع الأول سنة ٤٧٨هـ (سجل رقم ٤٨)، مما يدل على أن الملك المكرم قد توفي في نهاية سنة ٤٧٧هـ، وأن المستنصر أرسل عزاءه الشخصي مع الأمير أبي الحسن جوهر المستنصري، كما جاء في السجل المؤرخ في شهر ربيع الآخر سنة ٤٧٨هـ (سجل رقم ٤٦) أن المستنصر أمر بإرسال كافة المراسلات إلى علي بن المكرم بعد وفاة المكرم.

(٢) الواقع أنه بعد وفاة الملك المكرم سنة ٤٧٧هـ نشأ خلاف بين أنصار الدعوة الفاطمية=

السيدة بالسلطة الكاملة في يدها أو السلطة الزمانية على أملاك زوجها.

حاشية [٣٨]: يضيف الجندي ما يلي (انظر أيضاً الخزرجي)، ومنه يبدو أن ثمة فقرة محذوفة في المتن الذي نحن بصدده. قال عمارة: لما قام ابن القم[1]

= في اليمن، فنادت جماعة منهم بزعامة عبدالمستنصر (وهو علي بن المكرم من السيدة الملكة أروى)، ونادت أخرى بزعامة الداعي سبأ بن أحمد متمسكين بوصية المكرم له من بعده (عمارة / كاي: ٣١). ولكن الملكة أروى لم تعترف بهذه الوصية، وحاولت أن يكون هذا الحق لابنها عبدالمستنصر، واستعانت في تقرير ذلك وتنفيذه بالخليفة المستنصر الفاطمي في مصر، فأرسلت إليه بعد وفاة زوجها المكرم سنة ٤٧٧هـ. تطلب تعيين ابنها المذكور، فأقرها الخليفة على وجهة نظرها، وأمر بأن ترسل كل المراسلات إلى ابنها. وكلفه بالقيام بمرافق الدعوة وأمور الدولة (عيون: ١٢٩/٧). وفي ربيع أول سنة ٤٧٨هـ أرسل الخليفة المستنصر سجلا (رسالة) إلى عبدالمستنصر مع أحد الأمراء يعزيه في والده (المكرم)، ويشد أزره بالتشريف على رؤوس الأشهاد (نفسه). وأرسل الخليفة بعد ذلك عدة سجلات لهذا الملك، كانت كلها تدور حول تمكين مركزه في بلاد اليمن (الصليحيون: ١٤٨ وما بعدها). خمدت ثورة الداعي سبأ وأتباعه أمام هذا التأييد الإمامي، وكان سكوت الداعي مصابرة وإذعاناً لسياسة الأمر الواقع، وإرضاء لرغبة الإمام، فلما توفي ولدا الملكة (محمد وعلي) في سنة واحدة، عاد سبأ يطالب بحقه من جديد، وتظاهر بمحاربة الملكة في ذي جبلة ولم ينقذ الموقف إلا تدخل الإمام المستنصر بأن أمر بزواج الملكة أروى من الداعي سبأ، بناء على طلب الأخير. وعلى الرغم من عدم دخوله بها، إلا أن تدخل الإمام كان سبباً في وضع حد للنزاع بين الطرفين، لما فيه مصلحة الدعوة والدولة (الصليحيون: ١٤٥ ـ ١٥٩).

(١) هو أبو عبدالله الحسين بن علي بن محمد القم، وليس علي بن الحسين كما يقول عمارة / كاي: ٣٢، كان والده علي صاحب ديوان الخراج بتهامة، وقد ظهر شأنه في أيام الملك علي بن محمد الصليحي، ولد ابنه الحسين بزبيد، وتأدب بها، وكان يعد من فضلاء اليمن ورؤساء شعرائها (السلوك / دار الورقة: ٨٨). وقال عمارة عنه (النكت: ٥٦٧/٢): «إنه كان شاعراً مترسلاً يكتب عن الملكة الحرة بنت أحمد». وكان على صلة وثيقة بالسلطان سبأ بن أحمد الصليحي، وأقام معه بحصن أشيح (عمارة / كاي: ١٢٧)، ومدحه وأسرته بغر قصائده، وتوجد بالمتحف البريطاني أوراق منتزعة من ديوانه وشعره، وقد أورد إدريس بعض قصائده في الجزء السابع من كتاب عيون الأخبار. وكان رئيس ديوان الإنشاء عند الصليحيين، وله كتاب باسم «مجموع الرسائل» اطلعت عليه شخصياً، وموجود منه نسخة خطية بالمكتبة المحمدية الهمدانية (الصليحيون: ١٣٠ هامش ٢)، وقال ابن القم هذه أشعار كثيرة مدح فيها السلطان سبأ وأسرته منها: =

بين يدي سبأ[١] ينشد هذه القصيدة التي منها هذه الأبيات منعه من القيام ورمى له مخدة، وأمره بالقعود عليها إكراماً له، ورفعاً عن الحاضرين، ولما فرغ من الإنشاد قال له: يا أبا عبدالله أنت عندنا كما قال المتنبي:

وفؤادي من الملوك وإن كا ن لساني يرى من الشعراء[٢]

حاشية [٣٩]: السقط البادي هنا في مخطوطة عمارة يتعذر معه الاطمئنان إلى تفهم ما يعنيه المؤلف. وأحسب ما سقط ثلاث عبارات، ينم عنها البياض الذي تركته في الترجمة. لعل أولاها تشير إلى الكشف عن مؤامرة خلف[٣] وإلقائه في السجن. ولعل الثانية تتعلق بمطالب معينة تقدم

= إن صامك الدهر فاستعصم بأشيح أو أزرى بك الفقر فاستمطر بنان سبأ
ما جاءه طالب يبغي مواهبه إلا وأزمع منه فقره هربا
(عيون: ١٤٢/٧؛ نزهة: ٦١/١؛ الصليحيون: ١٥٩ ـ ١٦٠): وفيه يقول ابن القم أيضاً: (عيون: ١٤٣/٧؛ الصليحيون: ١٦٠):
وما يلتقي صدق الوداد وطاعة الـ عذول، ولا جود ابن أحمد والجدب
كريم إذا جادت فواصل كفه تيقنت أن البخل ما يفعل السحب

(١) هو سبأ بن أحمد بن المظفر بن علي الصليحي، لعب هذا دوراً هاماً في تاريخ الدولة الصليحية في اليمن (راجع ذلك في كتاب الصليحيين ١٤٨ ـ ١٦١).

(٢) ديوان المتنبي ٦٣٣ طبعة ديترصي؛ جاء هذا البيت في قصيدة هنأ بها المتنبي، كافور الأخشيدي بدار بناها بإزاء الجامع الأعلى على البركة، ومطلعها:
إنما التهنئات للأكفاء ولمن يدني من البعداء
(ديوان المتنبي: ٤٤٤ ـ ٤٤٥ طبعة القاهرة ١٩٤٤).

(٣) هو خلف بن أبي الطاهر المنسوب إلى زياد بن أبيه دعي أبي سفيان بن حرب الأموي (عيون: ١٣٣/٧). صحب جياشاً إلى بلاد الهند، وعاهده على أن يقاسمه الأمر ولقبه «قسيم الملك»، وبه رجع إلى الملك (بامخرمة: تاريخ ثغر عدن: ٧٠/٢)، وساءت العلاقة بينه وبين جياش بعد ذلك فأقصاه عنه (خريدة ورقة: ٢٧٦).
ونتيجة للمؤامرة التي رتبها خلف هذا، ذهب الأمير سبأ بن أحمد الصليحي بمجموعة إلى زبيد، وكان معه ثلاثة آلاف فارس، وعشرة آلاف راجل. وكان جياش قد أعد الجموع، واستنصر بالشريف يحيى بن حمزة بن وهاس (من أشراف تهامة عسير بالمخلاف السليماني). وهم أقارب لأشراف مكة، وذريتهم لا تزال معروفة في تهامة عسير (نزهة: ٦١/١). ومن قراهم صبيا وأبو عريش وحرض وضمد والملحا والقبة=

بها سبأ، ثم عارضها جياش، عملاً بنصيحة وزيره. ولعل الثالثة ترمي إلى رفض العرب للشروط التي عرضت عليهم، وقيامهم بمهاجمة زبيد.

ولم أعثر على ذكر لهذه الحوادث لا في الجندي ولا في الخزرجي، وإن كان الأول قد أورد الفقرة الثالثة ونقلها الخزرجي عنه بحروفها. ومن أعيان دولة الحبشة، وزير الملك جياش، وهو خلف بن أبي الطاهر ابن الأموي، كان من أفراد الدهر نبلاً، وفضلاً، وصحب جياشاً حتى زال ملكه، ودخل معه الهند، وعاهده أن الأمر إذا عاد إليه قاسمه إياه. فلما عاد

= وغيرها (الصليحيون ص١٥٢ هامش٣)، وكثير من زعماء جيوش جياش قد كاتبوا الصليحي غدراً وكيداً، فلما انتهى سبأ وفرقته إلى باب زبيد، وكان الشريف وغيره كمنوا مع جياش كمينا، فظهروا على الناس بغتة ووقعت بينهم موقعة الكظائم (كذا في نزهة: ٦٢/١؛ عيون: ١٣٣/٧؛ وفي رواية الأنباء / دار: ٤٣ «القضائم». ونرجح رواية العيون والنزهة، ولعل هذه الوقعة حصلت بالقرب من الكظائم التي قد تكون في نواحي زبيد، والكظائم جمع كظيمة، والكظيمة هي شبه بئر من سطح الأرض إلى مجرى الماء الذي تحت الأرض، وهذه الكظائم منتشرة في أرجاء اليمن). في يوم الجمعة الخامس من ذي الحجة سنة ٤٧٩هـ، حيث انهزم سبأ ومن معه، وقتل الأميران قيس بن أحمد (أخو الأمير سبأ) ومحمد بن مهنا الصليحيين. وحمل الشريف يحيى بن حمزة على القاضي عمران بن الفضل اليامي، ومحمد بن الفضل اليامي، فطعنه طعنة مات بسببها بعد أيام، وملك جياش زبيد، ولم يقدر العرب على أخذ تهامة بعد هذه الموقعة (عمارة / كاي: ٣٣)، برغم محاولات الأمير المفضل بن أبي البركات لاسترجاعها، وكانت هزيمة العرب في هذه الموقعة ضربة قاسية على كيان الدولة الصليحية، بل على فكرة وحدة البلاد اليمنية تحت راية العروبة. وذلك الأمر لم يتم فيما بعد بفضل مكايد الوزير العربي ونصرة الشريف للأحباش، ولم ينفع الأخير الندم بعد فوات الآونة، ذلك لأنه بعد قتل القاضي عمران أرسل الشريف يحيى إلى السلطان سبأ يعتذر عما كان من نصرته للحبشة وذلك بقوله (عيون: ١٣٤/٧):

يا راكباً جسرة كالمغارب القطم
هوى لمقاربه الكدري من أمم

إلى قوله:

وقد يعز علينا ما أصابكم	منا بغير رضا كف ولا قدم
والله يعلم أني يوم وقعتكم	لم أمس إلا على جمر من الندم
وأن فيض دم منكم كفيض دم	بكربلاء وثأر الطف لم يرم

إليه الملك استوزره، وسماه قسيم الملك، ولم يزده على هذا الاسم، ولولاه ما تم لجياش ما تم. ثم حصلت الوحشة بينه وبين جياش فهرب، فكتب إليه يستعطفه ويسأله عن أحواله. فأجابه بشعر هو:

إذا لم تكن أرضي لعرضي معزة فلست وإن نادت إلى مجيبها
ولو أنها كانت كروضة جنة من الطيب لم يحسن مع الذل طيبها
وسرت إلى أرض سواها تعزني وإن كان لا يعوي من الجدب ذيبها

حاشية [٤٠]: القرآن سورة ٣٣ آية ٣٦. في تفسير الكشاف أن هذه الآية نزلت في عتاب زينب بنت جحش، ابنة عمة النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ أعد العدة لتزويجها من مولاه زيد بن حارثة، وأدى عنه صداقها، وتم الزواج. ولم تخفِ زينب ولا أخوها سخطهما وقد غدت زوج عبد، بل طفقا يشكوان. وكانت تأمل كما قيل: أن تكون إحدى نساء النبي نفسه، ثم سرعان ما تحققت لها رغباتها، ....[1]، وأحيل القارىء إلى كتاب سير وليم موير (حياة محمد).

(١) كان العرب يحرمون في جاهليتهم الزواج بزوجة المتبنّى، لاعتقادهم بأن زوجة المتبنّى كزوجة الابن من الصلب، وهو جعل الابن المتبنّى في منزلة الابن الحقيقي، وبالتالي لا يجوز التزوج من زوجة الابن، فتزوجها الرسول إبطالاً لهذا الزعم، وقد نزل قول الله تعالى في ذلك: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (سورة الأحزاب: ٣٣ ـ ٣٧)، أضف إلى ذلك أيضاً أن الرسول قد تزوج زينب للمحافظة على سمعتها بعد زواجها بمولى. ثم إن هذا الزواج يعتبر مثلاً أعلى في الديمقراطية التي امتاز بها الإسلام، فليس أمعن في تلك الديمقراطية من أن يتزوج رسول الله بامرأة كانت بالأمس زوجة أحد مواليه. أما بخصوص زواج الملكة أروى بسبأ فالخليفة المستنصر رغبة في إقرار الوحدة بين أنصار الدولة الصليحية والدعوة الفاطمية، أمر بزواجها، وتظاهرت الملكة أروى بقبول هذا الأمر الإمامي إرضاء للإمام، ولكننا نستبعد حدوثه لأنها كانت قد استعفت من زوجها المكرم (عمارة / كاي: ١٩) عندما كانت تشاطره الحكم، أما الآن وقد أصبحت مطلعة بأمور الدولة والدعوة فإننا نستبعد حدوث الدخول بها وهذا ما يرويه (عمارة / كاي: ٣٦).

حاشية [٤١]: القرآن سورة ٢٧ آيات ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٢٢[١] وهذه العبارات قالتها بلقيس ملكة سبأ عندما تسلمت كتاباً من سليمان (عليه السلام) يأمرها فيه بأن تدين هي وقومها لسلطانه، فاستفتت بلقيس نصحاءها، وهو ما أعلنت الملكة السيدة أنها سوف لا تنسج على منواله. وقد سمع سليمان ببلقيس وزهاء ملكها من الهدهد الذي قال لسليمان إنه أتى ﴿مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾، وهي كلمات أولتها الملكة السيدة في الجملة التالية، وقد حذف عمارة عبارة: «لا تعصوني في أمري»، ولكن الخزرجي أوردها كما هي في نص آيات القرآن، والتغيير الفجائي في استعمال صيغة الجمع بدلاً من المفرد يرجع إلى التقيد الدقيق بنصوص الآيات الكريمة والآية: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ استشهد بها أيضاً في القرآن في هذا الموقف، وقد نزلت مع آيات أخرى في اليهود.

حاشية [٤٢]: يمضي الخزرجي قائلاً: «ظل (أي سبأ بن أحمد الصليحي) مقيماً في قلعة أشيح[٢] إلى وفاته سنة ٤٩٢هـ، وعند موته خرجت صنعاء والأرض المحيطة بها عن ملك الصليحيين، وظلت الملكة مقيمة في ذي جبلة إلى وفاتها في السنة التي سنذكرها فيما بعد. وقد فتح صنعاء السلطان حاتم بن الغشم[٣] الذي يتضمن كتابنا تاريخه». وقد أورد

---

(١) سورة النمل آيات: ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٢٢؛ كما ورد ذلك في عيون: ١٤٣/٧؛ أنباء / دار: ٤٣ ـ ٤٤.

(٢) من أعظم حصون الجبال في رأس جبال آنس (أنباء / دار: ٤٢)، وكانت خزائن بني المظفر في الحصن، وكان للسلطان المنصور أبي حمير سبأ الصليحي، والحصن واقع في مخلاف بني سويد، وهو على مرحلتين من صنعاء، ويسمى الآن حصن ظفار (راجع ياقوت: البلدان / أشيح).

(٣) السلطان حاتم بن الغشم المغلس الهمداني من بني المغلس، ثم من مذكر ثم من يام (عيون: ٢٣١/٧)، تولى على صنعاء سنة ٤٩٢هـ. بعد وفاة السلطان سبأ بن أحمد وذلك بمساعدة قبائل همدان له، وصارت بعده إلى ابنه عبدالله بن حاتم ثم إلى أخيه معن بن حاتم، ثم خلعته همدان وولت مكانه كلا من هشام وحماس ابني القبيب الهمداني، ثم اختارت همدان، السلطان حاتم بن أحمد (المجيدي) بن عمران بن الفضل اليامي الهمداني بأمر صنعاء وأعمالها في سنة ٥٣٣هـ، وملكها بعده ابنه=

الجندي نفس هذا التاريخ في تحديد وفاة سبأ وهو سنة ٤٩٢هـ[1]، ولكن ابن خلدون ذكر سنة ٤٨٦هـ، ويضيف الجندي ضبطه لكلمة أشيح. وفي مخطوطة عمارة بالمتحف البريطاني أشيخ بالخاء المعجمة، وقد صححتها بالحاء المهملة في النسخة المطبوعة.

حاشية [٤٣]: كان الأفضل شاهنشاه وزيراً، وحاكماً مطلقاً في الدولة الفاطمية في عهد الخليفتين المستعلي والآمر، وقد أمر الخليفة الآمر بقتله سنة ٥١٥هـ[2].

حاشية [٤٤]: الكلمات المحصورة بين المعتقفات المربعة لا بد من إيرادها لتكملة المعنى، ونستطيع أن نكملها بما يقارب الأصل من الفقرات المماثلة التي جاءت في مؤلفات الكتاب الآخرين. وهناك سقط آخر أكبر من هذا، يمكن أن نستدل عليه، ويتعلق ببعض التفصيلات المتصلة بقيام أسرة الوليد، وقد أمدنا بها كل من الجندي والخزرجي. ويقول الأخير: «ملك التعكر عبدالله بن محمد الصليحي، شقيق علي بن محمد الصليحي، وقد عين المكرم بعد وفاة أبيه وعمه عبدالله، ابن عمه أسعد بن عبدالله حاكماً

= السلطان علي بن حاتم، وضربت باسمهما السكة وأقيمت لهما الخطبة، (عيون: ٢٣١/٧). وانتصر السلطان علي بن حاتم اليامي في وقعة ذي عدينة على جيوش عبدالنبي بن علي بن مهدي الحميري نصراً عظيماً، وفر عبدالنبي إلى زبيد، فاتسعت رقعة دولة الهمدانيين على معظم اليمن الأعلى في عهد السلطان علي بن حاتم، حتى أزاله وأخاه السلطان بشر بن حاتم اليامي، الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب عن صنعاء وذمرمر وغيرها من الحصون والمعاقل (نفسه: ٢٣٢/٧).

(١) انظر أيضاً عيون: ١٦٨/٧؛ أنباء/دار: ٥٤٤، وقد ذكروا أن وفاته كانت سنة ٤٩١؛ أما صاحب الكفاية: ٧٩، فذكر أنه توفي سنة ٤٩٢ (الصليحيون).

(٢) هو أبو القاسم الملك الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي، وزر بعد وفاة أبيه، من ربيع الأول سنة ٤٨٧هـ. في عهد الخليفة المستعلي الفاطمي، وكان حسن التدبير، فحل الرأي، وهو الذي أقام الخليفة الآمر بن المستعلي في الملك بعد وفاة أبيه. ودبر دولته وحجر عليه. فدبر الآمر عليه من قتله وذلك في يوم الأحد ٢٣ رمضان سنة ٥١٥هـ. (ابن خلكان: ١٦٠/٣ ـ ١٦٢)؛ زامباور المترجم: ١٤٩/١).

على التعكر[1]». فلما ساءت سمعة أسعد، نقله المكرم إلى حصن ريمة، وعين أبا البركات بن الوليد على التعكر وما جاورها، وعين شقيق أبي البركات ـ وهو أبو الفتوح بن الوليد ـ حاكماً على حصن تعز[2]. وعلى ذلك فالمفضل كان في صدر شبابه في خدمة المكرم في ذي جبلة، وكان يسمح له بأن يكون في حضرة الملكة. وعند وفاة أبي البركات، بعد وفاة المكرم، وكلت الملكة حكم التعكر إلى ابنه خالد، فظل حاكماً عليه نحو سنتين، ثم قتله الفقيه عبدالله بن المصوع، وكان هذا الفقيه عالماً ديناً ورعاً، أظهر الولاء للأمير خالد بن أبي البركات حاكم بلدة ذي سفال[3]، ومع أنه كان سني المذهب إلا أنه لم يلق عنتاً بل وثق فيه خالد وأمر بألا يحجب عنه عند قدومه في أي وقت أراد، ولكن نفسه سولت له قتل الحاكم ـ كذلك في رأيه ـ مباح إذ هو أحد الشيعة الإسماعيلية، ولم يستشر الفقيه أحداً، ولكنه أقنع نفسه بأن العمال والخدم إذا ما وجدوه مستعداً لدفع رواتبهم وصلاتهم سوف يخضعون له دون معارضة. وقد استخدم تاجر زيت كان من عادته أن يصعد القلعة بالزيت لكي يبيع لسكانها، فملأ قربة الزيت التي يحملها بنقود من الذهب والفضة، ومضى وإياه، حتى إذا انفرد الفقيه بالأمير خالد ذبحه، وهاجه توفيقه، فصاح صيحة عالية. وعندئذ أقبل عليه أهل القلعة، فلما وجدوا الأمير مقتولاً قتلوا الفقيه[4].

---

(١) انتهز بنو نجاح فرصة انشغال جيش المكرم في إخضاع بكيل، وأغار بلال وأبو الفتوح ابنا نجاح بعساكر عديدة من العبيد وأهل تهامة على أسعد بن عبدالله الصليحي في حصن التعكر، ووقع بين الطرفين قتال شديد دارت الدائرة فيه على العبيد بذي أشرق من قرى المخلاف (ذي أشرق تابعة لمديرية ذي سفال على مقربة من جبلة ويشرف عليها من شمالها الغربي حصن التعكر)، فولوا منهزمين، وغنم أصحاب الصليحي أموالاً كثيرة، ونجا بلال وأبو الفتوح بعد أن نظرا القتل عياناً، (عيون: ٩٧/٧؛ رسائل القمي: ٥٣ ـ ٥٤.

(٢) كفاية: ٥٤.

(٣) حدد كل من نيبهر وما نزوني في خرائطهما موقع ذي سفال في الجنوب الغربي من ذي جبلة، ويضبط ياقوت كلمة سفال بفتح السين وكسرها (ياقوت: ٨٨/٥).

(٤) كفاية: ٥٤ ـ ٥٥.

ويمضي الجندي في الفقرة المماثلة من تاريخه قائلاً: «فجعلت السيدة المفضل مكانه (أي مكان شقيقه خالد). فمن وقت طلوعه تعند بالفقهاء، وأظهر عداوتهم وقبض أراضي القاتل وقومه، وهي الأملاك القديمة في ذي سفال. وهرب غالب الفقهاء عن مجاورة التعكر خوفاً من سطوته». وقد ذكر ما فعل مع أصحاب الفقيه زيد عند ذكره، وصار المفضل رجل البيت ومدبر الملك الذاب عنه، ولم تكن تقطع السيدة[1] أمراً دونه، فبذلك عظم شأنه وعلت كلمته، ولم يبق في أعيان الدولة من يساميه ولا يساويه. وغزا تهامة مراراً له وعليه، وكانت له مكارم ومفاخر، ولكنها دون مكارم سبأ المقدم ذكره، وكان المفضل جواداً ممدحاً، يقصده الشعراء من جميع الأنحاء، يمدحونه فيثيبهم على ذلك ثواباً مغنياً. وإليه قدم مواهب بن جديد المغربي[2] وامتدحه بغرر قصائده، من بعضها قوله:

يا مالك الدين والدنيا وأهلهما ... ومن بعزته الإسلام ممتسك
قد قيل جاور لتغنى البحر أو ملكا ... وأنت يا ابن الوليد البحر والملك

ومن آثاره المبقية للذكر جره للغيل من خنوة[3] إلى مدينة الجند[4]، ولقد مر به في مواضع احتفر بها طريقه، ونقر في الصفا حفراً عديدة، وأجرى الماء فيها، ثم لما جاء بين جبلين اجتاز الصناع ذلك ببناء جدار

---

(١) هي الملكة أروى ابنة أحمد زوجة الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي. (انظر الباب السادس من كتاب (الصليحيون) من ص١٤٢ ـ ٢١٢)؛ وانظر: الملكة أروى سيدة ملوك اليمن للناشر.

(٢) كفاية: ٥٥؛ وفي الأصل المعري.

(٣) خنوة: وهي من أخصب قرى اليمن، وهي شمالي الجند، ولا يزال هذا الغيل موجوداً إلى الآن (الصليحيون: ١٦٦ هامش١).

(٤) ذهب الأهدل عندما ذكر قيام سيف الإسلام طغتكين لتأسيس بلدة (. . .) سنة ٥٩٢هـ. إلى أن هذه البلدة شيدت على مسافة تقدر بمسيرة ربع يوم من جنوب الجند، ويضيف أن السلطان أحيا رخاء واديها المعروف باسم خنوة بالخاء التي صارت مأوى للحيوانات الضارية. وأنه شيد في بلدة خنوة بينمارستانا لضيافة الغرباء. ولا بد أن هذه القرية كانت تقع على مقربة من قلعة دملوة. (كاي).

طوله من الجبل إلى الجبل نحواً من مائتي ذراع وارتفاعه نحواً من خمسين ذراعاً وعرضه نحواً من عشرة أذرع، وهذا التقدير مني عن طريق التقريب، وإذا ما رأى ذلك شخص يقول: ما اقتدر على هذا الحفر إلا الجن، ولولا ثبوت ذلك، وادعاه مدع لم يصدقه. ومن ذلك ابتناؤه لمسجد الجند. وجدد بناءه من المقدم والجناحين، وأما المؤخر فبناه بعض القضاة من فقهاء المسجد. وحد بناء المفضل من المسجد الأحجار. وسقف عليها (في الخزرجي فلم تزل كذلك)، حتى جاء المهدي بن علي بن مهدي فأخر به وأحرقه على ما سيأتي إن شاء الله. ولم يزل مهدوماً حتى قدم الغز وهو على ذلك، إذ لم تطل مدة المهديين بعد ذلك ولا قبله. ثم لما قدم سيف الإسلام ابتنى ذلك، وزاد في سمك المسجد ما هو مبني الآن بالآجر، وسيأتي بيان ذلك عند ذكرهم. وقد ذكر القاضي أبو بكر اليافعي قصة الغيل في مدحه لابنه منصور لما مدحه، وجعل من جملة مدحه مدح أبيه ونبه على فعله في الغيل، وقد تشككت فيمن جرى (أجرى) الغيل حتى وجدته في شعر القاضي المذكور، وتقدم من ذلك مع ذكره ما يغني عن إعادته، ولكن أحب ذكر ما قاله في الغيل، وذلك أنه لما ذكر المفضل قال:

وأقل مكرمة له وفضيلة　　　إجراؤه للغيل في الأجناد
وكأنما كانت ثعاب وهاد[1]　　　شق الجبال الشامخات فأصبحت

وقوله شق الجبال الشامخات: دليل على صحة ما ذكرنا، وإن في ارتياب الجندي في نسبة إقامة هذه المنشآت المحفورة في الصخر من القناطر والمجاري المائية، يدلنا على أن هذا العمل قد ينسب إلى عصر أقدم مما يفترض الجندي، وأن نصيب المفضل فيه لم يكن قاصراً على إعادته، وكم

(١) الشطر الثاني من هذا البيت ورد كالآتي: ـ وكأنما كانت بعاد. والترجمة الإنجليزية لها بعيدة عن المعنى، ويحتمل أن تكون (ثقاب) ويجوز، أن تكون (ثعاب) ولكننا أثبتنا الموجود بين المعتقفين كما ورد في كتاب (الصليحيون: ٢٦٦).
تم تصحيحها بـ (ثعاب) من القصيدة للشاعر التي وردت في تاريخ عمارة تحقيق القاضي محمد الأكوع ص ٢٩٥ الهامش. الناشر.

يشوقنا أن نعرف شيئاً عن الحالة الراهنة لهذه الآثار من الرحالة المحدثين، ولا بد أنه توجد لها بقايا هامة لا تزال قائمة إلى اليوم.

حاشية [٤٥]: كتبها الخزرجي قيظان دون إعجام الياء، وكتبها ياقوت[١] قيظان، ويقول: إنها على مقربة من ذي جبلة. وقبيلة جنب تسمى أيضاً منبه[٢]. وقبائل سنحان وعنس وزبيد كلها بطون لبني مذحج.

حاشية [٤٦]: يقول الجندي: إن هذا الرجل هو ابن عم المفضل، ويضيف أن هذه هي عبارة ابن سمرة، بينما ينسب عمارة الاستيلاء على الحصن إلى رجال من بينهم عمه. ويرى الجندي أن الروايتين يمكن الأخذ بهما، أي أن الثوار قد تلقوا معاونة من شخص هو من أقرباء المفضل، كما عاونهم قريب عمارة، ويذكر الجندي أيضاً أن المفضل دفن في عزان التعكر[٣].

حاشية [٤٧]: تكلم الهمداني[٤] عن بني بحر على أنهم بطن من ربيعة التي تنتسب إليها بطون أخرى مثل بطن خولان[٥] (ربيعة بن سعد الأكبر بن خولان)، ويطلق اسم ربيعة أيضاً على قبيلة صغيرة هي بنو جنب، وجاء في الصفة أيضاً: أن بحراً بطن من الصدف، وهي الأخرى بطن من كندة سكان حضرموت. ومن سلالة مرة وعريب. وفي ص١١٢ بالصفة يذكر قبيلة أو أسرة اسمها بحر (بضم الباء وإسكان الحاء) على أنها من سلالة حمير.

---

(١) ١٩٧/٥، ١٩٧/٧.

(٢) صفة: ١١٥.

(٣) والأفضل أن نقول: إنه مات كمداً لشدة غيرته وأنفته (الصليحيون: ١٦٥ هامش ٥)، وكان المفضل كما ذكره الخزرجي (كفاية: ٥٥): «حازماً عاقلاً شجاعاً شهماً، له عدة مكارم وجملة مفاخر، ولكنها دون مكارم سبأ بن أحمد، وكان جواداً ممدحاً». قصده الشعراء من الأماكن البعيدة (راجع حاشية: ٤٤ (كاي).

(٤) صفة: ١١٤.

(٥) خولان قبيلة سميت باسم خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، وكانت تسكن في صعدة وضواحيها، وسكنت بعض أفخاذها بالقرب من زبيد في قرية القحماء في وادي حصيب والكدراء وغيرها (ياقوت: ١٩٩/٢؛ صفة: ٨، ٥١؛ معجم قبائل العرب: ٣٦٥/١).

ويذكر بني ضنة فيعتبرها بطناً من بني عذرة، التي يرجع أصلها إلى قضاعة، ثم يعتبرها في مواضع أخرى من سلالة القبيلة الإسماعيلية نمير. ورد اسم بني[1] مران كبطن من همدان، وورد كبطن من حمير[2]. وجاء أن بني زر ينتمون إلى قبيلة جبر (من سلالة يافع)، وعلى ذلك فهم من حمير أيضاً، لكنه عند الحديث في صحيفة ٥٧ عن أحد أفراد الأسرة نسبه إلى خولان.

وذهب الهمداني إلى أن بني زرية وبني جماع من الخولانيين، ويخبرنا أن قبيلتي شعب وشعب حي سكنتا سراة خولان، ووصف بني حي بأنهم من الخولانيين[3].

حاشية [٤٨]: يقول الجندي: إن الملكة عينت مكان المفضل واحداً من أبناء عمه هو أسعد بن أبي الفتوح[4] الذي عينته مديراً ووصياً على دولتها، وهو من ولد أبي الفتوح بن الأعلى بن الوليد، وأقام في حصني صبر وكفر، اللذين حكمهما أبوه من قبل، وظل يباشر ما كان للمفضل قبله من سلطان إلى سنة ٥١٤هـ،[5] حين اغتاله في تعز اثنان من حاشيته[6]. ويقول الجندي بأن اغتيال أسعد وقع بعد وصول ابن نجيب الدولة.

---

(١) صفة: ١٠٧؛ معجم قبائل العرب: ١٠٧٠/٣ وما بعدها.

(٢) نفسه: ١١٣.

(٣) لم يذكر كاي بني رازح (في الأصل رواح) وهم جماعة من خولان (صفة: ٧٣، ١١٤؛ تاج العروس: ٣٠٩/٥) ولم يتكلم عن شعب حي الواردة في الأصل، وهي قبيلة أقامت في سراة خولان (صفة: ٦٩)، ويقول الهمداني إن بني حي من خولان (صفة: ١١٤). وحصن خدد من حصون مخلاف جعفر، في حبيش شمال التعكر (صفة: ٧٨).

(٤) هو أسعد بن أبي الفتوح بن العلاء بن الوليد الحميري.

(٥) كفاية: ٥٦؛ أنباء / دار: ١٤٦؛ بامخرمة: ثغر عدن: ١٧.

(٦) على الرغم من أن هؤلاء المؤرخين السابقين قد اتفقوا على تاريخ قتله وهو سنة ٥١٤هـ ولكن يظهر أن أسعد قد عاش إلى وقت متأخر عن هذا كما جاء في تاريخ عمارة.

حاشية [٤٩]: تكلم الخزرجي في موضع آخر عن بني جنب[١] فقال: كان من مادتهم حين التناصب للشعر، الهتاف بالعبارات الواردة في المتن.

حاشية [٥٠]: الحجرية هم فريق من الرجال كانوا في خدمة الخلفاء الفاطميين، وسموا بهذا الاسم لأنهم كانوا يقيمون في ثكنات تعرف باسم الحجر تقع بين القصر الكبير في القاهرة وباب النصر، وهم في الأصل من أرباب الحرف المهرة، بدأ الخليفة المعز بانتقائهم، ولكنهم استخدموا فيما بعد في الحرب والقتال، وقد قادهم الأفضل شاهنشاه لمحاربة الفرنجة في عسقلان ولكنهم هجروا قائدهم، فاضطر إلى أن يعود منهزماً، بعد إشعال النار في مخازنه.

وقد أعاد الأفضل[٢] تنظيم هذه الفرقة الحربية، فقصر عددهم على ثلاثة آلاف وجعلهم تحت إمرة أمير لقبه بالموفق، أما قبل هذا العهد، فقد كانت الحجرية - بعضها إن لم تكن جميعها - تتألف من مصريين، كان حكام الأقاليم يدققون في اختيارهم من بين أصلح الشبان والغلمان في كل

(١) هم: منبه والحارث والعلي وسنحان وشمران وهفان، ويقال هؤلاء الستة جنب: وهم بنو يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مالك بن أدد، وإنما سموا جنباً لأنهم جانبوا أخاهم صداء، وحالفوا سعد العشيرة، وحالفت صداء بني الحارث بن كعب. وينسب إليهم مخلاف جنب باليمن. (ياقوت: ١٤٥/٣؛ معجم قبائل العرب: ٢١٠/١).

(٢) الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي هو الذي أرسل ابن نجيب الدولة إلى اليمن في سنة ٥١٣هـ. (عيون: ١٨٠/٧)، ولم يرسله المأمون البطائحي كما قال ابن ميسر في كتابه (أخبار مصر: ٧٠/٢).

أما عن ألقاب ابن نجيب الدولة فقد ذكرها إدريس (عيون: ١٨٠/٧) على النحو الآتي: «الأمير المنتخب، عز الخلافة الفاطمية، فخر الدولة العلوية، الموفق في الدين، ولي أمير المؤمنين». ومن ذلك نلاحظ أن هناك خلافا بينه وبين رواية عمارة. وكان الغرض من إرساله هو رغبة الخليفة الآمر بالله بن المستعلي في أن يستفيد من نشاطه ومهارته في تمكين الدعوة المستعلية (عيون: ١٤١/٧). في نفوس أهل اليمن، وفي تعزيز مركز الملكة الحرة، بعد أن طمع فيها زعماء البلاد، واستقلوا بما تحت أيديهم (الصليحيون: ١٦٨).

إقليم، ويراعون فيهم اللياقة الجسمانية والعقلية، على أن الأفضل أسقط العنصر الوطني من حسابه، وراح يستبدل به فتية كان يختارهم من أسرات رجال الجندية الأجانب[1].

ويمكن أن أضيف على عبارة المقريزي بأن الجنود الجدد انتقموا من أبناء الأجناد، وهي كلمة تطلق على مجرد العساكر، ومفردها جندي، وينطقها العامة في مصر جندي، وتطلق على العساكر التركية، كما تطلق على أي تركي آخر من الطبقة الفقيرة[2].

وتجربة الأفضل فيما أعلم كانت المحاولة الجدية الوحيدة لاستخدام العناصر الوطنية من السكان في مصر في الخدمة العسكرية منذ الفتح العربي إلى عصر محمد علي في الشهر الأول من القرن الحالي، وهذه الحقيقة في ذاتها زائدة الغرابة، إذا راعينا المنازعات الدائمة التي كانت تجري في سبيل الحصول على القوة الحربية. وكانت سيطرة كل حزب من الأحزاب واستئثاره بالنفوذ متوقفاً على عدد أنصاره وبسالتهم في القتال. وكان محمد علي أول من خرج على التقاليد القديمة، بأن كوّن جيشاً من الجنود الوطنيين[3]، ولكنه كان إلى آخر حياته يستبقي في خدمته عدداً من الجنود الأجانب، وهي سياسة أقلع نهائياً خلفاؤه عنها. ولقد لعب العساكر السودانية في أزمنة مختلفة أدواراً هامة في تاريخ مصر الحربي، وقد زاد عددهم بصفة خاصة في عهد الطولونيين والخليفة المستنصر بالله والذي كانت أمه زنجية.

حاشية [٥١]: علم الدعاة الإسماعيلية مريديهم المعاني الخفية والروحية التي يمكن أن تؤول إليها بعض ألفاظ القرآن وآياته، ولم يقتصروا

---

(١) خطط: ٤٤٣/١.

(٢) كان هذا في العهد التركي، أما الآن فقد أصبح هذا المعنى غير ذات موضوع.

(٣) بعد أن عملت محاولات سابقة على الألبانيين والسودانيين والمماليك، وأخيراً جند المصريين وكون منهم الجيش القوي الذي حارب به السلطان محمود الثاني في الشام والأناضول وهزمه في مواقع بيلان وقونية سنة ١٨٣٣ ونصيبين سنة ١٨٣٩.

على ذلك بل أضافوا أيضاً تفصيلات لا حصر لها يمكن ملاحظتها في عالم الطبيعة وبخاصة في تكوين الجسد البشري، ويبدو من النص أنهم قد بسطوا معاني خفية مشابهة إلى عيوب عرضية، أو أن ابن نجيب الدولة قام بهذا العمل في المناسبة التي نحن بصددها بغية التأثير على الناس حتى يؤمنوا بقوته الخارقة[1].

حاشية [٥٢]: جاء في الهمداني[2] أن ميتم اسم لجبل أو مخلاف أو ناحية وربما كان الوادي من روافد وادي رغادة، وإذا أصيب فهم ما أورده الهمداني، على حقيقته، فميتم إذن تقع إلى الجنوب أو الجنوب الشرقي لذمار، ومن المرجح ألا تكون بعيدة عن جبل خبان.

وبنو حماس الذين يرد ذكرهم في سطور قلائل من بعد ذكرهم ابن قتيبة كبطن من بطون مذحج[3].

حاشية [٥٣]: لهذا المعنى تشير الآية: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ...﴾[4].

حاشية [٥٤]: لا شك أن الناسخ لكتاب عمارة قد أغفل جزءاً من النص هنا، وإذا لم تكن كلمة (هذا) من تزيد النساخ، فإن السقط هنا يمكن أن نستوثق من وجوده. والكلمات التي وضعتها في الترجمة بين معتقفين يمكن الاستعانة بها دون تردد لتكملة معنى القصة التالية المسندة إلى أبي

---

(١) خطط: ٣٩٢/١؛ وعرض بقلم سلفستردي ساسي عن ديانة الدروز.

(٢) صفة: ٧٥، ٩٢، ١٠١.

(٣) وهم ينسبون إلى الحماس بن الحارث بن كعب (صفة: ٩١)، وسنحان وقد ذكرت بعدها مباشرة في النص (صفة: ٧٣، ٨٤، ١٣٦). أما عن الطوق الهمداني فقد ذكره كل من صاحب كتاب: (عيون: ١٨٣/٧؛ نزهة: ٦٧/١) ويقول صاحب قلادة النحر (ورقة: ٦٦٦): (واشتد بهم جانبه).

أما عن جبل خبان فقد قال ياقوت: (٣٩٦/٣): خبان هي قرية باليمن في واد يقال له وادي خبان قرب نجران، وهي قرية الأسود الكذاب، وفي كتاب الفتوح: أن الأسود العنسي أول ما خرج خرج من كهف خبان؛ وهي كانت داره، بها ولد ونشأ.

(٤) سورة الأحزاب؛ آية: ١٦.

عبدالله الحسين، والذي كان من مراجع عمارة.[1] ولكن عبارة: «بل الذي يلطم خيار من فيها عشرة آلاف نعل» قد صحفها النساخ.

حاشية [٥٥]: قبض الخليفة الآمر بالله على المأمون البطائحي في الرابع من رمضان سنة ٥١٩هـ. وقتل في سنة ٥٢٢هـ. ويقول المقريزي[2]: إن المأمون اتهم بأنه أرسل ابن نجيب الدولة لبلاد اليمن ليسك عملة عليها اسم الإمام المختار محمد بن نزار[3].

ونزار هو ابن الخليفة المستنصر، وعندما توفي هذا الخليفة سنة ٤٨٧هـ. اعتلى أحمد بن المستنصر العرش بمساعدة الوزير الأفضل شاهنشاه ولقب بالمستعلي بالله، فهرب نزار إلى الإسكندرية حيث بويع بالخلافة واتخذ لنفسه لقب المصطفى لدين الله، وما لبث أن أجبر على تسليم نفسه للأفضل ونقله إلى القاهرة حيث أعدم. وقد شايع الإسماعيلية الشرقية دعوى نزار، ولعلهم كانوا محقين حين أكدوا أن أباه أوصى له بذلك بالملك من بعده، فخرجوا على طاعة المستعلي وخلفائه ووسموهم بالغصب

---

(١) لما رأى الخليفة الفاطمي الآمر (٤٩٥ - ٥٢٤هـ.) أن سياسة ابن نجيب الدولة التي رسمها له الفاطميون قد تغيرت، أرسل إليه الخليفة يستدعيه إلى مصر، وبذلك انتهز سلاطين اليمن الذين كانوا يحقدون على ابن نجيب الدولة، الفرصة وقاموا بدور هام مع رسول الخليفة، فشوهوا اسم الداعي لديه، وانتهت المؤامرة بالقبض على ابن نجيب الدولة (أنباء / دار: ٤٧).

(٢) خطط: ٤٦٣/١. ويقول المقريزي: «اتهم المأمون بإرسال ابن نجيب الدولة إلى اليمن لصك عملة باسم نزار»، وهذا الكلام بعيد عن الصواب لأن الأفضل هو الذي أرسل ابن نجيب الدولة كما سبق أن أثبتنا ذلك.

(٣) النزارية هم أجداد آغا خان ويعرفون بأنهم أنصار «الدعوة الجديدة»، وأما أتباع المستعلي فيسمون «المستعلية» ويعرفون بأنهم أنصار «الدعوة القديمة»، ومنهم عدد كبير جداً في الهند الآن، وهم ينسبون إلى الإمام الطيب بن الآمر بن المستعلي، ورئيس دعوتهم هو طاهر سيف الدين سلطان البهرة (الصليحيون: ١٨٢ - ١٩٣).
أما عن الفرع الثاني وهو فرع النزارية، فالذي خلق هذه الطائفة وأوجدها على وجهها المعروف في كتب التاريخ هو الحسن الصباح، ولذلك كان يطلق على هذا المذهب أحياناً (اسم الحسنية) نسبة إلى الحسن الصباح، أو النزارية نسبة إلى نزار (راجع كتاب دولة النزارية أجداد آغا خان تأليف الدكتور طه شرف).

والاغتصاب. ومن هذا يعرفون في تاريخ الشرق بالنزاريين، وقد نبزهم أعداؤهم بالملاحدة. ويتداول العامة في مصر إلى الوقت الحاضر كلمة فداوية التي يطلقونها عليهم بسبب المغامرات الخطرة التي اعتادوا القيام بها عندما كانوا يقدمون أرواحهم لافتداء العقيدة الصحيحة ونشرها. ويعرفهم مؤرخو الغرب باسم الحشاشين. ويمثّل رؤساءهم إمام يقيم في بمباي يزعم أنه من سلالة نزار. ويمكن أن نضيف لهذه التحفة التاريخية، أنه منذ سنوات قليلة تقدم الشيعة الاثني عشرية بالهند بمطالب معينة تمس حق الإسماعيلية كفرقة مستقلة في المعيشة في بمباي. واضطرت المحكمة البريطانية للبحث في هذه المطالب. وقد أصدر السير جوزيف أرنولد الذي طرحت القضية أمامه حكماً دقيقاً استعرض فيه تاريخ العلويين من عهد الرسول، واستخلص منه أن فرقة خاملة الذكر قليلة العدد تعيش في بمباي قادرة على أن تثبت حقها كفرقة يعترف بها على أنها تمثل القرامطة الذين كانوا فيما مضى على جانب من القوة. وتمثل الحشاشين الذين أمن الناس أخيراً غوائلهم، ويمثلون الدولة الفاطمية البائدة التي كانت في وقت ما دولة قوية.

حاشية [٥٦]: جاء في ابن خلدون أن ابن نجيب الدولة أغرق في البحر[1] وقد يكون هذا الخبر صحيحاً وإن لم يرد ما يؤيده، وقد نقل الخزرجي عن عمارة وصفه لنهاية ابن نجيب الدولة، ويطابق في كافة تفصيلاته ما جاء في مؤلفنا. وذلك فيما عدا بعض الكلمات ذيلت غالبها في الحواشي التي علقت فيها على النسخة العربية المطبوعة. وقد أتى الجندي بالملاحظات التالية التي تثبت في وضوح أنها إذا كانت لا تشتمل على عبارات عمارة ذاتها فإن تغييرها قد حدث في تاريخ سابق. ثم سلمت

---

(١) اختلف المؤرخون في نهاية ابن نجيب الدولة فبعضهم يقول: إنه أغرق عند باب المندب كما حكاه عمارة؛ والجندي؛ أنباء / دار: ١٧؛ وبعضهم يقول: إنه وصل مصر وشهر به في القاهرة سنة ٥٢٤ (ابن ميسر: أخبار مصر: ٧٠)؛ ويقول الخزرجي: «ولا يعلم ما جرى لابن نجيب الدولة بعد خروجه من اليمن». وكذلك أيد هذا الخبر بامخرمة: تاريخ ثغر عدن: ٢/١٢٤؛ ولكن إدريس (عيون: ٧/١٨٥) أيد رأي عمارة.

الملكة ابن نجيب الدولة، ولكنها أرسلت معه أحد كتابها. وعند الوصول لعدن رحل الرسول مع ابن نجيب الدولة وتأخرت رحلة كاتب الملكة لعدة أيام. وعند باب المندب أغرقت السفينة التي عليها ابن نجيب الدولة، ولا أدري مصير ابن نجيب الدولة لأن عمارة لم يذكره، وقد ندمت الملكة على تسليمها لابن نجيب الدولة وعلى إبعاده مع كاتبها.

وينتهي تاريخ الدولة الصليحية في تاريخ الجندي في ورقة ١٨٥ وفيها العبارة التالية التي نقلها الخزرجي نقلاً يكاد يكون بالحرف الواحد: «عندما توفيت الملكة في التاريخ الذي ذكرته فيما يتعلق بنهايتها[1] أوصت منصور ابن المفضل بأن يخلف دولة الصليحيين، وقد باع حصني تعكر وحب حصني المخلاف ـ وقد قرأتها وحصن المخلاف ـ (جعفر) وما حولهما من الأراضي للداعي محمد بن سبأ بن أبي مسعود، وقد حدث هذا في سنة

---

(١) يقول الجندي: إن الملكة قد توفيت في ذي جبلة سنة ٥٣٢هـ. وجاء هذا أيضاً في الخزرجي، وزاد بأنها بلغت من العمر ٨٨ سنة. ويقول الديبع بأنها دفنت في المسجد الذي بنته في ذي جبلة، وذلك في مقدمة مبنى المسجد من الناحية الغربية ومضى يقول بأن حكمها (امتد إلى ما يزيد على ٣١ سنة) (كاي).
ويقول إدريس (عيون: ٧ /٢٢٨): إنها توفيت في غرة شعبان من سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة، عن اثنين وتسعين سنة من العمر، ودفنت في جامع ذي جبلة أيسر القبلة في منزل متصل بالجامع، وكانت هي التي تولت عمارة هذا الجامع، وهيأت موضع قبرها فيه. كما يقول (نفسه): وقبرها إلى اليوم يزوره جميع فرق الإسلام، ويعترف بفضلها الخاص والعام، ويأتي إلى قبرها من أصيب بظلم، أو حاجة أو علة في بدنه أو بلية، فيتشفعون بها إلى الله تعالى في كشف ما انتابهم بفضلها.
وقد رثاها كثير من الشعراء؛ فزار قبرها القاضي حسين بن عمران بن الفضل اليامي في ذي جبلة وقال قصيدة جاء فيها:
وقفت على قبر الوحيدة وقفة   وقد زيد منها مسجد وستور
(عيون: ٢٢٩/٧).
ورثاها القاضي محمد بن أحمد بن عمران بقصيدة طويلة مطلعها (الصليحيون: ٢٠٩).
نأت ربة القصر الشريف عن القصر   فأيأس راجي النصر فيه عن النصر
ورثاها السلطان الخطاب بن الحسن الحجوري بقصيدة عصماء. (ديوان الخطاب: ٧١ ـ ٧٥). مطلعها:
عليك سلام الله والصلوات   ورحمته ما شاء والبركات

٥٤٧هـ. أي بعد وفاة الملكة بحوالي ١٥ سنة، وبعد قيام الدولة الصليحية بحوالي ١١٩ سنة، ذلك لأن هذه الدولة قد قامت سنة ٤٢٩هـ.». وظل منصور مقيماً بحصن تعز إلى وفاته، وكان أول من اتخذ تعبات[1] متنزهاً له، فكان ينزل لهذه الموضع ليقضي فيه عدة أيام. ووقع موته سنة ٥٥٤هـ. وترك ولداً له يدعى أحمد خلفه وسار على منوال أبيه إلى سنة ٥٥٨هـ. ثم جاء مهدي بن علي بن مهدي إلى تهامة واشترى منه حصني صبر وتعز، وعندئذ سكن أحمد الجند حتى سنة ٥٦٣هـ. وهي السنة التي مات فيها[2].

حاشية [٥٧]: هنا في نسختنا سقط واضح، ويبدو أنه في هذا الفصل حدث شيء من التشويه. والفقرة المفقودة من السهل أن نخمن موضعها، ولا شك أن معناها بل نص عباراتها يمكن أن نلتمسه من الخزرجي، ولذا لم أتردد في إدراج عبارة الخزرجي في ترجمتي لكتاب عمارة. وهذه الزيادات وغيرها ميزتها بجعلها بين معقفات مربعة. وفيما يلي رواية الخزرجي عن التاريخ القديم لدولة بني زريع (مخطوط ليدن ٥٠، ٥٨)، ويستطيع القارىء أن يوازن بينها وبين الفقرات المماثلة لها في كتاب عمارة، والزيادة الوحيدة في البيانات التي أوردها عمارة هي قول الخزرجي بأن زريع استولى على دملوة في سنة ٤٨٠هـ.

ورواية الخزرجي عن بني الزريع هي: قال علي بن الحسن الخزرجي وفقه الله للعمل بما يرضيه: كان السبب في تملك آل زريع عدن وما ناهجها من البلاد، أن الداعي علي بن محمد الصليحي لما استولى على اليمن، وافتتح مدينة عدن، فكان فيها يومئذ بنو معن، قد تغلبوا عليها وعلى لحج وأبين والشحر وحضرموت، أبقاها تحت أيديهم وجعلهم نواباً من قبله. فلما

---

(١) في خريطة نيبهر موضع يسمى ثبد قريب من تعز، وربما كان هذا هو المكان الذي ذكره كل من الجندي والخزرجي؛ وفي خريطة مانزوني كتب هذا الاسم ثبد. (كاي).

(٢) ابن نجيب الدولة ترك اليمن في سنة ٥٢٤هـ. ولم يذكر لنا عمارة ولا كاي ناشر كتابه عما فعلت الملكة في أمر الدعوة بعد مغادرته لبلادها. (راجع حاشية «١٠» جديد).

تزوج المكرم بالحرة السيدة[1] جعل الصليحي صداقها عدن، وما ناهجها، فكان بنو معن، يرفعون خراجها إلى السيدة في أيام الصليحي، فلما قتل الداعي علي بن محمد الصليحي[2] في التاريخ المذكور أولاً، تغلب بنو معن على ما تحت أيديهم من البلاد، فقصدهم المكرم إلى عدن وأخرجهم منها. وولاها العباس ومسعوداً ابني الكرم الهمداني، وكانت لهما سابقة محمودة، وبلاء حسن في قيام الدولة المستنصرية مع الداعي علي بن محمد الصليحي، ثم مع ولده، المكرم يوم نزوله إلى زبيد، وأخذ أمه أسماء بنت شهاب من أسر الأحول سعيد بن نجاح. فجعل للعباس حصن التعكر بعدن وباب البر وما يدخل منه، وجعل للعباس حصن الخضراء وباب البحر وما يدخل منه، وإليه أمر المدينة، واستخلص ما للحرة السيدة. فلم يزل ارتفاع عدن يحمل إلى السيدة في كل سنة مائة ألف دينار ـ وقد يزيد، وقد ينقص ـ إلى أن توفي العباس بن الكرم فخلفه ابنه زريع بن العباس على التعكر وباب البر، وبقي مسعود على ما تحت يده وكل واحد منهما يحمل ما عليه. وملك زريع الدملوة يوم الثلاثاء لست عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ثمانين وأربع مئة، فلما بعثت السيدة المفضل بن أبي البركات إلى زبيد، كتبت إلى زريع بن العباس، وإلى عمه مسعود بن الكرم أن يلقياه إلى زبيد. فلقياه وقاتلا معه. فقتلا معاً على باب زبيد، فانتقل أمر عدن إلى ولديهما: أبي السعود بن زريع وأبي الغارات بن مسعود، فتغلبا على الحرة أيضاً، فبعثت إليهما المفضل بن أبي البركات في جيش عظيم فقاتلهما ثم اتفق الأمر على النصف من ذلك. فكانا يحملان إليها في كل سنة خمسين ألفاً. فلما مات المفضل بن أبي[3] البركات تغلبوا على الحرة أيضاً. فبعثت إليهم ابن عم المفضل، أسعد بن أبي الفتوح، فقاتلهما ثم اتفقا على الربع من الارتفاع، فكانا يحملان إليها كل سنة خمسة وعشرين ألف دينار، ثم

---

(1) ٤٥٨هـ.

(2) ٤٥٩هـ.

(3) ٥٠٤هـ.

تغلبوا على الربع المذكور أولاً، ولم يزل كل واحد منهما موال لابن عمه حتى توفي أبو السعود وولي جهته سبأ بن أبي السعود. ثم توفي أبو الغارات وولي جهته ولده محمد بن أبي الغارات، ثم توفي محمد بن أبي الغارات، وهو صاحب حصن الخضراء المستولي على البحر والمدينة. وكان للداعي سبأ حصن التعكر وباب البر وما يدخل منه. وكان له من البر: الدملوة وسامع ومطران وبعن ودكان. وبعض المعافر وبعض الجند. وكانت أعماله واسعة كثيرة، وكان له من الأولاد: علي الأعز ومحمد الداعي، والمفضل وزياد وروح. وكان السبب في استيلاء الداعي سبأ بن سعود وزوال علي بن أبي الغارات أن نواب علي بن أبي الغارات انبسطت أيديهم على نواب الداعي[1].

يلاحظ أن الاسم الذي يحمله جد أمراء عدن الهمدانيين هو في مخطوطنا الكرم، وفي مخطوطة الخزرجي بليدن والجندي بباريس كتب الاسم المكرم. ولم يكتب هكذا في جميع الحالات، ففي الجندي في ورقة ١٨٦ (الكرم). وفيما يقابل هذا في كتاب الخزرجي كتب الكرم أيضاً (ص٨٧).

ولقب علي بن سبأ في مخطوطنا، وفي مخطوطة الخزرجي هو الأعز، ولكن إعجام الكلمة في بعض الحالات ليس ظاهراً، وليس من الواضح في حالات أخرى، إذا كانت النقطة على الراء أو على العين، ولكن في الجندي من الواضح أنها مكتوبة الأعز بالزاي (انظر الأهدل). وفي مخطوطة المتحف البريطاني لتاريخ ابن خلدون يكتب الأسماء دائماً الكرم والأعز.

حاشية [٥٨]: يقول مؤلف تاج العروس: إن التعكر[2] جبل من جبال عدن على يسار المتوجه من مدخل جزيرة اليمن، وسنرى أن عمارة يتكلم عن التعكر على اعتبار أنه داخل في نطاق المدينة، ولكن يمكن أن نفهم من ذلك أنه يقصد داخل الجزيرة، ويمكن أن نتحقق من هذا الموضع في الخريطة التخطيطية التي رسمها الكلونيل هنتز لعدن، فقد كتب كلمة

---

(١) راجع اللوحة الخاصة بآل زريع في حاشية [١١٣] من تعليقات (كاي).

(٢) ياقوت: ٣٩٤/٢.

(رأس الحصن) على مقربة من باب المرور الرئيس. وقد ذكر هنتز حصن التعكر كما ذكر حصن الأخضر ولكن دون أن يحدد لنا موقعيهما، وأظن أن الحصن الأخير يقع على مسافة لا تبعد كثيراً من جزيرة صبرا.

حاشية [٥٩]: إن اسم محمد بن سبأ يليه في مخطوطنا عبارة: «أنه آخر بني زريع»، وهذه العبارة ظاهرة الخطأ، وقد حذفتها في ترجمتي الإنجليزية، ولقد اقتصر الجندي على القول بأن علي بن أبي الغارات كان آخر أسرة مسعود، والجملة التالية التي جاء فيها: فتح توران شاه لليمن، من الواضح أنها زيادة أضيفت من الناسخ. فإن عمارة يخبرنا في (ص٥٨[١]) أنه كتب تاريخه في سنة ٥٦٤هـ. وقد شنق بالقاهرة في الثاني من شهر رمضان سنة ٥٦٩هـ. وذلك بعد أكثر من شهرين قبل فتح الأيوبيين لعدن في عشرين من ذي القعدة كما جاء في ابن حاتم[٢].

حاشية [٦٠]: أضاف الجندي أن علي بن أبي الغارات ملك لحج وبها مدينة الزعازع[٣]، ونص عبارته: «له في لحج مدينة الزعازع» وتابع الجندي الخزرجي في تعديده لممتلكات سبأ بن أبي السعود، فحذف اسم «الرما» ونص عبارته: «وله معقل الدملوة[٤]، وسامع[٥]، ومطران[٦]، ونمير،

---

(١) أشار (كاي) في ص٥٨ من الأصل بأن عمارة ذكر أنه كتب تاريخ اليمن سنة ٥٦٤هـ. وبالرجوع إلى هذه الصحيفة يتبين لنا أن عمارة ذكر هذه السنة (دون أن يذكر شيئاً عن كتابة مؤلفه)، ونص عبارته: ثم مات في سنة ٥٦٠ (يشير إلى الداعي محمد بن سبأ)، عن أولادهم: محمد وأبو السعود ومنصور، وما منهم من أدرك الحلم إلى هذا التاريخ المذكور وهو المحرم سنة ٥٦٤هـ.

(٢) والنص الذي يدل على أن النساخ أضافوه إلى كتاب عمارة (في ص٥٠) هو عبارة: «وصفت بعده لآل زريع إلى أن أخرجهم منها السلطان المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب في ذي القعدة» والدليل على ذلك أن هذا الفتح لعدن وقع في ٢٠ ذي القعدة سنة ٥٦٩هـ. بينما كان عمارة قد شنق قبل ذلك في الثاني من رمضان من هذه السنة.

(٣) تاريخ ثغر عدن: ٨٨/٢.

(٤) صفة: ٧٦؛ صبح الأعشى: ١٣/٥.

(٥) صفة: ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٧٨.

(٦) نفسه: ٢٤٨.

ودبحان[١] وبعض الجند وبعض المعافر، واسم الموضع الذي يلي مطران هو في الخزرجي كما هو في النص المطبوع لكتاب عمارة، كلمة غير معجمة (ممس - نمر)». ولكن في كل من الجندي كما رأينا آنفاً وابن حاتم، نجد كلمة (نمير) غير معجمة، ويمكن أن نفترض أنها (نمير). وعن جبل (سامع) انظر الهمداني. والزعازع في كل طبعة ملر للصفة، وكتاب سبرنجر غير معجمة أي (الرعارع).

حاشية [٦١]: اسم هذه القرية كتب في النص دون إعجام، ولكن الجندي ذكرها في حديثه عن علماء لحج، ففي هذا الموضع من كتابه، وفي الورقة ١٨٦، أسماها (بني أبه العليا)، وقد زود الكلمة بالشكل، وذكر أن العامة تنطقها منية (انظر الهمداني)[٢]، ونص عبارة الجندي: «ومن لحج ثم من قرية» «بني أبه العليا». واستعمل كذلك (مَنْيَّة) بفتح الميم وسكون النون وفتح الياء المثناة من تحت وفتح الباء الموحدة مع تشديدة ثم هاء ساكنة. وسميت بالاسم الأول لأن أول من بناها رجل من قريظة، يقال له: (أبه) بفتح الهمزة والباء الموحدة مع التشديد وسكون الهاء.

حاشية [٦٢]: هذا البيت من الشعر مأخوذ من معلقة طرفة بن العبد البكري[٣]:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة   على المرء من وقع الحسام المهند

---

(١) نفسه وردت ذبحان: ٧٦، ٩٨، ١٢٦، ٢١٦.

(٢) صفة: ٩٨.

(٣) هو عمرو بن العبد بن سفيان البكري، وطرفة لقب غلب عليه لقوله:

لا تعجلا بالبكاء اليوم مطرفا   ولا أميريكما بالدار إذ وقفا

نشأ في حسب كريم وبيت عرف بالشعر لذلك قال الشعر وهو دون العاشرة، وكان من أحدث الشعراء سناً في عصره، وقد أكسبته نشأته في حسبه الكريم جرأة على قومه وغيرهم. فكان يهجوهم في شعره ويهجو غيرهم من الأشراف، والأمراء حتى هجا عمرو بن هند ملك الحيرة من المناذرة، فاحتال عليه حتى قتله وهو ابن بضع وستين سنة (مختارات الشعر الجاهلي (١٣٨ - ١٤٠).

حاشية [٦٣]: كان من بني زريع[1]. كما رأينا من قبيلة بني جشم وهم بطن من بني يام، وهؤلاء سلالة من همدان الكبيرة.

حاشية [٦٤]: انظر طبعة ديترصي لديوان المتنبي ص٤٠٢، وقد أثبتنا من البيت شطره الثاني، أما تمامه فنورده من بعد، ويلاحظ أنه محرف[2].

أعلى الممالك ما يبنى على الأسل   والطعن عند محبيهن كالقبل

والضمير (هن) عائد على الممالك.

حاشية [٦٥]: سكن الصهيب ـ كما في الهمداني (ص٤) جماعة من سلالة سبأ، ولذلك يطلق عليها اسم سبأ صهيب، وفي موضع آخر (ص١٨٩): الصهيب يقع على طريق الحجاج من عدن تالية لحج.

وحدد مانزوني جبل منيف على خريطته على نحو ١٢ ميلاً إلى

---

(١) هم رؤساء همدان وهم من جشم ثم من يام بن أصبا، وكان لجدهم زريع بن العباس جهاد واجتهاد في قيام الدعوة الفاطمية في بلاد اليمن في عهد الملك علي بن محمد الصليحي وابنه المكرم، وإليهم يرجع الفضل في مساعدتهم ضد الدولة النجاحية في زبيد وتهامة اليمن، ثم ظلوا على ولائهم للدعوة المستعلية بعد وفاة المستنصر بالله الفاطمي (بامخرمة: ثغر عدن ٤٠). وظلوا على هذا المذهب حتى قتل الخليفة الآمر سنة ٥٢٤هـ. في مصر وتولى بعده الخليفة الحافظ، الذي حاول بواسطة رسوله القاضي الرشيد أن يستميل الملكة أروى الصليحية إلى جانبه ولكنها رفضت، فتمكن من التأثير على بني زريع حتى دخلوا في طاعته، وكان القائم منهم في هذا الوقت هو سبأ بن أبي السعود بن زريع الجشمي الهمداني، فنصبه الحافظ داعياً له في اليمن. ويقول إدريس (عيون: ٢٠٤/٧): «وكان السلطان سبأ بن أبي السعود يظهر الدعوة إلى الحافظ... وقد ذكر أنه لم يجب عبدالمجيد (الحافظ) ويدعو له إلا تقية وخوفاً... فخاف سطوته وصولته وعدوانه، وإنه كان باقياً على طاعة الإمام الطيب (ابن الآمر)».

(٢) ورد نفس البيت في كتاب تاريخ ثغر عدن ٨٨/٢ وهذا البيت هو مطلع قصيدة للمتنبي قالها في مدح سيف الدولة الحمداني عند مسيره نحو أخيه ناصر الدولة لنصرته، لما قصد معز الدولة إلى الموصل في ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة (راجع الديوان ص٢٦٥ طبعة لجنة التأليف ـ القاهرة: ١٩٤٤).

الشمال من لحج، كما بين أيضاً وادياً يحمل هذا الاسم، ويسيل منه إلى وادي سيب. وذكر ياقوت أن اسم منيف يطلق على حصن يقع على جبل صبر. ويخيل إلي أن هذا البيان في حاجة إلى تحقيق، وفيما يلي الفقر المطابقة في كتاب الجندي، وعبارة الخزرجي الذي يعتمد على الجندي هي نص عبارة الجندي.

ويقول الجندي (ورقة ١٨٦) في الحرب بين الداعي سبأ وعلي بن أبي الغارات ما يأتي: «فتهايجت بينهما حروب كثيرة أفضت إلى انتصار الداعي سبأ على ابن عمه، فهرب إلى (في خ ناحية) سبأ صهيب، وتحصن هو وبنو عمه بحصنين منها: منيف والحبلة (في خ الحعلة)، ومن عجيب ما كان في اليوم الذي انكسر به ابن أبي الغارات فتح بلال مولى سبأ حصن الخضراء فبعث مبشراً... وأنزل الحرة بهجة إلى المدينة فلبثت بها حتى توفيت. والمسجد الذي يعرف بمسجد الحرة على قرب من جامع (في خ جانب) عدن، أظنه ينسب إليها. ثم لما انقضت الحرب دخل الداعي سبأ إلى عدن فلبث بها سبعة أشهر، وتوفي[1] فقبر بسفح التعكر بتاريخ سنة ٥٣٣هـ. ولما كان بعد سبعمائة ظهر للناس على أكمة (في الأصل أكسبه) بسفح التعكر حفيراً أظهره المطر. فتوهم الناس أنه عال، فأعلنوا والي المدينة، فطلع والي المدينة، ووقف وأخرج الحفارون منه صندوقاً كبيراً مسمراً، ففتح فوجدوا فيه رجلاً ملففاً في أثواب متى أمسكت صارت رماداً، فأعادوه على حاله بصندوقه وحفرته، ولعله الداعي والله أعلم.

ولما توفي الداعي بعد أن قام مقامه ابنه علي الأعز، فلم يقم غير يسير حتى توفي بمرض السل[2]، وله أربعة أولاد صغار جعل كفالتهم إلى

---

(١) استشهد الخزرجي بالجندي وقال: «إن سبأ توفي سنة ٥٣٣هـ، وهي السنة التي ذكرها عمارة، ولكن الوفاة كما ذكرها الخزرجي حدثت سنة ٥٣٢هـ، وهي السنة التي توفيت فيها الملكة الحرة السيدة (أروى بنت أحمد الصليحية زوجة الملك المكرم)».

(٢) جاء في الخزرجي أن الوفاة حدثت في الدملوة سنة ٥٣٤هـ، ومضى في ذكر أسماء أولاد علي الأربعة وهم: جابر وعباس ومنصور ولم يستطع أن يتذكر الاسم الرابع.

خادم اسمه أنيس خصي (أنيس الأعزى وهو أستاذ حبشي) على اسم العبد الذي قتل مواليه آخر بني زياد».

حاشية [٦٦]: المصلى مكان مسور في الخلاء تؤدى فيه الصلاة، وفي عهد الفاطميين، كان الخليفة يتوجه بموكبه إلى المصلى لأداء صلاة العيدين كل سنة. ويقول المقريزي بأن مصلى القاهرة سوره جوهر خارج جدران القاهرة في سنة ٣٥٨هـ. ويصف لنا المقريزي المواكب التي كانت تجري لمناسبة زيارات الخليفة(١).

حاشية [٦٧]: أوضح ابن خلدون سبب طلاق منصور لامرأته ويبدو أن هذا السبب قد حذفه النساخ عرضاً من نسختنا.

حاشية [٦٨]: لعل أبيات عمارة في مدح الداعي محمد بن سبأ اشتملت على تقريز للإسماعيلية وتأييد لمزاعمهم كما جاء في أشعار عمارة التي كتبها من بعد في القاهرة، ولا بد أن أهل زبيد(٢) يعتبرون هذه الأبيات

---

(١) خطط: ٤٥١/١. وانظر أيضاً منتخبات دي ساسي وحاشيته عن حياة الحاكم؛ وانظر أيضاً: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية لمحمد عبدالله عنان.

(٢) التفت الجماهير بفضل مسعى الفقهاء حول بني نجاح الأحباش الذين صاروا في نظرهم رمزاً للمذهب السني، وفضلت حكم العبيد على وحدة اليمن تحت ظل دولة الصليحيين العربية، وعلى الرغم من أن هذه الدولة كانت فاطمية المذهب إلا أن مؤسسها علي الصليحي سار في الرعية بسيرة الحق والعدل، وقال عن نفسه: «إنه لم يكن متجبراً ولا مبتدعاً في الدين، بل متمسكاً بحبل الله المتين وداعياً لأمير المؤمنين المستنصر بالله (عيون: ٨/٧)». كما قال وهذا مما يدل على تسامحه مع أهل المذاهب الإسلامية: «فلم ينكر على أحد مذهباً من فرق مذاهب الإسلام على تشعبها، بل أقر كل امرىء على ما كان عليه. (عيون: ١٦/٧)». وأوصى ابنه المكرم عندما قام لأداء فريضة الحج سنة ٤٥٩هـ تاركاً ابنه نائباً عنه في البلاد: «بتقوى الله في الجهر والسريرة، والعمل بأعمال الشريعة، وإقامة دعائمها، والائتمار بأوامرها والانتهاء عن محارمها» (عيون: ٨٨/٧). ولعل ذلك يفصح عن أن الصليحيين الذين حملوا لواء الدعوة الفاطمية في بلاد اليمن لم يكونوا خارجين على الدين الإسلامي كما صورهم المؤرخون المغرضون (مثل الحمادي اليماني في كتابه كشف أسرار الباطنية). والتعصب المذهبي فقط هو الذي أوجد هذا العداء للصليحيين ومن يدين بمعتقدهم، وآثر الشعب حكم الأجانب (الأحباش) لأنهم سنيين، على حكم العرب (الصليحيون)=

مسيئة لهم لصدورها من قلم رجل أقر بأنه من أهل السنة، فقد كتب الأهدل ما يأتي: غالى عمارة في مدح الداعي عمران وتحدث عنه في غلو وإغراق، يمدح سجاياه وفضائله، ويرجع هذا لما ناله من أمراء الدولة الزريعية (لإحسانهم إليه وميله إلى محبتهم، بل يقال بأن ذلك يرجع إلى ميله لمعتقدهم أي التشيع والتسمعل، فاعلم ذلك).

ومن بعد فقرة يتحدث فيها عمارة عن عمران، ويستند في مدحه على اعتبارات أقوى من هذه ولا يمكن نقضها. (انظر الحاشية التالية).

حاشية [٦٩]: ذكر الجندي (ورقة ١٨٦)، معلومات تدلنا على أن مخطوط عمارة الذي نحن بصدده لم يستكمل هذا الموضوع، انظر أيضاً الخزرجي (ص٧٧). وذكر الجندي ما نصه: . . . وأما أحسن قول عمارة فيه حينما أورد ذكره: لله در الداعي عمران بن محمد بن سبأ، ما أغزر ديمة جوده، وأكرم نبعة عوده، وأكثر وحشة في بدرة الطريق من النظرات، وأقل موانسة فيها ولو لم يكن من توفيقه إلا سلامته من ابن مهدي. وكانت وفاته سنة ٥٦٠هـ. فنقله الأديب أبو بكر (بن محمد العبدي) إلى مكة ودفنه في مقابرها، قربه الله [أبد] الآبدين. (وقد) أحسن هذا، ولم يصنع على هذا، فإن أكابر الملوك يودون الدفن بمكة وأن يبذلوا في مقابلة ذلك أموالاً، فلا يحصل لهم، وهذا أيضاً دليل آخر على توفيقه. ومن مآثره الباقية في عدن المنبر المنصوب في جامعها، واسمه مكتوب عليه، وهو منبر له حلاوة في النفس، وطلاوة في العين. وتوفي عمران عن ثلاثة أولاد هم: محمد وأبو السعود ومنصور، وكلهم صغار في كفالة الأستاذ أبي الدر جوهر المعظمي، بحصن الدملوة. والقائم بعدن والمدبر لأمور البلاد الشيخ ياسر بن بلال

= لأنهم فواطم، على الرغم من أن الوحدة قد تمت لبلاد اليمن جميعها على يد هؤلاء، ويرى عمارة (عمارة / كاي: ١٨): «أن هذا أمر لم يعهد في جاهلية ولا إسلام»، وبين ذلك العرشي (بلوغ المرام ١٥) بقوله: «ولم يقع لأحد فيمن ملك اليمن ما وقع لعلي بن محمد الصليحي، فإنه استولى على اليمن سهله وجبله وشماله وجنوبه وشرقه في مدة يسيرة بعد أن قهر ملوكه».

الذي تقدم ذكره. فلم يزالوا كذلك حتى قدم السلطان شمس الدولة توران شاه بن أيوب، فاستولى على عدن. وهرب ياسر إلى حصن الدملوة، وجوهر يومئذ فيه، وقد قدمت ما كان فيه. وكان انقضاء دولة آل الزريع عن عدن وغيرها بحيث لم يكن إلا الدملوة بيد أبي الدر حتى باعها من سيف الإسلام، كما قدمنا لبضع وسبعين وخمس مئة. وهو الذي أثنى عليه الأديب العبدي كما قدمت ذلك مع ذكره. ثم استخلف السلطان محمد بن سبأ بعد أبيه، مدافع، ثم أخوه أبو الفرج ياسر بن بلال. فأقام معه ثم مع ولده، وكان رجلاً كبير القدر شهير الذكر أيضاً، ممدحاً، يثيب المادحين، ولا يخيب القاصدين.

وقد ذكر عمارة في أخبار الشعراء[1] نبذة من أخباره، وله المسجد المعروف بعدن بمسجد ابن البصري، إذ كان يتعانى القيام به، ثم خرج من الدملوة، ودخل ذا عدينة متنكراً، ومعه مفتاح الملقب بالسداسي فحصل من هم (من نم عليه) عليه أهل الدولة، فقبض وأعلم به شمس الدولة، فأمر بشنقه، وشنق معه عبده. وقيل بل أمر بتوسيطهما ففعل ذلك بهما، وذلك بتاريخ سنة ٥٧١هـ. وكان هذا آخر وزرائهم. قال عمارة وبنو الكرم يعني والد العباس ومسعود اللذان ولاهما المكرم[2] يعرفون بآل الذئب، وهم بعد بني الصليحي بقية العرب باليمن. وقد ذكرت مع ذلك جوهر انفصاله عن الدملوة ولم يبق إلا ذكر ملوك الحبشة.

وقد بين الجندي أن أبناء عمران وضعوا تحت وصاية أبي الدر جوهر وأيد الخزرجي هذا الخبر، ويؤيدهما ابن حاتم تأييداً غير مباشر[3]، والفقر المطابقة لهذا في مخطوطنا قد أصيبت بخروم تجعل من المتعذر إصلاحها، والمعنى الذي يمكن استخلاصه منها في شيء من الصعوبة، لا شك أنه غير صحيح، ولا يوجد فيما نعلم أي طريقة لمحاولة إقامة النص وإعادة المعنى

---

(١) هذا يدلنا على أن الجندي اطلع على كتاب «أخبار الشعراء» لعمارة.

(٢) الملك المكرم أحمد بن السلطان علي الصليحي حكم (٤٥٩ ـ ٤٧٧هـ).

(٣) انظر حاشية: (١٠١).

كما أراده المؤلف في الأصل، وهذا يقتضي إصلاحات، وتعديلات تزيد على ما قدمناه في حواشي النسخة المطبوعة.

حاشية [٧٠]: وهكذا جاء أيضاً في الجندي في سنة ٥٤٦هـ. أو في سنة ٥٤٧هـ. كما في الحاشية السابقة، ويقول الخزرجي إن بلالاً[١] توفي في سنة ٥٤٥هـ. وفي رواية عمارة يبدو أن محمد بن سبأ الذي أخبرنا بوفاته في سنة ٥٤٧هـ. عاش بعد بلال لمدة عامين على الأقل، ولكن الجندي من جهة أخرى يتشكك في السنة التي توفي فيها محمد بن سبأ، ويقول بأن وفاته وقعت في سنة ٥٤٨هـ أو سنة ٥٤٩هـ أو في سنة ٥٥٧هـ، ويضيف بأن عمران تلقب عند توليته بلقب المكرم.

حاشية [٧١]: يقال بأن البهار وجمعه أبهرة، هو وزن اختلف في تقديره بين ٣٠٠ أو ٤٠٠ أو ٦٠٠ أو ١٠٠٠ رطل، كما يقدر بأنه حمل بعير كامل، وسنرى أن مؤلفنا يراه معادلاً لثلاثة قناطير.

حاشية [٧٢]: انظر طبعة البارون دي سلان لديوان امرىء القيس، وانظر أهلفرت، ورواية البيت فيهما كما يلي:

وإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب[٢]

وجاء في الجندي أن وفاة الصليحي وقعت في ١٢ من ذي القعدة سنة

---

(١) يقول عنه صاحب قلادة النحر (حـ ٢ مجلد ٢ ورقة: ٧٠٧): كان رجلاً عاقلاً كاملاً ديناً، ولاه الداعي أبو السعود أمر عدن لما عزم على مناجزة ابن عمه علي بن أبي الغارات. وملك بلال البلاد بحسن سياسته. ولما توفي سبأ بن أبي السعود ولحق به ابنه الأعز بقليل، ملك بلال، محمد بن سبأ وزوجه من ابنته، وظل بلال صادقاً في خدمته لمولاه محمد بن سبأ ناصحاً له إلى أن توفي بعدن سنة ٥٤٦هـ.

(٢) ومعنى البيت: إن الضعيف العاجز يفاخرك بما ليس فيه من فخر، ويغالبك بما يعلم أنه به مغلوب، وإذا تمكن منك لم يبق عليك، لأنه ليس له من الأصالة وكريم الشيم ما يمنعه من أن يذهب في التنكيل بك متى قدر إلى الحد الأقصى (حسن السندوبي) شرح ديوان امرىء القيس: ٤٩ طبعة القاهرة: ١٩٥٣.

٤٧٣ هـ.[(١)] ويضيف الخزرجي أن ثلاثة رجال من عليهم في المذبحة التي وقعت، فنجا من القتل وائل بن عيسى أمير وحاظة، وعلي بن معن أمير عدن، وابن الكرندي أمير المعافر.

حاشية [٧٣]: من المرجح أن الخليفة الذي يشير إليه النص يقصد به الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز[(٢)].

---

(١) أثبتنا عن تعليقات على الحاشية: ٣١ أن اغتيال الصليحي كان في ذي القعدة سنة ٤٥٩، وليس في سنة ٤٧٣. قتل الصليحي وأخواه عبدالله وإبراهيم وبعض أقاربه، أما الأمير الموفق بن علي الصليحي ومهنا بن علي بن المظفر الصليحي فقد اتجها إلى مكان السيدات لحمايته، وكان العبيد يحاصرون هذا المكان، واستمر الحصار حتى يوم الأربعاء الخامس عشر، فاستأمن مهنا وخرج إلى الأحول، فأخذ منه ميثاقاً شديداً على الحرائر الصليحيات وعلى من بقي من بني الصليحي وسواهم وحلف له الأحول أغلظ الإيمان بأنه سيطلق سراحهم ليسيروا إلى صنعاء، فوثق بقوله ونقل السيدات إلى دار أخرى، وغدر الأحول بالرجال فقتلهم عن آخرهم، ونهب كل ما كان في الدار من أموال جليلة القدر من العين والورق وسائر ما يدخره الملوك (أنباء / دار: ٤٠). وكان الداعي قد أعدها لتنفق منها على الجند وعلى صالح البيت الحرام ويقدمه إلى الأئمة (عيون: ٩١/٧). وسألت السيدة أسماء بنت شهاب الأحول أن يسمح لها ومن معه من النساء بالعودة إلى صنعاء فامتنع. ولم يسمع كذلك لنصيحة أخيه جياش بن نجاح، حينما نصحه بأن يفك أسر السيدة الملكة أسماء ويردها إلى ابنها المكرم ويكتب للمكرم قائلاً: «إنا أدركنا ثأرنا واسترجعنا ملكنا، وقد أحسنا إليك وجملناك بعناية والدتك والعفو عن بني عمك» وإن فعل ذلك لم ينازعه أحد في ملك تهامة أبداً. وإن خالفه أغارت عليه قبائل العرب وطلبت بثأرها، فلم يجبه أخوه إلى طلبه وتمثل بقول الشاعر: (العرشي: بلوغ المرام: ٢٥ ـ ٢٦).

لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها إن كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا

وكان هذا الموقف سبباً في أن العرب ثارت ثائرتهم وحاربوا سعيداً الأحول تحت قيادة الملك المكرم بن علي الصليحي وهزموه شر هزيمة وقتلوه كما قتلوا أخواه بلال ومالك في شهر رمضان من سنة ٤٦١ (عيون: ١١٣/٧؛ الصليحيون: ١٣١).

(٢) ولد عمر بن عبدالعزيز في مدينة حلوان في مصر التي اتخذها أبوه عبدالعزيز بن مروان دار الإمارة ونقل إليها الدواوين، وبعد أن حفظ عمر القرآن، أرسله أبوه إلى المدينة لطلب العلم، فتفقه في الدين وروى الحديث، وعكف على دراسة الأدب ونظم الشعر، وبلغ من علو كعبه في العلم أن قيل: «كانت العلماء مع عمر بن عبدالعزيز تلامذة» ظل عمر بالمدينة حتى مات أبوه وآلت الخلافة إلى عبدالملك بن مروان فبعث=

حاشية [٧٤]: كلمة بحر كثيراً ما يستعملها العرب على سبيل المجاز يقصدون بها الوفرة والكثرة التي لا حد لها، أي في الكرم والعلم وغيرها وأبو الطامي[1] معناها المعظم.

حاشية [٧٥]: المعنى الحرفي لها أن يكون لا حلواً ولا مراً، ومن أمثلة العرب الأثيرة لديهم ما يحذرون المرء من أن يكون شديد الحلاوة فيبتلع ولا شديد المرارة فيلفظ[2].

ولدينا ما يحمل على الظن بوجود خرم هنا في المخطوط، فالجندي ويتابعه الخزرجي ثم الأهدل ثم الديبع يدخلون في تفصيلات تتعلق بمقدرة جياش في الأدب والبلاغة، ويقولون بأن مؤلفاته الشعرية ـ وذلك استناداً على عمارة ـ تملأ مجلداً كبيراً، ويوردون رسالة طويلة مسجوعة قيل بأنه

= في طلب ابن أخيه وزوجه من ابنته فاطمة، وأقام عمر في دمشق حتى ولي الوليد الخلافة سنة ٨٦هـ. فعرف لعمر صلاحه وكفايته فولاه المدينة في تلك السنة فبقي بها سبع سنين. تولى الخلافة بعد سليمان بن عبدالملك في ١٠ صفر سنة ٩٩هـ. وظل قائماً فيها حتى توفي في شهر رجب سنة ١٠١هـ. وكان عمر في غاية النسك والصلاح والتواضع؛ حتى إنه لم يكن للشعراء نصيب في بلاطه الذي امتلأ بأهل التقوى والزهد، وصرف عمال من كان قبله من بني أمية «واستعمل أصلح من قدر عليه، فسلك عماله طريقته، وترك لعن علي عليه السلام على المنابر».
[انظر: مروج الذهب: ١٦٧/٢، ١٦٨؛ أرنولد: الدعوة إلى الإسلام / المترجم: ٧٦، ٢٦٦، ٣٥٤؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء: ١٥٢؛ زامباور / المترجم: ١/١].

(١) من طم وطم البئر ملأها، وطم الأمر علا وغلب، والطامي تؤدي هذه المعاني.
وكان جياش بن نجاح الذي أطلق عليه هذا اللقب شاعراً فصيحاً، وله ديوان شعر ضخم، وعدة مجلدات من النثر، وهو الذي صنف كتاب «المفيد في أخبار زبيد».
ومن شعره:
ويحسدني قومي وأكرمهم فهل سواي حوى الإكرام منه حسود
(خريدة ورقة: ٢٧٩).
ومن قوله:
إذا كان حلم المرء عون عدوه عليه فإن الجهل أبقى وأروح
(قلادة النحر: ٢/٢ ورقة: ٦٤١) (انظر الحاشية: ٧٥).

(٢) لعل (كاي) يقصد: لا تك رطباً فتعصر ولا يابساً فتكسر.

كتبها لمؤدب ولده، كما يقرظون كتابه في تاريخ زبيد. ويضيف الخزرجي أن كتاب جياش كان في عهد الخزرجي[١] من الندرة بمكان، وإنه كان يتعذر الحصول عليه في مكتبة من مكتبات البلاد. ويذكر الجندي نقلاً عن عمارة أن جياشاً كان يلقب بالعادل أبي الطامي، ومن الشعر الذي أورده الجندي مما ألفه جياش البيتين التاليين:

إذا كان حلم المرء عون عدوه	عليه فإن الجهل أبقى[٢] وأروح
وفي الصفح ضعف والعقوبة قوة	إذا كنت تعفو عن قليل وتصفح

ويمضي الجندي في حديثه عن شعر جياش فيقول بأن عمارة يعد البيت التالي من أعظم ما نظم جياش وهو:

كثيب نقا من فوقه خوط بانة	بأعلاه بدر فوقه ليل ساهر

ويبدو لأول وهلة أن استحسان عمارة لهذا البيت يدعو إلى الدهشة، ولكنه يعتمد على مقدرة القراء العرب في إدراك مقصد الشاعر، الذي لا يقصد من وضعه أن يصور لنا بادية تضيئها أشعة القمر هو على العكس، يفصل مفاتن محبوبته وبضاضة جسمها وليونة قوامها التي أشبهها بغصن البان، كما جعل محياها يشع بالحسن والجمال، كما يشع القمر وهو بدر بالضياء والثناء.

ويحكي الخزرجي الظروف التي أفضت إلى موت ابن أبي عقامة، فقد أراد جياش امرأة، فتنه ما سمعه عن جمالها الباهر، وكانت فتاة من قبيلة عربية تنتمي إلى ربيعة بن نزار التي كانت تسكن وادي موزع[٣]. وانقسم

(١) المتوفى في القرن التاسع الهجري (٨١٢هـ.)، ومعنى هذا أن الكتاب الآن يعتبر في حكم المفقود، أي لا وجود له.

(٢) أولى في خزرجي.

(٣) يقول الهمداني بأن الجهات المجاورة لموزع وفيها مخاويات المندب، وقد سكنهما بنو مسيح، وهم قبيلة من بني ماجد، وهم بطن من بني حيدان، وقد سكنهما أيضاً بنو فرسان من سلالة بني تغلب، ويضيف الهمداني بأن نسابة بني حمير يزعمون أن هؤلاء=

أهلها في أمر زواجها منه، وقد نصح القاضي أبناء قبيلتها وكان تغلبياً تربطه بهذه القبيلة وشائج القربى بألا يستجيبوا لمطلبه، ولكن جياشاً فاز بمأربه بما أنفق من المال، وقد أعلمته المرأة حين تزوجت به بما صنعه القاضي[1] في أمر زواجها، وأورد الخزرجي ثلاثة أبيات بدلاً من بيت واحد من الشعر الذي ألفه حسين بن القم[2] وهي:

أخطأت يا جياش في قتل الحسن ... فقأت والله به عين الزمن

ولم يكن منطوياً على دخن ... مبرأ من الفسوق والدرن

كان جزاه حين ولاك اليمن ... قتلكه ودفنه بلا كفن

حاشية [٧٦]: وصف الهمداني جريب[3] بأنها موضع يعقد فيه سوق

= من سلالة حمير. ويقول الهمداني أيضاً أن جزر فرسان سميت باسم القبيلة التي كانت تدين بالنصرانية من قبل، وقد كان لها كنائس في الجزر. ويوصف بنو فرسان بأنهم من التجار المغامرين الذين يتاجرون في تجارة واسعة مع الحبشة (صفة: ٥٣، ٩٨).

(١) والقاضي أبو محمد الحسين بن أبي عقامة، يلقب بمؤتمن الدين، وقد كان عالماً مجتهداً، مشاركاً في كثير من العلوم، ومن مصنفاته. كتاب جواهر الأخبار وكتاب في الفرائض والحساب وآخر في المساحة، وقد ولي القضاء الأكبر في عهد الصليحيين، ثم في عهد جياش بن نجاح الحبشي، وكان الأمير أسعد بن شهاب يثني عليه مع مخالفته له في المذهب الديني، فكان يقول عنه: قام الحسن بأمور الشريعة قياماً يؤمن عيبه ويحمد غيبه (قلادة: ٢/٢ ورقة: ٦٣٥). وكان جياش يجله ويكرمه ويعظمه، وهو الذي لقبه بمؤتمن الدين. وكان مع غزارة علمه شاعراً فصيحاً ومترسلاً ممتازاً (نفسه).

(٢) انظر هامش (٢) حاشية: [٣٨] ص٢٢٨.

(٣) جاء في العيون: (٢٢/٧)؛ الحريث والصواب الجريب كما جاء في ديوان الخطاب؛ ونزهة: (٨٦/١)، وهو بلد في سراة قدم، والجريب من بلاد حجور هي سوق لأهل تهامة وعثر وجميع بلد همدان، كما ذكرها أبو محمد الهمداني في صفة: ٦٩، ١١٣. ويقول عمارة بأن إبراهيم بن جياش توجه إلى الحسين بن أبي الحفاظ الحجوري صاحب الجريب، والواقع أنه التجأ إلى الحسين بن أبي الحفاظ، وهو والد السلطان الخطاب بن الحسن الحجوري الهمداني الذي لعب دوراً هاماً في عهد الملكة الحرة أروى بنت أحمد الصليحية، وقد قال فيه صاحب العيون: (٢٢٦/٧): «.. وكان الخطاب بن الحسن أخا الملكة من الرضاع، ذا منزلة جليلة، وهو أرفع الدعاة بعد=

هام يختلف إليه أهل تهامة والعرب من كافة البلاد المجاورة، وهم من همدان.

وقيل بأن بني جريب[1] هم من سلالة حزيل بن شرحبيل من صحابة النبي ﷺ وتابعيه، وقد ذكره ابن الأثير في أسد الغابة، ولكن الخزرجي كتبه الحارث بدلاً من جريب. ووصف الهمداني بلدة جريب، وذهب إلى أنها تقع في منطقة حجر، والأخيرة مكتوبة في خريطة جلازر.

حاشية [٧٧]: لم يذكر لنا الجندي - وكذلك فعل عمارة - التاريخ الذي توفي فيه منصور بن فاتك[2]. وقال الخزرجي بأنه لم يستطع أن يستوثق من تاريخ الوفاة. ولكن رواية عمارة يمكن أن يفهم منها أن وفاة منصور وقعت بعد أن تولى من الله الوزارة مباشرة.

= الداعي الذؤيب بن موسى وعاضده في إقامة الدعوة الآمرية والطيبية في أوان الحرة الملكة السيدة الصليحية، وبعد وفاتها؛ وكان له عندها مزية جليلة ومرتبة وفضيلة، وهو من دعاة أيام الظهور والستر؛ وكان الخطاب معروفاً بالفضل والعلم والشعر والحكمة (عيون: ٢٢٤/٧).

وقال بامخرمة نقلاً عن صاحب المفيد (قلادة: ٢/٢ ورقة: ٦٣٥ - ٦٣٦؛ عيون: ٢٢٢/٨): «ومن شعراء اليمن المجيدين الخطاب بن الحسن بن أبي الحفاظ». (الصليحيون: ١٩٣ - ٢٠٤، ٢٦٩ - ٢٧٠) والحسن بن أبي الحفاظ صاحب الجريب ينسب إلى حجور وهو حي من همدان وهم ولد حجور بن أسلم بن عليان بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد، وحجور حي عظيم باليمن والشام والعراق يقارب نصف حاشد، ومنهم بني الصليحي ببيت الأخروج، وهم من بني عبيد بن أوام بن حجور (هامش العيون: ٢٢٢/٧؛ إكليل: ٩٧/١٠ - ٩٩). والحسن هذا من ولد حريث بن شرحبيل ثم من ولد مولة بن حجور ثم من قدم من ولد عليان بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد... بن خيران بن نوف بن همدان (إكليل: ٩٧/١٠ - ٩٩؛ عيون: ٢٢٢/٧؛ نزهة: ٨٦/١). وذكر أبو محمد الهمداني في صفة: ١١٣ بلاد حجور من جبال حاشد، وقال حجور أربعون ألفاً. وفي انتساب الخطاب إلى حجور يقول الخطاب (ديوانه: ١١١):

قومي حجور جناح لي أطير به ... وأهل عزمي من دون الورى قدم
لا يبدلون لرسم حين أرسمه ... ولا أبدل رسماً غير ما رسموا

(١) جريب: انظر الهامش السابق.

(٢) توفي منصور بن فاتك هذا سنة ٥١٨هـ. راجع التعليق على الحاشية: ١٣٠ (كاي).

حاشية [٧٨]: من العسير أن نستخلص من هذه الفقرة معنى متسقاً، كما يتعذر علينا أيضاً أن نفهم الرواية المماثلة التي أوردها الخزرجي، وأثبتناها في هامش النص العربي. وكلمات عمارة لا بد أن تفيد بأن السيدة قد لقبت بالحرة لأنها أنجبت لمنصور طفلاً، وهذا تفسير فيما يتعلق بها يتعذر قبوله، خاصة إذا كان من رجل يمني كعمارة. وقد آثرت أن أقرأ بنت كما في الخزرجي ـ بدلاً من بيت. ولكن في نص عمارة كلمة فتنة بدلاً من بنت التي أعادها الخزرجي، ومع ذلك فالفقرة تظل غاية في الغموض.

وكنية أبو الجيش يعرفها الناس جيداً، لأنه قد كني بها واحد من أمراء مصر من دولة آل طولون[1]، وهذه الكنية تفيد صاحب الجيش الكبير. ولكن كلمة جيش يمكن أن تترجم على أنها اضطراب وشغب وهياج، وربما كان يقصد بالكنية هذه المعاني التي وردت في كتاب عمارة. وأضيف إلى أن اسم جياش المشتق من جاش يمكن أن يترجم بمعنى كبير النفس وعالي الهمة.

حاشية [٧٩]: ويضيف الخزرجي استناداً على الروايات التي سمعها من أناس عديدين بأن مَنّ الله[2] دفن في مسجد في زبيد يقع في موضع يسمى «الحد».

وفي زمن الخزرجي كان هذا المسجد يسمى بمسجد ابن الرداد، باسم رجل قام بتجديده عندما تداعى بناؤه. ثم يقول: بأن المسجد في العصور السابقة اشتهر بمسجد ابن مَنّ الله.

حاشية [٨٠]: أبو الحسن بن اللبان الفرضي من كبار الفقهاء وهو

---

(١) هو أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون، تولى الحكم في مصر في ذي القعدة سنة ٢٧٠هـ. واغتيل قرب دمشق في ذي الحجة سنة ٢٨٢هـ. (زامباور / المترجم: ١٤٣/١).

(٢) وزر مَنّ الله الفاتكي إلى منصور بن فاتك بن جياش كما وزر لابنه من بعده وكانت مدة وزارته من سنة ٥١٨هـ إلى أن توفي في ١٥ جمادى الأولى سنة ٥٢٤هـ. (الصليحيون: ٣٣٩).

حجة في الفرائض وتوفي في بغداد سنة ٤٠٢هـ.[(١)]

حاشية [٨١]: أبو عمرو بن العلاء[(٢)] أحد القراء السبعة توفي سنة ١٥٣هـ. أو سنة ١٥٧هـ. وآخرهم سنة ١٨١هـ.

واختلاف القراءات للقرآن يشتمل على فروق يسيرة في القراءة من الخطأ أن نقول بأنها روايات مختلفة للقرآن.

حاشية [٨٢]: لا بد أن الناسخ قد أخطأ في هذه الفقرة، ومن الصعب أن نفهم المراد من عبارة (واسع الأعمال)، كما جاءت في النص، ولم ترد هذه العبارة فيما يقابلها في الخزرجي، وقد جاء في الخزرجي: «فأقطعهم ذؤال[(٣)]

---

(١) الكامل: ٨٨/٩ في ربيع أول سنة ٤٠٢هـ.؛ هو العلامة أبو الحسين محمد بن عبدالله بن الحسن البصري، روى سنن أبي داود عن أبي داسة، وسمعه منه القاضي أبو الطيب الطبري. قال الخطيب انتهى إليه علم الفرائض وصنف فيها كتباً. ومن كتبه في الفرائض كتاب الإيجاد وهو مجلد نفيس، وكان يقول ليس في الأرض فرضي إلا من أصحابي وأصحاب أصحابي. وبنيت له مدرسة ببغداد، وكان يدرس بها. قال الشيخ أبو إسحاق كان إماماً في الفقه والفرائض وعنه أخذ الناس الفرائض، وممن أخذ عنه أحمد بن أبي سالم الفرضي أستاذ أبي حامد الإسفرائيني (شذرات الذهب: ١٦٤/٣).

(٢) أبو عمرو بن عمار بن العريان بن عبدالله بن الحصين التميمي المازني البصري، كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر، وهو في النحو في الطبقة الرابعة من علي بن أبي طالب. وكان أبو عمرو إذا دخل شهر رمضان لم ينشد بيت شعر حتى ينقضي. وكانت ولادته سنة سبعين وقيل ثمان وستين للهجرة بمكة، ثم توفي سنة أربع وخمسين، وقيل تسع وخمسين ومائة بالكوفة ودفن بها، وعاش من العمر ٨٤ سنة. ورثاه عبدالله بن المقفع بقصيدة مطلعها:

رزئنا أبا عمرو ولا حي مثله … فلله ريب الحادثات بمن وقع

(وفيات: ١٣٦/٣ ـ ١٤٠ طبعة مصر ١٩٤٨).

(٣) وكان يسكنه عك، وعك بطن اختلف في نسبه. فقال بعضهم: بنو عك بن عدنان بن عبدالله الأزد، من كهلان، من القحطانية. وقال آخرون: إنهم من العدنانية. وعك أصغر من معد بن عدنان أبو العدنانية، وقال آخرون: إنه عك بن الديث بن عدنان بن أدد أخو معد بن عدنان. كانت مواطنهم في نواحي زبيد، وقطنوا الكدراء من مدن اليمن التهامية (صفة: ٥٤؛ الصحاح للجوهري: ١٤١/٢؛ معجم قبائل العرب: ٨٠٢/٢).

وهو وادٍ شمالي رمع وهذا شمالي زبيد، فلم يزل الغز يستأدون[1] خراج الوادي. . .».

وذكر ياقوت[2] قرية باسم وساع في إقليم عثر، وهي موضع لو صح وصف ياقوت له لكان بعيداً من المنطقة التي نحن بصددها.

حاشية [٨٣]: ليس من الحتم أن نذكر القاريء بأن الأمة في البلاد الإسلامية إذا أنجبت لمولاها فإن عليه أن يعتقها وتصير حرة.

حاشية [٨٤]: أمدنا الخزرجي في هذه النقطة بفقرة موجزة حذفها الناسخ لكتاب عمارة، ولكني أدرجتها في الترجمة، وعبارة الخزرجي هي: «ثم انتقلنا إلى مجلس الشراب وكنا سبعة، أنا ثامنهم، وكنت الساقي فأسكرت الخمسة الذين حضروا، فلما سكروا انصرفوا، فقلت لعثمان.. إلخ».

حاشية [٨٥]: تابعت في ترجمتي هنا أيضاً ما جاء في الخزرجي وهو: «فلما أصبح الصباح عدت إلى عثمان، فأعدت إليه الألف دينار الذي كان دفعه إليّ، وسألته في ضيعة من ذؤال»، ومضى الخزرجي وقد أضاف هذه الكلمات (فوقع لي بها).

وإذا قرأنا فعل «وقع» بالبناء للمجهول اتفق المعنى مع ما جاء في عمارة.

حاشية [٨٦]: في النص سقط لبعض كلمات أكملتها في الترجمة من رواية الخزرجي وهي كما يلي: «فهرب الوصيف وتغلب ببعض غلمان الوزير مفلح، فكتب أبو المعالي بسبب غلامه بيتين وهما:

وأنت سحاب طبق الأرض صوبه   وعاقته عن سقياي إحدى عوائقه

---

(١) في الأصل يشتغلون وهو تصحيف وتحريف والتصحيح من عمارة: ٧٧.
(٢) ياقوت: ٨/٤٢٠.

فإن لم تجد في هاطلات غمامة فلا تدن مني محرقات صواعقه

حاشية [٨٧]: يلاحظ فيما يلي أن عمارة يطلق على هذا الموضع اسماً آخر هو «الكرش»، وجاء مثل هذا في الهمداني[١]. ولكن الاسم يطلق على موضع آخر يختلف عن هذا تماماً، ويقع بين جبل صبر وعدن، والخزرجي كتب «الكرش» (مع الحركات بفتح الكاف وكسر الراء)، وكتبها ياقوت[٢] «الكرش» (بكسر الكاف وإسكان الراء) ويقول: إنه حصن في إقليم المهجم، ولعل بيانه هذا لا يزيد عما نقله ياقوت عن عمارة، ويقول الجندي[٣]: «وسكن حصناً من جبل برع يقال له: «الكرش»، وهكذا صرح بأن القلعة تقع فوق برع».

واسم قلعة دبسان التي وردت في نصنا بعد عدة أسطر جاءت أيضاً في الخزرجي، ولكني لم أعثر عليها في غير هذين المصدرين.

حاشية [٨٨]: يقول ابن خلدون بأن غانم بن يحيى[٤] كان من سلالة أشراف مكة السليمانيين، وقد ذكر لنا - لا في هذا الموضع فحسب، بل في الفصل الذي عقده لتاريخ السليمانيين في مكة - بأن غانم هذا اتجه إلى اليمن عندما طردهم بنو هاشم من مكة، ولكن رواية ابن خلدون في بعض أجزائها في تاريخه العام في حاجة لأن نأخذ بها في شيء من الاحتراس. فهو يخبرنا اعتماداً على ابن سعيد بأن اللاجئين السليمانيين فتحوا صعدة من الرسيين، وأن السليمانيين وذريتهم صاروا أئمة لليمن خلال فترة لا تقل عن قرن ونصف قرن من الزمان، وأن الإمام أحمد الذي دبر اغتيال فاتك بن محمد سنة ٣٥٣هـ، بل والإمام الشهير المنصور عبدالله كانا من أبناء آل

---

(١) صفة: ٧٧.

(٢) ياقوت: ٢٣٨/٧.

(٣) السلوك: ورقة: ١٨٧.

(٤) أنباء / دار: ٥٢.

السليمانيين، ونحن نعلم أن هذه البيانات كلها محض خطأ، كما سأبين فيما بعد [حاشية ١٣٠]، وجدير بالملاحظة أن عمارة وكل من كتبوا في تاريخ اليمن، وفيهم مؤلفا الحدائق واليواقيت (مخطوطتان ٣٧٨٦و ٣٧٧٢ القسم الشرقي) - ذهبوا إلى أن غانم بن يحيى ينتمي إلى أسرة الحسنيين، وأنه يطلق عليهم جميعاً آل سليمان، وكنت إلى وقت قريب أميل إلى أن هذه التسمية إلى آل سليمان تشير فحسب إلى أن هؤلاء القوم تملكوا منطقة كانت تعرف في ذلك الوقت باسم إقليم سليمان بن طرف، ولكن هذا التفسير قد وجدت من الأسباب ما يحملني على نقضه. وإذا استثنينا ابن خلدون، فإني لا أجد بين الكتاب الذين رجعت إلى مؤلفاتهم فيما استعطت أن أتبينه من أوضح حقيقة هؤلاء القوم أو الجهة التي قدموا منها، ولم أجد في أي موضع من المواضع أية إشارة لنسب يربطهم بأئمة صعدة، ولا بد أن أثراً من آثار هذه القرابة يكون ظاهراً إذا قدر له وكان موجوداً. وأميل إلى الاعتقاد بأن ابن خلدون مصيب فيما ذهب إليه من أصل بني غانم بن يحيى. وقد أورد الخزرجي نسباً للشريف أوفى مما وجدت في المراجع الأخرى فهو يسميه غانم بن يحيى بن حمزة بن وهاس [حاشية رقم ١١١]. وليس من غير المحتمل أن جد غانم وهو حمزة بن وهاس هو نفس الأمير السلماني الذي نازع بني هاشم على السيادة في مكة دون أن يصيب نجاحاً، وقد أوضح ذلك سنوك هو جرونيه[١].

وأضيف أني وجدت في الحدائق ذكراً لاثنين من آل السليمانيين أحدهما: علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس وقد عاش في سنة ٥٤٠هـ. والآخر نظام الدين يحيى بن علي (ابن السابق)، وهو حاكم على الإقليم الذي كان يحكمه سليمان بن طرف، وذلك في سنة ٥٩٤ - ٥٩٥هـ. في أيام الدولة الأيوبية.

(١) انظر في ابن الأثير فقرة يتحدث فيها عن الحسنيين بأنهم قوم نزحوا من اليمن في تاريخ سابق على سنة ٤٥٥هـ. [حاشية: ٣١].

ولم أحاول أن أتتبع التاريخ التالي لآل سليمان[1]، ولكني وجدت لهم ذكرا في سيرة الإمام المتوكل يحيى في مخطوط المتحف البريطاني القسم الشرقي رقم ٣٧٣١. يقول مؤلفها بأن الإمام تلقى في سنة ٩٦٣هـ. (١٥٥٦م) رسائل من الأشراف السليمانيين يخبرونه بما أحرزوه من نصر في مقاومة الجيوش التي أرسلها الترك من مصر لمحاربتهم. والمتوكل هو سليل يوسف الداعي المتوفى سنة ٩٦٥هـ.

حاشية [٨٩]: وقعت وفاة فاتك بن منصور في شعبان من سنة ٥٣١هـ. كما جاء في كل من الجندي والخزرجي، وحذف سنة الوفاة من كتابنا يحتمل أن يكون أمراً عرضياً، ولم يأت لنا الجندي ولا الخزرجي بتفصيل الملابسات التي أدت إلى اعتلاء الفاتك بن محمد خليفة الفاتك بن منصور للعرش. ويقتصر الجندي على إعادة ما أورده عمارة. وقد زاد عليه كما جاء في الخزرجي بأن الأمير توفي بدون عقب.

والجمل التي حصرتها بين معتقفات مربعة لا توجد في النص ولكنها مأخوذة عن الخزرجي[2].

حاشية [٩٠]: لم أعثر على الأنساب العربية لهذه القبائل وهي: بنو

(١) انظر هذا الجدول المنقول من زامباور / المترجم: ١٧٨/١ ـ ١٧٩.

بنو سليمان العلويون باليمن

(ظفار، صعدة، تعز... إلخ)

١ ـ غانم بن يحيى (طرد من مكة) سنة ٥٤٠هـ.

٢ ـ وهاس بن غانم، (حارب بني مهدي) ـ

٣ ـ القاسم بن غانم ـ

٤ ـ أحمد المتوكل (الأول) بن حمزة (ت. بشبام سنة ٥٦٦) حول ٥٥٣

٥ ـ عبدالله المنصور بن أحمد (بصعدة)، (ت. ٦١٢ أو ٦١٤) ٥٦٦

٦ ـ عز الدين محمود بن أحمد (؟) ٦١٢ (؟)

٧ ـ أحمد المتوكل (الثاني) بن أحمد (ت. ٦٥٦) ٦٣٠

عزله المهدي أحمد الرسي ٦٤٩

(٢) راجع جدول بني نجاح في التعليق على الحاشية: ١٣٠ (كاي).

مشعل وزعل[1] وعمران[2] التي يمكن أن نلحقها بها. ولكن من المحتمل أن هؤلاء كالحكميين هم عشائر من بني مذحج. وذكر الهمداني أن بني حرام هم بطن رئيسي من بني همدان[3].

حاشية [٩١]: أوضحنا بما فيه الكفاية في ثنايا كتاب عمارة أن بعض السيدات من الطبقة الرفيعة لم تكن من المتشددات في القواعد الدقيقة التي تحجب النساء في الشرق عن الاختلاط بالرجال[4]، ولكن فيما يتعلق بهذا المثال علينا أن نذكر أن سروراً كان عبداً للسيدة علم، فوجوده في حضرتها ليس على ذلك مخالفاً للقواعد الإسلامية.

حاشية [٩٢]: يعتبر الوقوف أو الجلوس في مواجهة شخص علامة من علامات الاحترام لشخص رفيع المرتبة[5].

حاشية [٩٣]: من الواضح أنه يوجد في النص سقط، والترجمة التي أوردها محصورة بين معتقفين مأخوذة عن رواية الجندي وتتفق فيما يتعلق بسرور، ووصف أخلاقه وعاداته. وما جاء في الخزرجي، كما توشك أن تطابق عبارة عمارة. وفيما يلي الفقرة كما هي في الجندي عن مخطوطة باريس (ورقة ٣١٨٨): «وكان متى عاد بعد الركوب (للزيارة والعبادة كما ذكرنا)[6] يصل[7] إلى دار السلطان فيدخل[8] فيسلم ثم يقف بباب السلطان

---

(١) بنو زعل ينسبون إلى زعل بن جشم وهم بطن كبير كانت مساكنهم ما بين سردد ومور وما بين حيس وزبيد (تاج العروس: ٣٥٦/٥).

(٢) بنو عمران: من عشائر اليمن ويقيمون الآن في شمال الحديدة (البتنوني: الرحلة الحجازية: ٥٣).

(٣) في صفة: ١١٦: (حرام: قبيلة من نهد باليمن)؛ وفي شرح الحماسة للتبريزي: ١٩٧/١. (حرام بن مشعل: بطن من القحطانية).

(٤) فمثلاً السيدة أسماء بنت شهاب زوجة السلطان علي بن محمد الصليحي، كانت إذا حضرت مجلساً لا تستر وجهها عن الحاضرين (الأزدي: الدول المنقطعة ورقة: ٦٩).

(٥) وهذه الطريقة موجودة بكثرة بين أهل الشرق وخاصة في الأرياف.

(٦) الزيادة من الخزرجي.

(٧) في الأصل: وصل، والتصحيح من الخزرجي.

(٨) في الأصل: يدخل، والتصحيح من الخزرجي.

فيقضي حوائج الناس على أكمل الأحوال، ثم إذا كان وقت الغذاء ذهب إلى بيته فقال[1] فيه حتى الزوال ثم يخرج من المسجد (في أول زوال الظل)[2]، فلا يشتغل بشيء غير الفريضة (و)[3] غير المسندات الصحيحة عن الرسول ﷺ حتى العصر فيصليه، ويدخل داره يقعد حتى الغروب ثم يخرج إلى المسجد».

حاشية [٩٤]: يمضي الجندي في هذه النقطة قائلاً: ومسجده إلى الآن يعرف بمسجد سرور غربي مرباع[4] العجور بمدينة زبيد، ولا يكاد يعرف من هو سرور إلا آحاد الناس، وأما أهل زبيد فيعرفون أنه من المساجد المنسوبة إلى الحبشة، ويقرر الجندي أن تاريخه للدولة القديمة في غاية الاختصار، ويقول لقرائه بعد أن كتب في وفاة مَنّ الله: «إذا أردت تحقيق ذلك فانظر مفيد عمارة، فإني اختصرت كثيراً من أخباره، ولكن بشرط أن فيما ذكرت دليل على ما لم أذكره صريحاً أو مفهوماً[5]» وحين تناول الجندي الكتابة في سيرة سرور وأخلاقه جانب القاعدة التي درج عليها، ونقل في صفحاته أخبار الوزير الشهير بنص العبارة من كتاب عمارة، وإن المآثر التي تؤثر عن رجل مسلم اشتهر بالتقوى والورع، تعد في نظير الكاتب العربي أجل قيمة في التاريخ من تسجيل قيام الدول وسقوطها، أو في الكتابة في أية حادثة من الحوادث الزمنية، وفيما يلي ما كتبه الجندي: «فأخباره (سرور) في الكرم والشجاعة والعدل يطول شرحها، وقد أورد عمارة من ذلك ما هو مشهور فليطلب ذلك مريده من مفيده، مع أنني قد أطلت في ذكره بخلاف غيره، لما رأيت من استحقاقه، وذلك لأني تحققت مما أشار (عمارة). وذكرت من محاسنه ما ينبه عن البعض المتروك[6]».

---

(١) نام.

(٢) الزيادة من الخزرجي.

(٣) نفسه.

(٤) في الأصل: مرتاح.

(٥) في الأصل: دليلاً أما.

(٦) في الأصل: (حين) بدلاً من (مما)، وأضيفت كلمة (عمارة) لتوضيح المعنى كما أضفنا واو العطف في كلمة (وذكرت). (وينبه) في الأصل غير معجمة.

حاشية [٩٥]: ذكر الجندي نسب علي بن مهدي ولكن أفاض فيه الخزرجي وهو كما يلي: «أبو الحسن علي بن مهدي بن محمد بن علي بن داود بن محمد بن عبدالله بن محمد بن أحمد بن عبدالقادر (؟) بن عبدالله بن الأغلب بن أبي الفوارس بن ميمون من قبيلة حمير، ومن عشيرة رعين»، ويوضح الجندي الأعلام الجغرافية التي وردت في كتاب عمارة كما يلي: «أول ما ظهر أمره بالعرك التي هي أسفل وادي زبيد، أولها قرية العنبرة والقضيب والأهواب والمعتفي وواسط وما قاربها من الأماكن، وصار له فيها ذكر في الصلاح». وبعد ذلك بعدة أسطر أمدنا الجندي بالحركات لكلمة القضيب بهذا الشكل، ولم أجد في غيره من المصادر اسم العرك، وقد ورد ذكر العرك كموضع قريب من زبيد ويقول ابن المجاور: إن وادي العرك هو اسم آخر لقويض على نصف فرسخ من وادي رمع وعلى أربعة من زبيد. ولم يرد اسم الفرح أو العارة في كل من الجندي والخزرجي، ولكن العارة وصفها ابن المجاور بقوله: «إن أهلها من صيادي السمك، وأنه على مقربة منها أطلال بلدة يمكن أن نتبين فيها آثار مسجدين».

وقد وصف عمارة ابن مهدي، ويزيد الجندي عليه بأنه كان رقيق القلب قريب الدمعة غزيرها. وهو وصف لا حاجة بنا لأن نعده مناقضاً للقسوة التي بدت منه في أعماله. ومع ذلك فالمؤلف يقصد إلى أن ابن مهدي، كان من عادته أن يبكي كلما خلا لربه، وتذكر ذنوبه. وتشير العبارة: (بين عينيه سجاده) إلى الآية القرآنية ٢٩ في سورة ٤٨[1].

ويحكي المفسرون أن علياً زين العابدين حفيد علي بن أبي طالب، وعلي بن عبدالله بن العباس جد الخلفاء العباسيين كانا يلقبان بذوي الثفنات، لما كان في جبهتيهما من أثر عكوفهما على السجود. وفي رواية عن النبي ﷺ أنه كان لا يحبذ مثل هذه العلامات، ولكن استهجانه لها يؤول بذكرى الاحترام التي يشعر بها المسلمون نحو زين العابدين، وعلي بن العباس. ويذهب المؤيدون أن النبي ﷺ كان لا يرضى عن علامات

---

(١) سورة الفتح آية: ٢٩.

السجود، إذا تعمد أصحابها إحداثها بضغط جباههم على الأرض عند السجود، فمثل هذه العلامات يقصد به الرياء والسمعة والتظاهر بالورع. نسأل الله السلامة منها، كما يقول الكاتب الذي نقل عن تفسير الكشاف. وكلمة (اعتزل) التي وردت في تاريخ ابن خلدون كما وردت في تاريخ عمارة ترجمتها بكلمة خلا إلى نفسه (اعتكف)، ولكنها يمكن أن تفيد بأن ابن مهدي مال إلى آراء المعتزلة، ولكن ابن خلدون أعده من الخوارج واستند على ما جاء في عمارة من أن ابن مهدي كان يرى أن مرتكب الكبيرة كافر. ونلاحظ أن عمارة يتكلم عن ابن مهدي بأنه خارج، وهي كلمة تفيد بأنه ثائر فحسب.

حاشية [٩٦]: في طبعة ديترصي لديوان المتنبي (ص٢٨٠) رواية البيت هكذا:

فكأنها نتجت قياماً تحتهم　　　وكأنهم ولدوا على صهواتها

ويقول الجندي: إن الملكة «علم» أعفت في سنة ٥٣٦ ابن مهدي وأتباعه من دفع الخراج، وأنه بعد موت الملكة سنة ٥٤٥هـ زاد أتباعه زيادة كبيرة. وقد أورد هذا الكاتب الخطبة التالية التي ألقاها ابن مهدي على أتباعه:

«والله ما جعل الله فناء الحبشة إلا بي وبكم، وعما قليل إن شاء الله سوف تعلمون والله العظيم رب موسى وإبراهيم، أني عليهم ريح عاد وصيحة ثمود، وإني أحدثكم فلا أكذبكم، وأعدكم فلا أخلفكم، ولئن كنتم أصبحتم اليوم قليلاً لتكثرن، أو وضعاء لتشرفن، أو أذلاء لتعزن حتى تصيروا مثلاً في العرب والعجم.

ليجزي الله ﴿الَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ الَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِالۡحُسۡنَى﴾ فالأناة، الأناة، فوحق الله العظيم على كل مؤمن موحد لأخدمنكم بنات الحبشة وأخواتهم ولأخولنكم أموالهم وأولادهم ثم قرأ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ الصَّٰلِحَٰتِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَمۡنٗا﴾.

حاشية [٩٧]: يقول الجندي: إنه بعد وفاة الملكة بايع عدد كبير من الناس في قرية قضيب[١] ابن مهدي على الطاعة. ويضيف بأن ذلك حدث في سنة ٥٤٦، ثم مضى ابن مهدي إلى الداشر[٢] حيث ظل هنالك وقتاً، ثم ذهب إلى حصن الشرف[٣]، وقد أبدلت في النص كلمة داشر ووضعها محل كلمة شرف. ويتضح من العبارات التالية أن كلمة شرف لا يمكن أن تكون هي التسمية الصحيحة. وقد كتب كل من الخزرجي والجندي كلمة داشر بدلاً منها، وفي النسخة المطبوعة من معجم البلدان لياقوت ترى كلمة داشر. ويقول المؤلف بأنها تقع على مسيرة ليلة من زبيد. وكان الشرف من الحصون الواقعة على جبل وصاب[٤] ويمكن أن نقرأ اسم قبيلة حيوان التي تملك حصن الشرف بانها حيدان[٥]. ويذكر الهمداني أن بني حيدان هم أبناء عمرو بن الحاف (صفحة ٥٣)، وعلى ذلك فهم من سلالة قضاعة. ولكنا رأينا في حاشية [٣] أن بعض الخولانيين في اليمن كانوا يعدون من بطون قضاعة.

حاشية [٩٨]: إذا حذفنا الكلمات المكتوبة في الترجمة بحروف مائلة طبقاً للتصحيحات التي أشرت إليها في حواشي النص العربي المطبوع، فإن تسلسل أمراء بني زياد[٦] كما أوضحته هنا يتفق مع ما أورده عمارة من قبل في تاريخه للدولة الزيادية (ص٥)، ثم تبعه الجندي وغيره من مؤرخي

---

(١) من أرض قيس عيلان (ياقوت: ١١٨/٧؛ تاج العروس: ٤٠/٨).

(٢) وردت في ابن الأثير (٢٥/٤ ـ ٢٦) برسم (داسر)، وهي مدينة بينها وبين زبيد اليمن ليلة، كان بها علي بن مهدي الحميري الخارجي.

(٣) حصن الشرف سبق ذكره.

(٤) هو اسم جبل يحاذي زبيد باليمن، وفيه عدة بلاد وقرى وحصون، وأهله عصاة لا طاعة عليهم لسلطان اليمن إلا عنوة (ياقوت: ٤٢٥/٨).

(٥) هم بطن من قضاعة من القحطانية، وهم بنو حيدان (ويقال: حدان) بن عمرو بن الحاف بن قضاعة (نهاية الأرب: ٢٩٦/٢؛ تاج العروس: ٣٤٢/٢؛ لسان العرب: ١٣٨/٤).

(٦) حكموا بلاد اليمن من قبل العباسيين من سنة ٢٠٤ ـ ٤١٢ (زامباور المترجم: ١٧٩/١).

اليمن، وفي الحق أن الفقرة الحالية يمكن أن نشتبه فيها ونعدها من تزيد النساخ، كما أنهم صحفوا فيها، ولكن الدقة التي نراها فيما أورده عمارة عن ملوك بني زياد ليست في ذاتها دليلاً على أنها بريئة من الخطأ، وإنه إذا كان هناك تغيير في النص فمن الممكن أن يعيننا على تقدير الحقائق الصحيحة، فأبو الجيش إسحاق ذكر هنا على أنه حفيد لإبراهيم بدلاً من أن يكون ولده إسحاق بن محمد بن إبراهيم. وذكر إبراهيم بنفس الطريقة على أنه حفيد لمحمد بن زياد بن إبراهيم بن عبدالله بن محمد بن زياد، وجاء في النص أن إبراهيم توفي سنة ٢٨٩، أي أن الوفاة حصلت بعد وصول محمد بن زياد لليمن بست وثمانين سنة، وأن أبا الجيش إسحاق توفي سنة ٣٧١ أي بعد وفاة إبراهيم باثنتين وثمانين سنة، فمن يكون أبا إسحاق [انظر حاشية ١٣]. وقد أورد الجندي بعض الملحوظات التي يمكن أن نعدها دليلاً على تشككه في مبلغ دقة عمارة وتواريخ الأمراء الزياديين، فذكر ما وجده في هوامش النسخة التي رجع إليها من كتاب المفيد لعمارة، وموضوع هذه الهوامش يكفي أن نقول فيه أن الكاتب أغفل حكم زياد بن إبراهيم، وأنه يذكر حسين بن سلامة على أنه خلف إسحاق في سنة ٣٧١هـ. وأنه يعتقد أن الأخير هو الذي كان يكنى بأبي الجيش، ويمضي الجندي قائلاً: فعلى ما ذكر هذا المعلق، كان بنو زياد عددهم قليل ومدة حكم كل منهم طويلة، وعلى ما ذكر عمارة، يكون العكس، وذكر المعلق أن الحسين توفي سنة ٤٠٣ بزيادة سنة على ما ذكر عمارة، واعلم أن هذه الأخبار يدخلها الصدق والكذب، والزيادة والنقصان، وسبب ذلك اختلاف النقل واختلاف كتب التاريخ. فقد يكون المصنف واحداً والتصنيف واحداً، ويختلف ما يوجد بإحدى النسختين عن الأخرى، ويعرف ذلك العارف، فربما ينكر المنكر ما نقلته عن المفيد وغيره لا سبب لذلك إلا قصوره عن الاطلاع على كتب التواريخ والنظر في عدة نسخها. وقد كانت مدة ملك بني زياد مستقلين عن مواليهم من سنة ٢٠٣ إلى سنة ٣٧١، أي ١٦٨ سنة، ونيابة عليهم ٣٨ سنة لقيام ابن سلامة، ثم كانوا أعواناً لمواليهم منادمين معهم حتى كان نفيس كما قدمنا ذكره. قال عمارة وذلك سنة ٤٠٧ (اقرأ سنة ٤٠٩)، فمدة ذلك ٣٨

سنة، ثم تنازع نفيس ثلاث سنين مع نجاح، حتى تمكن الأخير من قتله بالعرق على باب زبيد في ذي القعدة سنة ٤١٢، وذرية هذا (نجاح) توارثوا الملك حتى أزالهم ابن مهدي، فيكون الملك بأيدي الموالي بطريق الانفراد وبطريق الاستقلال ١٤٥ سنة، منها ثلاث تنازع بين نجاح ونفيس[1].

حاشية [٩٩]: لا أقوى على إيراد معنى آخر لهذه الكلمات كما هي في المتن، ولا شك أن الناسخ أخطأ في كتابتها، ولكن يبدو على الألفاظ أنها عدلت، ويسترعى النظر أنها لا توجد في الفقرات التي تقابلها في كتاب الخزرجي، وقد رأينا أن المنصور بن المفضل كان على قيد الحياة في سنة ٥٤٧ وأنه توفي سنة ٥٥٠، وهذا كما جاء في الجندي والخزرجي، ومن جهة أخرى، فإن الفقرة الحالية يمكن أن نوازنها بما قاله ابن خلدون، غير أنه علينا أن نلاحظ أن المنصور لو أنه بلغ العشرين من العمر عندما توفي أبوه سنة ٥٠٤، ولو أنه عاش حتى بلغ المائة أو حتى التسعين فإنه لا بد أن يكون قد عاش بعد مقتل عمارة. وقد قيل لنا: إن عمارة قد كتب تاريخه سنة ٥٦٤، وإن كلمة ثلاثين التي وردت في المتن، يمكن أن يكون الناسخ

---

(١) حكم بنو زياد صنعاء وصعدة ونجران وبيحان وحلي وتهامة، وهم مرتبين على النحو الآتي:
أ ـ محمد بن.. بن عبيدالله بن زياد بن أبي سفيان (ابن خلدون: ٢١٤/٤) سنة ٢٠٤هـ.
ب ـ إبراهيم بن محمد ٢٤٥
جـ ـ زياد بن إبراهيم ٢٨٩
د ـ أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم (ابن خلدون: ٢١٢/٤) ٢٩١
هـ ـ عبدالله (أو زياد أو إبراهيم) بن إسحاق ٣٧١
أما عن وزرائهم (الحجاب) فهم:
١ ـ رشيد الحبشي (من قبل هند بنت إسحاق التي كفلت أخاها عبدالله الصغير ابن خلدون ٢١٤/٤) ٣٧١
٢ ـ الحسين بن سلامة النوبي ٣٧٣
٣ ـ مرجان (حتى سنة ٤١٢) ٤٠٢
٤ ـ نفيس (يذكر ابن خلدون أن اسمه قيس) ٤٠٧
٥ ـ نجاح (عبد حبشي أسس دولة جديدة) ٤١٢
(زامباور / المترجم: ١٧٩/١).

قد أخطأ في كتابتها وجعلها ثمانين، ولكن إذا كان المنصور كما هو مرجح طفلاً عندما مات أبوه سنة ٥٠٤ فمن الجائز أن يكون قد حكم لمدة ثلاثين عاماً عندما أدركته الوفاة سنة ٥٤٨ مثلاً(١).

حاشية [١٠٠]: ذكر الخزرجي موضع الشماحي(٢)، كما ذكر المجمعة(٣) وشرياق وثالثه، ويفهم من عبارته أن هذه المواضع الثلاثة تقع في مخلاف جعفر. ويقول ياقوت بأن المجمعة تقع في وادٍ نخلة. وضبط الجندي ثالثه بأنها الثلاثي. وذكر شرياق في الفقرة التي نقلها عن ابن حاتم وهي في حاشية [١٠١]. ودمت من بين أسماء المواضع التي أوردها الخزرجي، وقد ذكرها الهمداني (صفه ١٠٠) بأنها تقع جهة سحول، كما ذكر كتاب المراصد استناداً على الجندي ويزيد عليه باقتباس يتعذر فهمه. ولم يذكر الخزرجي موضع طحلة، ويبدو أنها إعادة لكلمة نخلة، لم يراع شيء من العناية في كتابتها.

---

(١) كان منصور بن المفضل بن أبي البركات الحميري مستولياً على ذي جبلة، وملك بني المظفر في أشيح وحصونهم بعد وفاة أبيه المفضل سنة ٥٠٤، وكان يدين بالطاعة للملكة الحرة حتى وفاتها سنة ٥٣٢، وبعد ذلك استولى على ما كان تحت يدها من حصون وذخائر وأموال، ولما تقدمت به السن، وأعيته الشيخوخة عن التحرك، باع حصون بني الصليحي ومدنهم سنة ٥٤٧هـ (عيون: ٢٠٧/٧)، وهي ثمانية وعشرون حصناً ومدائن، اشتراها المتوج محمد بن سبأ بن أبي السعود الزريعي بمئة ألف دينار (عمارة / كاي: ٥٦). أما منصور بن المفضل فنزل إلى حصن تعز وصبر، ولم تزل صحته تتدهور حتى وافاه الموت سنة ٥٥٢، فخلفه ابنه أحمد، واستمر هذا مالكاً لتعز وصبر حتى سنة ٥٥٨، حيث اشتراها منه علي بن مهدي، وانتقل أحمد إلى الجند فسكنها إلى أن توفي سنة ٥٦٣ (قرة: ٢٧). وبقيت هذه الحصون والقلاع في أيدي ملوك بني زريع إلى أن استولى على بلادهم عبدالنبي بن علي بن مهدي، وتملك بلادهم غير عدن، فإنهم صالحوه على تركها في أيديهم (عيون ٢٠٧/٧). حتى أزالهم عنها توران شاه بن أيوب. (الصليحيون: ٢٤٠ ـ ٢٤١).

(٢) ذكرها ياقوت الشماحي (٢٩١/٥).

(٣) موضع بوادي نخلة من بلاد هذيل (ياقوت: ٢٨٩/٨)؛ وهذيل بن مدركة بطن من مدركة من العدنانية، وهم بنو هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ـ أو قد يكون هذيل بن زيد بطن من قضاعة من القحطانية (معجم قبائل العرب: ١٢١٣/٣ ـ ١٢١٥).

حاشية [١٠١]: دفن ابن مهدي[1] في زبيد كما جاء في الخزرجي، وقد دفن في موضع هنالك كان قد اختاره بنفسه، وعرف المسجد الذي بني فوق قبره باسم المشهد. وكان يقع مقابلاً للمدرسة المعروفة بالمائلين (الميلين أو الميلون)، وكانت منارة المسجد لا تزال قائمة في أيام الجندي، ولكن حول المسجد إلى مربط للخيل، استخدمه أحد ملوك الترك. وجاء في الخزرجي أن السلطان الأشرف إسماعيل (٧٧٨ ـ ٨٠٣) من ملوك الدولة الرسولية وضع أساس مدرسة في موقع قبر ابن مهدي، ولكنه عدل عن نية البناء، وتحولت البقعة إلى مناخ تنيخ به إبل السلطان، وظلت تستخدم لهذا الغرض إلى عصر المؤلف.

وقد هاجم مهدي الذي جاء بعد أبيه علي بن مهدي، أهل لحج وذبحهم في سنتي ٥٥٦، ٥٥٧، ثم فتح الجند وذبح أهلها، وألقى بجثث القتلى في بئر المسجد وكان هذا سنة ٥٥٨، ثم قفل راجعاً إلى زبيد وهو يعاني من علة في جسده حيث طفح فيه طفح يدل على نتيجة حروق. ثم أصبحت مجموعة من القروح المفتوحة، وكان هذا حاله حين اضطر لأن يحمل من تعز في محفة مبطنة بقطن وصوف محلوج (مندوف).

وقد توفي في غرة ذي القعدة سنة ٥٥٨هـ. وبعد أن نقل الخزرجي البيانات الآنفة الذكر عن الجندي مضى يقول: إن مؤلف «كتاب العقد الثمين» قد أورد لنا رواية مختلفة عن تعاقب حكام هذه الدولة فيقول: إنه طبقاً لما ذكره هذا الكاتب، جاء بعد ابن مهدي ولداه مهدي وعبدالنبي، والأخير تولى الإدارة العامة لشؤون الدولة، ونهض أخوه بقيادة الجيش. ويقول الكاتب بأن مهدي عاد من حملته على الجبال في محرم سنة ٥٥٩،

---

(١) بنو مهدي حكموا فترة في اليمن وقد تولى أمراؤهم على النحو الآتي:
أ ـ أبو الحسن علي بن مهدي بن محمد بن علي بن داود بن محمد بن عبدالله بن محمد. . . الرعيني سنة ٥٥٣/٥٥٤هـ.
ب ـ مهدي بن علي (توفي في مستهل سنة ٥٥٨) ٥٥٤
حـ ـ عبدالنبي بن علي (حتى سنة ٥٦٩) ٥٥٨
(زامباور: ١٨٢/١).

وتوفي في زبيد في الثاني عشر من نفس الشهر، وبذلك أصبح عبدالنبي هو الحاكم الأوحد للبلاد، وواصل الحروب بعد أخيه في الفتح والتخريب. ففي سنة ٥٦٩ هاجم الأشراف السليمانيين، وتألب جماعة من الأعداء تولى أمرهم الأمير وهاس بن غانم بن يحيى بن حمزة بن وهاس، ولكن عبدالنبي تغلب عليهم، ومزقهم شر ممزق. وكان أميرهم نفسه من بين القتلى. ويقول الخزرجي: إن عبدالنبي ألف بهذه المناسبة قصيدة من نوع من القصائد يسمى المسمته، وقد أوردها بطولها بعد ذلك في صفحة ١٠٦، وأوردها بعد أن اقتبس فقرة من عمارة لا توجد في مخطوط عمارة بالمتحف البريطاني. والقصيدة تدل على أن عبدالنبي كان شاعراً مجيداً، كما كان مقاتلاً باسلاً، وإنه قد نظم مجموعة من القصائد من بينها القصيدة المسمته.

ومضى الخزرجي في كتابته مستنداً على مؤلف العقد الثمين، ففصل القول في فتوح عبدالنبي، وإغاراته في جبال اليمن. وقد حاصر عدن في سنة ٥٦٨ مما حمل حاتم بن علي ابن الداعي سبأ بن أبي السعود على أن يتقدم نحو صنعاء، وأن يؤثر على سلطان همدان علي بن حاتم جد المؤرخ ليعين الزريعيين ضد عدوهم المشترك، وقد لبى الدعوة علي بن حاتم هذا لأنه كالزريعيين فرد من عشيرة يام. ولكنه اشترط بأن تؤيده قبيلتا جنب[١] ومذحج[٢]. ومضى حاتم هذا إلى ذمار، ونال وعوداً من السلطان عبدالله بن يحيى ومن الشيخ زيد بن عمرو رئيسي القبيلتين، بالانضمام لهذا التحالف، ولذلك سار علي بن حاتم من صنعاء في شهر صفر سنة ٥٦٩ على رأس بني همدان تصحبهم قبائل سنحان وشهاب ونهد وغيرها[٣].

---

(١) راجع هامش ١ ص٢٨٧.

(٢) مذحج بن أدد: بطن من كهلان من القحطانية، وهم بنو مذحج، واسمه مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان (معجم قبائل العرب: ١٠٦٢/٣ - ١٠٦٣؛ تاريخ ابن خلدون: ٢٥٥/٢؛ نهاية الأرب: ٣٠١/٢).

(٣) ذكر الهمداني بني شهاب على أنهم من عشيرة بني كندة، أما بنو نهد فهم بطن من قضاعة، ولكنهم يشتركون مع بطن من بطون همدان في هذا الاسم. وفي ص٩٢ من الصفة يسمى الهمداني بني نهد بأنهم بطن من بني عنس.

وقد حشد العرب قواهم في منطقة سحول، وهاجموا جيش عبدالنبي وهزموه هزيمة منكرة قرب إب، ثم تقدم الحلفاء إلى ذي جبلة، ثم إلى الجند، وكان العدو قد ترك هذين الموضعين، وهاجم المهديين كرة أخرى، وشتتوهم في ذي عدينة قرب تعز. وجاءت الأخبار من عدن أنه قد رفع الحصار عنها. وأن المعسكر الذي أنشأه عبدالنبي في الزعازع قد أخلي. وكان السلطان الهمداني علي بن حاتم يرغب في مطاردة العدو في أرض تهامة، ولكن حلفاءه من قبيلتي جنب ومذحج أبوا متابعته، فرجع إلى صنعاء. وهكذا انتهت حملة القصيدة الرائعة. وقد بدأ من الجند يوم السبت ١٩ ربيع أول ووصل ذا أشرق في المساء، وذا جبلة في اليوم التالي، وهنا حط رحله لمدة ستة أيام، ثم أمر بهدم القصر الكبير الذي كانت تسكنه الملكة أروى الصليحية ابنة علي بن عبدالله بن محمد[١].

وعاد عبدالنبي إلى زبيد حيث علم بأن توران شاه الأيوبي في محل أبي تراب، وأن الشريف قاسم بن غانم بن يحيى بن حمزة بن وهاس قد تحالف مع الغزاة لأنه كان يتوق للأخذ بثأر أخيه.

ذكرت في مقدمة هذا الكتاب أن التفصيلات السابقة قد استخلصتها من الخزرجي الذي نقل عن «العقد الثمين» لابن حاتم، وأن هذه التفصيلات لا توجد في متن المخطوط المنسوب إلى المؤلف نفسه والمحفوظ في مكتبة المتحف البريطاني، ومخطوط ابن حاتم يبدأ بوصف تفصيلي لفتح اليمن على يد توران شاه، وفيما يلي موجز لهذا التاريخ:

عند وصول توران شاه انضم إليه في حرض[٢]، والتي تسمى أيضاً بمحل أبي تراب، الأمير قاسم بن غانم بن يحيى بن حمزة السليماني الذي

---

(١) هذه الملكة غير الملكة أروى السيدة الحرة بنت أحمد الصليحية (راجع الجدول في التعليق على الحاشية: [١٠٨] من هذا الكتاب).

(٢) حرض: هو بلد في أوائل اليمن من جهة مكة، نزله حرض بن خولان بن عمرو بن مالك بن حمير فسمي به، وهو اليوم بين خولان وهمدان (ياقوت: ٢٥٣/٣).

كان يقع موضع حرض في داخل أملاكه. وزحف الحلفاء من هذا المكان في نهاية رمضان سنة ٥٦٩، وفي السابع من شوال وصلا زبيد. وقد امتلكوها في فجر التاسع من شوال. وقد نهبت المدينة وأسر عبدالنبي وأخواه، وبدأ الشريف قاسم يستعد للعودة إلى بلاده في السادس من شوال (لعله السادس عشر)، وبقي توران شاه في زبيد إلى نهاية الشهر التالي وهو ذو القعدة. ثم زحف على تعز التي سلمت له، ثم ملك الجند، ومنها إلى عدن التي فتحها في العشرين من الشهر ثم استباحها[١].

وقد عاد السلطان إلى مخلاف جعفر وامتلك التعكر. ثم سار لقتال الولايات الشمالية، وقد بدأ من ذي جبلة، وصعد إلى نقيل صيد في ٢٨ ذي الحجة. وفي دروان (؟) أظهر السلطان عبدالله بن يحيى الجنبي[٢] خضوعه، وأخذ المصنعة[٣] من الشيخ محمد بن زيد البقري الجنبي، ثم مضى السلطان إلى ذمار حيث هاجمه الجنبيون وبعض القبائل العربية، وقد لاقت حملة الأيوبيين مقاومة شديدة، ولكن العرب هزموا، وعانوا خسائر كثيرة في حصن هران. وبلغ توران شاه أرباض (نواحي) صنعاء في السابع من المحرم سنة ٥٧٠ (ولعلها ١٧ محرم). وقد هرب علي بن حاتم إلى حصن بيراش[٤]، وانطلق توران شاه عائداً إلى زبيد دون أن يتوقف لاحتلال البلدة. وعندما كان سائراً في طريق نقيل صيد أطبقت عليه الهجمات من بني سنحان وشهاب ثم من أهل برع[٥]، ولكنه وصل إلى زبيد سالماً. وفي جمادى الأولى عاد إلى الجند، ثم شغل نفسه بامتلاك معاقل الجبال،

---

(١) يقول المؤرخون: إن أبناء الداعي عمران قد أسروا في عدن، كما أسر ياسر بن بلال، ومن الواضح أن هذا خطأ (انظر الصحيفة التالية وحاشية: ٦٩).

(٢) جنب: بطن من مراد، من القحطانية (المشتبه للذهبي ٩٠).

(٣) ذكر ياقوت المصنعة على أنها اسم لحصن يطل على ذمار، ويقول بأن هران معقل من معاقل ذمار (انظر صفة: ٨٠؛ ياقوت: ٧٩/٨).

(٤) ورد في معجم البلدان (٩٨/٢) برسم (براش)، وهو حصن مطل على مدينة صنعاء على جبل نقم.

(٥) برع: جبل بناحية زبيد باليمن فيه قلعة يقال لها حلبة، وهي قرب سهام (نفسه: ١٢٨/٢).

فاستولى على التعاقب: صبر[1] وبادية (؟) وشرياق وعزان[2] ذخر، ونمير التي كان يملكها الأمير منصور (بن عمران) بن محمد بن سبأ، ثم استولى على منيف وعلى السمدان، ولكن لم يهاجم ساوا (سوا) التي كان يملكها ابن السبائي، ثم حاصر الدملوة[3] التي كان يوجد بها أبناء الداعي عمران تحت وصاية جوهر، وأقام المجانيق لكي يهدم أسوار الحصن، ولكن القذائف نزلت على الصخور السفلية دون أن تؤذي المعتصمين بالحصن. ومع ذلك فإن جوهراً قد سلم القلعة في النهاية في مقابل امتلاك بعض الأراضي المنخفضة المجاورة للحصن. وفي شعبان كان توران شاه في ذي جبلة حيث علم بقيام الفتن والاضطرابات في تهامة فأمر بقتل عبدالنبي وأخويه أحمد ويحيى. وقد قتلا في زبيد في السابع من رجب سنة ٥٧٠هـ. وبعد ذلك باثني عشر شهراً بعد أن أمر توران شاه بقتل ياسر بن بلال، انطلق في عودته من اليمن إلى مصر.

حاشية [١٠٢]: حذف مخطوطنا اسم سبأ بن أحمد بن المظفر، وهو الذي تولى منصب الداعي بعد موت المكرم[4]. وقد رأينا أن سبأ بن أحمد

---

(١) صبر: اسم لجبل شامخ مطل على قلعة تعز فيه علة حصون وقرى باليمن (ياقوت: ٣٣٦/٥).

(٢) عزان: من حصون تعز في جبل صبر باليمن (ياقوت: ١٦٩/٦).

(٣) الدملوة: راجع حاشية: ١١١.

(٤) الواقع أن سبأ بن أحمد لم يتول أمر الدعوة بعد وفاة المكرم كما قال عمارة وغيره (عمارة / كاي: ٣١؛ كفاية: ٥٢) لأن إدريس (عيون: ١٢٦/٧ ـ ١٣٠) نقلاً عن السجلات (رقم ١٤، ٢٦) جاء برأي وهو الأصح «بأن المكرم عندما توفي كتمت الحرة الملكة الأمر إلى أن جاءها سجل أمير المؤمنين المستنصر بالله بإقامة ولدها المكرم الأصغر عبدالمستنصر علي بن المكرم أحمد، كما أمر المستنصر بأن ترسل كل المراسلات إلى علي بن المكرم، وكلفه بالقيام بمرافق الدعوة وأمور الدولة بقوله: «وقد رأى أمير المؤمنين أن يصطنعك، ويلحقك برتبة أبيك، وينصبك منصبه ويرقي بك درجته. . وأمره (أي الأمير أبا الحسن جوهر المستنصري) أن يقلدك النظر فيما كان أبوك تقلده من الدعوة الهادية، والأحكام في سائر اليمن، وسائر الأعمال المضافة إليه براً وبحراً وسهلاً ووعراً ونازحاً ودانياً وقريباً ونائياً. . حتى خصك من ملابس الإمامة بشريف الحباء» (سجل رقم ١٤)؛ وإننا نرجح أن الكسوة التي أرسلها الخليفة الفاطمي إلى علي بن المكرم، كانت من الثوب الديبقي، وهذا النوع كان ينعم به على الأمراء وحدهم (المقريزي: خطط: ٤٤٠/١)».

قد توفي سنة ٤٩٢، وقد وصل ابن نجيب الدولة إلى اليمن وهو يحمل لقب الداعي في سنة ٥١٣، ولذلك فلدينا فترة مقدارها واحد وعشرون عاماً كانت وظيفة الداعي في خلالها - إذا وثقنا بما جاء في مخطوطنا - يشغلها رجلان على التعاقب أحدهما غير معروف، أما لقب سلطان الذي منح للآخر فإنه ربما لا يشغلنا كثيراً، إذا علمنا أن هذا اللقب كثيراً ما يمنح دون تمييز. وهناك كثير من الاعتبارات تحملنا على التشكك في دقة مخطوطنا، فإن ما يشتمل عليه من كثير من السقط والتحريف تجعل معنى كثير من الفقرات مبهماً مستغلقاً. والطريقة التي أدرج بها منشور الخليفة الآمر تدل على أن المنشور قد أقحم إقحاماً، وأن يعترض موضوع الفصل اعتراضاً يثير شكوكنا، وعندما يستأنف الكاتب هذا موضوعه فإنه لا يجد ذكراً لعبدالله بن عبدالله الصليحي الذي قيل لنا بأنه كان يشغل وظيفة الداعي بعد ابن نجيب الدولة، كما أننا لا نجد تفسيراً للقب الداعي عند وصوله (لجزيرة) دهلك. والجملة التي تبدأ بهذه الكلمات في (ص١٠٢): «ثم نقلت دعوة الحافظ إلى آل زريع» يرجح أنها زيادة من الناسخ نقلها فيما يبدو عن الجندي، ولكنه وضعها في غير موضعها. وقد كتب الجندي ما يلي: «فلما ذهب ابن نجيب الدولة على ما سيأتي أقامت مكانه الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي». ثم بلغ السيدة وفاة الآمر (القائم في الأصل) وقيام الحافظ بمصر أضافت دعوته إلى آل زريع، وقالت حسب آل الصليحي ما علموه من موالينا صلوات الله عليهم، كما سيأتي مبيناً إن شاء الله تعالى. وكان ذلك بعد موت الداعي إبراهيم، وكان أول من قبلها من آل زريع سبأ بن أبي السعود[1].

(١) ولفهم موضوع دعاة الفاطميين في اليمن على الوجه الصحيح يجب أن نعرف أن الفاطميين قامت لهم باليمن دولتان: الأولى قامت على يد منصور اليمن وزميله علي بن الفضل الجدني، والثانية قامت على يد علي بن محمد الصليحي. فالدولة الأولى ظلت باليمن من سنة ٢٦٨ إلى أن توفي منصور اليمن سنة ٣٠٢ (الصليحيون: ٢٧ - ٤٨). ثم دخلت الدعوة في دور من الستر (٣٠٣ - ٤٣٩) وفي هذه الفترة تولى أمر الدعوة في اليمن عبدالله بن عباس الشاوري، وقد قتل في عهد الخليفة المنصور الفاطمي سنة ٣٣٦ (أنباء / دار: ٢٤)، وخلفه الداعي يوسف بن موسى بن الطفيل وكان ذلك في خلافة المعز (عيون: ١/٧ - ٢؛ سلوك / كاي: ١٣٩ - ١٥٤)، ثم خلفه الداعي جعفر بن أحمد بن=

وبعد هذا النص يمضي الجندي في رواية نهاية ابن نجيب الدولة

= عباس (عيون: ٧/١)، ثم خلفه الداعي عبدالله بن محمد بن بشر وكان ذلك في عهد العزيز (عيون: ٧/١ ـ ٢)، ثم خلفه الداعي محمد بن أحمد بن العباس (نزهة: ١/٣٢ ـ ٣٣)، ثم خلفه الداعي هارون بن محمد بن رحيم وكان في أيام الحاكم (كشف: ٢٢). ثم خلفه الداعي يوسف بن أحمد بن الأشج في عهد الحاكم (سلوك / كاي: ١٣٩ ـ ١٥٤). ثم خلفه الداعي سليمان بن عبدالله بن عامر الزواحي في عهدي الحاكم والظاهر (كشف: ٣٩ ـ ٤٢) (راجع ذلك بالتفصيل في كتاب: «الصليحيون»: ٤٩ ـ ٦١).

والدولة الفاطمية الثانية: ظلت في اليمن من سنة ٤٣٩ إلى سنة ٥٣٢، وهي مدة حكم الدولة الصليحية، وتولى أمور الدعوة فيها السلطان علي بن محمد الصليحي الذي ورث أصول هذه الدعوة عن الداعي سليمان بن عبدالله الزواحي، وقد جمع بين الملك والدعوة. ولما قتل سنة ٤٥٩ خلفه ابنه أحمد المكرم رئيساً للدولة والدعوة ولكن الإمام المستنصر بالله لقبه (بداعي السيف)، وعين بجواره الداعي لمك بن مالك ولقبه (داعي القلم) (نزهة: ١/٨٣؛ عيون: ٧/١٠٤). ولما توفي المكرم سنة ٤٧٧ استمر الداعي لمك يعمل في عهد الملكة أروى في نفس وظائفه، ولما توفي سنة ٥١٠ (صحيفة الصلاة ٣٣٥)، خلفه ابنه يحيى في نفس الوظيفة: «فاستمر ينصب الدعاة ويوضح معالم الدين ويحيي مراسمه، ويبين شريعته، ويفسر تأويله وحقيقته» (عيون: ٧/١٤٤).

وظل يحيى يباشر أمور الدعوة في عهد الملكة أروى حتى توفي سنة ٥٢٥ (صحيفة الصلاة: ٣٣٩).

ولما رأت الملكة بثاقب فكرها أن الدولة أخذت تتزعزع أركانها، قررت فصل الدعوة عن الدولة فصلاً تاماً، حتى تباشر الدعوة نشاطها الديني والعلمي مستقلة عن تأييد الدولة، ففصلت هذه الدعوة كلية عن إدارة الحكومة، فأصبح يقوم بأعباء هذا النظام الثنائي رؤساء مختارون لإدارة شؤون الدولة والدفاع عن المملكة، وآخرون للدعوة. وقبل وفاة الداعي يحيى أقام بالاشتراك مع الملكة الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي في رياسة الدعوة (عيون: ٧/١٨٧ ـ ١٨٨). وبعد اختفاء الإمام الطيب ابن الخليفة الآمر الفاطمي دخلت الدعوة في اليمن مرحلة أخرى. فصارت منظمة دينية بحتة بعد سقوط الدولة الصليحية سنة ٥٣٢، يعوزها تعاون الدولة وتأييدها، مع أنها كانت دائماً طوال القرون تسعى لإنشاء دولة مستقلة في المناطق التي قطنها أولو الدعوة، وبانفصال الدعوة اليمنية عن الدعوة الفاطمية باسم الدعوة الطيبية، أصبح الداعي الذؤيب أول داعي مطلق للإمام المستور (الطيب بن الآمر بن المستعلي). وبذلك يكون الداعي الذؤيب قد أدرك دور الظهور ودور الستر. ولما توفي سنة ٥٣٦ خلفه في الدعوة الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي حتى توفي سنة ٥٥٧، فخلفه ابنه الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي حتى توفي سنة ٥٩٦. (للاستزادة في هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى كتاب الصليحيين: ٢٦٩ ـ ٢٩٨).

في اليمن، وقد أعاد القصة الآنفة الذكر بنفس العبارة تقريباً، ولكنه يضيف أن إبراهيم الحامدي لم يعش طويلاً بعد تعيينه داعياً، وأنه قد توفي في نحو الوقت الذي أتى فيه الخبر بوفاة الخليفة في مصر، ولذلك نقلت الملكة وظيفة الدعوة إلى آل زريع[1]. وقد اغتيل الآمر في القاهرة، اغتاله النزاريون في ذي القعدة سنة ٥٢٤، ويخبرنا مخطوط عمارة أن إبراهيم بن الحسين الحامدي عين في السنة الثانية من حكم

---

(١) أما عن نقل الملكة الدعوة إلى بن زريع، فإن الملكة رفضت دعوة الحافظ وتمسكت بالدعوة القديمة لأنها اعتبرت أن الخليفة الحافظ قد اغتصب حق الخلافة من الإمام الطيب ابن الآمر، حدث كل هذا بعد قتل الآمر سنة ٥٢٤ وعجز الحافظ عن استمالة الملكة أروى إلى قبول خلافته وإعلان ولائها لشخصه (عيون: ٢٠٧/٧). وقد قبل دعوته في اليمن سبأ بن أبي السعود الزريعي. ويقول إدريس: «لم يجب سبأ دعوة عبدالمجيد (الحافظ) إلا تقية وخوفاً.. وإنه كان باقياً على طاعة الإمام الطيب» (عيون: ٢٠٤/٧). وقال صاحب الأنباء (ص٤٧): «إنه وصل العلم بقتل الخليفة الآمر سنة ٥٢٤ بمصر وقيام الحافظ بعده. فأضافت السيدة دعوته إلى الزريعيين». ويقول صاحب العيون (٢٠٥/٧): «ورأت الإمساك عنه، والاغضاء أجدر، ولم تظهر الإنكار عليه، تقية من سلطان عبدالمجيد.. على دينها، ورعاية لأهل دعوتها ومملكتها وأهلها» (الصليحيون: ١٧٥ ـ ١٩٣).

ثم يجب أن نفهم طبياً أن السلطان سبأ بن أحمد الصليحي طمع في رياسة الدعوة والدولة بعد وفاة الملك المكرم وبناء عن وصية المكرم كما ورد في عمارة (ص٣١؛ كفاية: ٥٢)، إلا أن الملكة لم تمكنه من ذلك كما رأينا، ومع ذلك فإنها أقامته للذب عن الدولة فأبلى في ذلك بلاء حسناً (الصليحيون: ١٤٨ ـ ١٦١). وبعد وفاة سبأ سنة ٤٩٢ استعانت بالأمير المفضل بن أبي البركات الحميري (نفسه: ١٦٧). وبعد وفاة المفضل سنة ٥٠٤ استعانت بالأمير أسعد بن أبي الفتوح الحميري (نفسه ١٦٧ ـ ١٦٨). ثم اختلت أمور الدولة وطمع فيها الطامعون، استعانت بالخليفة في مصر فأرسل إليها الوزير الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي في سنة ٥١٣، الأمير الموفق ابن نجيب الدولة (نفسه ١٦٨ ـ ١٧٤)، ولما رحل ابن نجيب الدولة اختارت الملكة السلطان علي بن عبدالله الصليحي (ابن أخي السلطان علي بن محمد الصليحي مؤسس الدولة الصليحية) للدفاع عن دولتها (نفسه: ١٧٤ ـ ١٧٥). من ذلك ترى أن أمور الدولة كانت تختلف عن أمور الدعوة في عهد الملكة أروى، فلكل من النظامين موظفوه المسؤولون عنه.

الحافظ، وعلى ذلك فيمكن أن نقول: إنه عين في سنة ٥٢٦، فإذا كان هذا صحيحاً فإنا نفترض أن الداعي عبدالله بن عبدالله تقلد هذا المنصب منذ تاريخ اختفاء ابن نجيب الدولة في سنة ٥٢٦، وتقلد وظيفته لمدة ست سنوات. ولكن رواية الجندي القائلة بأن إبراهيم الحامدي قد عين داعياً عند رحيل ابن نجيب الدولة يبدو أنه هو الرأي الراجح، ويؤيده البيان الذي أورده فيما بعد، وهو أن إبراهيم الحامدي توفي في نحو الوقت الذي وصل فيه إلى اليمن خبر موت الخليفة الآمر في مصر، ولنقل إن ذلك كان في بداية سنة ٥٢٥، فإذا اعتبرنا الآن رواية عمارة القائلة بأن إبراهيم خلفه ابنه حاتم، فإنا نجد أنفسنا وقد اعتبرنا الحال التاريخ الآخر الذي ذكره عمارة، وهي السنة الثانية من حكم الخليفة الحافظ. ومع ذلك ففي هذه الحالة يجب أن يعتبر هذا التاريخ بأنه هو التاريخ الراجح حين نقلت وظيفة الدعوة نهائياً إلى آل زريع.

ومع ذلك فتوجد نقطة أخرى في حاجة إلى الاعتبار، وهي أن حاتم بن إبراهيم بن حسين الحامدي يعرف بأنه كان رئيساً من رؤساء آل همدان الأقوياء وكان ينازع على العرش لمدة ثلاث سنوات السلطان الحاكم في ذلك الوقت وهو علي بن حاتم. وقد حدث هذا فيما بين سنتي ٥٦١ - ٥٦٤. ولا يمكن التوفيق بين هذه التواريخ وبين التواريخ التي أسلفنا ذكرها، إذا افترضنا أن حاتم بن إبراهيم تقلد منصب الداعي حينما كان طفلاً. غير أن هذا قد يساعدنا على توضيح وقوع هذا الأمر وهو أنه شغل هذه الوظيفة لمدة قصيرة.

حاشية [١٠٣]: توفي الخليفة الآمر دون أن يعقب ذكراً، وذلك بعد ستة أشهر من ولادة الطفل الذي ورد ذكره في المتن، وعلى ذلك فالطفل الرضيع الذي عقدت عليه الآمال الواسعة لا يمكن أن يكون قد عاش أكثر من أسابيع قليلة، ولكن عند موت الخليفة وجدت امرأة من نسائه حاملاً وعلى ذلك فقد أبيح للحافظ أن يحكم كوصي فحسب، وذلك إلى أن يولد الطفل، وعند ولادته تبين أنه أنثى. وربما يوضح لنا هذه العبارة التي وردت

في المتن أن الحافظ عندما اتصل لأول مرة بالملكة، كتب لها من ولي أمير المؤمنين[(١)].

حاشية [١٠٤]: رواية ابن خلدون فيما يتعلق بهذه النقطة ليست واضحة، ويبدو أنها ناقصة عن طريق إهمال المؤلف أو إهمال الناسخ.

---

(١) أنجب الخليفة الآمر قبل قتله بقليل طفلاً في الليلة المصبحة باليوم الرابع من شهر ربيع الآخر سنة ٥٢٤. وسماه الطيب وكناه أبا القاسم، وكتب سجلات البشارة بهذا المولود والنص على إمامته، ومن ذلك سجله إلى الملكة أروى الصليحية (عمارة / كاي: ١٠٠ ـ ١٠٢؛ عيون: ١٩٢/٧ ـ ١٩٣). وبعد مقتل الخليفة الآمر أظهر الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل مذهب أهل السنة، بعد أن أقام الدعوة الخليفة المزعوم أبي القاسم المنتظر القائم في آخر الزمان المهدي حجة الله على العالمين، واستولى على أمور الدولة، وقبض على ابن مدين صاحب الرتبة (باب أبواب الطيب) وقتله، فاستتر القاضي أبو علي صهر ابن مدين بستر الإمام الطيب وسافر معه ولم يعرف إلا المخلصون أين مقصده ومثواه. وما زال الستر إلى هذا الأوان والإمامة جارية في الإمام الطيب أبي القاسم أمير المؤمنين (عيون: ٢٠١/٧ ـ ٢٠٢). فلما قتل الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل في نهاية فترة شغور (من الثاني من ذي القعدة سنة ٥٢٤ يوم اغتيل الآمر إلى الخامس عشر من المحرم سنة ٥٢٦، يوم تولى الحافظ عبدالمجيد الخلافة الفاطمية بمصر).

وكان عبد المجيد قائماً بحفظ القصر وظاهر الملك ولاية عهد المسلمين، لا يدعي الإمامة ولا يعرف بها عند الخاصة والعامة إلى أن ظهر الوزير أبو علي بن الأفضل الذي تغلب على الديار المصرية وقصد إلى القاهرة وسجن عبدالمجيد وظل في سجنه حتى قتل الوزير أبو علي، خرج عبدالمجيد محمد بن المستنصر من سجنه وادعى إمرة المؤمنين والإمامة، وذلك حين استتر من استتر من الدعاة مع الطيب، وقتل من قتل على يد الوزير أبي علي (الصليحيون: ١٨٢ ـ ١٨٥). وأما من ذهب من المؤرخين المتأخرين البعيدين عن مسرحي الدعوة، المصري واليمني، أمثال النويري: (نهاية الإرب: ٨١/١٦؛ أبو الفدا المختصر: ١١٤/٢ ـ ١١٥؛ العيني: عقد الجمان: ٣ /ورقة: ٥٥١؛ السيوطي: حسن المحاضرة: ١٦/٢ ـ ١٧). إلى القول بأن الآمر خلف امرأة حاملاً فبويع بولاية العهد لابن عمه عبدالمجيد. ولم يبايع بالإمامة حتى يظهر الحمل، ثم بويع بالخلافة لما وضعت زوجة الآمر أنثى. هذا الكلام يدحضه السجل الذي أورده عمارة اليمني (١٠٠ ـ ١٠٢) وأورده إدريس (١٩٢/٧ ـ ١٩٣) نقلاً عن مؤرخي الدعوة اليمنية السابقين، ونحن نرجح قول عمارة والمؤرخين اليمنيين لإلمامهم بالحقائق وقربهم في الزمن والدعوة. (الصليحيون: ١٨٦ ـ ١٩٢).

فعند وفاة الأسود العنسي[1] وثب فيروز بحكم صنعاء، وقد أقره على ولايته الخليفة أبو بكر، الذي عين اثنين لمعاونة فيروز هما: داذويه، وقيس بن المكشوح. ولكن عندما وصل اليمن خبر وفاة النبي شبت الثورة في البلاد، وجعل قيس نفسه على رأسها، واستعان بأتباع الأسود الذين ارتدوا عن الإسلام، وكان قد أخفى تدبيره عن زملائه، ودعاهم إلى وليمة كان أول من لباها داذويه فذبح في الحال. وعندما اقترب فيروز من موضع الاجتماع. وعلم بما وقع عرضاً من محادثة بين امرأتين عربيتين، سمع الحديث بينهما اتفاقاً فلوى وجهه عائداً، وهرب، وبلغ جبل خولان سالماً. وهنا اجتمع به من ظل ثابتاً على ديانة محمد. واستطاع بمعاونة بني عقيل[2] أن يهجم على صنعاء، وأن يدحر قيساً، ويحمله على الفرار، ثم وقع قيس أسيراً في يد المهاجر بن أبي أمية، فأرسله المهاجر إلى أبي بكر الذي عفا عنه.

وتطلق كلمة (أبناء) على المولدين من سلالة الجنود الفارسية الذين بعث بهم كسرى أنوشروان إلى بلاد اليمن، والذين تمكنوا من طرد الحبشة من بلاد العرب.

حاشية [١٠٥]: ويسمى أيضاً يعلى بن أمية، وأمية اسم أبيه، ومنية اسم أمه. وقيل: بأن يعلى هو الذي أعطى السيدة عائشة الجمل، الذي سميت الواقعة الدامية باسمه، والتي جرت بين علي وأنصاره، وبين عائشة التي ركبت الجمل في سنة ٣٦هـ[3].

---

(١) وهو ينسب إلى عنس وهي فخذ من ثقيف اليمن (معجم قبائل: ١٤٨/١، ٨٤٧/٢).

(٢) وهم بنو عقيل بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف، وهم بطن من الطالبيين من بني هاشم، من العدنانية (تاج العروس: ٢١٦/٧).

(٣) كان يعلى بن منية والياً على صنعاء، وعبدالله بن ربيعة على الجند، وذلك في أيام الخليفة عثمان، فلما جاء علي خلعهما وولى عبيدالله بن العباس على صنعاء وأعمالها، وسعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري على الجند (الطبري حوادث سنة ٣٤ ص٣٠٧٥).

حاشية [١٠٦]: وقع قتل المتوكل[١]، وتنازل المستعين[٢] عن الخلافة قبل حكم أبي الجيش[٣] بزمن طويل، وعلى ذلك فالعبارة التي وردت في المتن تنطبق على أسلاف أبي الجيش.

حاشية [١٠٧]: رواية ابن خلدون عن الأئمة الزيدية في صعدة المعروفين بالرسيين[٤] تقع في (ص١٣٥)، وفي الفصل الذي عقده عن الشيعة دخل ابن خلدون في تفصيلات عن الفرق الرئيسية التي انقسم إليها أشياع علي، كما أوردوا صفاً للزيديين، وبدأ ابن خلدون بقوله: إن الشيعة عن بكرة أبيهم متفقون على نقطة أساسية وهي أن علياً صهر النبي ﷺ، عين ليكون وريثاً شرعياً للنبي، ولكن مسألة المبدأ الذي بقيت عليه حقوقه في الوراثة صارت بين الشيعة من مواضع الخلاف. ففريق كبير منهم وهم الإمامية وتشمل الاثنا عشرية[٥]، والإسماعيلية يذهبون إلى أن أهلية علي للخلافة تستند إلى منزلته ومناقبه، وأن ذريته وورثته قد مضوا في نسق منتظم طبقاً لهذه القاعدة. وإنه لا يوجد بين البشر من يحق له إيقاف الاعتراف بحق علي أو حق خلفائه، ولذلك فإن الإمامية ينكرون خلافة الشيخين أبي بكر وعمر.

ومن جهة أخرى نرى الزيديين أنهم فضلاً عن إقرارهم بوراثة علي للنبي ﷺ في الخلافة، يذهبون إلى أنه لم يعين لهذا المنصب بسبب

---

(١) هو أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم حكم من ٢٣ من ذي الحجة سنة ٢٤٢ إلى ٣ شوال سنة ٢٤٧ (زامباور: ٣/١ المترجم).

(٢) هو أبو العباس أحمد المستعين بالله بن محمد بن المعتصم حكم من ٣ ربيع الثاني سنة ٢٤٨ إلى أن اعتزل الحكم في ١١ ذي الحجة سنة ٢٥١. (نفسه).

(٣) أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم حكم من سنة ٢٩١ إلى سنة ٣٧١هـ. أي بدأ حكمه في عهد الخليفة العباسي أبي محمد علي المكتفي بالله بن المعتضد (٢٨٩ ـ ٢٩٥)، واستمر حاكماً إلى عهد الخليفة أبي الفضل عبدالكريم الطائع لله بن المطيع (٣٦٣ ـ ٣٨١هـ.).

(٤) الرس معناها البئر، أو اسم لجبل في المدينة. (راجع اللوحة الخاصة بهم فيما بعد).

(٥) سموا هكذا لأنهم يؤمنون بإمامة اثني عشر إماماً؛ آخرهم المهدي، الذي ينتظرون عودته.

منزلته، ولكن بفضل مناقبه الشخصية، ولذلك فإنهم يقررون حق الانتخاب للإمام من بين أفراد سلالة فاطمة، ويقولون بأن الشخص الذي يرشح للإمامة يجب أن تتوافر فيه صفات: العلم والورع والسخاء والشجاعة، كما يستوجبون له أن يكون ذا همة لكي ينهض مناضلاً عن حقه ومطالباً باعتراف الكافة بإمامته، ويقولون بتضييق مجال الاختيار، وإن هذا التضييق يحول دون إحلال استحقاق الإمامة عن طريق الكفاية محل استحقاقها عن طريق الوراثة، ولو أنهم يمتنعون في نفس الوقت عن إنكار إمامة الشيخين أبي بكر وعمر، ويسلمون بجواز إمامة المفضولين أبي بكر وعمر على الرغم من وجود الفاضل وهو علي. كما يوصمون أيضاً بأن مذهبهم يشتمل على عقائد الاعتزال، وأن إمامهم زيد مؤسس الزيدية أخذ عن واصل بن عطاء.

وقد انفصل الزيدية كما هو متوقع عن الاثنا عشرية والإسماعيلية في مسألة الأئمة الشرعيين، وهم جميعاً يتفقون في حق علي في الخلافة، وفي حق ولديه الحسن والحسين، ويتفقون أيضاً كما جاء في ابن خلدون في حق حفيده علي بن زين العابدين[1]. وبين خصوم الزيدية يجعلون الوراثة بعد علي زين العابدين لولده محمد الباقر، وهو زيد مؤسس فرقتهم، ويقولون بأن ابنه يحيى قد خلفه، ومع أنهم يبدؤون مذهبهم من هذه النقطة فإن الزيديين مع ذلك ليسوا على تمام الاتفاق. ففريق منهم كما يقول ابن خلدون يرى أن يحيى قد خلفه في الإمامة أخوه عيسى، ويذهب آخرون إلى أن يحيى قبل وفاته أوصى بإمامة محمد النفس الزكية. وهكذا نقل هذا الفريق الإمامة من ذرية الحسين بن علي إلى ذرية الحسن بن علي، ويقولون أيضاً: إن محمداً قد خلعه أخوه إبراهيم الذي قتل في نهاية سنة ١٤٥هـ. ولم يعش بعد أخيه إلا مدة شهرين. ويذهب غيرهم إلى أن محمد النفس الزكية، ومؤسس دولة الأدارسة في إفريقية وباني مدينة فاس.

وفي الحق نرى أن الزيدية ليس لهم سجل مدون فيه تسلسل أئمتهم. وفي فترة تالية لتلك التي أشرنا إليها يوجد فريقان كبيران من الزيديين:

---

(١) حذف مؤلف اليواقيت اسم (علي) هذا وأبدله باسم (الحسن بن الحسن).

الزيدية الفارسية، والزيدية اليمنية أو العربية، لم يخضعا لإمام واحد إلا في حالات فردية قليلة، وكلاهما يقر السيادة (السلطة) المطلقة للإمام الشرعي. ولكن الشقة التي فصلت كل فريق عن الآخر وذلك عن الوجهة الجغرافية. واستحالة التعاون الفعلي بينهما في المسائل السياسية التي يسعى لها كل واحد منهما، قد أوجد صعوبة عملية لم يتيسر التغلب عليها إلا بدرجة جزئية في حالات قليلة نادرة، فضلاً عن أنه كان يوجد في بلاد العرب منافسات كثيرة بين أدعياء الإمامة المختلفين، وكان يسلم بحقهم فيها فريق، وينكره فريق آخر، ولذا فقد ترتب على ذلك فروق كثيرة وخلافات بين أتباع الأئمة التي جاء بها مختلف الكتاب.

ومن الكتب التي أتيح لي الرجوع إليها: «كتاب يواقيت السير» الذي أورد فيه مؤلفه ثبتاً كاملاً بأسماء الأئمة، وصل فيه المؤلف إلى أواسط القرن السابع الهجري، وقد ذكر أسماء كثيرة أغفلها غيره من الكتاب، وقد أدرجتها في جدول النسب الذي ذيلت به هذه الحاشية. وهذا الجدول سيعين القارىء على أن يتتبع بسهولة ويسر وشائج القربى التي تصل بين كل أسرة وأخرى من الأسر المختلفة.

وأسماء الأئمة الفارسيين الذين بويع لهم على التعاقب في إقليمي الديلم وطبرستان قد طبعت أسماؤهم بحروف مائلة[1]. وقد أدرجت فيه اسم الحسن بن زيد وأخاه محمد (من سلالة الحسن بن زيد بن الحسن). وذلك لأنهم قد مهدوا دون ريب الطريق للأئمة على الرغم من أن الزيديين لا يعترفون بهما. وهؤلاء الأئمة قد أحرزوا نفوذاً وسلطاناً في البلاد المطلة على الشواطىء الجنوبية من بحر الخزر.

وقد أضفت سلسلة نسب الاثنا عشرية وأوائل الأئمة الإسماعيلية وذلك تيسيراً للقارىء. ورقمت الأئمة الاثنا عشرية بأرقام مميزة وهي أرقام رومانية. والأئمة الآخرين بحروف كبيرة من حروف المعجم، وقد انشق

---

(١) أظهرتها في الجدول المترجم بخط ظاهر.

الإسماعيليون على إخوانهم بعد وفاة الإمام السادس جعفر الصادق. وقد توفي ابنه إسماعيل قبله، ولكن يذهب الإسماعيلية إلى أن إسماعيل هذا قد عين إماماً فصار الإمام السابع. وأن الوراثة انتقلت إلى ولده محمد المكتوم الذي ادعى عبيدالله المهدي مؤسس الخلافة الفاطمية وإمام الإسماعيلية أنه من سلالته[1].

---

(1) بنو الرسي: (الأئمة الزيديون بصعدة وصنعاء).

العهد الأول:

أبو محمد القاسم الرسي ترجمان الدين بن إبراهيم طباطبا (ت: ٢٤٦).

الحسين بن القاسم سنة ٢٤٦هـ..

١ ـ الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم (ت: في ذي الحجة سنة ٢٩٨) ٢٨٠.

٢ ـ المرتضى أبو القاسم محمد بن يحيى (اعتزل الحكم سنة ٣٠١ وتوفي سنة ٣١٠هـ.) ٢٩٨.

٣ ـ الناصر أحمد بن يحيى (ت: ٣٢٥) ٣٠١.

٤ ـ المنتخب الحسين بن أحمد (ت: ٣٢٤) ـ.

٥ ـ المختار أبو محمد القاسم بن أحمد (هزمه أبو القاسم الضحاك الهمداني سنة ٣٤٤) ٣٢٤.

٦ ـ المنصور يوسف الداعي بن يحيى ـ.

٧ ـ القاسم المنصور بن علي العياني (ت: ٣٩٣) ـ.

٨ ـ المهدي الحسين بن القاسم المنصور ٣٩٣.

جعفر بن القاسم المنصور ـ.

أبو هاشم الحسن بن عبدالرحمن ٤٢٦.

الناصر أبو الفتح الديلمي بن الحسن بن محمد (قتله السلطان علي الصليحي سنة ٤٤٠) جاءت بعد ذلك فترة حكم الصليحيين والهمدانيين (٤٥٤ ـ ٥٦٦).

المتوكل أحمد بن سليمان بن محمد (ت: ٥٦٦). عاد الرسيون للحكم مؤقتاً..

العهد الثاني:

المنصور عبدالله بن حمزة (ت: ٦١٤)، استرد صنعاء من يد الأيوبيين سنة ٥٩٤ ـ ٥٩٣.

الناصر عز الدين محمد بن عبدالله (كان بصعدة حتى سنة ٦٢٣). ٦١٤.

الهادي نجم الدين يحيى بن حمزة ـ

المهدي أحمد بن الحسين بن القاسم (٦٥٦) ٦٢٣.

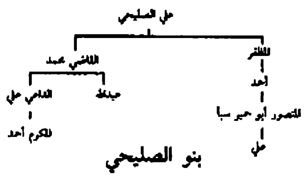
المتصر داود حول ـ ٦٨٠.

(راجع زامباور المترجم: ١/١٨٧ ـ ١٨٨).

حاشية [١٠٨]: في النسخة الخطية من تاريخ ابن خلدون بالمتحف البريطاني توجد سلسلة نسب ذيل بها هذا الفصل، نرى فيه المنصور سبأ من سلالة علي الصليحي والد القاضي محمد وجدا الداعي علي[1].

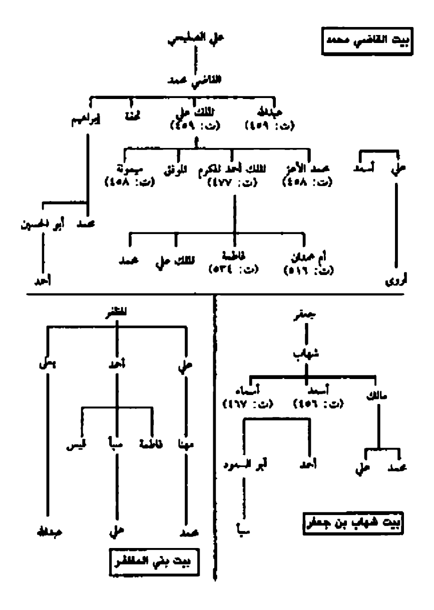
---

(١) هذه اللوحة منقولة من كتاب «الصليحيون: ٣٣٥».



بنو الصليحي

[بيت الأخروج، وهو من بني عبيد بن أوام بن حجور بن أسلم بن عليان بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد بن حبران بن نوف بن همدان].



حاشية [١٠٩]: يبدو أن ابن خلدون يخلط هنا بين حوادث الحملة التي قام بها الداعي المكرم لتخليص أمه من الأسر، وحوادث المؤامرة التي أدت إلى قتل سعيد بن نجاح. وقد جاءت سنة ٤٩٧ التي خلص فيها المكرم أمه من الأسر في كل من مخطوطتي لندن وباريس، وكذلك في طبعة بولاق من تاريخ ابن خلدون، ولكن من الواضح الخطأ في إيراد هذه السنة، كما يمكن أن تستخلصه من سنة ٤٧٩ التي جاءت بعد هذه السنة مباشرة. ومن الممكن أن نصححها إلى سنة ٤٧٥. فقد قتل الصليحي في نهاية سنة ٤٧٣ [حاشية ٣١] وأسر أمه (أم المكرم) كما جاء في عمارة ظل عاماً كاملاً[1].

ورواية ابن خلدون عن قتل سعيد بن نجاح في حاجة إلى ضبط وتصحيح. فإدراج اسم يعفر، ولو أنه جاء من المخطوطتين، وفي نسخة بولاق المطبوعة، فإنه لا أساس له، ويرجح أنه وقع من خطأ الناسخ أو المؤلف، لأن نظره وقع بسبب الإهمال على التشابه بين يغرى الذي جاء في المتن واسم يعفر. ومن الخطأ أيضاً ما رواه من أن رأس سعيد حملت إلى زبيد. ويلاحظ أيضاً أن رواية ابن خلدون عن أعمال جياش ووزيره خلف عند عودتهما إلى زبيد، تختلف اختلافاً كبيراً عما جاء في عمارة. وهذه الأخطاء كلها هي نتيجة الإهمال في قراءة المتن الأصلي الذي يعد ابن سعيد المسؤول الأول عن ذلك.

حاشية [١١٠]: بيهق[2] اسم مقاطعة قرب نيسابور ينسب إليها عدد من الأعلام منهم: أبو بكر أحمد بن الحسين[3] بن علي البيهقي. يرى

---

(١) ذكرت في التعليق على الحاشية: [٣] ما كان من أمر قتل السلطان علي بن محمد الصليحي، وصححت تاريخ قتله معتمداً على المصادر الأصلية. كما ذكرت في التعليق على الحاشية [٣٥] ما كان من أمر قتل سعيد الأحول على يد الملك المكرم.

(٢) بيهق: أصلها فارسية ومعناها الأجود، وهي ناحية كبيرة من نواحي نيسابور تشتمل على ٣٢١ قرية، والغالب على أهلها مذهب الرافضة الغلاة (ياقوت: ٣٤٦/٢).

(٣) هو الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبدالله بن موسى البيهقي، الفقيه=

جوهانسن أنه هو الكاتب الذي جاء في تاريخ زبيد للديبع، وقد توفي سنة ٤٥٨هـ. وترجم له ابن خلكان، وولده إسماعيل بن أحمد البيهقي كان أيضاً من الأعلام وتوفي سنة ٥٠٧هـ.

ولكن المؤلف الذي يرجع ابن خلدون إليه كثيراً، يبدو أنه كتب تاريخه في عصر متأخر عن هذا، فهو يتكلم عن الموطىء، وهو لقب نسبه ابن خلدون للإمام أحمد بن الحسين[(١)] الذي ظهر سنة ٦٤٦هـ[(٢)]، ويظهر أنه كان معاصراً للمؤرخ، وربما عاش بعد وفاته. وإذا كان الشخص الذي يشير إليه ابن خلدون هو هذا، فلا بد أنه قد عاش وظل يكتب في فترة تزيد على أكثر من عشرين سنة بعد وفاة ابن الأثير سنة ٦٣٠هـ.

وفيما يتعلق بسلالة بني معن انظر [حاشية ١٩، ٢٠].

حاشية [١١١]: وصف الهمداني في كتابه صفة (ص٧٦) حصن الدملوة، وقال: إنه بني على ربوة طولها ٤٠٠ ذراع وعرضها مثل ذلك، واشتمل هذا الحصن على مساكن ومسجد كبير وشجرة من الضخامة بحيث

= الشافعي، الحافظ الكبير المشهور، أخذ الفقه عن أبي الفتح ناصر بن محمد العمري المروزي، غلب عليه الحديث واشتهر به، ورحل في طلبه إلى العراق والحجاز. وله تصانيف متعددة: فهو أول من جمع نصوص الإمام الشافعي في عشر مجلدات، ومن مشهور مصنفاته: (السنن الكبير) و(السنن الصغير) و (دلائل النبوة) و (السنن) و (الآثار) و (مناقب الشافعي) و (مناقب أحمد بن حنبل)، وغير ذلك، وكان قانعاً من الدنيا بالقليل، وأخذ عنه الحديث جماعة من الأعيان. وكان مولده في شعبان سنة ٣٨٤هـ. وتوفي في العاشر من جمادى الأولى سنة ٤٥٨هـ. بنيسابور ونقل إلى بيهق. (وفيات: ٥٨/١).

(١) هو الإمام المهدي أحمد بن الحسين بن أحمد بن القاسم، ظهر سنة ٦٢٣ وتوفي سنة ٦٥٦هـ. (زامباور: ١٨٧/١ ـ ١٨٨).

(٢) انظر ص١٢٨ للنص العربي لعمارة، وقارن الفقرة التي عدد فيها ابن خلدون قبائل كهلان: ٢٥٨/٢ طبعة بولاق؛ وذكر ابن الأثير: ٢٤٩/١١ كتاباً عنوانه: «مسارب التجارب لأبي الحسن بن القاسم البيهقي».

يستظل تحتها مائة رجل ويسميها الكلهومة[1]. وهذه الربوة فرع من جبل الصلو انفصلت عنه، وترتفع على بعد مائة ذراع من الجنوب، وعلى الجانب الشرقي خدير[2] على مسيرة يومين، وفي الشمال سوق الجوة ووادي الجنات. وفي الغرب حيث يتضاعف ارتفاع التل بالنسبة إلى الجنوب يوجد مربط رعي للخيل التي يملكها صاحب الحصن، وكان يسكن قلعة على جبل صلو على قيد رمية سهم، وباب حصن الدملوة يقع على جانبه الشمالي، والوصول إلى القمة كان بواسطة سلمين لكل واحد منهما ١٤ درجة، وبينهما سجن ومنزل الحرس فوقه، ويستمد أهل هذه المنطقة الماء من مجرى يسيل قرب أصل التل من الدرجات السفلى للسلمين، وماء المجرى عذب قراح وافر غزير.

وهذا المجرى يصب في وادي الجنات، وهذا الوادي يتلقى مياه كثير من المجاري والغدران، ويتصل به وادي ورزان[3] والمياه المتجمعة تتزايد في طريقها بما يجتمع بها من مياه الروافد الأخرى تصب في البحر بجوار عدن. وعبارة الهمداني كما ذكرنا آنفاً في الحديث عن الجوة تدل على موضع لهذا المكان عند الموضع المحدد في خريطة مانزوني تحت اسم مافيا أو قريباً منها. والجؤة كما في المتن تقع على الطريق العام من عدن. ومن الراجح أنها هي ومافيا اسم لموضع واحد. ويقول رينو في ترجمته لأبي الفداء (تقويم البلدان): «الجوة اسم لبلدة شهيرة على جادة الجبال». وذكر الهمداني (ص١٩٠) قلعة

---

(١) انظر حاشية يوينبل في طبعته لمراصد الاطلاع ٤٨٩/٥ حيث يقرر بأن الشجرة هي نوع من البلوط (كاي).

(٢) كان يوجد في منطقة خدير أيام الهمداني أطلال بلدة كبيرة قديمة تسمى سلوق.
ويقول الهمداني بأنها الآن معروفة باسم جبيل الربية (ذكرها ياقوت الذي ينقل عن الهمداني بهذا الرسم جبل الزينة)، ومن بقاياها كما يقول الهمداني قطع الحديد وبقايا الذهب والفضة، وصنوف المسكوكات. ونسب لهذه البلدة اليمنية الدروع السلوقية، وكذلك الكلاب. والدعوى الأخيرة ولو أنها مطابقة للتعريف الشائع المسلم به فإني أميل إلى أنها في حاجة إلى تحقيق.

(٣) انظر وادي ورزان في خريطة مانزوني (كاي).

الجؤة، ويظهر أنها هي والدملوة اسم لموضع واحد.

حاشية [١١٢]: ترجم ابن خلكان للشاعر اللخمي ابن قلانس أكمل فيه البيت الذي استشهد به عمارة، وجاء في الترجمة أنه ولد في سنة ٥٣٣ وتوفي سنة ٥٦٧هـ[(١)].

حاشية [١١٣]: يلاحظ أن ابن خلدون يستقي أغلب معلوماته الخاصة بدولة بني زريع من ابن سعيد وهذا نقل دون ريب بطريقة مباشرة أو غير مباشرة عن عمارة: ولكن يبدو أن ابن خلدون قد وهم بسبب غموض العبارة، سواء أكانت عبارته أم العبارة التي نقلها عن ابن سعيد، ومما أورده وهو يتكلم عن المنافسة بين الأخوين علي ومحمد ابنا سبأ. وفي جدول النسب الذي ذيل به الفصل، يخلط بصورة واضحة بين علي الأعز وعلي بن أبي الغارات، وقد بلغ الخطأ في هذا الجدول حداً حملني على حذفه كلية، وقد فهمت أن أمراء عدن الهمدانيين قد تعاقبوا على الحكم طبقاً للثبت التالي:

---

(١) هو أبو الفتوح نصر الله بن عبدالله بن مخلوف بن علي بن عبدالقوي بن قلانس، اللخمي، الأزهري، الإسكندري، الملقب القاضي الأعز، الشاعر المشهور.
صحب الشيخ الحافظ أبا طاهر أحمد بن محمد السلفي، وانتفع بصحبته، وله فيه غرر المدائح، وقد تضمنها ديوانه، وفي آخر أيامه دخل بلاد اليمن سنة ٥٦٣، وامتدح بمدينة عدن أبا الفرج ياسر بن أبي الندى بلال بن جرير المحمدي وزير محمد وأبي السعود ولدي عمران بن محمد صاحب بلاد اليمن، فأحسن إليه، وأجزل صلته وفارقه بعد أن أثرى، وركب البحر، فانكسر المركب به، وغرق جميع ما كان معه بجزيرة الناموس بالقرب من دهلك وذلك يوم الجمعة خامس ذي القعدة سنة ٣٦٥ فعاد إليه (إلى عمران) وهو عريان. فلما دخل عليه أنشده قصيدته التي أولها:
صدرنا وقد نادى السماح بنا ردوا   فعدنا إلى مغناك والعود أحمد
وهي من قصائده المختارة، ثم أنشده بعد ذلك قصيدة يصف فيها غرقه وهي قصيدة طويلة أحسن فيها كل الإحسان.
وقد ولد هذا الشاعر في الإسكندرية يوم الأربعاء، رابع شهر ربيع الآخر سنة ٥٣٢ وتوفي ثالث شوال سنة ٥٦٧هـ. بعيذاب. (ابن خلكان: ٢١/٥ ـ ٢٤).

بنو زريع

الكرم من عشيرة جشم اليامين

١ ـ عباس ٤٧٦هـ.	١ ـ مسعود (٤٨٦ ـ ٥٠٤)[١]
٢ ـ زريع (٤٨٠ ـ ٥٠٤)	٢ ـ أبو الغارات ابنه[٢]
٣ ـ أبو السعود	٣ ـ محمد
٤ ـ سبأ (ت٥٣٣)	٤ ـ علي أخوه (ت٥٤٥)
٥ ـ علي الأعز (ت٥٣٤)[٣]	
٦ ـ محمد (أخوه) (ت٥٤٨)[٤]	
٧ ـ عمران ابنه (ت٥٦٠)[٥]	

٨ ـ الوزير ياسر بن بلال تحت السيادة الاسمية لأبناء عمران حتى الفتح الأيوبي سنة ٥٦٩هـ.

أما عن أسلافهم من بني معن فليست لدينا عنهم سوى أخبار طفيفة، فقد أنشؤوا ملكهم في عدن في أيام المأمون كما جاء في ابن خلكان أو في عمارة عند سقوط الدولة الزيادية التي سبقتها في الزمن. وقد جاء في تاريخ الزياديين أن عدن كانت خاضعة لهم. وفي نحو سنة ٤٥٤ خضع بنو معن لعلي الصليحي[٦] الذي فرض عليهم خراجاً جعله في سنة ٤٦١ صداقاً لابنة

---

(١) مسعود هو ابن مسمع بن الكرم.

(٢) أبو الغارات له أخ آخر يسمى منيع (عمارة / كاي: ٥).

(٣) أولاده هم: حاتم وعباس ومنصور ومفضل (عمارة: ٥٤).

(٤) له إخوان آخرين هم: المفضل وزياد وروح (عمارة / كاي: ٥٠).

(٥) أبناء عمران وهم: منصور وأبو السعود ومحمد.

(٦) راجع كتاب «الصليحيون»: ٨٥ ـ ٨٦؛ رسائل القمي: ١٩ ـ ٢٢ فبعد أن تم للصليحي فتح عدن سلمها إلى أهلها لما بذلوه من السلم؛ راجع كذلك جدول رقم ٧ ص٣٤٥ من نفس المصدر.

أخيه[1] التي تزوجت ولده (المكرم أحمد). وقد أعلن بنو معن استقلالهم عند مقتل علي في سنة ٤٧٣[2]، ولكن بعد انقضاء عامين أو ثلاثة أعاد المكرم بن علي فتح بلادهم فخلع آل معن وجعل عدن تحت سلطة الأخوين عباس ومسعود بن الكرم، وهما من عشيرة الصليحيين، وكان علي الصليحي وابنه مدينين لهما بخدمات سابقة.

ومخطوطة عمارة تذهب إلى أن عباساً ومسعوداً عاشا بعد وفاة المكرم سنة ٤٨٤[3]، ولكن المخطوطة في هذا الموضع على جانب كبير من الخلط والتحريف كما أشرت إلى ذلك سابقاً. كما أن هذا الخبر لا يؤيده الخزرجي الذي نعتمد عليه وحده، في أن الخراج المخصص للملكة السيدة كان يدفع بصورة منتظمة حتى وفاة مسعود وزريع. ويقول الخزرجي بأن الدملوة فتحها زريع سنة ٤٨٠، ويستخلص من هذا أن زريعاً خلف أباه في تاريخ يسبق هذه السنة.

وقد قتل كل من زريع وعمه مسعود في زبيد، والأثر الوحيد للتاريخ الزمني لهذا الحادث هو وقوعه حين كان المفضل على قيد الحياة، وقد توفي المفضل سنة ٥٠٤ وليست لدينا التواريخ الزمنية التي وقعت فيها

---

(١) حدث هذا الزواج سنة ٤٥٨ عندما تولى المكرم منصب ولي العهد بعد وفاة أخيه الأعز، وكان عمر السيدة أروى في هذا الوقت ثماني عشرة سنة (لأنها ولدت سنة ٤٤٠ كما ذكر صاحب العيون: ٢٢١/٧ نقلاً عن صاحب المفيد). وفي هذا الزواج قال الشاعر الحسين بن علي القمي قصيدة مدح فيها المكرم جاء فيها: (خريدة: ٢٥٤/٢):

وكريمة الحسبين يكنف قصرها ... أسدٌ تخاف الأسد من صولاتها
وتكاد من فرط الحياء تغض عن ... تمثالها المرئي في مرآتها
ظفرت يداك بها، فبخ إنما ... لك تدخر العلياء مضنوناتها

وكان الصليحي أصدقها عدن حين زوجها من ابنه المكرم، ولم يزل ارتفاع عدن من حين زواجها يرفع إليها وهو مئة ألف يزيد وينقص (عمارة / كاي: ٤٩؛ الصليحيون: ١٤٧).

(٢) راجع التعليق على الحاشية: [٣١] بخصوص مقتل السلطان علي الصليحي.

(٣) راجع الحاشية: [٣٧] والتعليق عليها بخصوص وفاة المكرم.

وفيات كل من أبي السعود وأبي الغارات، واللذان قد توقف في عهدهما دفع الخراج للملكة، ولم يمكن أن نستخلص من الروايات التي وردت في مواضع أخرى من تاريخ عمارة، أن أبا الغارات وسبأ بن أبي السعود كانا يحكمان في سنة ٥١٩.

ويحتمل أن يكون تعيين سبأ داعياً وقع في سنة ٥٢٥ أو في سنة ٥٢٦ [انظر حاشية رقم ١٠٢]، ومنذ أن سقطت عدن في يد سبأ سنة ٥٣٣، ملك بنو زريع إقليم عدن وكان سلطانهم عليها سلطاناً كاملاً غير مقسم[١].

حاشية [١١٤]: بنو عنز[٢] بن وائل هم قبيلة متفرعة عن بني بكر[٣]، وبني تغلب[٤]، والثلاثة ينتمون إلى وائل، وهم من سلالة ربيعة بن نزار.

حاشية [١١٥]: يذهب ابن خلدون في موضع آخر من كتابه (٢ / ٦٤) إلى نفس هذا الرأي، ويقول: بأنه يتابع في هذا رواية السهيلي (ت٥٨١هـ). راجع ابن خلدون، الذي يقول بأن الاسم القديم لصنعاء[٥]

---

(١) كان لبني زريع كذلك بعد وفاة الملكة: تعز والجند وجبلة وما يليها، وظلوا عليها حتى استولى عبدالنبي بن مهدي (٥٥٨ ـ ٥٦٩) على التعكر والجند وتعز وجبلة وغير ذلك من المعاقل والمدن، وبقيت عدن في أيديهم حتى أزالهم عنها الملك المعظم توران شاه بن أيوب، وتسلم بعده الملك طغتكين حصني الدملوة وحب، حيث خرج منهما جوهر المعظمي والي بني زريع (الصليحيون: ٢٣٩).

(٢) هم بطن من العدنانية وهم: بنو عنز بن وائل بن قاسط بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان (تاج العروس: ٤/٦٢)؛ جمهرة أنساب العرب ص٣٨٥ ـ ٣٨٦.

(٣) هي قبيلة عظيمة من العدنانية تنسب إلى بكر بن وائل (معجم قبائل العرب: ١/٩٣ ـ ٩٨).

(٤) وهي تنسب إلى تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى. (نفسه: ١/١٢٠ ـ ١٢٣).

(٥) كان اسم صنعاء في القديم أزال، ولما فتحها الحبشة (٥٢٥م) ووجدها مبنية بالحجارة حصينة، قالوا هذه صنعة ومعناها حصينة فسميت صنعاء بذلك. وقيل سميت بصنعاء بن أزال بن يقطن بن عامر بن شالخ وهو الذي بناها (ياقوت: ٥/٣٨٦ ـ ٣٩٤).

هو (أول) وقد جاء هذا الاسم في مخطوطين استعان بهما يوينبل، وهو محقق كتاب مراصد الاطلاع، وعلى ذلك فكلمة (أول) لم ترد في نص ابن خلدون عفواً بسبب الإهمال. ولكن غالبية الكتاب العرب يستعملون كلمة (أزل) التي هي كلمة (أزل) في العهد القديم.

حاشية [١١٦]: خريدة القصر وجريدة العصر لعماد الدين الاصفهاني[1] المتوفى سنة ٥٩٧، ترجم له ابن خلكان. وهناك كتاب آخر اسمه: خريدة العجائب لزين الدين عمر بن الوردي سنة ٧٤٩هـ.

حاشية [١١٧]: ذكر الهمداني قطابة[2] اسم لقرية أو بلدة في جهة

---

(١) هو أبو عبدالله محمد بن صفي الدين أبي الفرج محمد بن نفيس الدين أبي الرجاء حامد بن محمد بن عبدالله بن علي بن محمود بن هبة الله الملقب عماد الدين، الكاتب الأصبهاني كان فقيهاً شافعي المذهب تفقه في المدرسة النظامية زماناً، وله من الشعر والرسائل ما يغني عن الإطالة في شرحه، نشأ في أصبهان، وقدم بغداد في حداثته، وتفقه على الشيخ أبي منصور سعيد بن محمد بن الوزان، مدرس النظامية. تولى النظر بالبصرة ثم بواسط بمعاونة الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة، فلما توفي هذا الوزير نال العماد المكروه، وأقام مدة في عيش منكد، ثم انتقل إلى دمشق سنة ٥٦٢، وسلطانها يومئذ العادل نورالدين، أبو القاسم محمود أتابك زنكي. وفيها شغل عدة وظائف، بعد أن علت منزلته عند نورالدين، وتوثقت صلاته بصلاح الدين، وبقيت حاله مستقيمة إلى أن توفي نور الدين، وخلفه ابنه الملك الصالح إسماعيل وكان صغيراً استولى عليه جماعة كانوا يكرهون العماد فضايقوه حتى سافر قاصداً بغداد فوصل الموصل وهناك مرض مرضاً شديداً. وفي هذه الأثناء بلغته الأخبار بأن صلاح الدين في طريقه لأخذ دمشق فرجع العماد إلى الشام واتصل بصلاح الدين الذي قربه وأكرمه، وللعماد مؤلفات كثيرة منها: (خريدة القصر وجريدة العصر) جعله ذيلاً على «زينة دمية الدهر» تأليف أبي المعالي سعد بن علي الوراق الحظيري. وصنف كتاب «البرق الشامي» و«الفتح القدسي في الفتح القدسي» و«السيل على الذيل» و«نصرة الفطرة، وعصرة القطرة» في أخبار الدولة السلجوقية، وله ديوان رسائل وديوان شعر في أربع مجلدات.

وكانت ولادته يوم الاثنين ثاني جمادى الآخرة سنة ٥١٩ بأصبهان، وكانت وفاته مستهل شهر رمضان سنة ٥٩٧ (وفيات: ٢٣٣/٤ ـ ٢٣٨).

(٢) صفة: ٦٩.

أقل ارتفاعاً تسمى سراة قدم[^1]، ربما كانت تقع على جبل بهذا الاسم أو على مقربة منه. وعلى ذلك فهي جنوبي صعدة. وعلى بعد مسافة كبيرة منها. وفي مانزوني قطابة على الطريق من عدن إلى يرين، ولا حاجة بنا إلى أن نقول: بأن قطابة في خريطة مانزوني هي نفس قطابة التي نتحدث عنها هنا. ومن الراجح أن قطابة التي ذكرها مانزوني اسم لموضع حديث العهد.

حاشية [١١٨]: يمكن أن يحمل بطن من بطون همدان اسم حراز[^2]، ولكن يبدو أن ابن خلدون قد وهم هنا. فالهمداني يقول في الصفة[^3]: إن بني حراز قبيلة من سلالة حمير الأكبر، وابنا غوث بن سعد بن عوف بن عدي (ابن مالك بن زيد الجمهور)[^4].

حاشية [١١٩]: كل من بني عجل[^5] وبني يربوع[^6] من قبائل مضر،

---

(١) قال ياقوت: (٣٥/٧): قدم، وهي مخلاف باليمن مقابل قرية مهجرة. سمي باسم قدم أي القبيلة التي تنسب إليها الثياب القدمية. وفيها يقول زياد بن منقذ:

لا حبذا أنت يا صنعاء من بلد ... ولا شعوب هوى منها ولا نقم

ولن أحب بلاداً قد رأيت بها ... عنساً ولا بلداً حلت به قدم

(٢) حراز: مخلاف باليمن قرب زبيد سمي باسم بطن من حمير وهي تنسب إلى حراز بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبدشمس بن وائل بن الغوث بن أيمن بن الهميسع بن حمير (ياقوت: ٢٤٠/٣)؛ معجم قبائل العرب: ٢٥٦/١.

(٣) ص١٠٥.

(٤) عمارة / كاي: ١٤.

(٥) هم بنو عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن درعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، كانت منازلهم من اليمامة إلى البصرة، وقد دثروا، وهم الذين هزموا الفرس بمؤتة يوم ذي قار (العبر: ٣٠٢/٢)، معجم قبائل العرب: ٧٥٦/٢؛ الجمهرة ص٢٩٤، النجوم الزاهرة: ١١٥/٥.

(٦) هم بنو يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر (ياقوت: ٦٦٦/٤؛ الصحاح: ٥٩١/١). وكانت الردافة في الجاهلية لبني يربوع هؤلاء، لأنه لم يكن في العرب أكثر غارة على ملوك الحيرة منهم، فصالحوهم على أن جعلوا لهم الردافة، ويكفوا غاراتهم عن أهل العراق (لسان العرب: ٢٣٧/٣؛ ٤٦٩/٩؛ ١١٦/١١، معجم قبائل العرب: ١٢٦٢/٣).

ويقول ابن خلدون بأن بني عجل لم يبق لهم عقب وأنهم كأشقائهم من قبيلة[1] حنيفة من سلالة ربيعة بن نزار عن طريق بني بكر[2] بن وائل. وبنو يربوع كما جاء في المتن أصلهم من بني تميم[3] من سلالة طابخة بن إلياس بن مضر، ولكن توجد قبيلة أخرى بهذا الاسم تزعم أنها من سلالة بني بكر بن وائل عن طريق بني حنيفة، وعلى ذلك فهم وثيقو الصلة ببني عجل. وقد ذكر الهمداني أن من بين أهل اليمامة بنو عجل وبنو حنيفة وعشائر أخرى من بني بكر. ومعروف أن طسم[4] وجديس[5] من أحفاد سام، وهم آباء القسمين الكبيرين للسكان الأصليين في بلاد العرب، ويقال بأن لغتهما كانت العربية. والسكسك[6] جاء في مؤلفنا هو جد بني هزان، وهو كما ذكر في موضع آخر من كتابه (ابن خلدون ٢ / ٣٠٢) ابن وائل (أو وائل) بن حمير.

---

(١) تنسب إلى حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط ...بن ربيعة بن نزار، تتفرع إلى بطون كثيرة، وكانت تقطن اليمامة، ثم تفرقت في كثير من البلدان فسكنت الزوراء ورصافة هشام، وكانوا يعبدون الأوثان قبل الإسلام، ومنهم جماعة قد اعتنقت النصرانية. (صفة: ١٦١؛ الطبري: ٢٤٤/٣؛ معجم القبائل: ٣١٢/١ - ٣١٣).

(٢) قبيلة عظيمة من العدنانية تنسب إلى بكر بن وائل بن قاسط.. بن نزار بن معد بن عدنان. فيها الشهرة والعدد، كانت ديارها من اليمامة إلى البحرين، فأطراف سواد العراق (صفة: ١٦٩؛ ياقوت: ٦٣٦/٢ - ٦٣٧)، وتقدمت شيئاً في العراق، فقطنت على دجلة في المنطقة المسماة الآن بديار بكر (معجم قبائل العرب: ٩٣/١ - ٩٩).

(٣) قبيلة عظيمة من العدنانية تنسب إلى تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، كانت منازلهم بأرض نجد، دائرة من هنالك على البصرة واليمامة حتى يتصلوا بالبحرين وانتشرت إلى العذيب من أرض الكوفة ثم تفرقوا في الحواضر، ولم تبق منهم باقية (معجم قبائل العرب: ١٢٦/١ - ١٣٣).

(٤) قبيلة من العرب العاربة، تنسب إلى طسم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح، كانت ديارها اليمامة وما حولها إلى البحرين، وقد انقرضت (تاج العروس: ٣٧٨؛ معجم قبائل العرب: ٦٨٠/٢).

(٥) قبيلة من العرب العاربة البائدة، كانت مساكنهم باليمامة والبحرين، وكان يجاورهم في مساكنهم طسم (لسان العرب: ٣٣٣/٧؛ المختصر: ١٠٥/١).

(٦) بطن من حمير من القحطانية، وهم بنو زيد بن وائل بن حمير بن سبأ، وهم غير سكاسك كندة (معجم قبائل العرب: ٥٢٧/٢).

إن كلمة همدان التي وردت في الفقرة الآنفة الذكر هي كما هو واضح خطأ مطبعي لكلمة هزان. ولكن تبعاً لما جاء في مصادر أخرى ربما كانت أفضل من هذه المصادر فإن بني هزان[1] باليمامة هم من بني عنزة[2] من سلالة ربيعة بن نزار، وهم على ذلك يرجعون إلى نفس الأصل الذي ينتمي إليه بنو حنيفة وبنو عجل، بل وبنو يربوع كما بينا آنفاً. وكان اسم هزان يطلق أيضاً على الجد الأعلى لشعب قديم من سلالة لواذ بن سام[3].

وقصة العماليق أو العملوق واليمامة توجد في المسعودي[4]، وهو يخبرنا عن مسير حسن بن تبع ملك بني حمير على رأس جيش لمحاربة بني جديس، ولكن حذر الملك بأنه يوجد في موضع يسمى بالجو امرأة لها من قوة بصرها ما تستطيع به أن تبين صورة الفارس على مسافة تقدر بمسيرة ثلاثة أيام، فأمر جنوده بأن يقتلع كل واحد منهم شجرة يحملها أمامه، فأخذت المرأة وتسمى اليمامة ترقب جيش العدو، فقالت: إنها ترى شجراً يسير ووراء كل شجرة رجل، فكذبت ولكن البلدة فوجئت بالهجوم عليها وفتحت، وأفنى بنو جديس بني طسم انتقاماً منهم لطغيان الملك عملوق (من بني طسم) فذبحوهم عن آخرهم[5].

وهذه القصة لم ترد فحسب في مروج الذهب للمسعودي الذي كتب

---

(١) هم بطن من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار من العدنانية، وهم بنو هزان بن صباح بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة الفرص بن نزار بن معد بن عدنان، ومن قراهم المجازة من أرض اليمامة، ومن جبالهم شهوان ومن أوديتهم نعام (صفة: ١٦٢؛ تاج العروس: ٨٣/٩؛ معجم قبائل العرب: ١٢١٧/٣ و ١٢١٨).

(٢) من أكبر قبائل العرب في وقتنا الحاضر، وتنسب إلى عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد، وتمتد منازلها من نجد إلى الحجاز فوادي السرحان فالحماد فبادية الشام حتى حمص وحماة وحلب (قلب جزيرة العرب: ١٧٠ ـ ١٧٨؛ المشتبه: ٣٨٣؛ معجم قبائل العرب: ٨٤٦/٢ ـ ٨٤٧).

(٣) الطبري: ٢٣٣/١؛ ابن خلدون: ٧/٢.

(٤) مروج الذهب: ٢٧٦/٣ وما بعدها (طبعة بربييه دينار).

(٥) والكلمات التي فاهت بها زرقاء اليمامة وهي تصف ما شاهدته في البداية أكثر وضوحاً في ياقوت مما ورد في الطبري والمسعودي.

في سنة ٩٤٤م ولكنها وردت في الطبري الذي توفي سنة ٩٢٣م، ولقد حكاها الطبري نقلاً عن ابن إسحاق المتوفى سنة (١٥١هـ ـ ٧٦٨م) «١٧».

حاشية [١٢٠]: ذكرت قبيلة[١] عاد في حاشية ٩٦، وبنو عاد كطسم وجديس وثمود[٢] وغيرها من القبائل العربية الأصلية، وقد بادت كلها. والرواية الواردة في المتن المتعلقة بالقوم الذين قهروا ذرية يعرب[٣]، أرى أنها تنطبق على الطبعة الثانية من بني عاد وهم من سلالة رجال القبيلة التي نجت من الفناء في عهد النبي هود. ويوصف عادة حضرموت[٤] ويعرب أنهما من سلالة أبناء قحطان.

حاشية [١٢١]: فتحت ظفار[٥] سنة ٦٧٨هـ. فتحها السلطان المظفر الملك الثاني من ملوك دولة بني رسول[٦]. وكان أمير ظفار في ذلك الوقت سالم بن إدريس يفترض أنه حفيد أحمد بن محمد الذي ورد اسمه في المتن، والذي أسس دولة لم تدم طويلاً. وقد أورد ابن حاتم وصفاً كاملاً

---

(١) من العرب العاربة البائدة، وهم بنو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، ويقال لهؤلاء عاد الأولى، وكانت منازلهم بالأحقاف، وهو الرمل ما بين عمان والشحر إلى حضرموت إلى عدن أبين (قلب جزيرة العرب: ص٢٠٨ ـ ٢١١؛ تاج العروس: ٤٠٢/٢؛ معجم القبائل العرب: ٧٠٠/٢).

(٢) هي قبيلة من العرب البائدة، اشتهرت باسم أبيها، كانت مساكنهم بالحجر ووادي القرى بين الحجاز والشام (تاج العروس: ٣١٢/٢: قلب جزيرة العرب: ١١٢ ـ ١١٥؛ معجم قبائل العرب: ١٥٢/١ ـ ١٥٣).

(٣) يعرب من قحطان، يقال: إن العرب إنما سميت عرباً به، وهو أصل عرب اليمن الذين أقاموا به وتناسلوا (الصحاح: ٧٩/١؛ معجم قبائل العرب: ١٢٦٦/٣).

(٤) قبيلة من القحطانية، وبها عرفت مقاطعة حضرموت (نهاية الأدب: ٢٩٢/١؛ معجم قبائل العرب: ٢٨٢/١).

(٥) ظفار: هي مدينة على ساحل بحر الهند بينها وبين مرباط خمسة فراسخ، وهي من أعمال الشحر وقريبة من صحار، بينها وبين مرباط، ويقولون: إن مرباطاً هي المرسى وظفار لا مرسى بها (ياقوت: ٨٦/٦).

(٦) وهو الملك المظفر شمس الدين يوسف [الأول] بن عمر، تولى الحكم في ذي القعدة سنة ٦٤٧ وبقي به حتى رمضان سنة ٦٩٤، وهو الذي انتزع ظفار من سالم بن إدريس بن أحمد بن محمد سنة ٦٧٨. (زامباور، المترجم: ١٨٤/١).

لفتح المظفر، وقد ذكره الجندي[1] والخزرجي في العقود اللؤلؤية يتابع ابن حاتم. ويطلق الخزرجي على بلدة ظفار (الحبوضي)، وفي الأصل غير معجمة. وهذا الاسم ورد في رحلة ابن بطوطة (ظفار الحبوضي) وترجمها إلى الفرنسية ديفريمري وسان جيتي «ظفار ذات النباتات الملحة المرة». وقد تكون ظفار الحبوضي هي القراءة الصحيحة، ولا ندري إذا كنا نستطيع أن نستخلص من هذه الرواية أن البلدة سميت باسم مؤسس الدولة، ويسميه الجندي الحبوضى دون إعجام الياء، والكلمة عنده هي فيما يبدو الحبوضى وفي سبرنجر الحبوضي. وعند ذكر ابن خلدون أن فرضة ظفار كانت قصبة الملك عند التبابعة[2]، فمن الجلي أنه يخلط بينها وبين سميتها بلدة الحميريين العتيقة، التي تقع جنوبي صنعاء، ولا تزال أطلالها باقية إلى اليوم (انظر حاشية ٢٢).

حاشية [١٢٢]: قيل بأن كعبة نجران[3] كانت كنيسة مسيحية بناها آل عبد[4] المدان بن ديان (ريان) الذي سيرد ذكرهم في حاشية ١٢٦، وعن قس بن ساعدة انظر مروج الذهب[5]، وتوفي في نحو الوقت الذي بدأ فيه

---

(١) السلوك: ١٨١.

(٢) بطن من حمير بن سبأ من القحطانين (المختصر: ١/١٠٥، معجم قبائل العرب: ١/١١٥).

(٣) نجران من مخاليف اليمن من ناحية مكة وسمي بهذا الاسم نسبة إلى نجران بن زيدان بن يشجب بن يعرب بن قحطان، لأنه أول من عمرها ونزلها، وكعبة نجران يقال: بيعة بناها بنو عبدالمدان بن الديان الحارثي، على بناء الكعبة. وعظموها مضاهاة للكعبة، وقد أقيمت على نهر بنجران، وكانت لعبد المسيح بن دارس بن عدي بن معقل، وكان يستغل من ذلك عشرة آلاف دينار، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «القرى المحفوظة أربعة: مكة والمدينة وإيلياء ونجران، وما من ليلة إلا وينزل على نجران سبعون ألف ملك يسلمون على أصحاب الأخدود، ولا يرجعون بعد هذا أبداً». (ياقوت: ٨/٢٥٨ ـ ٢٦٥).

(٤) وهم بطن من بني الحارث بن كعب، كانت لهم كعبة نجران، وأرسل إليهم النبي ﷺ سنة عشر خالد بن الوليد فأسلموا. (لسان العرب: ٢/٣١٩؛ معجم قبائل العرب: ٢/٧٣٤).

(٥) المسعودي: مروج الذهب: ١/١٣٣.

نزول الوحي على النبي. ويذكر صاحب تاج العروس[1] نقلاً عن مؤلف لسان[2] العرب أن قس بن ساعدة كان يطلق عليه أسقف نجران.

حاشية [١٢٣]: قصة أبناء نزار وأفعى الجرهمي النجراني وردت في المسعودي[3] وترجمها باربييه.

والمشلل[4] اسم لموقع بين مكة والمدينة.

والجرهميون[5] أبناء جرهم بن قحطان أخو يعرب. وقد تزوج إسماعيل امرأة من قبيلة جرهم، ومن نسلهما جاء عدنان جد نزار جد العرب الإسماعيلية.

وتوجد قبيلة عربية أخرى تسمى بالجرهمية الأولى ذكرها الكتاب العرب، وكانت معاصرة لقبيلة عاد، وهلكوا مثلهم، وانقرضوا عن بكرة أبيهم، ولا أعلم على من استند ابن خلدون[6] في إيراد هذه الرواية الخاصة باسم الأفعى، ونسبه كما جاء في المتن، ولكنه يذكر نفس هذا الاسم ونسبه في موضع آخر مما لا يختلف عما جاء هنا.

حاشية [١٢٤]: كان فيمون مسيحياً من أهل الشام، ولكنه كان من أتباع الملة الصحيحة التي أعادها فيما بعد النبي العربي، ثم أسره بعض الأعراب وأتوا به إلى نجران حيث باعوه رقيقاً، وبفضل ما كان عليه من

---

(١) الزبيدي.

(٢) ابن منظور.

(٣) مروج الذهب: ٢٢٨/٣.

(٤) المشلل: وهو جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر.. قال العرجي:

ألا قل لمن أمسى بمكة قاطنا ... ومن جاء من عمق ونقب المشلل

دعوا الحج لا تستهلكوا نفقاتكم ... فما حج هذا العام بالمتقبل

(ياقوت: ٦٧/٨).

(٥) هم بطن من القحطانية، كانت منازلهم أولاً باليمن، ثم انتقلوا إلى الحجاز فنزلوه، ثم نزلوا بمكة واستوطنوها بعد أن انتزعوا الحكم من العمالقة هناك (تاج العروس: ٢٢٧/٨؛ لسان العرب: ٣٦٤/١٤؛ معجم قبائل العرب: ١٨٣/١).

(٦) العبر: ٢٥٥/٢.

التقى وما أظهره من الكرامات، وبفضل عبادته للإله الحق فإن أهل نجران الذين كانوا إلى ذلك الوقت غارقين في الوثنية، تأثروا به واعتنقوا ديانته[1]. ولم يذكر العصر الذي حدث فيه هذا، ولكنه لم يكن قبل مولد النبي ﷺ بعصر طويل حيث صار مسيحيو نجران ضحايا بسبب عداوة ذي نواس آخر ملوك التبابعة من بني حمير باليمن فقد حاول إرغامهم على التهود وقد كان هو نفسه يهودياً، وكانت قسوته الوحشية التي اصطنعها لتحقيق غرضه قد استنكرها القرآن في سورة (٨٥)[2] وقضى على ذي نواس بعذاب السعير. وكان اضطهاد مسيحي نجران من أسباب فتح الأحباش لليمن[3] الذين طردوا بدورهم منها على أيدي الفرس[4].

والروايات العربية عن براعة أهل نجران في فنون الغيبيات يمكن الاستعانة بها لكي توضح أن نصارى هذا الإقليم قد قطعوا شوطاً كبيراً في الحضارة قبل ظهور الإسلام بوقت كبير. ويلاحظ أن رواية ابن خلدون تقول بأن سكان هذا الإقليم كانوا قد تهودوا في زمن مبكر، ويذكر الطبري بأن باروخ حين أدى رسالته لبختنصر كان قد أتى من نجران.

حاشية [١٢٥]: أبو عمر يوسف بن البر محدث مشهور أصله من قرطبة توفي سنة ٤٦٣هـ. ترجم له ابن خلكان[5].

---

(١) الطبري: ٩٢٠/١ وما بعدها. جاء فيه أن أهل نجران كانوا يعبدون نخلة، وكانوا في بعض أيام أعيادهم يزينونها بالقماش الملون وبحلي نسائهم، وفي عصر متأخر عندما بعث النبي عليه السلام، كان أهل مذحج في نجران يعبدون صنماً اسمه يغوث (انظر كتاب الأنساب والزواج في بلاد العرب القديمة بقلم روبرتسون سمث ص١٩٢؛ ياقوت: ٢٦٠/٨؛ الكامل: ١٧١/١٠ ـ ١٧٣.

(٢) سورة البروج.

(٣) سنة ٥٢٥م. (الكامل: ١٧٣/١ ـ ١٧٤).

(٤) سنة ٥٧٥م..

(٥) هو يوسف بن عبدالبر بن محمد بن عبدالبر بن عاصم، النمري، القرطبي، إمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما، ألف في الموطأ كتباً مفيدة منها كتاب (التمهيد، لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) وهو سبعون جزءاً. ثم ألف كتاب: «الاستدراك، لمذاهب الأمصار، فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار» وله أيضاً كتاب: «الاستيعاب» جمع فيه أسماء الصحابة رضي الله عنهم. وله كتاب: «جامع بيان العلم=

ويلاحظ أن ابن خلدون[1] حذف اسم يزيد ووضع مكانه اسم أخيه عبدالحجر بن عبد المدان، ومع ذلك فإنه في كتابته في السيرة النّبوية يتابع الطبري.

حاشية [١٢٦]: ذكر ابن خلدون[2] أن جانباً من قبيلة الأزد[3] بقي في نجران وشارك المذحجيين[4] في حكم البلاد، ولكنه لم يذكر بني الحارث[5] بن كعب من قبيلة الأزد. ويقول المسعودي[6] أن أزد نجران

= وفضله، وما ينبغي في روايته وحمله»؛ وله كتاب: «الدرر في اختصار المغازي والسير»؛ وكتاب: «العقل والعقلاء، وما جاء في أوصافهم»، وله كتاب صغير في «قبائل العرب وأنسابهم». وبالجملة كان موفقاً في التأليف، وله فوق ذلك بسطة كثيرة في علم النسب. وفارق قرطبة وجال في غرب الأندلس مدة ثم تحول إلى شرقها، وسكن دانية من بلادها، وبلنسية، وشاطبة في أوقات مختلفة، وتولى قضاء لشبونة وشنترين أيام ملكها المظفر بن الأفطس. وصنف كتاب: «بهجة المجالس وأنس المجالس» في ثلاثة أسفار جمع فيه الكثير من الأشياء المستحسنة، وكانت ولادته يوم الجمعة والإمام يخطب لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلاثمئة. وقيل: إن وفاته كانت سنة ثمانٍ وأربعمائة. (ابن خلكان: ٦/٦٤ ـ ٦٩).

(١) العبر: ٢/٢٦٥.

(٢) العبر: ٢/٢٥٥.

(٣) الأزد: من أعظم قبائل العرب وأشهرها، تنسب إلى الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان من القحطانية وهم أربعة أقسام منهم: أزد شنوءة (مخلاف باليمن ينسب إليه هذا الفرع)، ونسبتهم إلى كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد، وكانت منازلهم السراة. (معجم قبائل العرب: ١/١٥ ـ ١٨).

(٤) مذحج: بطن من كهلان، من القحطانية، وهم بنو مذحج، واسمه مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، وتتفرع من هذا البطن أفخاذ كثيرة منها: النخع وبنو الحارث بن كعب، ومراد، وسعد العشيرة، والأشعر، وطيء، وكان أغلبهم يسكن اليمن، ومن منازلهم بينون، ونزلوا الحيرة. اشتركوا في حروب العراق سنة ١٤هـ. وحاربوا مع علي بن أبي طالب في صفين سنة ٣٧هـ. وقاتلوا الحسين بن علي سنة ٦١هـ. وحاربوا المختار سنة ٦٦هـ.
(تاريخ ابن خلدون: ٢/٢٥٥؛ لسان العرب: ٢/٤٨٠، ٣/١٠٣؛ معجم قبائل العرب: ٣/١٠٦٣).

(٥) انظر الهامش رقم (٣) من نفس الصفحة، هامش (١) ص٣٥٥.

(٦) طبعة باربييه: ٣/٣٩٠.

تلاشوا في قبيلة مذحج، وهذه رواية أكثر احتمالاً من تلك التي نقلها ابن خلدون في نصنا عن ابن حزم. فيبدو أن الرئاسة قد ظلت في أيدي بني الحارث المذحجيين، ثم انتقلت إلى أسرة من تلك القبيلة تعرف ببني ديان (زيان؟) من سلالة يزيد الملقب بديان، وكان ابنه عبد المدان الذي ورد في المتن، وفي حاشية رقم ١٢٢ بأنه أب (أوجد؟) يزيد بن عبد المدان الذي اعتنق الإسلام.

ويمضي ابن خلدون ناقلاً لنص من ابن سعيد يقول: بأنه في القرن السادس (الهجري) كانت السلطة العليا في يد عبدالقيس من أسرة أبي الجود، من سلالة عبد المدان. ويقول في المتن - وربما يعتمد في ذلك على بعض الثقات - إن عبدالقيس خلعه ابن مهدي، ولكن يلاحظ أنه لم يذكر في كتاب عمارة كما لم يرد ذكر لنجران كموضع من المواضع التي حكمها ابن مهدي.

ويجب أن أضيف أني لم أجد مثالاً آخر فيه عبدالقيس اسم من الأسماء التي يتسمى بها أحد المسلمين في العصور الإسلامية[1].

حاشية [١٢٧]: لم أجد ما يؤيد رواية ابن خلدون بأن القاسم هرب إلى الهند وتوفي هناك. ويقول الخزرجي: إن بعض اليمنيين مضوا إلى جبل

---

(١) هناك بطن من مذحج من القحطانية ينسبون إلى الحارث بن كعب، سكنوا في مقاطعة نجران، وكانوا جيراناً لبني ذهل بن مزيقياء بن الأزد، وبني حارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد، وكانت نجران قبلهم لجدهم، ثم نزلها بنو الحارث بن كعب، فغلبوا عليها بني الأفعى، ثم خرجت الأزد من اليمن فمروا بهم، وكانت بينهم حروب. وأقام من أقام في جوارهم من بني نصر بن الأزد وبني ذهل مزيقياء، واقتسموا الرياسة، فنجران معهم. وكان من بني الحارث هؤلاء المذحجيين، بنو الديان، واسمه يزيد بن قطن بن زياد بن الحرث بن مالك بن كعب بن الحارث، وهم بيت مذحج وملوك نجران. وكان رياستهم في عبدالمدان بن الديان، وانتهت قبل البعثة النبوية إلى يزيد بن عبدالمدان. وكان قبل الإسلام بعضهم يدين بالوثنية وبعضهم بالنصرانية والبعض باليهودية، ثم اعتنقوا الإسلام في عهد الرسول: (العبر: ٢/٢٥٥ - ٢٥٦؛ لسان العرب: ٢/٤٤٢؛ معجم القبائل: ١/٢٣١).

الرس في المدينة في سنة ٢٨٤هـ. عندما ظهر القرامطة في بلادهم، وهنالك في المدينة جعلوا السلطة في يد الإمام يحيى بن الحسين بن القاسم الذي استعان بهم وفتح البلاد الواقعة ما بين صعدة وصنعاء.

ويقول الأهدل: إن القاسم مات بالرس تاركاً ولدين: محمد والحسين، والمخطوطات الزيدية التي حصلت عليها أخيراً مكتبة المتحف البريطاني أتت برواية متماسكة عن حياة القاسم. وهو الجد الأعلى لسلسلة طويلة من الأئمة باليمن[1]. وجاء في الحدائق الوردية أن محمد بن إبراهيم طباطبا حين توفي سنة ١١٩هـ[2]. كان أخوه القاسم في مصر، وقد بقي هنالك زهاء عشر سنوات يعيش خاملاً مختبئاً، ولكن العلويين كانوا يعترفون بأنه خليفة أخيه، وقد أرسلوا إليه الرسل من كافة جهات الدولة الإسلامية: من مكة ومن المدينة ومن الكوفة ومن الري ومن قزوين.

وحين عين عبدالله بن طاهر والياً على مصر في سنة ٢١١هـ. (كما جاء في المقريزي أو في سنة ٢١٠هـ. أو في سنة ٢١١هـ. كما جاء في ابن الأثير[3]) اتخذ الوالي الإجراءات للقبض على القاسم[4]، غير أن القاسم نجح في الهرب من مصر والذهاب إلى الحجاز، وهناك احتمى بقبيلة عربية عاش مختبئاً بين ظهرانيها طيلة حكم المأمون[5] والذين خلفوه مباشرة.

وقد أدى انقضاء السنوات إلى التخفيف من حدة العداوة التي دفعت

---

(١) انظر التعليق على الحاشية: ١٠٧ (كاي).

(٢) راجع زامباور المترجم: ١٨٧/١ ـ ١٨٨؛ وراجع حاشية: ١٠٧.

(٣) عين عبدالله بن طاهر بن الحسين والياً على مصر في خمسة من المحرم سنة ٢١١، ويذكر اليعقوبي في تاريخه (٥٦١/٢) أن العباس بن هشام البانيجوري قد ولي مصراً أيضاً سنة ٢١١، أما الكندي (١٨٤) فيذكر أنه كان على مقدمة جند ابن طاهر (زامباور / المترجم ٤١/١).

(٤) قارن الطبري: ١٠٩٤/٣ وما بعدها.

(٥) هو أبو جعفر عبدالله المأمون بن الرشيد حكم من (٢٦ المحرم سنة ١٩٨ ـ ٥ المحرم سنة ٢٠٢) وقد ثار على أخيه الأمين منذ المحرم سنة ١٩٥، ومات الأمين في ٢٦ المحرم سنة ١٩٨هـ. (زامباور المترجم: ٣/١).

إلى مطاردته وقتاً طويلاً. فعمد القاسم في نهاية عمره إلى اقتناء عقار يدعى الرس ويقع قرب ذي حليفة على الجانب الآخر من الجبل الأسود[1]، وهنالك بنى القاسم لنفسه بيتاً مات فيه سنة ٢٤٦هـ.

وخلف القاسم في الإمامة كما جاء في مؤلف اليواقيت محمد بن القاسم من سلالة علي زين العابدين والحسين أخو الحسن. وبما أنه من المعروف أن محمداً اختفى في سنة ٢١٩هـ، لذلك يبدو إدراج اسمه في عداد الأئمة، أنه خطأ تاريخي، ولكن ليست هذه الحالة حالة استثنائية. ولم يرد في كتابات المؤرخين شيء عن الحسين ومحمد ابني القاسم الرسي[2].

وقد ولد يحيى بن الحسين قبل وفاة جده بعام واحد. ويحيى هذا هو الذي اتخذ لقب الهادي إلى الحق، وطالب الهادي بحقه في الإمامة في سنة ٢٨٠هـ، وسار إلى صعدة حيث استخدم نفوذه لحسم النزاع الذي مزق المدينة وفرق أهلها. ولكن سرعان ما اضطر للتخلي عن هذا العمل واضطر إلى العودة إلى بلاد الحجاز. وفي أوائل سنة ٢٨٤هـ. تلقى دعوات من أهل المدينة لكي ينصبوه عليهم حاكماً فلبى الدعوة. وفي صفر من هذه السنة، ظهر مرة ثانية في صعدة مصحوباً بعمه محمد. وقد فتح نجران، ثم اشتبك بعد ذلك في حرب مع القرامطة، وقد سكت المؤلف الزيدي لكتاب الحدائق عن كثير من التفصيلات التي أوردها الخزرجي، كما سكت عما جاء في كتاب: «تاريخ قرامطة اليمن[3]»، ولكنه قال بأن الهادي أرسل ولده محمد المرتضى لمعاونة أهل صنعاء في قتال الفرقة الإسماعيلية، ويزيد على ذلك بقوله بأن الإمام أصبح الحاكم المطلق على اليمن. وتوفي الهادي

---

(١) وصف ياقوت ذا حليفة بأنها قرية تقع على بعد ستة أو سبعة أميال من المدينة وأنها ميقات أهل المدينة (٣٢٩/٣).

(٢) ذكر النسابة أسماء أولاد آخرين، وليس من المستبعد أن عدداً من سلالة القاسم قد استوطنوا مصر؛ انظر (تاج العروس مادة (رس)، وقارن ابن خلكان (١٥٥/١، ١٤٦/٢) طبعة ده سلان).

(٣) الصولي: تاريخ القرامطة؛ محمد بن مالك: كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة؛ انظر أيضاً: الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن.

بصعدة في ذي الحجة سنة ٢٩٨هـ. ويقال بأنه مات مسموماً. وقد ترك أبناء ثلاثة: أبا القاسم محمد المرتضى، وأحمد الملقب بالناصر، والحسن.

وجاء في مصادرنا بأن الإمام الزيدي التالي، هو الحسن بن علي الملقب بالناصر للحق. ولكنه اشتهر في التاريخ باسم الأطروش، وقد ظهر في فارس سنة ٣٠١هـ. وتوفي في آمل طبرستان سنة ٣٠٤هـ.

ولكن جاء أيضاً في هذه الروايات أن التالي للهادي في الإمامة ابنه محمد المرتضى، وعند وفاة أبيه خلفه في الإمامة، ثم تنازل في سنة ٣٠١هـ لصالح أخيه أحمد الناصر، وهذه الرواية لا تترك مجالاً للأطروش[١]. ويخبرنا مؤلف اليواقيت من جهة أخرى: أن إمامة ولدي الهادي متنازع عليها، وموضع خلاف. وتوفي المرتضى في صعدة سنة ٣١٠.

وقد اشتبك أحمد الناصر لدين الله في حروب مع القرامطة في مسور شغلت أغلب وقته، وقيل بأن حاكم مسور هو عبدالحميد بن محمد بن الحجاج[٢] وقيل بأن معركة دارت في شعبان سنة ٣٠٧ دحر فيها القرامطة. ولكن عبدالحميد نجح في الهرب وقد توفي أحمد الناصر سنة ٣٢٥هـ. كما جاء في كتاب الحدائق. أما فيما يتعلق بمن جاء بعد هؤلاء من الأئمة حتى أواسط القرن السابع الهجري فإني اكتفى بإحالة القارىء إلى جدول النسب في كل من الحاشية رقم ١٠٧، رقم ١٣٠. وعلى أن أضيف بأني لم أستطع أن أتحقق من اسم الكاتب ابن مجاب الذي ذكره ابن خلدون[٣].

---

(١) والأطروش هذا هو الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وقد استولى على طبرستان في سنة ٣٠١هـ. وكان الأطروش زيدي المذهب، شاعراً مفلقاً، إماماً في الفقه والدين، حسن النادرة. وكان له من الأولاد: الحسن وأبو القاسم والحسين إلخ.. (الكامل: ٢٨/٨ ـ ٢٩؛ زامباور / المترجم: ١٨٧/١ ـ ١٨٨).

(٢) ويجب أن نفترض أن عبدالحميد هذا هو والد إبراهيم بن عبدالحميد الذي ذكره الجندي في تاريخه عن القرامطة. (السلوك / كاي: ١٥٢) ويسميه إبراهيم بن عبدالحميد الشيعي، ويذكره صاحب كتاب (الكشف: ٤١ أن اسمه «إبراهيم بن عبدالحميد السباعي الشيعي»).

(٣) راجع كذلك تعليقنا على الحاشية: ١٠٧؛ راجع زامباور / المترجم: ١٨٧/١ ـ ١٨٨.

حاشية [١٢٨]: توفي أبو بكر محمد بن يحيى الصولي في سنة ٣٣٥هـ. ترجم له ابن خلكان[١]. وقد كان كاتباً مكثراً. ويلاحظ أن من بين مؤلفاته «تاريخ للقرامطة». ولا شك أنه المؤلف الذي رجع إليه الذهبي كما جاء في كتاب الأستاذ دي خوي «تاريخ القرامطة».

حاشية [١٢٩]: كمال الدين عمر بن عبدالعزيز الملقب بابن العديم، ألف كتاباً هاماً في عشرة مجلدات في تاريخ حلب عنوانه: «بغية الطلب في تاريخ حلب». وكتب بعد ذلك موجزاً له سماه: «زبدة الحلب في تاريخ حلب»، وقد نشر قطعة منه المستشرق فريتاغ. وقد ولد ابن العديم في سنة ٥٨٠هـ. وتوفي سنة ٦٦٠هـ[٢].

حاشية [١٣٠]: إن الفصل الذي عقده ابن خلدون لتاريخ الأئمة الرسيين غلب عليه من الخطأ والتحريف ما جعلني أحس بالرغبة في حذفة

---

(١) هو أبو بكر محمد بن يحيى بن عبدالله بن العباس بن محمد بن صول تكين الكاتب المعروف بالصولي الشطرنجي، كان أحد الأدباء الفضلاء المشاهير. وله تصانيف مشهورة منها كتاب (الوزراء) وكتاب: (الورقة) وكتاب: (أدب الكاتب) و (الأنواع) و (أخبار أبي تمام) و (أخبار القرامطة) و (الغرر) و (أخبار أبي عمرو بن العلاء) و (العبادة) و (أخبار ابن هرمة) و (أخبار السيد الحميري) و (أخبار إسحاق بن إبراهيم)، وجمع أخبار جماعة من الشعراء ورتبه على صورة المعجم، وكلهم من الشعراء المحدثين، وغير ذلك. وكان ينادم الخلفاء، وكان أغلب فنونه أخبار الناس، وكان أوحد وقته في لعب الشطرنج (وفيات: ٤٧٧/٣ ـ ٤٨١).

(٢) هو عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الصاحب العلامة رئيس الشام كمال الدين العقيلي الحلبي المعروف بابن العديم. ولد سنة ٥٨٦هـ. وتوفي سنة ٦٦٦هـ. وكان محدثاً فاضلاً حافظاً مؤرخاً صادقاً فقيهاً مفتياً منشياً بليغاً، درس وأفتى وصنف وترسل عن الملوك، وكان يكثر في شعره عن ذكر العدم وشكوى الزمان، فسمي بذلك، وله من المؤلفات كتب منها: (تاريخ حلب) و(الدراري في ذكر الذراري) صنفه للملك المظفر غازي وقدمه له يوم ولد ولده الملك عبدالعزيز، و(الأخبار المستفادة في ذكر بني جرادة) و (كتاب في الخط وعلومه وآدابه ووصف ضروبه وأقلامه) و (رفع الظلم والتحري عن أبي العلاء المعري) و (تبريد حرارة الأكباد في الصبر على فقد الأولاد). وله شعر رائق مبسوط بعضه في (فوات الوفيات لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ ١٠١/٢ ـ ١٠٢).

كلية، ولكنني فكرت في هدف أكثر نفعاً يمكن تحققه إذا ضممناه لهذا المجلد ونبهنا على ما بعده من أخطاء. وفيما يتعلق بالأشراف السليمانيين باليمن[1] فيكفي أن أشير إلى ما قلته في [حاشية ٨٨]، فلقد نبهت إلى خطأ ابن خلدون فيما يتعلق بالإمام أحمد (المتوكل) بن سليمان الذي نسميه خطأ بابن حمزة. ويقول عنه أيضاً في عبارة غير دقيقة: إنه كان من أقرباء غانم بن يحيى السليماني. والإمام الذي نحن بصدده كان في الحق من سلالة الناصر أحمد بن الهادي يحيى، ولذلك فإن عمارة على حق في تسميته بالرسي[2].

وقد أعلن أحمد المتوكل على الله ما يثبت حقه في الإمامة في سنة ٥٣٢هـ.، واعترف بإمامته في نجران وفي صعدة. وقد استطاع بمعاونة جيرانه من القبائل العربية أن يهجم على ملك صنعاء الهمداني، وهو حاتم بن أحمد في سنة ٥٤٥هـ. وأن يهزمه[3]. وفي سنة ٥٤٩ هجم على قبيلة يام القرمطية، التي ظل أفرادها ـ إذا كنا نصدق المؤرخين الزيدية ـ مثابرين على مزاولة مراسم المذهب الإسماعيلي، وقد نهب عساكر الإمام البلاد وجعلوها قاعاً صفصفاً، واتجهت البقية الباقية من الأهالي إلى نجران. ووقعت حملته على زبيد سنة ٥٥٢هـ. ووصفها كما ذكره الكتاب الزيديون يختلف اختلافاً محسوساً عما جاء في عمارة. ويقول الكتاب الزيديون: إن

---

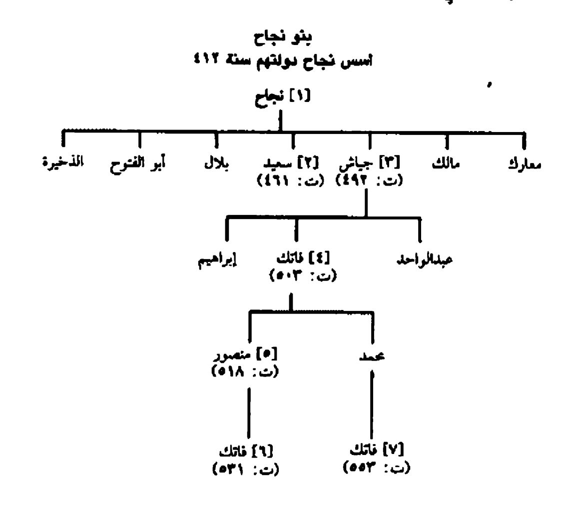
(١) وبنو سليمان العلويون باليمن هم:
(منقول عن زامباور / المترجم: ١/١٧٦ ـ ١٧٧)
١ ـ غانم بن يحيى (خرج من مكة). سنة ٤٥٠هـ.
٢ ـ وهاس بن غانم (حارب بني مهدي).
٣ ـ القاسم بن غانم.
٤ ـ أحمد المتوكل [الأول] بن حمزة (توفي بشبام سنة ٥٦٦). حول ٥٥٣
٥ ـ عبدالله المنصور بن أحمد (بصعدة)، (توفي سنة ٦١٢ أو ٦١٤). ٥٦٦
٦ ـ عز الدين محمود بن أحمد (؟). ٦١٢ (؟)
٧ ـ أحمد المتوكل [الثاني] بن أحمد (توفي سنة ٦٥٦). ٦٣٠
(٢) انظر جدول الأنساب الملحق بحاشية: ١٠٧.
(٣) انظر هامش (١) السابق.

أمير زبيد فاتك بن محمد[1] رجلاً لا حد لإغراقه في الشر وارتكاب الفظائع والجرائم المنكرة، وقد وقع أسيراً في يد الإمام الذي رفض أن يقبل لفك سراحه فدية كبيرة، فأمر بقتله إنفاذاً لحكم الشريعة الإلهية. وظل الإمام ثمانية أيام في زبيد، وعين حاكماً على المدينة ورحل عنها ظافراً منصوراً. وظل يشن الحرب لنصرة الدين، وذاع صيته في طول البلاد وعرضها، ودعي له في خطب المساجد في خيبر وينبع، وقد حكم ثلاث وثلاثين سنة، وفي أواخر حياته كف بصره، وتوفي في سنة ٥٦٦هـ.

المنصور بالله عبدالله هو أيضاً من بني الرسي من سلالة حمزة (ابن الإمام أبو هاشم الحسن). وعبدالله حفيد القاسم الرسي (انظر جدول الأنساب حاشية رقم ١٠٧). وقد ولد في سنة ٥٦١هـ. وأعلن نفسه إماماً في سنة ٥٩٣هـ. واعترف بإمامته اعترافاً رسمياً في السنة التالية، وأعلن مقامه في صعدة لفترة من الوقت ثم اتجه جنوباً.

---

(١) انظر جدول بني نجاح العبيد (ملوك تهامة وزبيد) المنقول من كتاب (الصليحيون): ٣٣٩. وهو كما يلي:



وفي سنة ٥٩٤ (أو في سنة ٥٩٥) دخل صنعاء حيث دان له أهلها بالطاعة، ثم بسط في نفس السنة نفوذه على ذمار وما جاورها، ولكنه اضطر إلى التنازل عن فتوحه وإلى التقهقر نحو الشمال[١]. ومع ذلك فقد أخذت قوته وشهرته في الزيادة. ولم يقتصر امتداد نفوذه على بلوغ بلاد الحجاز، ولكن سلطته كإمام اعترف بها الزيديون في فارس. وفي سنة ٦٠٠هـ. رمم حصن ظفار، وزاده مناعة. وفي سنة ٨١١ استعاد سلطانه على صنعاء وذمار، واشتغل بإخضاع المطرفية الذين عاملهم بقسوة زائدة كما جاء في كتابات مؤرخيه[٢]. وقد حث الخليفة العباسي[٣] على مقاتلة هذا الإمام، فأرسلت قوة كبيرة في سنة ٦١٢هـ. لقتال المنصور، وكان على رأسها المسعود[٤] آخر سلاطين اليمن الأيوبيين فتقهقر إلى البلاد المجاورة لكوكبان، وتحصن هنالك في موضع منيع حيث شيد لنفسه بيتاً وخططاً لأتباعه، كما أنشأ داراً للضرب والسكة، واحتل هذا الموضع لمدة ثلاثة أشهر ونصف، حدثت في خلالها اشتباكات كثيرة بين جنده وأعدائه. وفي سنة ٦١٣هـ. عقدت هدنة وانتقل الإمام إلى كوكبان ثم إلى ظفار، وفي هذا الوقت كانت صحته قد ساءت ثم توفي في الموضع الأول (كوكبان) في المحرم سنة ٦١٤هـ.

وبعد وفاة المنصور حدث شقاق في صفوف الزيديين، فأهل صعدة وما جاورها أقروا إمامة الشريف مجد الدين (نجم الدين) يحيى بن المحسن

---

(١) ذكر ابن الأثير في تاريخه ١٢/١١٣ أن هزيمة المنصور عبدالله على يد السلطان الأيوبي المعز إسماعيل كانت سنة ٥٩٧ وليست سنة ٥٩٢، كما جاء في ابن خلدون.

(٢) كثيراً ما ترد كلمة المطرفيه في كتب المؤرخين الزيدية، ولم أعثر على تفسير لها في موضع آخر، ولكن يبدو أنها تسمية، يسمى بها المسلمون من أهل السنة، وتقترن عادة بلقب الشقية (أي الواغلة في الشرور والآثام).

(٣) قارن كاشفة الغمة ورقة: ٢٢؛ بالحدائق ورقة: ٢٠٦؛ وكان الخليفة العباسي في ذلك الوقت هو أبو العباس أحمد الناصر لدين الله بن المستضيء (٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ.)

(٤) حكم الأيوبيون اليمن من سنة (٥٦٩ ـ ٦٢٥هـ.) والملك المسعود هو صلاح الدين يوسف بن الكامل حكم ما بين (٦١٢ ـ ٦٢٦هـ.). راجع زامباور / المترجم: ١٥٢/١.

(اقرأ محمد[1])، الذي اتخذ لقب الهادي إلى الحق، وهو نفس اللقب الذي اتخذه سميه وسلفه مؤسس الدولة.

وفي الجهات الجنوبية ظهر عز الدين محمد الملقب بالناصر لدين الله بن المنصور عبدالله، وقد اعترف بإمامته، وهزم في سنة ٦٢٣هـ. في اشتباك قرب صنعاء مع جنود الملك الأيوبي المسعود، فهرب إلى ثلا وجرح بسهم في عينه، وتوفي قبل نهاية السنة، وخلعه أخوه شمس الدين أحمد المتوكل على الله. وعلينا أن نذكر أن المنصور عبدالله ترك أسرة كبيرة من الأبناء فضلاً عن هذين الولدين اللذين ذكرتهما هنا.

الإمام أحمد بن الحسين (بن أحمد بن القاسم) الملقب بالمهدي، ظهرت إمامته في ثلا في سنة ٦٤٦هـ. وفي نسبه خلاف ظاهر بين الكتاب الذين أمكنني أن أرجع إلى مؤلفاتهم، وهو أمر ظاهر الغرابة، إذا علمنا ما يعلقه الزيدية من أهمية على صفات نسب أئمتهم. وقد عد الأهدل أحمد بن الحسين ولد الحفيد القاسم (أبو القاسم الحسين؟) ابن المؤيد أحمد (أحد أئمة الفرس)، من سلالة زيد بن الحسن، فهو تبعاً لذلك ليس من أسرة الرسيين (انظر جدول النسب الملحق بالحاشية ١٠٧)[2]، ويرى مؤلف اليواقيت أن جده الأعلى هو المنصور القاسم المتوفى سنة ٣٩٣، والذي لم يكن بين أبنائه ولد يسمى أحمد إذ لم يرد ذكر لهذا. ويقول صاحب بغية المريد بأنه من سلالة أحمد بن إسماعيل أبي البركات أسوة بالملكة أم الإمام أحمد بن سليمان، وأحمد بن إسماعيل أبو البركات من سلالة محمد بن القاسم الرسي ومقارنة التواريخ من جهة أخرى. وهي أن الإمام أحمد بن سليمان ولد في سنة ٥٠٠هـ. تجعل المسألة في وضع يحوط بالشك والغموض.

ولم أعثر على ما يوضح كلمة (الموطى)، ولكن ابن خلدون كما يبدو قد أخذه من البيهقي (انظر ١٢٨ ووازن بينها وبين الفقرة ٢ / ٢٥٢ من

---

(١) ذكر زامباور / المترجم: ١٨٧/١ ـ ١٨٨ اسمه: الهادي نجم الدين يحيى بن حمزة.

(٢) انظر زامباور / المترجم: ١٨٧/١ ـ ١٨٨.

تاريخ ابن خلدون طبعه بولاق) ومعنى الكلمة: ذلك المعين للإخضاع والإذلال.

وقد نصب أحمد بن الحسين إماماً، ووافق على إمامته أسرة المنصور بالله التي أيدته تأييداً كاملاً، واستطاع قبل انقضاء وقت طويل أن يعقد معاهدة على قدم المساواة مع السلطان الرسولي في عهد المظفر يوسف[1]، ومثل هذه الحالة كانت بالضرورة كريهة مزرية لا للسلطان فحسب، ولكن للمسلمين من أهل السنة جميعاً، ولكن الخزرجي يخبرنا في العقود اللؤلؤية أن الخليفة العباسي المستعصم[2] بالله أمر السلطان بأن يضع حداً نهائياً لنفوذ الإمام المارق عن الدين. ويحكي المؤرخون الزيدية قصة مغايرة لهذا تعد غريبة إلى حد ما، فطبقاً لرواياتهم[3] استعان المظفر بالمستعصم لقتال الإمام، ويحكون أن الخليفة أرسل للسلطان بعض الحشيشيين أو بعبارة أخرى الفدائيين. ويمضي المؤرخ الزيدي بأن هؤلاء الأشخاص هم الذين يبيعون أنفسهم ويضحون بحياتهم لذبح شخص يرون أنهم في حاجة لقتله. ومن الشيق أن نلاحظ أن كلمة حشيشيين هي نفس الكلمة التي وجدها المستر لين[4] في جغرافية الإدريسي، تطلق على قوم يسمون بهذا الاسم. ويلاحظ لين بأن الكلمة مرادفة لمن يسموا الحشاشين، والكلمة الأخيرة هي المتداولة في الوقت الحاضر، ولو أنها اليوم يقصد بها الأشخاص الذين أدمنوا على استعمال هذا المخدر.

وقد أرسل السلطان المظفر الحشيشيين في بعثة مصطنعة للإمام فاستقبلهم الإمام في مجلسه، وأوشكوا أن ينجحوا في تحقيق غرضهم،

---

(١) هو الملك المظفر شمس الدين يوسف [الأول] بن عمر (٦٤٧ ـ ٦٩٤)، وهو ثاني ملوك بني رسول باليمن.

(٢) هو أبو عبدالله المستعصم بالله بن المستنصر تولى الخلافة في ١٠ جمادى الآخرة سنة ٦٤٠ وقتله هولاكو في ١٤ صفر سنة ٦٥٦هـ..

(٣) اليواقيت ورقة: ١١٧.

(٤) هو إدوارد وليم لين ـ ألف ليلة وليلة ـ حاشية: ٤٦ الفصل الثاني.

ولكن الإمام جرح بخنجر ذلك الذي هجم عليه، ولكن أتباع للإمام أنقذوا أمامهم من المعركة التي حدثت[1].

وقبل أن ينقضي طويل وقت كان يحدق بالإمام أخطار أشد جسامة، فإن بيعة أفراد أسرة المنصور، وإخلاصهم لأيمان البيعة والطاعة لم يدم طويلاً. وكان تعدد الأوامر والسلطات من الكثرة بحيث أدى إلى خلق الغيرة والخلافات، ليس بين أفراد الأسرة فحسب، ولكن بين غيرهم من الرؤساء الأقوياء. فأثيرت في وجه الإمام حملات التنديد والإنكار. فأعلن عنه بأنه خال من صفات الإمامة التي يقتضي القانون الإلهي أن تكون في منصبه المقدس. وطلب من الناس أن ينقلوا بيعته إلى الشريف حسن بن وهاس. وكانت قد وقعت بعض حوادث الغصب والابتزاز بأمر الإمام أحمد بن الحسين. مما زاد من كراهية الشعب له: وقد دعا الساخطون شمس الدين أحمد (المتوكل) رئيس الحمزيين[2]، وابن الإمام المنصور عبدالله ليكون على رأسهم، وقد لقوا العون من ملك اليمن من آل رسول[3]. وتلاقت القوات المتشاحنة المتناحرة في شوابة في سنة ٦٥٦هـ[4]. على ضفاف نهر ضروان، الذي يسيل كما يقول بين شوابة وبلدة بهذا الاسم على النهر.

وقد هزمت جنود الإمام وولت الأدبار وتركته تقريباً وحده في ميدان المعركة، قد أحاط به جمع من أعدائه، وتكاثروا عليه وقتلوه، وحملوا رأسه

---

(١) ويخبرنا نفس الكاتب بأن الإمام الفارسي أبو الحسن علي الهادي الحقيني الذي طارد الإسماعيليين بسبب حقده عليهم قتله حشيشي في سنة ٤٤٠هـ. قد أرسل بقصد اغتياله من قلعة ألموت (راجع كلمة حشاش وسبب تسمية الفداوية أتباع الحسن الصباح بهذا الاسم، في كتاب: النزارية أجداد آغا خان: ٩٧ ـ ١٠٤).

(٢) هو الإمام المتوكل شمس الدين أحمد بن عبدالله بن حمزة تولى الإمامة سنة ٦٥٦ بعد موقعة شوابة. (زامباور / المترجم: ١/١٨٨).

(٣) وكان ذلك في عهد الملك المظفر شمس الدين يوسف [الأول] بن عمر (٦٤٧ ـ ٦٩٤). (نفسه: ١/١٨٤).

(٤) انظر حاشية رقم (١٦)، ويقول مؤلف الجواهر بأنها تقع شرقي ظفار، ويقول ياقوت بأنها على أربعة أميال من صنعاء، وفي موضع آخر يقول أربع فراسخ، ويقول ياقوت بأنها لا يطير فوقها طير. (معجم البلدان: ٥/٣٠٤).

لخيمة شمس الدين، وقيل بأن هذا الحادث وقع في نفس اليوم الذي قتل فيه آخر خليفة من خلفاء العباسيين في بغداد على يد هولاكو[1].

وقد نصب الشريف أبو محمد الحسن بن وهاس إماماً ولكن لم يعترف بإمامته في كافة أنحاء البلاد. وبنحو عامين قبل ذلك الوقت، كانت البلاد قد عصفت بها المجاعة التي ترتب عليها انتشار الوباء. وكان من ضحاياه الأوائل شمس الدين أحمد، وقد تبعه قبل نهاية السنة اثنان آخرن من أبناء المنصور عبدالله وهما: نجم الدين موسى والحسن. وعلى ذلك فقد انتقلت الرياسة من بني حمزة إلى أخيه صارم الدين داود ابن الإمام المنصور عبدالله. وفي خلال القرنين ١٧، ١٨م تولى إمامة اليمن أسرة من سلالة المنصور القاسم بن محمد بن علي الماحي، وهو من سلالة يوسف الداعي من أبناء حفيد الهادي يحيى مؤسس الدولة الرسية كما رأينا فيما مضى[2].

---

(١) وهو الخليفة أبو أحمد عبدالله المستعصم بالله بن المستنصر الذي قتله هولاكو التتاري رئيس جند المغول، في ١٤ من صفر سنة ٦٥٦هـ..

(٢) راجع هذا الثبت عن أئمة صنعاء (دولة حديثة)، كما ورد في كتاب زامباور / المترجم: ١٨٩/١ وهذا نصه:

١ ـ القاسم المنصور بن محمد بن علي بن محمد (ت: ١٥ ربيع الأول سنة ١٠٢٩). حول سنة ١٠٠٠هـ.

٢ ـ المؤيد محمد بن القاسم (ت: ٢٧ رجب سنة ١٠٥٤). ربيع أول ١٠٢٩

٣ ـ المتوكل إسماعيل بن القاسم (ت: ٤ جمادى الآخرة سنة ١٠٨٧). رجب ١٠٥٤

أحمد بن القاسم، (مطالب بالحكم). (١٠٥٤ ـ ١٠٥٥)

٤ ـ المهدي أحمد بن الحسن (ت: ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٠٩٢). جمادى الآخرة ١٠٨٧

٥ ـ الهادي محمد بن إسماعيل (ت: جمادى الآخرة سنة ١٠٩٧). جمادى الآخرة ١٠٩٢

٦ ـ المهدي محمد بن أحمد بن الحسن. جمادى الآخرة ١٠٩٧

يوسف بن إسماعيل (ادعى الحكم لنفسه لفترة قصيرة). ١٠٩٧

الناصر محمد بن الحسين (؟). ـ

٧ ـ المتوكل القاسم بن الحسين بن أحمد. ١١٢٨

=

وقد ولد المنصور القاسم في سنة ٩٦٧هـ. وتوفي سنة ١٠٢٩هـ (١٦٢٠م)، بعد حكم دام ثلاثة وثلاثين سنة. وهو الإمام القاسم بن محمد، كما جاء في كتاب نيبهر، الذي قال بأنه جد المهدي عباس الإمام الحاكم لليمن في وقت زيارة هذا السائح لصنعاء في سنة ١٧٦٣م. وقد نشر نيبهر في كتابه وصف بلاد العرب (بالفرنسية)، جدول نسب أورد فيه أسماء الأئمة وأنسابهم من القاسم حتى ولاية المهدي عباس، ويشمل كتاب بغية المريد، وصفاً دقيقاً للذرية العديدة التي انحدرت من القاسم وهي تبين أن جدول نيبهر في حاجة إلى تصحيح. فالقاسم الذي خلفه كما جاء في البغية ابنه الأكبر المؤيد محمد المولود في سنة ٩٩٠هـ. وليس ابنه إسماعيل. وقد حكم المؤيد من سنة ١٠٢٩هـ. إلى وفاته سنة ١٠٥٤، أي لمدة خمس وعشرين عاماً، وخلفه أخوه إسماعيل المتوكل المتوفي سنة ١٠٨٧هـ. (١٦٧٦م) وهو في سنة ٦٦. والسن التي ولد فيها القاسم سجلت في بيت من شعر يتضمن تاريخ مولده وهو:

بـــرتـــقـــى وجـــودا وهـــب ربـــك

= ٨ ـ المنصور الحسين بن المتوكل. ١١٣٩

٩ ـ الهادي المجيد محمد بن علي بن الحسين (؟). ١١٣٩

المنصور، (إمرة ثانية) ١١٤٠.

١٠ ـ المهدي العباس بن الحسين بن القاسم المتوكل. ١١٦٠

١١ ـ المنصور علي. حول ١١٩٠

١٢ ـ المهدي أحمد بن الحسين بن القاسم المتوكل (؟) ١٢٢١

المنصور علي.

المهدي القاسم ١٢٥٧.

محمد بن يحيى، (خضع للعثمانيين، عزل ثم قتل). ١٢٦١

استرد العثمانيون صنعاء. ١٢٨٩

يحيى حميد الدين، (ثار ثم أعلن استقلاله بصعدة) ١٣٠٨.

يحيى بن محمد بن محمد بن يحيى حميد الدين، (حكم بصعدة حتى سنة ١٣٣٠ ثم بشهارة قرب صنعاء ١٣٢٢).

وهذه تساوي ٩٦٧، كما ذكر تاريخ ولاية المتوكل إسماعيل في هذه العبارة وهي: «ربي اشرح لي صدري».

وهذه تساوي ١٠٥٤.

وحياة الإمام المنصور القاسم موضوع أحد المخطوطات في مكتبة المتحف البريطاني رقم ٣٣٢٩ القسم الشرقي.

أما سيرة الإمام المتوكل على الله يحيى، وقد تولى الإمامة قبل الإمام السابق الذكر فتوجد في مخطوط آخر من المخطوطات الزيدية رقم ٣٧٣١ بالقسم الشرقي. والإمام المتوكل الذي توفي في سنة ٩٦٥هـ. (١٥٥٨م) ادعى هو أيضاً بأنه من سلالة يوسف الداعي، ولكن نسبه منفصل ومتميز عن نسب القاسم.

حاشية [١٣١]: أظن أن بالمتن هنا عدة كلمات نسي الناسخ كتابتها، ولكن المعنى العام للفقرة واضح وضوحاً كافياً.

وهناك شيء من الصعوبات في الوصول إلى الاسمين الصحيحين لشخصيتين لعبتا دوراً هاماً في تاريخ القرامطة أو الإسماعيلية في اليمن: فابن فضل[(١)] يسميه ابن خلدون (محمد)، وكذلك يسميه ابن الأثير. وعلى ذلك فمن المرجح أن يسميه بهذا الاسم كتاب آخرون لم أستطع أن أرجع إلى مؤلفاتهم، ومن وجهة أخرى فإن عمارة يسميه علياً بل يتابعه في ذلك الجندي والخزرجي وغيرهما، وكذلك المسعودي وصاحب كتاب «دستور المنجمين» الذي سبق لي أن أشرت إليه في [حاشية رقم ٢٦]، وانظر أيضاً الحاشية في نسخة الطبري المطبوعة بليدن القسم الثالث (ص٦٦٥٦).

أما بشأن الشخصية الأخرى فإن الخلافات والتضارب بين الأسماء المختلفة المنسوبة إليها فهي أعظم من الشخصية السابقة، ولكنها بتلقيبها بالمنصور كما لو كان ذلك اسماً علماً، فإن الجندي والخزرجي وقع كل

---

(١) هو علي بن الفضل الجدني الخنفري الجيشاني (راجع: قرة: ١٣؛ افتتاح ٩؛ الصليحيون الباب الثاني: ٢٧ ـ ٤٨).

منهما في الخطأ بسبب أن الرسول الإسماعيلي كان يسمى بمنصور اليمن. ومعنى هذه العبارة أن هذا الرسول تلحظه العناية الإلهية في مهمته في اليمن، كما تفيد أيضاً معنى منتصر في اليمن. ويسمى الخزرجي هذا الرجل بالمنصور ونسبه منصور بن الحسن[1]، ويسميه صاحب «دستور المنجمين»[2] أبا القاسم الفرج بن حسن بن حوشب بن زادان الكوفي. وفي المقريزي[3] نقرأ اسمه هكذا: أبو القاسم الحسين بن فرج بن حوشب الكوفي. وفي ابن الأثير[4]: رستم بن الحسين (الحسن) بن حوشب بن دازان النجار. والفرق بين النسبتين الأخيرتين هو فرق يسترعي النظر، لأنه بموازنة الفقرتين المتعلقتين بابن حوشب يتضح أن كلاً من الكاتبين قد نقل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة عن مصدر واحد[5].

ويلاحظ أنه في المقريزي كلمة خرب حلت محلها خطأ كلمة حرث وهذا يقضي على معنى العبارة.

حاشية [١٣٢]: هنا خلاف بين روايتي الجندي والخزرجي بشأن نسب ابن فضل مع أن كلاً منهما قد استقى روايته عن القرامطة في اليمن من مصدر واحد، وهو محمد بن مالك الكاتب الذي ورد اسمه في المتن، فلم يرد في الخزرجي ذكر لذي جدن. ومما تجدر ملاحظته أن ابن الأثير يذهب إلى أن ابن الفضل كان من أسرة تسكن الجند. ويقتصر الخزرجي على القول بأن ابن فضل كان من سلالة خنفر بن سبأ بن صفي (صيفي؟) بن زرعة (حمير الأصغر) بن سبأ الأصغر.

---

(١) ورد تاريخه بالتفصيل في كتاب (الصليحيون: ٢٧ ـ ٤٨).

(٢) ص١٤٠.

(٣) ٣٤٩/١.

(٤) ٢٢/٨.

(٥) وورد اسمه في افتتاح (٣ ـ ٤). أبو القاسم الحسن بن الفرج بن حوشب بن زادان الكوفي. وفي الحور ١٩٧ جاء: أبو القاسم أبو الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفي، واشتهر باسم منصور اليمن بعد أن فتح هو وعلي بن الفضل الجيشاني اليمن. (راجع كذلك حاشية: ١١ والتعليق عليها).

وقد ذكر الهمداني قبيلة أو أسرة باسم خنفر. ويقول أيضاً بأن خنفر هو اسم لبلدة في أبين[1].

حاشية [١٣٣]: من المستبعد بطبيعة الحال أن نفترض أن ابن حوشب وابن فضل قد أرسلهما إلى اليمن ميمون، كما أنه من المستبعد أيضاً أن عبيدالله المهدي كان ابناً لميمون هذا. وعبدالله بن ميمون المدبر الحقيقي للمؤامرة الإسماعيلية، كان فيما يرجح لا يزال على قيد الحياة حين أرسل هذان الرسولان، ولكن الأستاذ دي خوي قد أوضح أن عبدالله بن أحمد هو الذي نظم هذه البعثة إلى اليمن دون ريب[2].

---

(١) جدن من ذي جد. وجيشان مدينة باليمن. وفي قرة ١٣ قال:
إنه ولد خنفر بن سبأ الأصغر، كان في أول أمره لا شهرة له، وقد تعلم أصول الدعوة في الكوفة، ثم رجع إلى اليمن. وقال القاضي النعمان (افتتاح: ٩): وكان ابن الفضل شاباً جميلاً من أهل بيت تشيع ونعمة ويسار، ويقال له أبو الحسن علي بن الفضل، خرج حاجاً من جيشان في جماعة من أهلها. (الصليحيون: ٣٠ هامش: ٤؛ راجع التعليق على حاشية: ١١).

ويقول ياقوت: (١٩٢/٣): ومخلاف جيشان كان ينزله جيشان بن غيدان بن حجر بن ذي رعين واسمه يريم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبدشمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير.

(٢) وبالرغم من اختلاف المؤرخين في الشخص الذي عهد لأبي القاسم بن حوشب وابن الفضل بالسفر إلى بلاد اليمن، يمكننا أن نقرر هنا اعتماداً على ما قاله القاضي النعمان (افتتاح: ١٢) أن الإمام الحسين بن أحمد وهو الذي قام بهذا الأمر. لأن الإمام بعد أن أخذ المواثيق على أبي القاسم، وصله ابن الفضل فقال الإمام: «يا أبا القاسم هذا الذي كنا ننتظره، فكيف رأيك في الذي عرضته عليه من أهل اليمن؟» فامتثل أبو القاسم لأوامر الإمام التي قال له فيها: «.. إلى عدن لاعة فاقصد، وعليها فاعتمد، فمنها يظهر أمرنا، وفيها تعز دولتنا، ومنها تفترق دعاتنا» (افتتاح: ١٢).

ثم أمره بالاستتار، والاعتماد على التأويل، واتخاذ التشيع وسيلة لتحقيق أغراضه، وأن يقول بقرب ظهور المهدي (Quatremere, J.A. 1936. P.184) ولكن إدريس (عيون: ١١٩/٥) يرى عن صاحب سيرة الإمام المهدي، أن الإمام الحسين قبل أن يتوفى استكفل أخاه أبا علي الحكيم وهو محمد بن أحمد المكنى بسعيد الخير، إلى ابنه المهدي، وكان عم الإمام المهدي. وهو الذي أنفذ أبا القاسم إلى اليمن بعد وفاة=

ولا بد أن عبيدالله كان في ذلك الوقت طفلاً، وقد توفي سنة ٣٢٢هـ. في سن ٦٣ كما جاء في ابن الأثير.

حاشية [١٣٤]: هذه العبارة مستمدة من حديث مأثور عن النبي ﷺ وقد أوردها كل من الخزرجي في مخطوطاته المحفوظة بمكتبة ليدن، والرازي في مخطوطته بالمتحف البريطاني.

حاشية [١٣٥]: يضيف الخزرجي هنا أن ابن حوشب وابن فضل وصلا اليمن بعد اغتيال محمد بن يعفر بقليل، وهذا الاغتيال حدث في المحرم سنة ٢٧٩ [حاشية رقم ٨]، كما جاء في الجندي نقلاً عن ابن الجوزي.

وقد وصل الأستاذ دي خوي إلى رأي استخلصه، وهو أن بعثه الإسماعيلية التي أرسلت إلى اليمن كانت في سنة ٢٦٦هـ. وهذا التاريخ يتفق مع ما جاء في المقريزي، وفي كتاب، دستور المنجمين. ويقرر الأخير أن المبعوثين أرسلا في سنة ٢٦٢هـ. بينما يتفقان في القول بأنهما وصلا اليمن في سنة ٢٦٨هـ. وأن غلبة الإسماعيلية بدأت بالدعوة الحرة لها في سنة ٢٧٠هـ[1].

= الإمام الحسين بن أحمد. ويحتمل أن يكون الإمام الحسين هو الذي أخذ المواثيق على أبي القاسم وزميله، ولكنه توفي قبل أن يسافر السفيران إلى بلاد اليمن.

ومهما يكن من أمر فإن السفارة قد أرسلت إلى اليمن في شخص أبي القاسم وابن الفضل (الصليحيون: ٣١).

(١) خرج السفيران من الكوفة إلى القادسية في نهاية سنة ٢٦٧، ويقول أبو القاسم: «ولما ودعت الأهل والأحبة متشوقاً إلى إقطاع الغربة توجهت، فلما خرجت من القادسية توجست خيفة فسمعت حاد يقول:

يا حادي العيس مليح الزجر   بشر مطاياك بضوء الفجر

فسررت واستحسنت ذلك الفأل لما سمعته». ووافيت مكة في حين قدوم الحجاج من اليمن (افتتاح: ١٤؛ عيون: ٣٥/٥). وبعد أن أدى مناسك الحج تابع مع زميله السير حتى وصلا إلى غلافقة في أول سنة ٢٦٨، وكانت في هذا الوقت بندر المدينة زبيد على ساحل البحر الأحمر.

وأما عن فتح ابن فضل لصنعاء فقد هجم عليها لأول مرة من ناحية الشهابيين (وهم=

ويترتب على ذلك أن قيام ابن فضل بفتح صنعاء نهائياً لا بد أن يكون قد حدث بعد إحدى وثلاثين سنة من وصوله. ويبدو أنهما قد جاهدا طويلاً قبل أن يظفرا بمركز السيادة والسلطان الذي شغلاه لفترة قصيرة.

حاشية [١٣٦]: يلاحظ أن أبا عبدالله ذكر هنا على أنه كان قد أرسله إلى إفريقية ميمون القداح، أو أنه قد أرسله كما يمكن استخلاصه رئيس الإسماعيلية في ذلك الوقت، وليس ابن حوشب كما ذكر كتاب آخرون[١]. ولكن من الراجح أن أبا عبدالله تغيب عن موطنه وقتاً ما قبل

= ينسبون إلى شهاب بن عاقل بن قضاعة) (شمس العلوم: ٥٨) سنة ٢٩٣، وبقيت المدينة مكان جذب بينه وبين أسعد بن أبي يعفر حتى استقر لابن فضل الأمر فيها سنة ٢٩٩هـ. (الصليحيون: ٣٧؛ حاشية: ١٣٨).

(١) كان أبو القاسم منصور اليمن موضع ثقة المهدي، فلقد تمكن هذا كما يقول برنارد لويس (٩٥) «عن طريق الدعوة ولأول مرة من تكوين دولة إسماعيلية في اليمن، وسر الإمام كثيراً عندما وردت إليه الهدايا من اليمن وقال لابنه: هذه أول ثمرة أيامك وبركة دولتك» وتمثل بقول الشاعر:
(افتتاح: ١٨):

الله أعطاك التي لا فوقها ... وكم أرادوا منعها وعوقها
عنك، ويأبى الله إلا سوقها ... إليك حتى طوقوك طوقها

ولثقة رؤوساء الدعوة بأبي القاسم لقبوه بالمنصور وشبهوه بفجر الدعوة الذي مهد لشمسها بالظهور فقالوا فيه: (كان أبو القاسم بمثابة الفجر المتنفس، وبه كشف الله عز وجل عن الأولياء الغمة، وأنار حنادس الظلمة، (غاية المواليد: ٤٨ ـ ٤٩)، ويدلنا على مبلغ ثقة الأئمة به أنهم كلفوه بإرسال الدعاة إلى الجهات المختلفة، لأنه ليس من المعقول أن يقوم أبو القاسم من تلقاء نفسه بهذا الأمر). فبعث ابن أخيه الهيثم داعياً إلى السند حيث استجاب إليه الكثير من أهلها (عيون: ٣٨/٥) وأرسل أبا محمد عبدالله بن العباس داعياً إلى مصر (نفسه: ٣٨/٥). ووزع الدعاة في سائر البلدان: باليمن واليمامة والبحرين (صبح الأعشى: ١١٩/١ ـ ١٢٠)، والسند والهند ومصر والمغرب (افتتاح: ١٩). ولما أرسل الإمام داعيه أبا عبدالله الشيعي الصنعاني (واسمه الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا)، وكان ذا علم وعقل ودين وورع وأمانة ونزاهة (افتتاح: ٣٢) إلى منصور اليمن قال له: «امتثل سيرته وانظر إلى مخارج أعماله ومجاري اتصاله فاحتذها وامتثلها فاعمل بها» (افتتاح: ٣٢؛ زبدة الفكرة: ١٥٤/٥).
فأقام عنده يشهد مجالسه، ويخرج معه في غزواته لا يفارقه، حتى بعثه إلى أرض المغرب (افتتاح: ٣٢؛ عيون: ٤٣/٥؛ غاية المواليد: ٤٩). وأرسل معه ابن أبي=

سفره في بعثته، وأنه تقابل مع الرئيس الأكبر للدعوة (دي خوي ١٩ هامش)، وأنه عاد بعد ذلك إلى اليمن. وفيما يتعلق بمسألة تاريخ بعثته إلى إفريقية، فالنص الذي لدينا، وكذلك الخزرجي يقرران أن سنة ٢٩٠ هي السنة التي تمت فيها هذه البعثة، ويقول المقريزي (١ / ٥٣٠): إن أبا عبدالله وصل إلى بلدة كتامة في سنة ٢٨٨، ونقرأ في ابن الأثير أن ذلك وقع في سنة ٢٨٠. وهو التاريخ الذي اعتمده ده ساسى استناداً على بيبرس المنصور وأبى الفداء. وجاء في ابن الأثير أن أبا عبدالله لم يكن فحسب في شمالي إفريقية قبل وفاة إبراهيم بن أحمد الأغلبي (في نهاية سنة ٢٧٩)، ولكن يبدو أنه قبل هذا الحادث كان قد أحرز قدراً من السلطة والنفوذ في البلاد يستطيع معه أن يدخل في حرب مكشوفة مع جنود إبراهيم الأغلبي (ابن الأثير ٨ / ٢٥، ٢٦). ولا نستطيع أن نجعل مؤلف «دستور المنجمين»

= الملاحف الذي ما لبث أن عاد لمرض والدته، فسير مكانه إبراهيم بن إسحاق الزبيدي (عيون: ٥١/٥)، وكان أبو القاسم قد أرسل الداعيين الحلواني وأبا سفيان إلى بلاد المغرب من قبل. وكان هؤلاء الدعاة كما يقول العيني: (عقد الجمان: ١٥٣/١٣) يدعوان إلى محمد الحبيب والد عبيدالله المهدي، وكان يسمى الهادي، وكان بسلمية بالشام، ولما علم أبو القاسم بوفاتهما (أي الحلواني وأبي سفيان). قال لأبي عبدالله الشيعي: «إن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان وقد ماتا، وليس لها غيرك، فبادر فإنها موطأة ممهدة لك» (زبدة الفكرة: ١٥٤/٥).

أما عن سبب امتناع الإمام عن قصد اليمن فإن القاضي النعمان يقول: (في افتتاح ١٣٧ ـ ١٣٨): «إن المهدي لما وصل إلى مصر كان يأمل أن يقصد اليمن. وإن الذين صحبوه كانوا جميعاً على هذا الاعتقاد، وإن الداعي منصور اليمن أكد لليمنيين بأن المهدي سيظهر في بلادهم، ولم يثنه عن عزمه إلا انحراف علي بن الفضل عن الدعوة، فالمهدي لم يكن قصده حينما وصل إلى مصر الذهاب إلى المغرب كما قال ابن الأثير: (١٢/٨)». ولا كما قال الجندي: (سلوك / كاي: ١٤٢) ولكن كان قصده اليمن. ومن المحتمل أن يكون المهدي قد غير خطته وهو في مصر لأنه يعلم بأن العباسيين جادين في طلبه وأنهم أرسلوا عيونهم إلى كل الجهات المحتمل ذهابه إليها وبخاصة اليمن، وأما خروج ابن الفضل على الدعوة الفاطمية فلم يحدث إلا بعد وصول المهدي إلى المغرب، وبعد أن وقع تحت تأثير فيروز باب أبواب المهدي الذي أحزنه مسير الإمام إلى المغرب / فذهب بنفسه إلى اليمن واتصل بابن الفضل (عيون: ١٣٨/٥، سيرة جعفر الحاجب: ١١٥).

مرشداً أميناً لنا، ولكن من الشيق أن نلاحظ أنه يذكر لنا سنة غير مقبولة وهي سنة ٢٩٦هـ. وهي في زعمه السنة التي وصل فيها أبو عبدالله الشيعي لإفريقية. ومع أنه يذكر هذه السنة فإنه يقدم لها بذكر أرقام ١٤٥+ ١٣٥ (٢٤٥+ ٢٣٥). والجملة تصل بنا إلى سنة ٢٨٠هـ.

وعلى ذلك فلا بد من سنة ٢٩٦، التي جاءت في المتن على اعتبار أنها السنة التي ذهب فيها عبيدالله إلى شمال إفريقية، أن تكون خطأ. ومؤلفنا هو في الواقع لم ينفرد بهذا الخطأ. ولكن الأستاذ دي خوي ذكر أن رحيل عبدالله عن الشام وقع فيما يرجح في سنة لا تتجاوز سنة ٢٨٧ أو سنة ٢٨٨.

قد أورد صاحب «دستور المنجمين» رواية تسترعي النظر وهي أنه حين وصل عبيدالله مصر عزم على أن يمضي إلى اليمن، وأنه لم يصرفه عن هذا العزم إلا ما نما إليه من أخبار عن عصيان ابن فضل، وأنه ظل مختفياً في مصر حتى رحل إلى شمال إفريقية.

حاشية [١٣٧]: أورد الأستاذ دي خوي هذه الأبيات نقلاً عن الخزرجي، وقد أضيفت لها عبارات تدل على مبلغ ما أثارته هذه القصيدة من سخط في عقول مسلمي أهل السنة الذين حفظوا هذه الأبيات[1]. وهذه

(١) اتهم المؤرخون علي بن الفضل بأنه أحل لأصحابه شرب الخمر ونكاح البنات والأخوات (سلوك / كاي: ١٤٣ ـ ١٤٤)؛ كما أظهر المجوسية وكفر بما جاء به محمد ﷺ من عند الله عز وجل (أرندونك ص٢ ـ ٣ نقلاً عن سيرة الهادي لعلي بن محمد بن عبدالله العباسي العلوي ـ مخطوط بالمتحف البريطاني تحت رقم O 3901)، وأما بخصوص القصيدة المذكورة التي تدور حول محرمات الشريعة الإسلامية والاستهانة بها، فإننا نرى أن هذه القصيدة نسبت إلى شاعر من شعراء ابن الفضل، وقد يجوز أن قالها شاعر من فرقة الخطابية كما حكاه نشوان الحميري (حور ١٩٩)، وهذا يدل على اختلاف الرأي فيمن قال هذه الأبيات. ولا تفيد المصادر التي تحت أيدينا عن حياة ابن الفضل وأمور مملكته إلا أنه استقل عن الدعوة الفاطمية، وخرج عن الدين الحنيف، والاتهامات التي نسبت إلى ابن الفضل أوردها الحمادي (كشف: ٢٩) وهو ألد أعداء الدعوة الفاطمية، وعن الحمادي نقل كل من جاء بعده من المؤرخين.
=

العبارات هي من قبيل ما سنورده فيما يلي، وقد نمقها الديبع، وذيل بها الفقرة التي تصور النبي الجديد رجلاً يحط عن الناس فرضي الصلاة والصوم فقال: لعنه الله في كل بلدة وأخذه الله في كل مذهب.

حاشية [١٣٨]: بدأ ابن فضل فتحه بصنعاء في سنة ٢٩٣ كما في الخزرجي وهذه الرواية قد سبقه فيها الطبري وابن الأثير، وتوضح رواية الخزرجي أن أسعد بن يعفر دان بالطاعة عندما سقطت ذمار في أيدي القرامطة، ولكنه هرب عند دخول ابن فضل مدينة صنعاء. وقد استجار أهل صنعاء طالبين معاونة إمام صعدة الزيدي وهو الهادي يحيى، فأرسل لمقاومة أعدائهم جيشاً تحت إمرة ولده أبي القاسم محمد المرتضى، فاستولوا على ذمار وأرغموا القرامطة على الجلاء عن صنعاء، ولكن القرامطة استعادوا ذمار من يد المرتضى سنة ٢٩٤، وطاردوه حتى التجأ إلى صنعاء حيث لحق بأبيه.

وفي ذلك الوقت هاجم أسعد بن يعفر الإمام الهادي، ورفض الصنعانيون أن يعينوا الإمام على سادتهم القدماء، فأضطر الإمام إلى الجلاء عن صنعاء والعودة إلى صعدة. فاستعاد القرامطة سلطانهم على صنعاء لفترة قصيرة، إلى أن طردوا مرة ثانية بمساعدة الهادي، ولكن الهادي اضطر إلى الهرب للمرة الأخرى حين علم بقدوم جيش قوي للعدو. وتوفي الهادي سنة ٢٩٨هـ. ونجح بنو يعفر مرة أخرى في الاستيلاء على صنعاء من أيدي القرامطة، ولكن ما لبث اليعفريون أن طردوا منها مرة أخرى، ودخل ابن فضل صنعاء في رمضان سنة ٢٩٩هـ. وظلت خاضعة لسلطانه إلى نهاية عهده[١].

= وإننا لا نتصور أن المجتمع اليمني يقبل رياسة ابن الفضل لمدة عشرين سنة بل أكثر، لو كان ارتكب في أواخر عهده، ما نسب إليه من الفواحش طوال هذه المدة، وقد يجوز أنه بالغ في يمنيته، وتطرف في قحطانيته حتى تعدى حدود الإسلام، كما فعل أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني بعده بقليل (صاحب كتاب الصفة وكتاب الإكليل). (الصليحيون: ٤٢ ـ ٤٣).

(١) الصليحيون: ٣٧؛ التعليق على الحاشية: ١٣٥.

حاشية [١٣٩]: هاتان الكلمتان تدلان على معنيين مفزعين. فهما مشتقتان من فعل دحس وشخص. ودحس معناها: حرك أطرافه في سكرات الموت. وشخص معناها: حدق بنظره كما يفعل المحتضر وهو يجود بنفسه. ويغدق الخزرجي على هذا الموضع اسم المشاحيط من شحط[(١)].

وذكر الهمداني[(٢)] الملاحيظ، وقال بأنها تقع على ضفاف وادي زبيد.

حاشية [١٤٠]: كتب صاحب تاج العروس ما يلي: «حصيب[(٣)] وزن زبير اسم لوادي زبيد، وجوه لطيف، وفي نسائه جمال بارع ورقة، ولذا صار المثل: عند دخول بلدة حصيب أسرع براحلتك. ومعناها أغذ السير لئلا يفتنك نساء البلدة» وانظر أيضاً كتاب الصفة[(٤)].

حاشية [١٤١]: كان أبو سعيد الجنابي رئيساً للقرامطة بإمارة البحرين، وقد توفي في سنة ٣٠١هـ.[(٥)] وظل طوال حياته أميناً للدعوة

---

(١) ومعناهما اللغوي هو: دحس بين القوم = أفسد، دحس الجزار = أدخل يده بين جلد الشاة وصفاقها للسلخ، دحس بالشر = دسه من حيث لا يعلم. (المنجد: ٢٠٥) وشخص ـ شخوصاً ـ يقولون: شخص بصره أي فتح عينيه فلم يطرف؛ شخص الميت بصره أي رفعه (المنجد: ٣٨٨).

(٢) صفة: ٧١، ١٠٠.

(٣) حصيب: راجع ياقوت: (٢٨٨/٣).

(٤) ٥٣، ١١٩.

(٥) الكامل: ٦٣/٨؛ وأبو سعيد الجنابي ينسب إلى بلد تسمى جنابة على الخليج الفارسي شرقاً، وقد تمكن هذا من تأسيس دولة القرامطة بالبحرين، ولا شك أن نجاح الجنابي يرجع إلى حد كبير إلى حركة حمدان قرمط الذي عين أبا سعيد على الدعوة في القطيف والبحرين، فظل هذا على إخلاصه له حتى سمي أتباعه على ما ذهب إليه دي ساس De Sacy: Ex Posé de la Religion des Druzes Vol. 1. القرامطة نسبة إليه. واتخذ أبو سعيد مدينة الإحساء عاصمة لدولة القرامطة الجديدة التي أسسها سنة ٢٧٦هـ. واستطاع أبو سعيد أن يقيم في هذه البلاد حكومة ملكية وراثية في بيته، وكان الحاكم هو القائد الأعلى للجيش، وبيده كافة مقاليد الأمور. واستطاع أبو سعيد إقرار النظام في بلاد البحرين وتدريبه أهلها على الأعمال الحربية أن يقيم دولة موطدة الأركان فيها، امتد نفوذها على هجر والإحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين والطائف (الكامل: ٢٧/٨). ولو طالت حياته لتيسر له مد سلطانه على جزيرة العرب بأكملها، لكنه اغتيل سنة ٣٠٢هـ. وخلفه=

لعبيدالله، ولا أدري كيف أفسر الإشارة في المتن القائلة بأنه أعلن استقلاله عن المهدي، إلا إذا كان المقصود بها أن أمانته (إخلاصه) كان في وقت من الأوقات مثاراً للشك (كتاب القرامطة لدي خوي ص٦٩).

حاشية [١٤٢]: فتح جوهر[١] القائد الفاطمي مصر، وأنشأ قلعة القاهرة سنة ٣٥٨هـ[٢]. ووصل المعز[٣] مصر وجعل القاهرة مركزاً للدولة[٤] الفاطمية سنة ٣٦٢هـ. وكانت مصر قبل الفتح تابعة للدولة الإخشيدية[٥]،

= ابنه سعيد الذي ما لبث أن ثار عليه أخوه الأصغر أبو طاهر سليمان، وفي عهده توطدت العلاقة الودية بينه وبين الفاطميين في شمال إفريقية، وحرصوا على هذه العلاقة الودية طوال النصف الأول من القرن الرابع الهجري، كما سمحوا لهم بالتدخل في تعيين أمرائهم، فلما توفي أبو طاهر سنة ٣٣٢هـ. حدث نزاع بين أخيه وبين ابنه فأمر الخليفة المنصور بن القاسم بتولية أحمد بن الحسن (الأخ) ويكون سايور بن أبي طاهر ولي عهده، فنفذت رغبة الخليفة (النفوذ الفاطمي: ٣٧ ـ ٣٨).

[راجع: النفوذ الفاطمي: ٣١ ـ ٤٨؛ عبيدالله المهدي: ١١٠ ـ ١١١، ٢١١ ـ ٢٣١].

(١) ولد بصقلية بين سنتي ٣٠٥ ـ ٣٠٧. شب في حجر الدولة الفاطمية بشمال أفريقية، وتدرج في سلك الوظائف فيها، فكان كاتباً للمعز سنة ٣٤١. ثم وزيراً له سنة ٣٥٧، ثم قائداً لحملة مصر سنة ٣٥٨ (مصر في العصور الوسطى: ص١١٩).

(٢) ظلت القاهرة عاصمة الديار المصرية من هذا التاريخ إلى الآن (راجع كتاب «القاهرة» ثلاثة أجزاء لفؤاد فرج).

(٣) هو الخليفة المعز أبو تميم معد، تولى الخلافة في شمال أفريقية في مستهل ذي القعدة سنة ٣٤١. وبعد وفاة أبيه المنصور أبو طاهر إسماعيل. وفتحت مصر في عهده في شعبان سنة ٣٥٨، ودخل القاهرة في رمضان سنة ٣٦٢، وتوفي في ٣ ربيع الثاني سنة ٣٦٥، وخلفه في الخلافة ابنه العزيز، أبو منصور نزار (ابن خلكان: ٢/١٠١).

(٤) بدأت في شمال إفريقية على يد الخليفة المهدي، أبو محمد عبيدالله في يوم ٤ ربيع الثاني سنة ٢٩٧هـ. وبدأت في مصر على يد الخليفة المعز من يوم فتح جوهر الصقلي لها في شعبان سنة ٣٥٨، واستمرت قائمة حتى خلع آخر خلفائها وهو العاضد، أبو محمد عبدالله الذي خلع في ٣ المحرم، وتوفي في عشرة منه سنة ٥٦٧ (دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الفرنسية) مادة (العاضد).

(٥) بدأت دولتهم في مصر على يد أبي بكر محمد بن الأخشيد بن طفج، في ٢٣ رمضان سنة ٣٣٣، واستمرت قائمة حتى استولى عليها جوهر القائد الفاطمي في ١٧ شعبان سنة ٣٥٨، حيث خلع أبا الفوارس أحمد بن علي الأخشيد الذي كان متولياً الحكم من جمادى الأولى سنة ٣٥٧.

وقد عجز الفاطميون عن فتحها في أول الأمر رغم الحملات[1] المتعددة التي أرسلوها لهذا السبب، وذلك لأن الدولة الأخشيدية بها كانت لا تزال قوية، فلما ضعفت بسبب الجوع والقحط الذي انتاب البلاد، وبسبب موت كافور الأخشيدي سهل على جيش المعز أن يفتحها في السنة المذكورة.

حاشية [١٤٣]: يضيف الديبع هنا أن ابن الأسد[2] تقلد وظيفة الداعي في عهد الخليفتين الحاكم والظاهر (٤١١ ـ ٤٢٧)، كما تقلدها في السنوات الأولى من خلافة المستنصر (٤٢٧ ـ ٤٨٧هـ.).

حاشية [١٤٤]: أظن أن هذه الكلمة بدلاً من أن تكون الأحراج أو الأخراج يجب أن نقرأها الأخروج. ويقول الهمداني بأن الأخروج في المنطقة السفلى من حضور. وكان في عهده موطن لبني الصليحي الهمدانيين (انظر حاشية جلازر ص٣٨، ١٠).

ويرى جلازر أن هذه المنطقة هي نفس (حجرة الحديثة) الموجودة على خريطته شرقي حراز. وأضيف أن المقدسي ذكر هذا الموضع، وقد ضبطه الأستاذ دي خوي في طبعته لكتاب المقدسي بهذا الضبط (أخروج)[3].

* * *

---

(١) أرسلت لذلك ثلاث حملات: الأولى سنة ٣٠١هـ. والثانية سنة ٣٠٧هـ. والثالثة سنة ٣٢١هـ. واستمرت الأخيرة حتى عهد القائم بن المهدي سنة ٣٢٤، ولقد فشلت هذه الحملات الثلاثة لأن البلاد كانت من القوة بحيث استطاعت أن ترد عنها غارات الأعداء (مصر في العصور الوسطى: ١١٤).

(٢) هو يوسف بن أحمد بن الأشج، هكذا ورد اسمه في (العيون: ١/٧ ـ ٢؛ نزهة: ٣٢/١ ـ ٣٣)؛ وقال صاحب الكشف: ٤٢: إن اسمه «يوسف بن الأسج»؛ ولكن صاحب السلوك ١٥٢ قال: إن اسمه «ابن الأسح، وصححها (كاي) نقلاً عن القرة بالأسد»، وهذا كله تحريف وتصحيف، والذي ذكره إدريس في العيون قد اتبعناه (راجع: الصليحيون: ص٥٧).

(٣) الأخروج: قال أبو محمد الهمداني (صفة: ١٠٦) عند كلامه على مخلاف حضور: «ويتصل بها ـ أي بسافلة حضور ـ بلد الأخروج بن الغوث بن سعد... وببلد الأخروج اليوم الصليحيون من همدان»؛ راجع أيضاً الإكليل: (٩٩/١٠)، وتعليق محب=



حواشي جديدة

حاشية «١»: الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبدمناف القرشي، الشافعي.

كان الشافعي كثير المناقب، جم المفاخر منقطع القرين، اجتمعت فيه من العلوم بكتاب الله وسنة الرسول ﷺ، وكلام الصحابة رضي الله عنهم، وآثارهم واختلاف أقاويل العلماء، وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة العربية والشعر.

كان مولده سنة خمسين ومئة، وقيل كانت ولادته في غزة أو عسقلان وقيل في اليمن، والأول أصح. وحمل من غزة إلى مكة، وهو ابن سنتين، فنشأ بها. وقدم بغداد سنة ١٨٤هـ. فأقام بها شهراً، ثم خرج إلى مصر سنة ١٩٩ وقيل سنة ٢٠١، ولم يزل بها إلى أن توفي يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة ٢٠٤، ودفن بعد العصر من يومه بالقرافة الصغرى.

وقد اتفق العلماء قاطبة على ثقة الشافعي وعدالته وزهده وورعه ونزاهة عرضه، وعفة نفسه، وحسن سيرته، وعلو قدره وسخائه.

وللإمام الشافعي أشعار منها:

إن الذي رزق اليسار ولم يصب
حمداً ولا أجراً لغير موفق

الجد يدني كل أمر شاسع
والجد يفتح كل باب مغلق

[وفيات: ٣ / ٣٠٥ ـ ٣٠٦]

= الدين الخطيب، وقال القاضي محمد الحجري: إنه في البلاد التي تسمى الآن بلاد الحيمة ما بين حضور وحراز، وفيها حصن بتاع الذي كان يسكنها القاضي محمد الصليحي.

تاريخ اليمن
الفقيه الأديب نجم الدين عمارة بن أبي الحسن علي الحكمي اليمني

حاشية «٢»: بعد استيلاء الصليحي على جبل مسار كتب كتاباً أمر ببثه في جوانب حراز وهذا نصه: عيون: ٧ / ٧ ـ ٨؛ الصليحيون: ٧٦ ـ ٧٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله الذي أورى زناد الحق، ورفع عماد الصدق، بالذين أكمل بهم الحجة على الخلق وأنار بهم ما بين الغرب والشرق، الهداة إلى الخير والأدلة، الدعاة إلى أشرف المنهاج والملة، خلفاء أنبيائه، وأمنائه وأصفيائه، سلالة رسله من لدن آدم عليه السلام، ووصل نظامهم، وأعلى مقامهم، وفتق بالنور أيامهم، ونشر بالعدل أعلامهم، فهم أعلام الدين، والدعاة إلى الحق المبين، الشيعة الميامين، والسلالة الطيبين، آل طه ويس.

وصلواته على من ختم به الرسالة، وعقب بالأئمة من عقبه أبواب الدلالة، سيدنا محمد النبي، وعلى أخيه ووصيه علي، وعلى الأئمة من نسل مولانا الحسين الزكي، ورثة التنزيل، وخزنة التأويل.

وأفضل صلواته وأنمى تحياته وبركاته على وارث علمهم، والقائم من بعدهم، بقية السلف وخيرة الخلف، مولانا معد أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى خلفه وسلفه.

أما بعد: يا أهل حراز ألهمكم الله رشدكم، وجعل الجنة قصدكم، فلم أطلع إلى حصن مسار متجبراً باغياً، ولا متكبراً على العباد عاتياً، ولا أطلب الدنيا وحطامها، ولا طالباً أملك غوغاءها وطغامها، لأن لي بحمد الله ورعاً يحجزني عما تطمع النفوس إليه وديناً أعتمد عليه.

وإنما قيامي بالحق الذي أمر الله عز وجل به، والعدل الذي أنزله في محكم كتابه، أحكم فيه بحكم أوليائه، وسنن أنبيائه، وأدعو إلى حجته الذي في أرضه، والقائم بغرضه. لست من أهل البدع، ولا من ذوي الزور الشنع، الذين يعملون في الدين بآرائهم، ويحكمون بأهوائهم، بل أنا متمسك بحبل الله المتين، عامل بما شرع الله في الدين، وداعي أمير المؤمنين عليه صلوات رب العالمين، لا أقول إلا شدداً، ولا أكره في الدين

أحداً. فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها. وما الله يريد ظلماً للعباد.

واعلموا يا أهل حراز أني بكم رؤوف، وعلى جماعتكم عطوف، للذي يجب علي من رعايتكم وحياطتكم، ويلزمني من عشرتكم وقرابتكم، أعرف لذي الحق حقه، ولا أظلم سابقاً سبقه، وأنصف المظلوم، وأقمع الظالم الغشوم، وأبث فيكم العدل، وأشملكم بالفضل. فاستديموا ذلك بالشكر، ولا تصغوا إلى قول أهل الكفر، فيحملونكم من ذلك على البغي والعدوان، والخلاف والعصيان، وكفر الإنعام والإحسان، تستوجبوا بذلك تغيير الإنعام وتعجيل الانتقام.

وكتابي هذا حجة عليكم ومعذرة إليكم، والسلام على من اتبع الهدى، وتجنب أمور الردى.

والحمد لله على ما أعاد وأبدأ، وصلواته على من أرشد به من الضلالة وهدى، سيدنا محمد النبي، وآله الأئمة الشهداء، وسلم تسليماً، حسبنا الله ونعم الوكيل». [عيون: ٧ / ٧ ـ ٨]

حاشية «٣»: حدث هذا سنة ٤٥٣، وإن قول صاحب (قرة ورقة ٢):

«وكان الصليحي يد عوسراً للمستنصر، ويخاف نجاحاً في زبيد، فكان يتلطف له ظاهراً ويعمل الحيلة في قتله»؛ وقول صاحب الأنباء / دار ٤٠: «إن الصليحي كتب للمستنصر سنة ٤٥٣ يستأذنه بإظهار الدعوة، ووجه له بهدية جميلة فلما وصلت إليه أمر له برايات». هذا كله يدل على أن الصليحي كان يدعو سراً للمستنصر قبل سنة ٤٥٢، وذلك خوفاً من نجاح صاحب تهامة، فلما تخلص منه في تلك السنة أعلن دعوته للأئمة الفاطميين. ولكننا نرى أن الصليحي كان يدعو للفاطميين سراً وجهراً قبل سنة ٤٥٢، ذلك أن الدولة الصليحية كانت تستند في هذا الوقت إلى دولة الفاطميين القوية العزيزة الجانب، وأن النجاحيين كانت تشد أزرهم إمبراطورية العباسيين المفككة المهيضة الجناح، التي بلغت من تفككها وضعفها أن أبا الحارث البساسيري أرسلان بن عبدالله التركماني مقدم الأتراك

ببغداد خرج عن طاعة القائم العباسي (عيون: ٧ / ٤٠)، واستطاع أن يخطب للخليفة الفاطمي المستنصر على منابر بغداد سنة ٤٥٠، فعلي بن محمد الصليحي كان يستمد قوته المعنوية والروحية من الخلافة الفاطمية التي بلغت في الشطر الأول من عهد المستنصر أوج عظمتها (عيون ٧ / ٥٥). وكان لا يخاف نجاحاً لأن سلطته كانت لا تعدو جزءاً من التهايم، في الوقت الذي كان الصليحي قد تغلب على معظم البلاد اليمنية، ولكن كان يحذره. وإذا لا يسعنا إلا القول بأن الصليحي كان يدعو للفاطميين سراً وجهراً قبل سنة ٤٥٢، وأن الدولة الصليحية كانت أكثر نفوذاً واستقراراً بعد قتل نجاح أكبر منافسيها في اليمن. وصارت الخطبة تقام على منابر البلاد التي خضعت للدولة الصليحية العربية للخليفة، المستنصر والملك علي الصليحي وزوجته السيدة أسماء بنت شهاب، وزالت بذلك دعوة بني العباس من بلاد اليمن». [ثغر عدن: ١ / ١٣٩ ـ ١٤٠].

حاشية «٤»: وتكملة لسياسة الصليحي الإدارية في البلاد، استعمل ابنه الأمير المكرم أحمد بن علي على الجند وعلى ما يليها، واستعمل أخاه السلطان عبدالله بن محمد بن علي على حصن التعكر وما والاه. فلما كان في سنة سبع وخمسين وأربع مئة اختط السلطان عبدالله بن محمد الصليحي مدينة ذي جبلة بأمر أخيه الملك علي بن محمد الصليحي (عيون ٧ / ١٢٢).

وقيل: إن عبدالله بن محمد الصليحي هو الذي بنى القلعة تعز وابتدأ في تمدينها أيام أخيه علي الصليحي هو وابن أخيه المكرم أحمد بن علي الصليحي، وكان المكرم بالجند وعمه السلطان عبدالله بن محمد الصليحي في التعكر.

حاشية «٥»: بعد أن استعد الملك علي استعداداً حسناً أوصى ابنه أحمد المكرم «بالعدل وحسن السيرة والسياسة، وتقوى الله في الجهر والسريرة، والعمل بأعمال الشريعة، وإقامة دعائمها والائتمار بأوامرها والانتهاء عن محارمها». [عيون: ٧ / ٨٨].

وفي العهد إلى المكرم قال القاضي الحسن بن أبي عقامة قصيدة طويلة جاء فيها: [عيون: ٧ / ٨٦ ـ ٨٨].

هنا الدين والعلياء تقليدك الأمرا | فقد طوق التقليد هذا وذي فخرا
لعمري لقد طال انتظارهما لذا | وعدا له الأيام والحول والشهرا
إلى أن أتى تحقيق ما كان ظنه | وللكون فعل ليس تفعله البشرى
فلو ملكا مولاً إذا ثنيا به | ولو ملكا بطشاً إذن سجدا شكرا

ثم غادر الملك علي الصليحي صنعاء، وترك فيها ابنه الأمير أحمد المكرم، ومعه السلطان أحمد المظفر الصليحي [نفسه: ٧ / ٨٦].

وفي هذا يقول الشاعر عمرو بن يحيىٰ الهيثمي قصيدة جاء فيها:

ما لمن فارق الأحبة عذر | إن نهى دمعة عن الفيض صبر
إن سيف الإمام كالبحر ذي المو | ج له في البلاد مد وجزر
ولئن ساءنا فراق علي | فبأحمد ابنه لنا ما يسر
ذاك بحر سقى به مكة الله | ـه وهذا لوفد صنعاء بحر

[قلادة: ٢ / ٢ ورقة ٦٠١؛ خريدة: ٢ /ورقة ٢٧٩].

حاشية «٦»: وقد رثاه الشاعر عمرو بن يحيى الهيثمي بقصيدة جاء فيها: [عيون: ٧ / ٩٢].

وأنشأ الحج إلى مكة | يبغي رضا الله وآل البتول
وارتجت الأرض له خيفة | بمن بها بين فرات ونيل
وقام بالجيش وأضرابه | شم العرانين كرام الأصول
فصار في المهجم في عصبة | من قومه غالته دهياء غؤول
كالليث في الغابة دبت له | رقطاء ليلاً ذات شخص ضئيل
فإن يكن نيل على غرة | فالبدر لا بد له من أفول

وقال الشاعر الحسين بن علي القمي على لسان الحرة الزكية السيدة تحفة

بنت محمد الصليحي [راجع الجدول في التعليق على الحاشية ١٠٨ (كاي)] في رثاء أخيها الملك علي بن محمد الصليحي [مخطوطة مصورة لديوان أبي عبدالله الحسين بن علي بن محمد القم بالمتحف البريطاني تحت رقم ٤٠٠٤]:

لعمري ما طارت طيوري بأسعد	غداة دهتني الحادثات بأسعد
وذكرني فقدي لأسعد إخوتي	ملوك من المستشهدين بسردد
وقد فقد الأحباب بعد أحبتي	وإن كان لا مفقود مثل محمد
رزيت من الأملاك كل متوج	كثير غبار الجيش طلا أنجد
ملوك ترى الأملاك حول دسوتهم	صفوفاً عكوفاً من قيام وسجد
أ أبكي علياً أم أخاه الذي فدى	وأكرم مفدى هناك ومفتدي
أم الثالث اللاقي الحراب ينحره	وقد نهلت من كل أغيد أصيد
فلله أسد صرعت بثعالب	ولله أحرار أذيلت بأعبد
وهون وجدي أنهم ما تخرموا	بغير المواظي والوشيج المقصد
أمام الخميس الخور تخفق فوقهم	لواء معد مرتضى آل أحمد

[الخور: يريد به الخيل المسرعة، يقال فرس خوار العنان، سهل المعطف لينه؛ ومعد هو الخليفة المستنصر الفاطمي].

حاشية «٧»: لما جاء الخبر إلى المكرم بقتل والده في المهجم وأسر والدته الملكة أسماء بنت شهاب، والقضاء على خيرة رجال دولته، وقع المكرم في حيرة، بل أخذ المنافقون ينتقضون عليه حتى خرج أمر الصليحيين من كافة بلاد اليمن، ولم يبق لهم إلا التعكر، وكان العبيد قد حاصروه، كما حاصروا مالك بن شهاب في حصن مسار، وتآمرت القبائل عليه من كحلان وهران وعنس وزبيد ويحصب، وامتدت العدوى إلى صنعاء نفسها حيث كان المكرم يقيم مع جماعة من خلصاء أتباعه لا يزيد عددهم على ستمائة من الحجازيين. وقد صور صاحب العيون هذا الموقف بقوله: «... وكان المكرم يثبت أصحابه على الدين، ويذكرهم بما وعد الله به عباده الصابرين، وبما ابتلى به مواليه الطاهرين؛ ويتلو ما أنزل الله في كتابه

المبين: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾.
واستطاع المكرم وأعوانه أن يرفعوا الحصار عن صنعاء؛ وتتبعوا الأعداء فانتصروا في ناحية حضور. وحارب الأعداء في كل مكان؛ والله يعطيه النصر ويبسط يده عليهم». [عيون: ٧ / ٩٣].

وبعد أن استقرت الأمور في دولته قام بجيشه لتخليص أمه من أسر سعيد الأحول بعد أن عين على صنعاء إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي نائباً عنه؛ وخرج من قرية العمد. [في أرض لعسان في بطن تهامة (صفة: ١٠٥)؛ وهي الآن قرية من قرى همدان في مديرية آل سريح] في يوم الأربعاء لست بقين من شهر صفر سنة ٤٦٠ في عشرة آلاف راجل وفارس. [عيون: ٧ / ٩٩]. وكان قد خطبهم ووعظهم بقوله: «إننا لم ننزل لعرض من الدنيا نصيبه ولا مال نخزنه؛ ولا لشيء نذهب به من متاع الدنيا؛ سوى إدراكنا ثأرنا من هؤلاء العبيد واستنقاذ حريمنا؛ لا لقصد إضرار بأحد من الناس؛ ولا لتغيير شيء مما يملكون؛ ولا تعد على زروعهم ومواشيهم ونحن في طريقنا.. وقد رجوت أن تكون سيرتكم جميلة؛ ولكم حسن الأحدوثة؛ وحميد العاقبة.. ولا تتعدوا على أحد في طريقكم؛ إلا من وطركم ونال منكم» [نفسه: ٧ / ٩٧].

وقد رأينا كيف تمكن المكرم من تخليص أمه من الأسر، ثم عاد مسرعاً إلى صنعاء لعلاج المشاكل والأمور التي تعقدت في أثناء غيابه [الصليحيون: ١٢٥ ـ ١٢٩]. ثم ما لبث أن قاد جيشه مرة ثانية لفتح زبيد وتهامة والقضاء على سعيد الأحول قاتل والده في أم الدهيم سنة ٤٥٩. وكان خروجه من صنعاء في يوم الخميس غرة شهر رمضان سنة ٤٦١ وقد مر بنا ما كان من انتصاره وقتل سعيد الأحول عند قرية ماية [ماية: في رأس جبل بني الحارث، ومتصلة بجبل الشعر مباشرة].

وقتل بلال بن نجاح وأخوه مالك بجهة نقيل صيد على يد عامر بن سليمان الزواحي.

وعاد المكرم بعد ذلك إلى زبيد. وفي يوم السبت غرة شوال صلى بالناس العيد وخطبهم خطبة أفاض فيها بالدعاء لأبيه. [عيون: ٧ / ١١٣].

ومما قاله: «اللهم وتغمد بغفرانك ورحمتك ورضوانك عبد أمير المؤمنين وداعيه الأجل الأوحد، واجزه أفضل ما جزيت داعياً عمن دعاه، اللهم وأوزعنا شكر ما أنعمت به علينا من توحدك لنا بإدراك ثأره من الظالمين، والإدالة به من أعدائه الفاسقين، حتى صاروا بأسيافنا حصيداً خامدين. فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين» [نفسه].

ولما ترك زبيد وصل الهجر في يوم ٢٨ شوال سنة ٤٦١ فولى عليها علياً ومحمداً ابني مالك بن شهاب الصليحي، ثم تركها حتى وصل إلى الساعد وفيها وصلته السجلات المستنصرية تتضمن تشريفات وزيادة في الألقاب فقرأها على الناس. كما جاءته الشعراء مهنئين بالنصر؛ ومنهم الشاعر أحمد بن علي التهامي الذي قال قصيدة مطلعها:

نفضت غبار العار عن ثوب يعرب
وقد سحبت أعطافه كل مسحب

[عيون: ٧ / ١١٤ ـ ١١٥؛ الصليحيون: ١٣٢ ـ ١٣٤].

ثم ترك الساعد إلى المهجم ونقل جثتي والده وعمه في تابوتين إلى صنعاء فقبرهما يماني الجبانة وأمر ببناء مشهد جامع لهما. [نفسه: ٧ / ١١٦].

وكتب بعض الشعراء على قبر الصليحي أشعاراً منها:

في القبر ليث وبحر زاخر وجدى   جود وطود وضرغام وصمصام
فاعجب بأن ضم هذا كله جدث   يدا له في قلوب الناس إعظام

وبعد دفن الجثتين جلس في مسجد كان بناه أبوه وأخذ الشعراء ينشدونه قصائدهم، ومن بينهم عمرو بن يحيى الهيثمي حيث قال: [عيون: ٧ / ١١٧؛ الصليحيون: ١٣٥].

وكيف لا نبكي ملوكاً عنت	لهم ملوك الشرق والمغرب
دارت رحى بأسهم من قرى الشحـ	ـر إلى نسجد إلى يثرب
ولم يمت مجدهم إنما	غيبت الأجساد في الترب
وسعي ذي السيفين يحييهم	ما لاح في الليل سنا كوكب

[سجلات / ماجد رقم ٤].

حاشية «٨»: بعد أن خلص المكرم أمه من الأسر وعاد إلى صنعاء، قال الشاعر عمرو بن يحيى الهيثمي: [عيون: ٧ / ١٠١].

أوبة أسماء إلى قصرها	بعد فراق الملك الأوحد
وبعد عوصاء الخطوب التي	رمت بني القحطان بالمؤيد
كرجعة الشمس وقد جنها	دجن وسربال دجى أسود
فيا لها من نعمة أصلها	بأس ابنها باني العلى أحمد

[المؤيد: الداهية الشديدة. الدجى: جمع دجية، وهي ظلام الليل].

حاشية «٩»: ويقول الخزرجي: «ولها تعليقات وهوامش على الكتب تدل على غزارة مادتها، وكان يقال لها بلقيس الصغرى لرجاحة عقلها وحسن تدبيرها». [كفاية: ١٥١].

وكانت الحرة الملكة كما قال صاحب العيون: «متبحرة في علم التنزيل والتأويل والحديث الثابت عن الأئمة والرسول عليهم السلام.. وكان الدعاة يتعلمون منها من وراء الستر، ويأخذون عنها ويرجعون إليها» [٧ / ٢٠٨].

كما قال إدريس: «وكانت امرأة فاضلة ذات نسك وورع وفضل وكمال عقل وعبادة وعلم تفوق الرجال فضلاً عن ربات الحجال، وتستحق مدح الشاعر حيث قال:

وما التأنيث لاسم الشمس عيب	ولا التذكير فخر للهلال

[عيون: ٧ / ١٢٢].

وقال أيضاً: «وقد استحقت التقديم والتفضيل على الفضلاء من الرجال، وكان الإمام المستنصر أصدر إليها أجل أبواب دعوته، فأفادها من علوم الدعوة، ورفعت عن حدود الدعاة إلى مقامات الحج».

ومما مدحت به الملكة الحرة الصليحية قول الخطاب بن الحسن الحجوري، وهو لا يمدح أحداً إلا الملكة الحرة، وذلك من خالص ولائه وعظيم إجلاله لها:

هم النفوس على النفوس مدارها	وبها تبين كبارها وصغارها
وإذا تفرس في الورى متفرس	ببصيرة لاحت له أخبارها
رضي الأئمة سعيها فتوطدت	في الأرض دولتها وقر قرارها
وتواصلت بركاتها ممدودة	منها حبائل ما استرم مغارها
هي نعمة الله التي ما ماؤها	ثمداً ولا معروفها مجحودا
هي رحمة الله التي ما زال من	فوق البرية ظلها ممدودا

[عيون: ٧ / ٢٢١ ـ ٢٢٢؛ الصليحيون: ١٤٥ ـ ١٤٦؛ والملكة أروى: ١٥ ـ ١٧، وهي قصيدة طويلة اخترنا منها بعض الأبيات؛ انظر تعليقاتنا على حاشية ٥٦ (كاي)].

حاشية «١٠»: وبعد رحيل ابن نجيب الدولة اختارت الملكة الحرة السلطان علي بن عبدالله الصليحي ابن أخي السلطان علي بن محمد الصليحي، للدفاع عن دولتها؛ ونعت بفخر الخلافة، وقد مدحه الشاعر محمد بن أحمد بن عمران بقصيدة جاء فيها:

يا غادياً مزمعاً في السير معتزما	لا يتقي الأين والوعثا والألما
واحمل سلامي إلى المختار من كتب	فخر الخلافة والشم كفه أحما
وحاز من نسب الأصلوح ذروته	وحاشدوا عتلى الهامات والقمما

ولكنا لا نعرف شيئاً عما قام به علي هذا من الأعمال، لأن المصادر التي تحت أيدينا لا تذكر عنه شيئاً. ولكنه ورث هو وابنته الأميرة أروى بنت

علي بن عبدالله ممتلكات الملك المكرم بعد وفاة الملكة الحرة.

[راجع الجدول في التعليق على الحاشية ١٠٨ (كاي)؛ عيون: ٧ / ١٨٦ - ١٨٧].

حاشية «١١»: القاضي الرشيد هو أبو الحسن أحمد بن علي بن الزبير الغساني الأسواني، وكان من أهل الفضل، وكان متضلعاً في الفقه والرياضة، وصنف كتاب: الجنان ورياض الأذهان، والهدايا والطرف، ومجموع رسائل، وديوان شعر. [خريدة: ورقة ١٣٦].

ويقول الجندي: إنه قدم اليمن من صاحب مصر (الخليفة الحافظ) وأقام فيها مدة، فانتفع بعلمه الكثير من أهل اليمن، وانتهت حياته بالقتل ظلماً سنة ٥٦٣هـ.

حاشية «١٢»: حدث كل هذا بعد وفاة الحرة الملكة، ولكن ليس معنى ذلك أن الدولة الصليحية ظلت متماسكة حتى وفاة الملكة سنة ٥٣٢، بل رأينا أن النجاحيين استقلوا بتهامة وزبيد بعد موقعة الكظائم سنة ٤٧٩؛ ثم استولى عليها علي بن مهدي الحميري الرعيني سنة ٥٥٤، وقام بعده ابناه مهدي ثم عبدالنبي، حتى انتهت دولتهم بتهامة بزحف السلطان توران شاه الأيوبي سنة ٥٦٩هـ.

وبعد وفاة السلطان أبي حمير سبأ بن أحمد الصليحي سنة ٤٩٢؛ خرجت صنعاء من الدولة الصليحية، واستولى عليها السلطان حاتم بن الغشم المغلس الهمداني. [عيون: ٧ / ٢٣١].

وناصرته قبائل همدان، وصارت بعده إلى ابنه عبدالله بن حاتم ثم إلى أخيه معن بن حاتم، ثم خلعته همدان وولت مكانه كلاً من هشام وحماس ابني القبيب الهمداني. ثم اختارت همدان السلطان حاتم بن أحمد (المجيدي) بن عمران بن الفضل اليامي الهمداني [كان القاضي عمران بن الفضل اليامي جد السلطان حاتم بن أحمد والياً على صنعاء فعزله الملك المكرم الصليحي، ثم قتل في وقعة الكظائم في عهد الملكة الحرة]. أمر صنعاء وأعمالها في سنة ٥٣٣، وملكها بعده ابنه السلطان علي بن حاتم.

وضربت باسمهما السكة وأقيمت لهما الخطبة. [عيون: ٧ / ٢٣١].

وانتصر علي بن حاتم اليامي في وقعة ذي عدينة على جيوش عبدالنبي بن علي بن مهدي حيث فر عبدالنبي إلى زبيد. فاتسعت رقعة دولة الهمدانيين على معظم اليمن الأعلى في عهد السلطان علي بن حاتم، حتى أزاله وأخاه (السلطان بشر)، الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب عن صنعاء وذمار وغيرهما.

وصارت عدن ونواحيها إلى تعز والجند وجبلة وما يليها في ملك بني زريع إلى أن استولى عبدالنبي بن علي بن مهدي عليها ولم يبق في يدهم إلا عدن حيث أزالهم عنها الملك توران شاه بن أيوب، وتسلم بعده الملك سيف الإسلام طغتكين الدملوة وحب.

وكان سليمان وعمران ابني الزر من خولان قد استقلا بحصني خدد والتعكر سنة ٥٢٤، وذلك بعد أن غادر ابن نجيب الدولة سواحل اليمن ثم استولى عليهما بنو زريع ثم ابن مهدي ثم الأيوبيون. وقد انتهت معارضة الصليحيين للدولة الزيدية بصعدة بعد موقعة ثلا سنة ٥١١.

هكذا كانت حال الدولة الصليحية في أواخر عهد الملكة الحرة؛ فلما توفيت سنة ٥٣٢ ورثها منصور بن المفضل في كل ما كان تحت يدها من حصون وذخائر وأموال. [الصليحيون: ٢٣٨ ـ ٢٤٠].

حاشية «١٣»: الشاعر العثماني من نسل الخليفة عثمان بن عفان. وقد هجا الملك علي الصليحي بعد أن قطع رأسه سعيد الأحول بن نجاح سنة ٤٥٩. [ثغر عدن: ٢ / ١٦٤].

ولما قتل المكرم سعيد الأحول سنة ٤٦١، أراد القبض على هذا الشاعر العثماني، الذي فر متنقلاً من بلد إلى بلد، وقد توسط له الوزير عمران بن الفضل اليامي عند الملك المكرم، ولكن المنية أدركت الشاعر قبل وصوله عفو المكرم عنه. [عيون: ٧ / ١٢٠ ـ ١٢١].

حاشية «١٤»: كانت الحرة الصالحة علم كثيرة الحج والصدقة. وقد

وكل إليها سيدها وزوجها منصور بن فاتك بن جياش بن نجاح، [راجع الجدول في التعليق على الحاشية ١٣٠ (كاي)]. أمر تدبير ملكه. فكان لا يقطع أحد من كبار رجال الدولة أمراً إلا بمراجعتها، ولم يزل ذلك من عادتها حتى توفيت سنة ٥٤٥.

[سلوك / دار: ٣ / ورقة: ٤٥١؛ أنباء / دار: ٤٦].

حاشية «١٥»: كان ميمون القداح أول من اتخذه الأئمة المستورون حجة ونائباً لهم، وقد جعله جعفر الصادق حجاباً وستراً على حفيده محمد بن إسماعيل، أول الأئمة المستورين، وتذكر المراجع السنية المعتدلة أنه كان راوية للإمام محمد الباقر وابنه جعفر الصادق، وأنه كان مولى لهما. [دي خوية: ٢ / ١٠].

كما ينسب أحياناً إلى عقيل بن أبي طالب؛ واتهمته بعض المراجع السنية المغالية بالزندقة؛ وأنه كان خرمياً يدين بعقائد مزدك. أما كتب الحقائق الإسماعيلية فقد أكدت ارتباط ميمون بجعفر الصادق وإخلاصه له حتى جعله حجاباً على حفيده وحجة له؛ وأرجعت نسبته إلى سلمان الفارسي؛ مخالفة في ذلك المراجع السنية التي تنسبه إلى ديصان. وقد لعب بيت ميمون هذا دوراً هاماً في إظهار المذهب الإسماعيلي ونهضته.

[انظر ذلك مفصلاً في كتاب «عبيدالله المهدي»: ٤٧ ـ ٧٧].

حاشية «١٦»: على الرغم من أن المصادر التي بين أيدينا قد أجمعت على أن ابن الفضل اغتيل سنة ٣٠٣هـ. [كشف: ٣٦؛ سلوك / كاي: ١٤٩؛ أنباء / ماضي: ٦٢]. وأن وفاة منصور اليمن كانت سنة ٣٠٢هـ. [كشف: ٢٧؛ سلوك / كاي: ١٥٠]. إلا أننا نستبعد صحة هذه التواريخ، وقد يكون العكس أصح، لأن ابن الفضل ـ كما سبق أن ذكرنا ـ كانت قوته ظاهرة وسلطته كبيرة، وأن وفاة منصور قبله، واختلاف أهل بيته وأتباعه فيما بينهم، كان فيه فرصة كبيرة لابن الفضل أن يستولي على كل ما كان تحت يد منصور؛ ولكن شيئاً من هذا لم يحدث، مما يجعلنا نشك في أن تكون وفاة منصور اليمن حدثت قبل وفاة علي بن الفضل، ويبرهن على

إمكان ما ذهبنا إليه ما قاله صاحب العيون من أن «الداعي أبا القاسم استقر أمره بعد قتل هذا اللعين». [٥ / ٥٠؛ الصليحيون: ٤٧ ـ ٤٨].

حاشية «١٧»: أما عن الدعوة الفاطمية في اليمامة فإن هذه البلاد ظلت تدين بالطاعة للعباسيين حتى منتصف القرن الثالث الهجري حيث استولى عليها في أيام المستعين بالله العباسي محمد الأخيضر بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، واتخذ الحضرمة حاضرة له، فأقام باليمن دولة علوية، عرفت باسم دولة بني الأخيضر، استقل بها عن الخلافة العباسية التي بدأت مظاهر الضعف والانحلال تظهر عليها منذ ذلك الوقت بسبب ازدياد نفوذ الأتراك واستئثارهم بالسلطة دون خلفائها. [ابن حزم: جمهرة أنساب العرب: ٤١].

لم يلق محمد الأخيضر عناء كبيراً في إقامة دولته باليمامة، واستطاع أن يوطد نفوذه فيها ويجعل الحكم وراثياً في أبنائه من بعده. وكان له من الأولاد: محمد وإبراهيم وعبدالله ويوسف. ولما توفي خلفه يوسف الذي أشرك معه ابنه إسماعيل في إدارة شؤون اليمامة بعد وفاة أبيه. وقد أرسل منصور اليمن رسله إلى اليمامة لنشر المذهب الإسماعيلي، [القلقشندي: صبح الأعشى: ١ / ١١٩ ـ ١٢٠]، كما بعث دعاة آخرين لنفس هذا الغرض إلى بلاد البحرين والسند والهند ومصر والمغرب. [المقريزي: أتعاظ الحنفا: ٦٧].

وفي أوائل القرن الرابع الهجري تغلب القرامطة على اليمامة وبذلك زالت دولة بني الأخيضر. [العبر: ٤ / ٩٨ ـ ٩٩].

ولكن نفوذ القرامطة لم يعمر فيها طويلاً بعد زوال دولتهم في بلاد البحرين. ولم يبذل خلفاء بني العباس أي محاولة لاستعادة سلطانهم؛ فاستقل بإدارتها زعماء العرب المقيمين بها، وعلى الأخص من قيس عيلان. [صبح الأعشى: ٥ / ٦٠؛ النفوذ الفاطمي: ٤٩ ـ ٥٠].





قائمة المصادر

نورد هنا في هذا الثبت أسماء المصادر التي اعتمدنا عليها، واستقينا معلوماتنا عنها في تحقيق النص والتعليق على الحواشي، مرتبة حسب أحرف الهجاء بالنسبة للمؤلفين:

١ ـ ابن الأثير، علي بن أحمد بن أبي الكرم (ت: ٦٣٠): **الكامل في التاريخ**، ١٢ جزء (بولاق ١٢٩٠).

٢ ـ أحمد بن زيني دحلان (ت: ١٣٠٤): **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام**. مخطوط بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية رقم ٥٨.

٣ ـ إدريس عماد الدين بن الحسن القرشي (ت: ٤٧٢): **عيون الأخبار**، ٧ أجزاء في ٧ مجلدات. مخطوط في المكتبة المحمدية الهمدانية. **زهر المعاني**. مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية.

٤ ـ أرنولد، توماس و Arnold, Thomas W. The Preaching of Islam (London 1935).

٥ ـ الأزدي، بن ظافر، جمال الدين أبي الحسن علي (ت: ٥٦٠): **أخبار الدول المنقطعة**. مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٨٩٠ تاريخ.

٦ ـ الأصفهاني، أبو عبدالله محمد بن أبي الرجاء (ت: ٥٩٧): **خريدة القصر وجريدة العصر**. مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٤٢٥٥ آداب.

٧ ـ بدر الجمالي (ت: ٤٨٧): **المجالس المستنصرية**.

٨ ـ البغدادي، أبو منصور عبدالقادر بن طاهر (ت: ٤٢٩): **الفرق بين الفرق** (القاهرة ١٩١٠).

٩ - الجرافي، القاضي عبدالله بن عبدالكريم: **المقتطف في تاريخ اليمن** (القاهرة).

١٠ - جلازر، عالم استرالي عمل رحلة إلى اليمن سنة ١٨٨٥.

١١ - الجندي، أبو عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب (ت: ٧٣٢): **السلوك في طبقات العلماء والملوك**. مختصر كاي (لندن ١٨٩٢).

١٢ - حاجي خليفة، مصطفى كاتب شلبي (ت: ١٠٦٧): **كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون** (ليبسك ١٨٣٥).

١٣ - ابن حزم، أبو محمد علي بن محمد (ت: ٤٥٦): **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال (القاهرة ١٩٤٨).

١٤ - حسن إبراهيم حسن: الدكتور: **تاريخ الإسلام السياسي الجزء الأول** (القاهرة ١٩٤٩). **عبيدالله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية** (القاهرة ١٩٤٧).

١٥ - حسن سليمان محمود: الدكتور: **الصليحيون وعلاقاتهم بالفاطميين** (رسالة دكتوراه ١٩٥٢). **الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن** (القاهرة ١٩٥٥). **الملكة أروى سيدة ملوك اليمن** (القاهرة ١٩٥٦).

١٦ - حسن السندوبي: **شرح ديوان امرىء القيس** (القاهرة ١٩٥٣).

١٧ - الحسن بن نوح البهروجي (ت: ٩٣٩). **كتاب الأزها**. مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية.

١٨ - الحمادي، محمد بن مالك بن أبي القبائل اليماني (أواسط القرن الخامس): **كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة** (القاهرة ١٩٣٩).

١٩ - الخزرجي، أبو الحسن علي بن الحسن (ت: ٨١٢): **تاريخ الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن وسكنها من أهل الإسلام**. مخطوط بمكتبة جامعة ليدن. **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية** (القاهرة ١٩١١).

٢٠ - الخطاب بن الحسن الحجوري (ت: ٥٣٣): **ديوان الخطاب**. مخطوط بالمكتبة المحمدية.

٢١ - ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨): **العبر وديوان المبتدأ والخبر** (القاهرة ١٢٨٤هـ). **العبر مختصر** (كاي)، (لندن ١٨٩٢).

٢٢ - ابن الديبع، وجيه الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الشيباني (ت: ٩٤٤): **قرة العيون في أخبار اليمن الميمون**. مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٢٢٤ تاريخ. **بغية المستفيد في أخبار زبيد**. مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٤٥١٦ تاريخ.

٢٣ - دي خوية De Goeje. Memoires Sur les Carmates du Bahrain et les Fatinites (ليدن ١٨٨٦).

٢٤ - الرازي، أحمد بن حمدان الليثي الورسناني (ت: ٣٢٣هـ.): **كتاب الزينة في الأحرف ومعانيها.** مخطوط مصور بدار الكتب المصرية.

٢٥ - زامباور المستشرق: **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في تاريخ الإسلام،** إخراج الدكتور زكي محمد حسن وزملائه (القاهرة ١٩٥١).

٢٦ - زبارة، محمد بن محمد بن يحيى الحسني الصنعاني: **إتحاف المهتدين بذكر الأئمة المجددين،** ومن قام باليمن الميمون من قراء الكتاب المبين وأبناء سيد الأنبياء والمرسلين (صنعاء ١٣٤٣).

٢٧ - الزبيدي، سيد مرتضى: **تاج العروس في شرح القاموس** (بولاق ١٢٥٨).

٢٨ - سبط بن الجوزي، شمس الدين بن المظفر بن فيزوغلي (ت: ٦٥٤): **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان.** مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٥٥١ تاريخ.

٢٩ - سرور، محمد جمال الدين: الدكتور: **النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب** (القاهرة ١٩٥٠).

٣٠ - ابن سعيد، علي بن موسى المغربي (ت: ٦٧٣): **كتاب المغرب في حلى المغرب** (ليدن ١٨٩٨ - ١٨٩٩).

٣١ - السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١): **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة** (القاهرة ١٣٢٧).

٣٢ - الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠): **تاريخ الأمم الملوك،** **تحقيق دي خوية** (ليدن ١٨٧٦ - ١٩٠١).

٣٣ - طه أحمد شرف: الدكتور: **دولة النزارية أجداد آغا خان** (القاهرة ١٩٥٠).

٣٤ - عبدالعال الصعيدي: **مختارات الشعر الجاهلي** (القاهرة ١٩٥٠).

٣٥ - العرشي، حسين بن أحمد الزيدي (القران الرابع): **بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وإمام،** تحقيق الأب أنستاس الكرملي (القاهرة ١٩٣٩).

٣٦ - علي إبراهيم حسن: الدكتور: **تاريخ مصر في العصور الوسطى** (القاهرة ١٩٤٧).

٣٧ - عمارة، أبو الحسن نجم الدين الحكمي (ت: ٥٦٩): **النكت العطرية في أخبار الوزراء المصرية** Hartwig Derenboury

٣٨ ـ عمر رضا كحالة: **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، ثلاثة أجزاء في ثلاثة مجلدات (دمشق ١٩٤٩).

٣٩ ـ العمري، شهاب الدين بن أحمد بن فضل الله (ت: ٧٤٩): **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**. مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٦٨.

٤٠ ـ العيني، بدر الدين بن محمود بن أحمد بن موسى (ت: ٨٥٥): **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**. مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤.

٤١ ـ الفاسي، تقي الدين بن محمد أحمد بن علي (ت: ٨٣٢): **تحفة الكرام في أخبار البلد الحرام**. مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٦٤٦ تاريخ. **شفاء الغرام**. مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٤.

٤٢ ـ أبو الفدا، إسماعيل بن علي عماد الدين (ت: ٧٣٢): **المختصر في أخبار البشر** (القسطنطينية ١٢٨٦هـ.).

٤٣ ـ القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت: ٨٢١): **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء** (القاهرة ١٩١٢ ـ ١٩١٧).

٤٤ ـ القمي، الحسين بن علي (القرن السادس): **رسائل القمي**. مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية.

٤٥ ـ لويس معلوف اليسوعي: **المنجد في اللغة والأدب والعلوم** (بيروت).

٤٦ ـ المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي (ت: ٤٧٢): **سيرة المؤيد في الدين**. مخطوط بالمكتبة المحمدية، نشره الدكتور محمد كامل حسين (القاهرة ١٩٤٩).

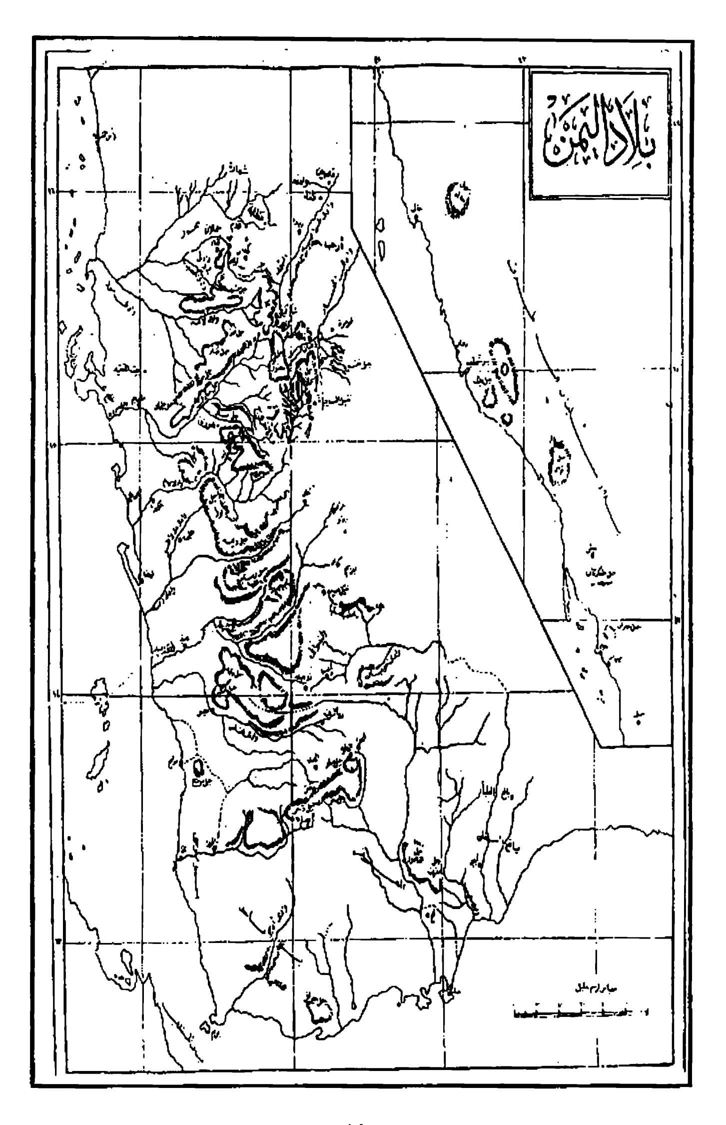
٤٧ ـ ابن المجاور، جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب الدمشقي (ت: ٦٩٠): **تاريخ ابن المجاور**. مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣١٧٧ تاريخ.

٤٨ ـ أبو المحاسن، جمال الدين بن يوسف بن تغري بردي (ت: ٨٧٤): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** (القاهرة ١٩٣٥).

٤٩ ـ المتنبي، أبو الطيب (ت: ٣٥٤): **ديوان المتنبي**. النسخة التي أخرجتها لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٤.

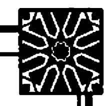
٥٠ ـ بامخرمة، أبو محمد عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد (القرن العاشر): **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر**. مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٦٧ تاريخ. **ثغر عدن**، جزءان (ليدن ١٩٣١).

٥١ - مظفر الدين نادي: **التاريخ الجغرافي للقرآن**. ترجمة الدكتور عبدالشافي غنيم (القاهرة ١٩٥٦).
٥٢ - المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت: ٦٨٧). **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** (ليدن ١٩٠٦).
٥٣ - المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت: ٨٤٥): **المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار** (بولاق ١٢٧٠هـ). **اتعاظ الحنفا بأخبار الخلفا** (القدس ١٩٠٨).
٥٤ - المنصوري، ركن الدين بيبرس المنصوري الداودار (ت: ٧٢٥هـ): **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**. مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة.
٥٥ - ابن ميسر، محمد بن علي بن يوسف بن جلب (ت: ٦٧٧): **تاريخ مصر**. طبعه هنري ماسيه (القاهرة ١٩١٩).
٥٦ - نشوان الحميري، أبو سعيد بن سعيد (ت: ٥٣٧): **الحور العين**. (القاهرة ١٩٤٨).
٥٧ - النعمان، القاضي بن محمد بن منصور التيمي المغربي (ت: ٣٦٣): **افتتاح الدعوة الزاهرة وابتداء الدولة**. مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية.
٥٨ - النويري، أحمد بن عبدالوهاب (ت: ٧٣٣): **نهاية الأرب**. مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٧٠.
٥٩ - الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت: ٣٣٤): **صفة جزيرة العرب**. تحقيق مولر (ليدن ١٨٩١).
٦٠ - الهمداني: حسين بن فيض الله اليعبري: الدكتور: **الصليحيون والحركة الفاطمية باليمن بالاشتراك** (القاهرة ١٩٥٥). **مقال عن السجلات المستنصرية** في B.S.O.S سنة ١٩٣٤، ونشر هذه السجلات الدكتور محمد عبدالمنعم ماجد (القاهرة ١٩٥٤).
٦١ - Wustenfeld F. Von: Genealogische Tabellender Arabischen Stamme Und Familien (Cottingen 18).
٦٢ - ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله (ت: ٦٢٦): **معجم البلدان**. (مطبعة السعادة سنة ١٩٠٦).
٦٣ - يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد (ت: ١١٠٠): **أنباء الزمن في أخبار اليمن**. مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٣٤٧ .**أنباء الزمن من** (٢٨٠/ ٣٢٠هـ). تحقيق الدكتور محمد عبدالله ماضي (برلين سنة ١٩٣٦).


بلاد اليمن

الفهارس

- الأعلام.
- القبائل.
- الأماكن والبلدان.
- الموضوعات.

الأعـــلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(جـ)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)



القبائل

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(ش)

(ص)

(ض)

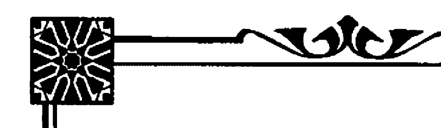
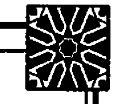
(ط)

(ع)

(ن)

(هـ)

(و)

الأماكن والبلدان:

(أ)

(ب)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

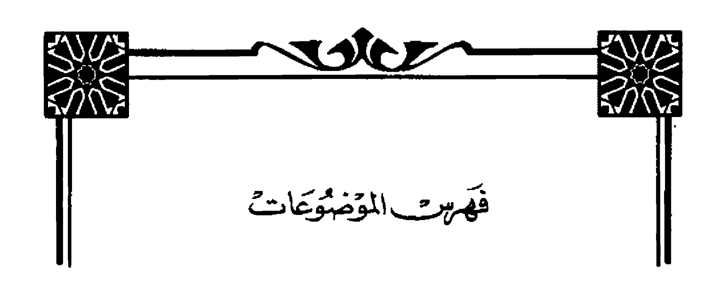
(ط)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة